بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم و البحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة

كلية أصول الدين و الشريعة

والحضارة الإسلامية

قسم الدعوة و الإعلام و الاتصال

الأبعاد الإعلامية و الاجتماعية للجمعة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير فى الدعوة و الإعلام

الطالب :

نورالدين جفافله

المشرف:

الدكتور مولود سعادة

السنة الجامعية 1998م/1999م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كلمة شكر

بادئ ذي بدء أتوجّه بالشّكر الجزيل والتّقدير الكبير إلى كلّ من مدّ لي يد العون و المساعدة لإنجاز هذا المجهود المتواضع و أخصّ بالذّكر أستاذي الفاضل الدّكتور مولود سعادة الّذي تفضّل بالإشراف على هذه الرّسالة منذ أن كانت مجرّد فكرة ، فرعاها و ربّاها حتى نمت و نضجت .

كما أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى كلّ الأساتذة الّذين أفادوني بتوجيهاتهم و نصائحهم القيّمة ، و أخصّ بالذّكر الأستاذين الفاضلين الطّيب برغوث و عمّار طسطاس . و لا يفوتني أن أنوّه بالمساعدات الّتي قدّمها لي الأخوين الدّكتور المحترم عبد الفتاح بوزياني ، و الأستاذ الكريم نبيل مرازقه و كلّ عمّال مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى روح شيخي العلاّمة الرّباني : الشّيخ محمّد الغزالي رحمه الله .

إلى كلّ شيوخي وأساتذتي مذ تعلّمت أول حرف أثابهم الله .

إلى الوالدين الكريمين ، ربّي ارحمهما كما ربياني صغيرا .

إلى قرة عيني زوجتي أمّ رشاد وسارة وصفي الرّحمن ،

ربّنا هب لي منهم قرّة عين واجعلنا للمتقين إماما .

إلى كلّ الذين يتطلعون ويعملون لتكون كلمة الله هي

العليا ويسعون لتكون القيادة الحضارية للإسلام .

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سورة الجمعة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿1﴾ هُوَ
الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿2﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا
يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿3﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿4﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ
أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿5﴾ قُلْ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿6﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿7﴾
قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿8﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ
الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿9﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَ
اذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿10﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا
وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿11﴾

مُقَدِّمَةٌ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنّ الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، و من يضلل فلا هادي له ، و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله .

أمّا بعد :

فلا جرم أنّ الخطاب الإسلاميّ المعاصر[1] ما يزال يعاني ضعفا و عجزا شديدين ، ممّا جعل نتائجه في كثير من الأحيان هزيلة جدّا إذا ما قُورنت بما بُذل و يُبذل من جهود ، بل الأدهى من ذلك أنّه في بعض الأحيان يترك آثارا سيّئة في الواقع المخاطَب ،"و ذلك عندما يكون الطّرح سيّئا أو جاهلا أو غبيّا أو ساذجا ، فيسيء إلى الإسلام و عظمته ، و يزهّد النّاس فيه و يخوّفهم منه ، و يجعلهم يتوهّمون أنّ حالتهم أفضل ممّا يُدعون إليه" [2].

و إذا كان من أهمّ مظاهر أزمة الخطاب الإسلاميّ المعاصر أنّه انحسر -في عمومه - و اقتصر على بعد واحد من أبعاد الخطاب و هو الكلمة بشقّيها المسموع (خطب ، دروس ، محاضرات) و المقروء (كتب ، مجلاّت ، جرائد) ، فإنّ هذا البعد نفسه يعاني من أزمات حادّة و خطيرة . و إنّ أخطر ما فيها هو غياب الرّؤية الواضحة لأبعاد و أهداف و غايات الخطاب ، الأمر الّذي جعل محصّلة الجهود ضعيفة .

... و هو ما جعلني اختار الخوض في موضوع معالجة الخطاب الإسلاميّ المعاصر . و لمّا كان الميدان فسيحا جدّا ، فإنّي اخترت جانبا منه ، و هو (خطبة الجمعة) ، و أظنّه الأخطر و الأجدر بالمعالجة ، لما لخطبة الجمعة من مكانة في الإسلام ، و لما للإعلام

---

[1] - "يقصد بالخطاب الإسلامي المعاصر : مجمل الفعاليات الاتصالية الإسلامية - من وسائل و أساليب و مناهج و مواقف - المحددة و المستخدمة في العمليات التغييرية المخططة أو العفوية ، الرسمية أو الشعبية ، الفردية أو الجماعية ، الهادفة إلى نصرة الإسلام منهجا و تاريخا و حضارة ، و التمكين له في الواقع الإسلامي أولا ، و الواقع الإنساني أخيرا " . (برغوث الطيب في: الخطاب الإسلامي المعاصر و موقف المسلمين منه ، الطبعة الأولى ، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 1990م) ، ص 11 .

[2] - عمر عبد حسنة ، مراجعات في الفكر و الدعوة و الحركة ، عين مليلة (الجزائر) : دار الهدى ، ص 52 .

الشّفهيّ من تأثير على الجماهير المسلمة ، و بخاصّة في هذه المرحلة الّتي تمـــر بهـــا الأمّـــة الإسلاميّة و هي مرحلة ما قبل التّحضّر . و بعد تفكير و مشاورة اهتديت إلى اختيار :

﴿الأبعاد الإعلاميّة والاجتماعيّة للجمعة﴾

و اقتصرت على الأبعاد الإعلامية و الاجتماعية لسببين :

الأوّل : لشمولية المجال الإعلاميّ و الاجتماعيّ لأغلب النّشاطات الإنسانيّة .

الثّاني : ليكون الموضوع أكثر دقّة و أقرب إلى الدّراسة المتخصّصة .

لماذا هذا الموضوع تحديدا ؟

... هذا عن الدّافع الأساسي العام الّذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع (أبعـــاد و أهداف خطبة الجمعة) .

أمّا الدّوافع الخاصّة أو الثّانوية فيمكن تلخيصها في النّقاط التّالية :

1 – أهمّية خطبة الجمعة باعتبارها من أهمّ ما شرعه الله عزّ و جلّ مـــن وســائل للدّعوة و التغيير و الإعلام و التّوجيه – هذا فضلا عن كونها من الشّعائر التّعبدية الكـبرى في الإسلام – و هي قادرة على التّأثير الفعّال إذا ما توفرت لها الشّروط الضّرورية .

2 – المساهمة في النّهوض و الارتقاء بأدوات و وسائل توصيل الخطاب الإسلاميّ :

فإذا كان الهدف من الشّريعة هو تحقيق العبودية لله و تحقيق مســتوى اســتخلافي راق ، فإنّ هذا المقصد لا يتحقّق إلاّ بنهضة إسلاميّة شاملة ، أصيلة و فعّالـــة ، و هـــذه النّهضة أحد و أهمّ صانعيها هو الخطاب الإسلاميّ الفعّال .

3 – أهمّية الدّعوة و الإعلام في البعث و البناء الحضاريّين :

إنّ ضعف الخطاب الإسلاميّ الّذي تعاني منه الأمّة ما هو إلاّ مظهر مـــن مظـــاهر التّخلّف العامّ على جميع الأصعدة ، و إذا كانت عملية التّنمية للخروج من هذا التّخلّـــف يجب أن تكون شاملة ، فإنّ هذا الأمر لن يتأتّى إلاّ بإعادة بنـــاء و صياغـــة الشّـــخصية

المسلمة ، هذه الصّياغة الّتي يبقى للدّعوة و الإعلام الدّور الكبير فيها ، لهذا على من يتصدى لعملية التّغيير و الإصلاح أن يدرك الأبعاد المتعددة و المختلفة لخطبة الجمعة .

4 – قلّة الدّراسات في هذا الجانب :

حيث إنّ الخطاب الإسلاميّ ما زال لم يحظ بالعناية الّتي تليق به ، سواء بالدّراسات النّظرية أو الميدانية و التّطبيقية .

أهداف الدّراسة :

بالإضافة إلى ما سبق بيانه ، فإنّه يمكن ذكر أهمّ أهداف هذه الدّراسة فيما يلي :

1 – محاول بيان مكانة الجمعة في الإسلام ، و الكشف عن بعض مقاصدها و أهدافها الشّرعية .

2 – محاولة استخلاص و استنباط الأبعاد الإعلاميّة و الاجتماعيّة من المقاصد العامّة و الخاصّة الّتي شُرعت لأجلها الجمعة ، والعمل على إبراز أهمّ معالم هذه الأبعاد.

3 – محاولة بيان الوسائل الكفيلة بإعادة الفعالية لخطبة الجمعة .

4 – السّعي إلى الوقوف على أهمّ العوائق الّتي تحول دون تحقيق الجمعة لأهدافها و غاياتها و وظائفها المنوطة بها .

نوع البحث و منهجه :

نوعه : يعتبر هذا البحث من البحوث الوصفية .

منهجه : نظرا لكون هذه الدّراسة تهدف في عمومها إلى الكشف عن أهداف و أبعاد خطبة الجمعة ، فإنّ المنهج الغالب عليها هو المنهج الاستقرائيّ الاستنتاجيّ ، أو المنهج التّحليليّ ، و ذلك بتتبّع مختلف النّصوص الّتي وردت في جوانب الموضوع و استقراؤها ثمّ محاولة استنتاج المراد منها ، و كلّ ذلك بالرّجوع إلى أقوال العلماء فيها . و قد اقتضت الدّراسة أيضا الاستعانة بالمنهج التّاريخي ، و ذلك في جزء من الباب الأوّل أثناء التطرّق إلى مكانة الجمعة في السّنة النّبوية و في عصر الخلفاء الرّاشدين دون إغفال

لتحليل تلك النّصوص و الاستفادة منها في واقع الخطاب الإسلاميّ المعاصر . و كذلك التّوسل بمنهج المقابلة غير المقنّنة ، إذ تّم مقابلة الكثير من الأئمّة و المهتمّين بهذا الموضوع .

الصّعوبات الّتي واجهت الدّراسة :

لقد واجهت هذا البحث عدة صعوبات أهمّها ما يلي :

قلّة المراجع و الدّراسات الّتي تتناول مثل هذه الموضوعات الّتي تحاول الجمع و الموالفة بين الدّراسات الإنسانية الحديثة و الدّراسات الإسلاميّة ، فإذا كانت كتب التّراث تمتاز بالغنى الفكريّ في هذا المجال ، فإنّها من حيث البعد الواقعيّ قليلة الفائدة ، و بالنّسبة للكتب الحديثة فإنّ ما استطاع الباحث التّوصّل إليه لا يتناول موضوع الجمعة من حيث الأبعاد الإعلامية و الاجتماعية إلاّ في كلمات قليلة ، و الكثير منها عبارة عن انطباعات .

التّقسيمات الأساسيّة لموضوعات البحث :

لقد قسّمت هذا البحث إلى أربعة أبواب بستّة عشر فصلا .

- تناولت في الباب الأوّل الّذي قسّمته إلى فصلين:(مكانة الجمعة في الإسلام ومقاصدها الشّرعية) .

حيث خصّصت الفصل الأوّل للحديث عن المكانة الّتي أولاها الإسلام لخطبة الجمعة ، و ذلك من خلال نصوص القرآن الكريم و السّنة النّبوية الشّريفة ، و ركّزت الاهتمام على النّموذج التّطبيقي النّبوي باعتباره القدوة الّتي يجب أن تحتذى و تستلهم لإصلاح خطاب الجمعة ، لذلك حاولت استخلاص أهمّ الأبعاد المنهجيّة لخطب النّبيّ ﷺ

و خصّصت الفصل الثّاني للحديث عن المقاصد الّتي اعتبرها الشّارع الحكيم في تشريع الجمعة ، فبيّنت من خلاله أنّ شعيرة الجمعة من أعظم وسائل الإسلام لجلب المصالح و درء المفاسد ، و أنّها من أجَلّ التّشريعات فيه لحفظ المصالح الضّرورية

و الحاجية و التّحسينية ، و اكتشفت و كشفت أنّ أبعادها الإعلاميّـــة و الاجتماعيّـة متفرّعة عن مقاصدها الشّرعية العامّة و الخاصّة .

- و تناولت في الباب الثّاني الّذي قسّمته إلى أربعة فصـــول : (الأبعاد الإعلاميّة للجمعة) .

فجعلت الفصل الأوّل للحديث عن الأهداف التّربوية و التّعليمية للجمعة ، حاولت من خلاله بيان أنّ البعد التّربويّ و التّعليميّ من أهمّ الأبعاد الّتي قصدها المشرّع الحكيم من تشريعه الجمعة .

و كان الفصل الثّاني مخصّصا للبعد التّثقيفيّ للجمعة ، إذ يعتبر مكمّلا أساسيّا للبعـد الأوّل ، و قد حاولت جعله من النّماذج التطبيقية لنظرية في الثقافة لواحـــد مـــن كبـــار المفكرين الإسلاميّين ألا و هو الأستاذ مالك بن نبي .

و قد خصّصت الفصل الثّالث للبعد الإخباريّ للجمعة ، وهو بُعد رأيت أنّه يجـــب أن يُهتمّ به أشدّ الاهتمام لما له من أهمّية و خطورة .

و خصّصت الفصل الرّابع للحديث عن دور الجمعة في تكوين الرّأي العامّ المســـلم و مخاطبة الرّأي العامّ العالميّ ، و هو بالنّسبة للأبعاد السّابقة نتيجة منطقيّة ، إذ أنّ التّربيـــة و التّعليم و التّثقيف و التّزويد بالأخبار الصّحيحة ، هي أهمّ الأركان و الأسس الّتي يقـوم عليها الرّأي العامّ الموحّد .

- و تناولت في الباب الثّالث الّذي قسّمته إلى خمسة فصول : (الأبعاد الاجتماعية للجمعة) .

فخصّصت الفصل الأوّل لدور الجمعة في التّنشئة الاجتماعيّة ، حاولت ثمّة بيـــان أنّ هذه العمليّة الاجتماعيّة الخطيرة من أهمّ العمليّات الّتي أراد الإسلام أن تُعنى بها الجمعة .

و جعلت الفصل الثاني لدور الجمعة في إصلاح العلاقات الاجتماعية ، و حـــاولت من خلاله بيان الدّور المهمّ الّذي يمكن أن تقوم به الجمعة في هذا المجال .

و في الفصل الثّالث تحدّثت عن دور الجمعة في التّربية على القيادة و الانقياد الرّاشدين ، باعتبار أنّ هاتين العمليّتين من أهمّ العمليّات الاجتماعيّة الّتي تساهم الجمعة في تحقيقها ، و هي من مقاصدها و أهدافها .

ثمّ إني خصّصت الفصل الرّابع لدور الجمعة في تكوين الأمّة أو بناء جماعة المسلمين الحفاظ على تماسكها ، و فيه اجتهدت لبيان أنّ هذا الدّور من المقاصد و الأبعاد الواضحة للجمعة . و هو ثمرة للأبعاد السّابقة .

و آخر فصول هذا الباب خصّصته لدور الجمعة في وقاية المجتمع المسلم و علاجه من الأمراض الاجتماعيّة . وهو ما يجب على المضطلعين الاهتمام به .

- و تناولت في الباب الرّابع الّذي قسّمته إلى خمسة فصول : (عوائق الرّسالة الإعلاميّة والاجتماعيّة للجمعة).

فخصّصت الفصل الأوّل للعائق الأوّل و هو ما ابتليت به الأمّة الإسلاميّة من إضاعة للصّلاة بكلّ أنواع الإضاعة ، فحاولت من خلاله بيان أنّ هذه الكبيرة داء خطير على الأمّة ، و هو بالإضافة إلى كونه من أسباب تخلّف الأمّة ، فهو من العوائق الخطيرة الّتي تعيق الجمعة عن أداء رسالتها المنوطة بها .

و خصصت الفصل الثّاني للحديث عن العائق الثّاني وهو انتشار الأمّيّة بجميع أنواعها في المجتمع الإسلاميّ ، و بيّنت أنّ هذه الأزمة تشكّل أحد أخطر العقبات أمام رسالة الجمعة .

و جعلت الفصل الثّالث للعائق الثّالث ، و هو ضعف خطاب الجمعة ، و فيه حاولت بيان أنّ من أسباب العجز الّذي تعاني منه خطبة الجمعة عجز القائمين عليها أنفسهم ، و أنّ الأمر يحتاج إلى تكوين مؤسّسة خاصة بإنتاج الخطاب المسجديّ .

و خصّصت الفصل الرّابع لتناول العائق الرّابع و هو تضييق رسالة المسجد ، و فيه بيّنت أنّ انحسار رسالة المسجد و قَصرها على جزء يسير من رسالته الشّاملة قد أعاق رسالة الجمعة كثيرا .

و خصصت الفصل الخامس للحديث عن العائق الخامس ، و هو تغييب الحكم بالشريعة الإسلامية ، و من خلاله حاولت بيان أن هذه العقبة تشكل حاجزا منيعا أمام رسالة الجمعة .

و قبل ختم هذه المقدمة ، أنبه إلى أنني اعتمدت في تخريج الأحاديث النبوية الشريفة على موسوعة الحديث الشريف ، و هي عبارة عن قرص مضغوط (CD-R) من انتاج شركة صخر لبرامج الحاسب ، إحدى شركات العالمية ، لهذا فكل رقم عقب أي حديث فهو الترقيم المسمى (العالمية) .

عين البيضاء في 16 صفر 1420هـ

الموافق لـ 31 ماي 1999 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البَابُ الأَوَّل

مَكَانَةُ الجُمُعَةِ فِي الإِسْلَامِ وَمَقَاصِدُهَا الشَّرْعِيَّةِ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

مكانة الجمعة في الإسلام

المبحث الأوّل : مكانة الجمعة في القرآن الكريم

المبحث الثّاني : مكانة الجمعة في السّنة النّبوية

المبحث الثّالث : مكانة الجمعة في عصر الخلفاء الرّاشدين

المبحث الرّابع: مكانة الجمعة على مدار التّاريخ (بيان عام)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

تستمدّ الجمعة – صلاة وخطبة – مكانتها السّامية و شرفها العظيم من ارتباطها الوثيق بأهمّ أعمدة الإسلام ألا و هما الصّلاة و الدّعوة إلى الله عزّ و جلّ .

فللصّلاة – كما هو معلوم – منـــزلة عند الله لا تعدلها منزلة أيّ عبادة أخرى ، فهي عماد الدّين الذّي لا يقوم إلاّ به ، قال رسول الله ﷺ : " **رأس الأمـــر الإســـلام . و عمـوده الصّلاة . وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله** "[1]، و هي أوّل ما أوجب الله تعالى من العبادات ، تولّى ايجابها بمخاطبة رسولـــه ﷺ ليلـــة الإسراء و المعراج مـــن غير واسطة ، و هي أوّل ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة ، و هي آخر ما وصّـــى بـــه الرّسول ﷺ أمّتـــه قبل اللّحاق بالرّفيق الأعلى ، حيث قال : " **الصّلاة الصّلاة اتّقـــوا الله فيما ملكت أيمانكم** "[2].

و للـــدعوة إلى الله عز و جل شأن عظيم و شرف كبير، يكفيـــــها أنـــــها رسالة رسولنا الكريم و رسالة الأنبياء أجمعين ، قال عز من قائل: ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعني و سبحان الله و ما أنا من المشركين** ﴾[3] و قـــال :﴿ **رسلا مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، و كان الله عزيزا حكيما** ﴾[4]. و بهـذا أصبحت الجمعة شعيرة من شعائر الإسلام الكبرى .

---

[1] – أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة ضمن حديث طويل و قال هذا حديـــث حســـن صحيـــح ، رقم 2541 ، عن معاذ بن جبل ، و أخرجه النسائي و ابن ماجة .

[2] – أخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب في حق المملوك ، عن الإمام علي ، رقم 4489 ، و ابن ماجة في الوصايا ، و أحمـــد في مسند العشرة المبشرين بالجنة ، و رجاله ثقات .

[3] – سورة يوسف ، الآية 108 .

[4] – سورة النساء ، الآية 165 .

و لم يكتف المشرّع الحكيم بإنجازها إلاّ بأدائها جماعيًّا و في أقدس و أطهر أمـــاكن الأرض، ألا و هي المساجد ، بيوت الله ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ...﴾ [5]. كما أنّ المشرّع الحكيم هيّأ لها كلّ ما من شأنه أن يخدم مقاصدهـــا الجليلة.

و انطلاقا من هذا التّمهيد نبادر إلى الحديث بنوع من البيان و التّفصيـــل عـــن مكانة الجمعة في القرآن الكريم ثمّ في السّنّة النّبويّة ثم في سنّة الخلفاء الرّاشدين .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5 – سورة النور ، الآية 36 ، 37 .

المبحث الأول

مكانة الجمعة في القرآن الكريم

إن النظرة الشمولية المتفحصة لكتاب الله عز وجل تفضي بصاحبها إلى نتيجة أساسية كبرى حول مكانة الجمعة فيه ، وهي أنها تشكل أحد مواضيعه الهامة التي تستحق البيان والتبيين ، ويمكن إبراز ذلك كما يلي :

أولا – الإطار المؤسساتي للجمعة في القرآن الكريم :

لقد ضمن القرآن الكريم موضوع الجمعة في أهم وأجل مؤسسات الإسلام وهي مؤسسة المسجد ؛ والمسجد بحق مؤسسة كبرى من مؤسسات الإسلام ومجتمعه ودولته ، بكل ما تحمله كلمة مؤسسة من المعاني . فقد قال المولى تبارك وتعالى : ﴿ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير، أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ، والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [6] ، و قال عز من قائل :﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ [7] .

و بالرجوع إلى معاجم لغة القرآن الكريم التي تمدنا بمختلف المعاني لكلمتي "مؤسسة " و" تقوى" ، نفهم سر اختيار التعبير القرآني لهما للدلالة على رسالة المسجد و وظائفه في الإسلام .

---

[6] – سورة التوبة ، الآية 108 ، 109 .

[7] – سورة النور ، الآية 36 ، 37 ، 38 .

فالأساس في اللغـــة هو أصل كل شيء و مبتدؤه [8]، و كذلك هـــو المســـجد بالنسبة للمجتمع الإسلامي و للدولة الإسلامية .

و أس الشيء هو قلبه [9]، و كذلك المسجد في الإسلام فهو روح المجتمع و قلبه .

و الأساس هو قاعدة البناء التي يقوم عليها [10] ، و كذلك هي شرائع الإســـلام كلها تقوم على المسجد و منه تنطلق .

و المؤســـسة في لغـــة العرب هي كل تنظيم يرمي لإنتاج ما [11] ، و كذلـــك هو المسجد في رسالته و وظيفته ينـــتج القيم و يصنع الرجال [12].

و من هنا نخلص إلى أن التعبير القرآني إذ استعمل فعل " أسس " فـــهذا يعـــني في المقام الأول تأسيس بناء أو بناء مؤسسة ، لها بعد في الزمان و المكان ، و لهـــا بعـــد في العمران المادي و الاجتماعي ، و لها كل معاني و أبعاد التأسيس ، بدء من فلســـفتها الأساسية و منهجها الفكري العام الذي تقوم عليـــه ، إلى وظائفـــها التـــي أنيطـــت بتحقيقها ، و من مقصدها الأعلى و غايتها الكبرى الذي شرعت لأجله ، إلى نظامـــها الذي وضع لتسير في هديه . و هذا ما سنحاول بسطه بإيجاز :

---

[8] – ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ج ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، ج6 ص 6 ، باب السين فصل الألف .

[9] – الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، 4ج ، (بـــيروت : دار الفكـــر ، 1403ه/1983م) ، ج2 ، ص 197 ، باب السين فصل الهمزة .

[10] – الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ، أساس البلاغة ، تحقيق عبد الرحيم محمـــود ، (بـــيروت : دار المعرفـــة) ، ص 6 ، مادة (أ س س) .

[11] – إبراهيم أنيس و آخرون ، المعجم الوسيط ، 2ج ، (بيروت : دار الفكر) ، ج1 ، ص 17 .

[12] – خطب الشيخ محمد الغزالي ، 4ج ، الطبعة الأولى ، إعداد قطب عبـــد الحميـــد قطـــب ، (الجزائـــر : مكتبـــة رحـــاب ، 1408هـــ/1988م) ، ج 1 ، ص .

1 – الفلسفة الأساسيّة لمؤسّسة المسجد في القرآن الكريم:

لقد كان القرآن الكريم واضحا أيّما وضوح في بيان الفلسفة الأساسيّة و المنهج الفكريّ العامّ الذّي تقوم عليه مؤسّسة المسجد و في ضوئه تتحرّك ، و ذلك حتّى لا يَذر الرّأي يتخبّط خبط عشواء فيما هو من اختصاص الوحي الإلهيّ ، فبيّن من أوّل الأمر أنّ المساجد لله عزّ و جلّ ، و لا يجوز نسبتها أو الدّعوة فيها لغير الله من شخص أو جماعة أو سلطان أو سلطنة فقال : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [13] . قال قتادة [14]:" كانت اليهود و النّصارى إذا دخلوا كنائسهم و بِيَعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيّه أن يُخلص له الدّعوة إذا دخل المسجد" [15] .

فالمسجد في الإسلام من خلال ما بيّنه القرآن الكريم تدور فلسفته الأساسيّة ، و يتمحور منهجه و يقوم على خدمة " المثل الأعلى " [16] المعبّرِ عنه تارة بقيمة أخلاقيّة : ﴿ ... لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ... ﴾ [17] و تارة بتحقيق أقصى الغايات من القيم الأخلاقية : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [18] .

و المسجد في الإسلام إذ تقوم فلسفته على عالَم المثل العليا و عالم العقائد و الأفكار ، مستبعِدة التوجّه لعالم الأشخاص و الأشياء ، فذلك كفيل بتحقيق أهمّ معالم المنهج الإسلاميّ ، المتمثّل في وحدانيّة الله عزّ و جلّ في ألوهيّته و ربوبيّته ، و بتحقيق المقاصد و الأهداف التّي وُضعت لتحقّقها بيوت الله .

---

[13] – سورة الجن ، الآية 18 .

[14] – هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي من أهل البصرة ، ولد ضريرا عام 61هـ وهو من كبار المفسرين و الحفاظ ، و كان عالما فذا في اللغة و مفرداتها و في أيام العرب و الأنساب ، توفي بواسط بالطاعون عام 118هـ ، (معجم المفسرين لنويهض) .

[15] – الطبري ، جعفر بن محمد بن جرير . جامع البيان في تفسير القرآن ،30ج ، (بيروت : دار الفكر 1398هـ/1978م) ، ج 29 ، ص 73 .

[16] – يقصد بالمثل الأعلى النموذج الأرفع الذي أراده الله أن تكون عليه رسالة المسجد ، و هو يقابل ما يعرف بنظام القيم في التربية الحديثة ، انظر كتاب (مقومات الشخصية المسلمة) لماجد عرسان الكيلاني ، سلسلة كتاب الأمة .

[17] – سورة التوبة ، الآية 108 .

[18] – سورة الجن ، الآية 18 .

2 – المقصد الأعلى لمؤسّسة المسجد :

إنّ هذا البعد المؤسّساتي للمسجد لا تقلّ أهميّته عن سابقه ، إذ أنّ جلائل الأمور تتفاضل فيما بينها بما لها من أهداف و ما شُرِع لها من مقاصد ، و ما وُضِع لها من غايات و ما نُصِب لها من مناهج لتحقيق ذلك ، لهذا لم يكن الإسلام ليغفل عن هذا البعد أو يفرّط فيه :﴿ ... مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ... ﴾ [19].

فقد حدّد القرآن الكريم لمؤسّسة المسجد مقصدها الأعلى ، فجعله أجلّ و أعلى المقاصد الشّرعيّة ، و هو ربط الإنسان بخالقه سبحانه و تعالى ، و قد عبّر عنه بـ"ذكر الله "، قال تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ... ﴾ [20]، و قال عزّ من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [21]، قال صاحب تفسير (في ظلال القرآن) : " فالإنسان لابدّ له من فراغات ينخلع فيها قلبه من شواغل المعاش و جواذب الأرض ، ليخلو إلى ربّه و يتجرّد لذكره ، و يتذوق هذا الطعم الخاصّ للتّجرّد و الاتّصال بالملأ الأعلى ، و يملأ قلبه و صدره من ذلك الهواء الخالص العطر و يستروح شذاه "[22].

---

[19] – سورة الأنعام ، الآية 38 .

[20] – سورة النور ، الآية 36 ، 37 .

[21] – سورة الجمعة ، الآية 9 .

[22] – سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 6 ج ، الطبعة 17 ، (القاهرة ، بيروت : دار الشروق ، 1412 هـ/1992م) ، ج 6 ، ص 3570 .

3 – وظائف مؤسّسة المسجد:

يزخر القرآن الكريم و السّنة النّبويّة الشّريفة بالكثير من البيّنات الخاصّة بشـــأن المسجد ووظائفه في الإسلام ؛ ففي القرآن الكريم جاء ذكر المسجد بلفظه وبلفظ البيـــت خمسا وأربعين مَرّة مُوزّعة على خمس عشرة سورة أغلبها من الطّوال .

و القرآن الكريم وإن كان بيانه لهذه الوظائف مجملا وكليّا ومركّزا على المقصـــد الأصليّ ، إلاّ أنّه لم يخل من ذكر بعض الوظائف والمقاصد الفرعيّـــة ؛ قـــال تعـــالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا . . . ﴾ [23]، و يرجع السّبب في ذلـــك إلى خاصيّـــة القرآن الكريم الإجمالية في بيان الأحكام ، لأنّ السّنّـــة هي المختصّة بالتّفصيل و البيان ، قال تعالى : ﴿ ... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [24].

و بالعودة إلى السّنة النّبوية المطهّرة نجد مصداق ذلك واضحا وجليّا من خـــلال الفيض الهائل من الأحاديث و الآثار الخاصّة بالمسجد . و لهذا تطالعنا أغلب كتب السّنة بباب خاصٍّ بالمساجد . و من مجموع السّنن نجد أنّ وظائف المسجد كثـــيرة وشـــاملة لجميع مناحي الحياة حتّى قال العلماء :" إنّ المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين فمـــا كان من الأعمال يجمع منفعة الدين و أهله جاز فيه "[25].

قال الشّيخ يوسف القرضاوي[26] : "ما كان المسجد في الإسلام إلاّ جامعة شعبية للتّثقيف و التّهذيب ، وبرلمانا محلّيا للتّشاور و التّفاهم ، و مجمعا للتّعارف والتّحـــابب ، و معهدا للتّربية العمليّة الأساسيّة "[27].

---

[23] – سورة البقرة ، الآية 125 .

[24] – سورة النحل ، الآية 44 .

[25] – القرضاوي يوسف ، العبادة في الإسلام ، (باتنة –الجزائر-:دار الشهاب) ، ص225 .

[26] – عالم مصري معاصر ، ولد عام 1926 ، تخرج في الأزهر الشريف ، حصل على الدكتوراه عام1973 ، له مصنفات كثـــيرة ، منها (فقه الزكاة ، سلسلة الحل الإسلامي ، الإيمان و الحياة ، العبادة في الإسلام) ، و هو صاحب أنشطة إسلامية كثيرة .

[27] – القرضاوي ، ن م ، ص 225 ، 226 .

4 – النّظام الخاصّ بمؤسّسة المسجد :

وممّا يزيد تأكيدا للبعد المؤسّساتيّ للمسجد أنّ الشّارع الحكيم وضع له مجموعة من النّظم في غاية من الدّقة و الحكمة ، بها حفظ رسالته و تماسكه و ديمومته على مدار الزّمن ، وفي هَدْيها ظلّ مركز إشعاع للحضارة الإسلاميّة ، و ذلك بما كان يُمدّ به الأمة من طاقات روحية و فكرية و بشرية متجدّدة و مجدّدة .

فمن ذلك نظام الوقت فيه الّذي تُقسّم فيه الصّلوات المكتوبات على اليوم والليلة، حتّى يكون كلّ وقت من تلك الأوقات محطّة للإنسان يستريح فيها من عناء الدّنيا وزحمة مطالبها ، ويجدّد صلته بالله . فتعدّد الصّلوات و نظام توقيتها في التّشريع الإسلاميّ ، يدلّنا بوضوح على أنّ فطرة الإنسان و ظروفه المحيطة به مأخوذة بعين الاعتبار في نظر الشّارع الحكيم[28].

وكما أنّ لهذا النّظام أهميّته بالنّسبة للفرد ، فكذلك له أهميّته بالنّسبة للمجتمع و الحضارة الإنسانية ؛ فقد ساهم بالقسط الوافر في إعطاء الزّمن قيمته الحضارية ؛ فالزّمن قبل ظهور الإسلام كان من المفاهيم التي يعوزها الضّبط و التّحديد الدّقيقين ، فلم يحظ بقيمته الحقيقيّة في المجال الاجتماعيّ منذ أمد ، حتّى إذا جاء الإسلام وشرع الله الصّلوات المكتوبات و وزّعها على اليوم والليلة صار الزمن كميّة تخضع للقياس ؛ فبعد أن كان يُعبّر عنه و يُقاس بوِحدة (اليوم) ، أصبح يُقسّم بوحدة أقلّ ، فكلّ صلاة تحدّد ثلاثة أجزاء من الوقت و هي : وقت الصلاة وما قبلها و ما بعدها .

و من الملفت للانتباه أنّ أسماء الصّلوات الخمس أسماء زمنيّة ، وليس بمستبعد أن يكون نظام توقيت الصّلوات هو الّذي ألهم العقل المسلم ممثلا في العالِم الفلكيّ (أبي الحسن المراكشيّ)[29] تقسيم الزّمن إلى نظام السّاعات المتساوية الأربع والعشرين ؛ وكذلك الأمر بالنّسبة للأنظمة الأخرى مثل النّظام الإعلاميّ للمسجد (الآذان) ونظامه

---

[28] – كوراني علي محمد ، فلسفة الصلاة في الإسلام . (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، ص 105 .

[29] – مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ترجمة عبد الصابور شاهين ، الطبعة الرابعة ، (الجزائر ؛ دمشق : دار الفكر ، 1404هـ/1984م) ، ص 23 .

التعليميّ والتربويّ و التّسييريّ و غيرها ، فهي كلّها من شأنها أن تجعل المسجد بحقّ من أهمّ موسّسات الإسلام وأُمّته وحضارته .

ثانيا – موضوع الجمعة في القرآن الكريم :

1 – موضوع الجمعة من خلال سورة الجمعة :

تُعتبر سورة الجمعة من أظهر مظاهر العناية و الاهتمام الفائق بموضوع الجمعة في القرآن الكريم ؛ فقد سمّاها الله عزّ و جلّ سورة " الجمعة " ، و هذا من القرائن الدّالة على أنّها هي الموضوع الرئيسي في السورة إن لم تكن هي موضوعها الوحيد .

و قد تقرّر عند المحقّقين من العلماء منذ القديم أنّ جُلّ سُوَر القرآن الكريم اختصّت بما سُمّيت به [30]، و ذهب الإمام الشاطبي [31] إلى أنّ أكثر سُوَر المفصّل [32] أُنزِل في قضيّة واحدة طالت أم قصُرت [33]، بل مِن العلماء مَن ذهب إلى أبعد من هذا الأمر ، و هو أنّ كلّ سورة من القرآن الكريم تُشكّل وحدة موضوعية متناسقة ومترابطة ، و أنّ مجموع سُوَر القرآن تُشكّل فيما بينها وحدةً موضوعية عامة [34].

و ممّا يؤكد هذه المسألة في سورة الجمعة – وهو أنها أنزلت في قضية واحدة – قصّة سبب نزولها ؛ ففي (الجامع الصّحيح) للإمام الحافظ أبي عبد الله البخاريّ [35]

---

[30] – الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، 4 ج ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (بيروت ، صيدا : المكتبة العصرية) ، ج 1 ، 270 .

[31] – هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي ، اشتهر بالشاطبي نسبة إلى مسقط رأسه مدينة شاطبة الأندلسية ، كان أصوليا فقيها و مفسرا و لغويا بيانيا و نظّارا مدققا ، من مؤلفاته : " الموافقات " ، " الاعتصام " ، توفي عام 790هـ ، (الزركلي)

[32] – سور المفصل تبدأ من سورة (ق) و منتهاها آخر القرآن .

[33] – الموافقات في أصول الشريعة ،4 ج ، تعليق الشيخ عبد الله دراز ، (بيروت : دار المعرفة) ، ج4 ، ص 12 .

[34] – البرهان ، ج 1 ، ص ص35 –37 ؛ سعيد حوى ، الرسول ﷺ ، (الجزائر : شركة الشهاب) ، ص 259 ، 260 .

[35] – هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، ولد عام 194هـ في بخارى ، ورحل طويلا في طلب العلم ، سمع من نحو ألف شيخ بخراسان و الشام و مصر و الحجاز و غيرها ، و كان مبرزا في الحفظ ، ويوصف بحبر الإسلام ، جمع نحو 600 ألف حديث ، اختار مما صح منها كتابه (الجامع الصحيح) الذي يعد أوثق كتب الحديث ، من كتبه (التاريخ ، الضعفاء ، الأدب المفرد) ، توفي عام 256 هـ ، (موسوعة الحديث الشريف – قرص مضغوط –CD-R) .

عن أبي هريرة ﷺ [36] قال :" كنا جلوسا عند النبيّ ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة ". [37] قال العلماء : إن ظاهر هذا الحديث يفيد أنّ سورة الجمعة نزلت بعد فتح خيبر لأنّ أبا هريرة أسلم يوم خيبر ، و مناسبة أو سبب نزول السورة هو قضية ورود عير تحمل بضاعة من الشام ، فعن جابر بن عبد الله ﷺ [38]:" أنّ النبيّ ﷺ كان يخطب قائما يوم الجمعة فجاءته عير من الشام فانفتل الناس إليها حتىّ لم يبق إلا اثنا عشر رجلا – أنا فيهم – فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة :﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ...﴾ " [39]، وبضمّ حديث أبي هريرة ﷺ إلى حديث جابر ﷺ يتبيّن أنّ سورة الجمعة نزلت دفعة واحدة غير منجّمة [40].

وممّا يجدر الإشارة إليه في هذا المقام ، أنّ فرض صلاة الجمعة كان متقدّما على وقت نزول السّورة ، إذ ثبت أنّ أهل المدينة صلّوها قبل قدوم الرّسول ﷺ إلى المدينة ، أمّا قوله تعالى : ﴿ ...إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ...﴾ فقد ورد مورد التّأكيد لحضور صلاة الجمعة و ترك كلّ ما يشغل عنها ، و التّحذير من الانصراف عنها قبل تمامها ، كما تبيّن ذلك قبل قليل في مناسبة النّزول [41].

و لمّا قدم الرسول ﷺ مهاجرا نزل بقباء يوم الاثنين فأقام بها إلى يوم الخميس ، و أسّس مسجد قباء ، ثم خرج يوم الجمعة إلى المدينة فأدركته الجمعة في بني سالم بن

---

[36] – هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني ، أسلم بعد فتح خيبر، كناه الرسول ﷺ أبا هريرة ، كان من أحفظ الصحابة للحديث برغم أميته ، توفي عام 57 هـ (أسد الغابة) .

[37] – متفق عليه ،و اللفظ للبخاري ، أخرجه في كتاب التفسير باب ما جاء في سورة الجمعة ، رقم 4518 ، والترمذي ، و أحمد .

[38] – هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمي ، صحابي أنصاري ، أسلم بمكة و شهد بدرا و أحدا و كل المشاهد مع الرسول ﷺ ، و قد روى الكثير من الأحاديث ، توفي عام 78 هـ ، (أسد الغابة) .

[39] – متفق عليه و اللفظ لمسلم ، أخرجه في كتاب الجمعة باب في قوله تعالى :﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا ﴾ رقم 1428 .
و البخاري في كتاب الجمعة ، باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة فصلاة الإمام و من بقي جائزة ، رقم 884 .

[40] – ابن عاشور محمد الطاهر ، تفسير التحرير و التنوير ، 30 ج ، (تونس : الدار التونسية للنشر ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984) ، ج 28 ، ص 205 .

[41] – ن م ، ص 205 .

عوف في بطن وادٍ لهم قد اتّخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا ، فجمّع بهم و خطب ، و هي أوّل خطبة خطبها بالمدينة [42].

2 – موضوع الجمعة من خلال بقية السور :

من الحقائق الكبرى و الكليّة للجمعة هي أنّ القرآن الكريم بجميع سوره و آياته هو الرّوح و الإطار المنهجيّ و الفكريّ العامّ و الكليّ الذي وضعه الشّارع الحكيم و خصّصه لتنطلق منه (أي الجمعة) و تسير في ضوئه و تتحرّك من خلال معالمه ، و تهدف إلى تحقيق مقاصده و غاياته ، و تتجلّى مظاهر هذه الحقيقة من البيانين التّاليين :

البيان الأول :

اعتبار تلاوة الآيات –الّتي هي إحدى الوظائف الّتي أُرسل لأجلها الرسول ﷺ –[43] من الوظائف الأساسيّة و المقاصد الرّئيسية للجمعة ، بدليل ذكرها في سورة الجمعة نفسها ، و قد مرّ معنا قبل قليل بيان العلماء لكون أكثر سور المفصّل أنزل في قضيّة أو موضوع واحد ، و سيأتي مزيد بيان في ذلك .

البيان الثاني :

كون النّبيّ ﷺ كان كثيرا ما يخطب بالقرآن الكريم ، و في هذا دليل و دلالة واضحة على علاقة القرآن بالجمعة .

---

[42] – القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، 20ج ، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني ، ج18 ، ص 98 .

[43] – هذه الوظائف هي : تلاوة الآيات ، والتزكية ، و تعليم الكتاب و الحكمة ، و قد ذكرت في أربع مواضع من القرآن الكريم ، و هي موضعان في البقرة (الآية 129 ، و151) ، و موضع في آل عمران (الآية 164) ، و موضع في الجمعة (الآية 2) .

قال الإمام ابن القيّم [44] : " و كان ﷺ كثيرا ما يخطب بالقرآن ، ففي صحيح الإمام مسلم [45] عن أمّ هشام [46] بنت حارثة قالت : " ما أخذت ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كلّ يوم جمعة على المنبر إذا خطب النّاس [47] " [48] . و عند مسلم أيضا عن صفوان [49] بن يعلى عن أبيه ﷺ أنّه سمع رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ ﴾ [50] .

... هذا عن علاقة موضوع الجمعة بالقرآن الكريم جملة و كلّية ؛ أمّا على سبيل التّخصيص و التّعيين فيظهر ممّا يلي :

لقد تبيّن في صدر هذا المبحث أنّ الجمعة جمعت بين عمودين من أهمّ أعمدة الإسلام ألا و هما الصّلاة و الدّعوة إلى الله عزّ و جلّ – ممثّلة في خطبتها – ، و إذا أخذنا في الحسبان شرط أدائها في شكل جماعيّ ، و في مكان مخصوص و هو المسجد ، خلصنا بذلك إلى أنّ موضوع الجمعة له علاقة خاصّة بالقرآن الكريم من خلال المواضيع التّالية :

---

[44] – هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، الشهير بابن القيم ، لأن أباه كان قيما على مدرسة الجوزية ، ولد عام 691 هـ ، و هو إمام محقق و حافظ وأصولي و فقيه ونحوي ، من أبرز شيوخه شيخ الإسلام ابن تيمية ، له مؤلفات كثيرة ، منها (مدارج السالكين ، مفتاح دار السعادة ، الفوائد) ، توفي عام 751 هـ ، (الأرناؤوط في مقدمة زاد المعاد) .

[45] – هو مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشوري من كبار الأئمة في علم الحديث ، ولد بنيسابور عام 204 هـ ، رحل كثيرا في طلب الحديث الشريف ، فانتقل إلى الشام و العراق و مصر و الحجاز ، أخذ العلم عن الكثير من الشيوخ و خاصة الإمام احمد ، و لازم الإمام البخاري و حذا حذوه ، جمع في صحيحه 12ألف حديث ، اختارها من 300 ألف ، من مصنفاته : " المسند الكبير " ، " العلل " ، " سؤلات أحمد " ، " أوهام المحدثين " ، (موسوعة الحديث الشريف – ق م –) .

[46] – هي أم هشام بنت حارثة بن النعمان ، صحابية أنصارية من بني النجار ، بايعت بيعة الرضوان ، روى عنها عبد الرحمن بن سعد و حبيب بن عبد الرحمن و عمرة أختها ، (أسد الغابة) .

[47] – أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة و الخطبة ، رقم 1442 ، و أبو داود في كتاب الصلاة ، باب الرجل يخطب على قوس .

[48] – ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، 5 ج ، الطبعة الثامنة ، تحقيق و تعليق شعيب و عبد القادر الأرناؤوط ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ،الكويت : مكتبة المنار الإسلامية ، 1405 هـ /1985) ج1 ، ص 187 ، 424 .

[49] – صفوان بن يعلى بن أمية من كبار التابعين ، و هو من بني تميم ، (ذكر أسماء التابعين للدارقطني) .

[50] – متفق عليه ، و اللفظ لمسلم أخرجه في كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة و الخطبة رقم 1439 . و أخرجه الترمذي و أبو داود و أحمد .

- موضوع الصّلاة .
- موضوع الدّعوة إلى الله .
- موضوع المسجد .
- موضوع الجماعة .

و يلاحظ على هذه المواضيع الأربعة في القرآن الكريم ، أنّها ذات أهميّة قصـــوى بالنّسبة إلى المقاصد العامّة للشّريعة الإسلاميّة ، و أنّها توزّعت على جلّ سور القـــرآن الكريم ، و أخذت منه عددا هائلا من الآيات .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثّاني

مكانة الجمعة في السّنة النبوية

إذا كانت الجمعة قد حظيت في القرآن الكريم بالمكانة العظيمة ، فلا غرو ولا عجب أن تحظى بالمكانة نفسها في السّنة النّبوية الشّريفة ، إذ هي راجعة في معناها إلى القرآن ، فهي تفصيل لمجمله ، وبيان لمشكله ، وبسط لمختصره...[51] دلّ على ذلك قوله تعالى : ﴿...وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ...﴾[52].

وإذا كانت مكانة الجمعة وأحكامها قد وردت في القرآن الكريم بشكل كلي و إجمالي ، فإن السنة النبوية الشريفة قد فصّلت تلك الكليّات ، و يبرز ذلك فيما يلي من النقاط :

أولا – عناية الرسولﷺ ببناء المساجد :

تبيّن من قصّة الهجرة أنّ الرّسول ﷺ وهو في طريقه إلى المدينة المنوّرة أسّس مسجد قباء ، و أنّه ما كاد يصل حتّى وجد في بني سالم بن عوف موضعا اتّخذوه مسجدا ، فأضفى عليه الشّرعية بأن صلّى الجمعة بهم فيه[53].

---

[51] – الشاطبي ، الموافقات ، ج4 ، ص 12 .

[52] – سورة النحل ، الآية 44 .

[53] – الوشلي عبد الله بن قاسم ، المسجد و نشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ ، الطبعة الأولى ، (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، 1410 هـ / 1990) ، ص 20 ، 21 .

و لقد أبان الله تعالى هذه الحقيقة الكبرى على لسان نبيّه ﷺ فقال :" **خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، و فيه أدخل الجنّة ، و فيه أخرج منها ، و لا تقوم السّاعة إلا في يوم الجمعة** "[81]. و كأنّ الرّسول ﷺ و هو يخبر بهذا النّبأ العظيم ، يذكّر البشريّة جمعاء بأنّ أصلها واحد و مبدأها واحد و قيمتها واحدة و مصيرها واحد ، و قبل ذلك و بعده ، إنّ إلهها لواحد .

و بهذا النّبأ العظيم الّذي حظي به الرّسول ﷺ و من ورائه أمّته ، تكون الرّسالة الخاتمة قد جعلت للإنسانيّة جمعاء دورة زمنيّة على مدار الأسبوع و ذلك حتّى يتسنّى لها أن تتذكّر على الدّوام وظيفتها و رسالتها في الوجود و هي العبوديّة لله و الخلافة عنه المقرّرتين بقوله عزّ و جلّ : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[82]، و قوله : ﴿ ... إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ... ﴾[83].

و لِقدسيّة يوم الجمعة و لكونه من أيّام الله المشهودة: ﴿ ...وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ... ﴾[84] فقد كانت الأمم السّابقة لأمّة محمّد ﷺ تسعى لتحظى به و تنال شرف خيريته ، غير أنّ الله عزّ وجلّ شاءت حكمته أن يدّخر هذا الفضل لخير أنبيائه ، المرسل لخير أمّة أخرجت للنّاس ، و في هذا قال النّبيّ ﷺ : " **نحن الأوّلون السّابقون يوم القيامة ، بيد أنّهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم هذا يومهم الّذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه ، فهدانا الله ،فالنّاس لنا فيه تبع ، اليهود غدا و النّصارى بعد غد** "[85].

و قال ﷺ: " **أضلّ الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السّبت ، وكان للنّصارى يوم الأحد ، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة**

---

[81] – أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجمعة باب فضل يوم الجمعة ، رقم 1411 ، و الترمذي و النسائي و أحمد .

[82] – سورة الذاريات ، الآية 56 .

[83] – سورة البقرة ، الآية 30 .

[84] – سورة إبراهيم ، الآية 5 .

[85] – متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب فضل الغسل يوم الجمعة ، عن أبي هريرة ، رقم 827 ، ومسلم في كتاب الجمعة باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، رقم 1412 ، و أخرجه الترمذي و النسائي و أحمد .

و السّبت و الأحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ، نحن الآخِرون من أهل الدّنيا و الأوّلون يوم القيامة ، المقضيّ لهم قبل الخلائق " [86].

لأجل ذلك كان النّبيّ ﷺ يُعظّم هذا اليوم و يخصّه بعبادات دون سائر الأيّام منذ بزوغ فجره إلى غسق ليله ؛ فكان ﷺ يقرأ في فجره بسورتيْ ﴿ الم تَنْزِيل ﴾ و﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ ﴾ [87]، و الحكمة من ذلك كما يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة [88] فيما سمعه عنه ابن القيّم : " إنّما كان النّبي ﷺ يقرأ هاتين السّورتين في فجر الجمعة لأنّهما تضمّنتا ما كان و يكون في يومها ، فإنّهما اشتملتا على خلق آدم ، و على ذكر المعاد ، و حشر العباد ، و ذلك يكون يوم الجمعة ، وكأنّ في قراءتهما في هذا اليوم تذكير للأمّة بما كان فيه و يكون " [89]، أو كأنّ الله عزّ و جلّ شرع أحكام الجمعة ليكون كلّ يوم جمعة :

- يوم تذكير بميلاد الإنسانيّة .
- يوم تذكير ببداية الإنسانيّة
- يوم تذكير بقيمة الإنسانيّة .
- يوم تذكير بمصير الإنسانيّة .

و كان ﷺ يأمر بالاغتسال في يومها ، و بالتّطيّب و بالسّواك ، و بلبس أحسن الثّياب المقدور عليها ، و في هذا قال : " لا يغتسل رجل يوم الجمعة و يتطهّر ما استطاع من طهر و يدّهن من دهنه أو يمسّ من طيب بيته ثمّ يخرج فلا يفرّق بين اثنين، ثمّ يصلّي ما كتب له ، ثمّ ينصت إذا تكلّم الإمام إلّا غفر له ما بينه و بين الجمعة الأخرى " [90]. و كان ممّا يأمر به ﷺ في يوم الجمعة ، التّبكير للمسجد و الانشغال

---

[86] – متفق عليه ، واللفظ لمسلم ، أخرجه في كتاب الجمعة باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة عن حذيفة بن اليمان ، رقم 1415.

[87] – أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب ما يقرأ في يوم الجمعة عن ابن عباس ، رقم 1454 ، و الترمذي و النسائي و أبو داود .

[88] – هو أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الدمشقي تقي الدين ، الإمام شيخ الإسلام ولد في 616 هـ كان من آيات الله في الدعوة و الإصلاح و كان مبرزا في علم التفسير و الحديث و العقائد والأصول ، واشتهر بكثرة تصانيفه ، توفي معتقلا في سجن القلعة عام 728 هـ ، من تصانيفه : " منهاج السنة " " درء تعارض العقل و النقل " و له فتاوى كثيرة طبعت في 35 مجلدا .

[89] – زاد المعاد ، ج1 ، ص 375 .

[90] – أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب الدهن للجمعة عن سلمان الفارسي ، رقم 834 ، و النسائي في الجمعة ، و أحمد في باقي مسند الأنصار .

بالذّكر، و الإنصات للخطبة ، و قراءة سورة الكهف و الإكثار من الصّلاة عليه ﷺ ، و التّوجه إلى الله بالدّعاء ، و في هذا قال ﷺ : " من غسّل و اغتسل و غدا و ابتكر و دنا و استمع وأنصت كان له بكلّ خطوة يخطوها أجر سنة صيامها و قيامها " [91].

وقال النّبيّ ﷺ :" من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النّور فيما بينه و بين البيت العتيق "[92] ، و كان ﷺ يقول :" إنّ في الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم قائم يصلي يسأل الله خيرا إلا أعطاه إيّاه " [93].

و كان من هديه ﷺ قراءة سورة ﴿ الجمعة و المنافقون ﴾ ، أو سورة ﴿ سبّح و الغاشية ﴾ في صلاتها ، فقد كان يقرأ بهنّ كما ذكره مسلم و التّرمذي [94].

2 – الاهتمام بخطبتها و صلاتها

بالاضافة الى ما سبق بيانه من اهتمام النّبيّ ﷺ بيوم الجمعة ، و بالإستعداد لها ، فقد كان ﷺ له اهتمام خاصّ جدّا بخطبتها و صلاتها. فكان شديد التّحذير من التّخلّف عنها أو وَدْعِهَا و كثير التّرغيب في التّبكير إليها و توفير أحسن الظّروف لها ، مثل نظافة البدن و الملبس و المسجد .

ن ابن مسعود ﷺ[95] أن النّبيّ ﷺ قال لقوم يتخلّفون عن الجمعة : " لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالنّاس ثمّ أحرّق على رجال يتخلّفون عن الجمعة بيوتهم"[96] .

---

[91] – أخرجه الترمذي في كتاب الجمعة عن أوس بن أوس ، باب ماجاء في فضل الغسل يوم الجمعة ، رقم 456 ، و حسّنه ، والنسائي في الجمعة ، و أبو داود و أحمد و الدارمي و صححه ابن خزيمة .

[92] – أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن باب في فضل سورة الكهف عن أبي سعيد الخدري ، رقم 3273 ، و رجاله ثقات .

[93] – متفق عليه ، و اللفظ لمسلم ، عن أبي هريرة ، كتاب الجمعة باب في الساعة التي في يوم الجمعة ر قم 1407 ؛ و البخاري في كتاب الجمعة باب في الساعة التي في يوم الجمعة رقم 883 ؛ و مالك و الترمذي و ابو داود و ابن ماجة و أحمد .

[94] – أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب ما يقرأ في صلاة الجمعة عن ابن عباس ، رقم 1454 ، (القراءة بالجمعة و المنافقين) ؛ و الترمذي في الجمعة عن أبي هريرة ، رقم 477 ، و قال هذا حديث حسن صحيح (القراءة بسبح و الغاشية) .

[95] – هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي و يلقب بابن أم معبد ، صحابي جليل ، من أوائل من أسلم ، قال عن نفسه : أنا سادس من أسلم ، و هو أول من جهر بالقرآن بمكة ، شهد المشاهد مع الرسول ﷺ و كان من كبار فقهاء الصحابة ، عاش بالكوفة و توفي بالمدينة عام 32 هـ .

[96] – أخرجه مسلم في كتاب المساجد و مواضع الصلاة باب فظل صلاة الجماعة و بيان التشديد في التخلف عنها ، رقم 1043 ؛ و أحمد في مسند المكثرين من الصحابة 3556 .

و عن أبي هريرة و ابن عمر ﷺ [97] أنهما سمعا النّبيّ ﷺ يقول على أعواد منبره :" لينتهينّ أقواما عن ودعهم الجمعات أو ليختمنّ الله على قلوبهم ثمّ ليكونن من الغافلين" [98] . و قال ﷺ :" من غسّل و اغتسل وابتكر وغدا و دنا من الإمام وأنصت ثمّ لم يلغ كان له بكلّ خطوة كأجر سنة صيامها و قيامها " [99].

و من مجموع ما ورد من سنن عن النّبيّ ﷺ في شأن الجمعة يمكن أن نستخلص عدة أبعاد أو خصائص منهجيّة لجمعاته ﷺ .

الأبعاد المنهجيّة العامّة لجمعات النّبيّ ﷺ

يحسن التّنبيه إلى أنّ البحث عن الخصائص و الأبعاد المنهجيّة لجمعات النّبيّ ﷺ و استيعابها هو الّذي :

- يزيد المسلم يقينا بعظمة السّنة النّبوية على اعتبار أنّها مرجعيّة فكريّة قاعديّة للأمّة.
- يجعله يفهم سرّ الاقتدار و النّجاح الّذي حاز عليه العمل النّبوي في الدّعوة الى الله عزّ و جلّ .
- يلهمه تحقيق التّأسي و الاقتداء الموضوعيّ ، و المتابعة الواعيّة البصيرة لمنهج النّبيّ ﷺ في دعوته عموما و في جمعاته على وجه الخصوص [100].

و بعد هذا التّنبيه يمكننا تلخيص خصائص جمعات النّبيّ ﷺ في النّقاط التّالية :

---

[97] – هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي ، ولد عام 10 قبل الهجرة ، نشأ في الإسلام و هاجر مع أبيه إلى الله و رسوله ﷺ ، أفتى الناس 60 سنة ، و هو من المكثرين من الحديث ، شهد فتح أفريقية ، و توفي عام 73 هـ .

[98] – أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ، باب بيان فضل صلاة الجماعة و بيان التشديد في التخلف عنها ، رقم 1432 ، و النسائي في كتاب الجمعة ، باب التشديد في التخلف عن الجمعة رقم 1353 .

[99] – أخرجه النسائي في كتاب الجمعة باب الفضل في الدنو من الإمام عن أوس بن أوس الثقفي ، رقم 1381 ، و الترمذي في كتاب الجمعة باب ما جاء في فضل العمل يوم الجمعة ، رقم 456 و حسنه ؛ و أبو داود و ابن ماجة وأحمد و الدارمي .

[100] – برغوث الطيب ، " الأبعاد المنهجية للفعل الدعوي في الحركة النبوية " ، ص ص 63 – 68 .

أ - البعد القيميّ (التوحيدي) :

يُقصد بالبعد القيميّ لجمعات النّبيّ ﷺ تمحضّها لعالم القيم و المثل العليا و تمحورها حوله ، ودوران مواضيعها مع مصلحة الإسلام حيث دارت ، وارتباطها بجوهر الاسلام ولبّه وهو توحيد الله عزّ وجلّ [101].

و الحقيقة أنّ الأصل في هذه الخاصّيّة أنّها خاصّيّة لكلّ حياة النّبيّ ﷺ بشهادة الله عزّ و جلّ له إذ قال له : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [102]، و ليست مقصورة على جمعاته فقط ، أو على جزء من حياته فحسب ؛ و هي امتداد و ترجمانٌ للفلسفة الأساسيّة الّتي تقوم عليها مؤسّسة المسجد الممثّلة بخيربيان و هو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [103].

قال صاحب زاد المعاد :" كانت خطبه ﷺ إنّما هي تقرير لأصول الإيمان ، من الإيمان بالله و ملائكته ، و كتبه ورسله ، و لقائه، و ذكر الجنّة و النّار ، و ما أعدّ الله لأوليائه و أهل طاعته ، و ما أعدّ لأعدائه و أهل معصيته ، فيملأ القلوب من خطبته إيمانا و توحيدا و معرفة بالله و أيّامه " [104].

---

[101] - زاد المعاد ، ج1 ، ص 423 .

[102] - سورة الأنعام ، الآية 162 ، 163 .

[103] - سورة الجن ، الآية 18 .

[104] - ابن القيم ، ج1 ، ص 423 .

فعن أُبيّ بن كعب ﷺ [105] قال : " قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة (تبارك) و هو قائم فذكرنا بأيام الله ، و أبو الدّرداء [106] أو أبو ذرّ [107] يغمزني فقال : متى أنزلت هذه السّورة فإنّي لم أسمعها إلا الآن ..." [108] .

و يتجلّى البعد التوحيدي لخطب النّبيّ ﷺ و يبرز جليّا من خلال افتتاحه الدّائم لخطبه بحمد الله ، و الثّناء عليه بما هو أهله ، و الإقرار و الشّهادة له بالوحدانية ، و هو ما يُسمّى بخطبة الحاجة .فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : كانت خطبة النّبيّ ﷺ يوم الجمعة ، يحمد الله و يثني عليه ثمّ يقول على أثر ذلك و قد علا صوته : أمّا بعد " [109] .

و قد جمع الشّيخ ناصر الدّين الألبانيّ [110] أحاديث خطبة الحاجة و نصّها كما يلي [111] : " إنّ الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره ، و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، و من يضلل فلا هادي له ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أنّ محمدا عبده و رسوله .﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

[105] – هو أبو المنذر أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد من بني النجار من الخزرج ، صحابي أنصاري ، كان قبل الإسلام حبرا من أحبار اليهود ، مطلعا على الكتب القديمة ، ولما أسلم كان من كتاب الوحي ، شهد كل المشاهد مع الرسول ﷺ و كان يفتي على عهده ، و كان على رأس من جمع القرآن بأمر سيدنا عثمان ، مات عام 21هـ (أسد الغابة) .

[106] – هو عويمر بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر الخزرجي الأنصاري ، من كبار علماء الصحابة و فضلائهم و حكمائهم ، شهد مع الرسول ﷺ أحدا و كل المشاهد بعدها ، كان قاضيا بدمشق و سيد القراء فيها ، و هو معدود فيمن جمع القرآن في حياة الرسول ﷺ ، مات ﷺ في آخر خلافة عثمان (أسد الغابة) .

[107] – هو جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل من قبيلة غفار ، من السابقين للإسلام و من الذين أعلنوا إسلامهم على ملإ من قريش في مكة ، و كان هو داعية قومه إلى الإسلام ، مات في خلافة عثمان في أرض الربذة خارج المدينة .

[108] – أخرجه ابن ماجة في سننه ، كتاب إقامة الصلاة و السنة فيها ، رقم 1101 ، و رجاله ثقات ، و أخرجه أحمد في مسند الأنصار ، رقم 20325 ، و رجاله ثقات إلا أنه ذكر (براءة) بدل (تبارك) .

[109] – أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة و الخطبة ، رقم 1435 ، و النسائي في كتاب صلاة العيدين و أبو داود و ابن ماجة وأحمد و الدارمي .

[110] – هو الشيخ العلامة محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي الألباني ، واحد من كبار علماء الحديث المعاصرين ، و لد عام 1914 بألبانيا ، و هو من عائلة مشهورة بالعلم و الدين ، فأبوه الشيخ نوح كان مفتيا عاما لألبانيا ، و عندما اجتاحها المد الشيوعي رحلت العائلة إلى دمشق ، وحفظ القرآن صغيرا ، وأخذ العلم عن والده و كان البيت العائلي مجاورا للمكتبة الظاهرية فأخذ ينهل منها العلم ، و لما فتحت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة استدعي لتدريس علوم الحديث ، ثم رجع إلى دمشق ، ثم استقر بعمان (الأردن) منذ 1980 ، (حياة الشيخ الألباني لمحمد الشيباني) .

[111] – الألباني ، تمام المنة في التعليق على فقه السنة ، الطبعة الثالثة ، (عمان – الأردن – : المكتبة الإسلامية ، الرياض : دار الراية للنشر و التوزيع ، 1409 هـ) ، ص 334 ، 335 .

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ ، **أمّا بعد** ، (وكان أحيانا لا يذكر هذه الآيات) ، و يقول أحيانا بعد قوله : **" أمّا بعد " ، فإنّ خير الحديث كتاب الله ، و خير الهدي هدي محمد ﷺ ، و شرّ الأمور محدثاتها ، و كلّ محدثة بدعة و كلّ بدعة ضلالة و كلّ ضلالة في النار "** [112].

وعلى الرغم من أنّ هذا البعد يعتبر لدى عموم المسلمين ممّا هو من المعلوم من الدين بالضرورة حول النبيّ ﷺ ، إلاّ أنّ الإشكالية المطروحة اليوم هي في فقه تنزيله على مؤسسات التغيير الإسلامي عموما و على مؤسسة المسجد بوجه خاص .

ب – البعد العملي :

نقصد بالبعد العمليّ المنطق العمليّ ، أو استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معيّنة ، و كيفيّة ارتباط العمل بوسائله و مقاصده ، أو ما يُعبّر عنه بالفعاليّة و العقل التطبيقيّ المقابل لمصطلح اللافعالية و العقل المجرّد [113].

و هو في أصله خاصيّة من الخصائص الكبرى للإسلام ، فقد كان الإسلام منذ فجره يُربّي المسلم و يُنشّئه على الجانب العمليّ في كلّ شيء ، سواء بالنّسبة لمنظومة عقائده أو أفكاره أو أخلاقه أو شرائعه ، و ينأى به عن كلّ فكرة أو فلسفة أو بحث أو سؤال ليس له فائدة أو أهميّة في الواقع العمليّ ؛ و من ثَمّ كانت العقائد الإسلاميّة عقائد عمليّة ، تفرّع عنها النّهي عن كلّ سؤال عن الغيب الّذي ليس له بعد عمليّ ، كالسّؤال عن السّاعة ، الّذي جاء جوابه في القرآن الكريم : ﴿ فِيمَ أَنتَ مِنْ

---

112 – صحيح مسلم ، كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة و الخطبة رقم 1435 ، وما بعده ؛ و النسائي في صلاة العيدين .

113 – مالك بن نبي ، شروط النهضة ، ترجمة عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين ، الطبعة الرابعة ، (الجزائر : دار الفكر ، دمشق : دار الفكر ، 1407 هـ / 1987 م) ، ص 102 .

ذِكْرَاهَا ﴾ [114]، و في السّنة :" و ما أعددت لها ؟[115] " أي إنّ السؤال عن السّاعة سؤال عمّا لا يعني ، إذ يكفي من علمها أنه لا بدّ منها ، و لهذا أعرض الرّسول ﷺ عن صريح السّؤال الى ما يتعلّق به ممّا فيه فائدة [116]؛ و كذلك هو الشّأن بالنّسبة لأخلاق الإسلام و عباداته و كلّ شرائعه .

و هكذا الأمر بالنّسبة لجمعات النّبيّ ﷺ ، فقد كانت تعليما و تربية و تنشئة و توجيها و أمرا و نهيا و تلاوة وذكرا [117] .

و من هذا المنطلق تقرّر عند العلماء " أنّ كل مسألة لا ينبني عليها عمل ، فالخوض فيها خوض فيما لم يَدلّ على استحسانه دليل شرعيّ [سواء كان ذلك العمل] عمل القلب أو عمل الجوارح " [118]. و للتدليل على هذا البعد يكفينا أخذ أي نموذج من خطبه عليه الصّلاة و السّلام .

فقد كان الرّسول ﷺ يعلّم الصّحابة القرآن الكريم آيات معدودات ، يبيّنها لهم فيتفهّمون معناها و يتعلّمون فقهها و يطبّقونه على أنفسهم ثمّ يحفظون غيرها ، و في هذا يقول أبو عبد الرّحمن السّلميّ [119] : "حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النّبيّ ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم و العمل ، قالوا : فتعلمنا العلم و العمل " [120]، و في صحيح البخاري أنّ النّبي ﷺ عرض وفد بني عبد قيس على

---

[114] – سورة النازعات الآية 43 .

[115] – جزء من حديث متفق عليه ، و تمامه في البخاري : عن ثابت بن أنس ﷺ أنّ رجلا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال ، متى الساعة ؟ قال وماذا أعددت لها ؟ قال لا شيء إلا أني أحب الله و رسوله ﷺ . فقال أنت مع من أحببت . رقم 3412 كتاب المناقب باب مناقب عمر ﷺ .

[116] – الشاطبي ، الموفقات ، ج1 ،ص ص 46 – 56 .

[117] – عبد الرب بن نواب الدين ، الدراسة النظرية للخطابة ، الطبعة الأولى ، (الرياض : دار العاصمة ، 1413 هـ) ، ص ص 28 – 42 .

[118] – الشاطبي ، الموافقات ، ج1 ، ص 46 .

[119] – هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي الملقب بالقارئ ، أخذ العلم عن كبار الصحابة أمثال عمر و عثمان و علي و أبي الدرداء و بلال وسعد بن ابي وقاص و ابن مسعود و غيرهم ﷺ عاش بالكوفة ، مات في 72 هـ .

[120] – أخرجه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار عن أبي عبد الرحمن ورجاله ثقات ، رقم 22384 .

أن يحفظوا الإيمان و العلم ، و يخبروا من وراءهم "[121]؛"و من المسلّم به أنّه إذا رافق العلم التّطبيق العمليّ ، كان أجدى فائدة وأقوى رسوخا وأشدّ ثبوتا في النّفوس" [122]. قال الإمام الشاطبي : " كلّ علم شرعيّ فطلب الشّارع له إنّما يكون حيث هو وسيلة إلى التعبّد ...و العلم الّذي هو العلم المعتبر شرعا – أعني الّذي مدح الله و رسولُه أهله على الإطلاق – هو العلم الباعث على العمل" [123].

ج – البعد الواقعي :

نعني بالبعد الواقعيّ لجمعات النّبيّ ﷺ مواجهتها لمشكلات الواقع الإنسانيّ باعتباره هدف الخطاب الإلهي و مجال تنفيذه ، سواء كانت هذه المشكلات عقدية أو فكريّة أو اجتماعيّة أو تربويّة أو اقتصاديّة أو سياسيّة أو غيرها و سواء كان هذا الواقع ، الواقع الفطريّ للإنسان أو الواقع المعيش [124].

و إذا كانت مواجهة الواقع بمختلف تنوّعاته و تعقيداته تقتضي فهما جيّدا له و إحاطة تامّة بمكوناته و بجميع تفاعلاته ، فإنّ النّبيّ ﷺ قد أعطى من نفسه الزّكية القدوة المثلى ، و الأسوة الحسنة في هذا المجال ، و قد كانت جمعاته ﷺ من الصّور الحيّة المعبّرة عن ذلك .

قال الامام ابن القيّم :" و كان – أي النّبيّ ﷺ – يخطب في كلّ وقت بما تقتضيه حاجة المخاطَبين و مصلحتهم ... و كان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته ، فإذا رأى منهم ذا فاقة و حاجة أمرهم بالصّدقة و حضّهم عليها ... و كان يقصر

---

121 – أخرجه البخاري معلقا في باب العلم قال : باب تحريض النبي ﷺ وفد بني عبد قيس على أن يحفظوا الإيمان و العمل .

122 – محمد عجاج الخطيب ، الوجيز في علوم الحديث ، (الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،1989) ، ص 59 ، 60 .

123 – الموافقات ، ج1 ، ص 60 ، 68 .

124 – برغوث الطيب " الأبعاد المنهجية لإشكالية التغيير الحضاري وضرورة المنهج " ، ص ص 33 – 51 .

خطبته أحيانا و يطيلها أحيانا بحسب حاجة النّاس ، و كانت خطبته العارضة أطول من خطبته الرّاتبة " [125]، و في كل هذا مراعاة لواقع الناس الفطريّ و المعيش .

روى مسلم في صحيحه عن جرير عن أبيه عبدالله البجليّ [126] قال : كنّا عند رسول الله ﷺ في صدر النّهار ، قال ، فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النّمار أوالعباء متقلدي السّيوف ، عامّتهم من مضر بل كلّهم من مضر ، فتمعّر وجه رسول اللهﷺ لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثمّ خرج فأمر بلالا [127] فأذّن وأقام فصلى ثمّ خطب فقال: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ . إلى آخر الآية إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [128]، و الآية التي في الحشر :﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [129]، تصدّق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بُرّه ، من صاع تمره ، حتّى قال : ولو بشقّ تمرة ، قال : فجاء رجل من الأنصار بصرّة كادت كفّه تعجز عنها بل قد عجزت ، قال : ثمّ تتابع النّاس حتّى رأيت كومين من طعام وثيابه حتّى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلّل كأنّه مُذهبة فقال رسول الله ﷺ : من سنّ في الإسلام سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سنّ في الإسلام سنّة سيّئة كان عليه وزرها و وزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء " [130].

من هذا يتبيّن أنّ النّبيّ ﷺ " كان يخاطب النّفوس و العقول بما تطيقه ، خبيرا بالواقع ، عالما بأحوال المخاطَبين ، مدركا لثقافتهم و تاريخهم ، عارفا بمداخل

---

[125] – زاد المعاد ، ج1 ، ص 189 ، 191 ، 428 .

[126] – هو أبو عمرو جرير بن عبد الله بن جابر البجلي ، من أصحاب النبي ﷺ ، عاش في الكوفة ، توفي عام 51 هـ في قديد .

[127] – هو أبو عبد الله بلال بن رباح ، كان من السابقين الأولين للإسلام ، و من أوائل من أظهر الإسلام بمكة ، و كان مسترقا فأعتقه أبو بكر ، شهد كل المشاهد ، و كان أول مؤذن في الإسلام ، توفي بدمشق . (أسد الغابة) .

[128] – سورة النساء ، الآية 1 .

[129] – سورة الحشر ، الآية 18 .

[130] – أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة و لو بشق تمرة ، رقم 1691 ؛ و النسائي و أحمد و الدارمي .

استجابتهم ، مستوعبا لمناهج مجادلتهم ، واعيا علـــى قدراتهـــم و امكانـــاتهم و استعداداتهم و آمالهم و آلامهم " [131].

د – البعد المقاصديّ :

نعني بالبعد المقاصديّ لـــجُمُعات النّبيّ ﷺ محور مواضيعها حـــول الأصـــول الكليّة للإسلام ، و قواعده الأساسيّة ، و مبادئه الجوهريّة ." فمن استقراء السّنّة النّبويـــة يتّضح بجلاء البعد المقاصديّ في سيرته ، فكلّ ما صدر عنه ﷺ يقع في دوائـــر التّيســـير و الرّحمة و العدل و رفع الآصار و الاغلال ، و يهدف إلى حفظ مصالح الخلق المتعلّقـــة بحياتهم الفرديّة والجماعيّة والانسانيّة ، وحياتهم المعاشيّة و الرّوحيّة ... ومنهجيّة النّـــبيّ ﷺ المتضمّنة في أقواله و أفعاله و تقريراتـــه و أخلاقـــه و شمـــائله مصبوغـــة بـــالمنطق المقاصديّ " [132].

وممّا يدلّ على هذا الامر ما ثبت عنه ﷺ أنّ ممّا حُفِظ من خطبـــه أنّـــه كـــان يكثر أن يخطب بالقرآن الكريم ، و قد بيّن علماء مقاصد الشّريعة أنّ تعريـــف القـــرآن بالأحكام الشرعيّة أكثره كلّيّ لا جزئيّ ، و حيـــث جـــاء جزئيّـــا فمـــأخذه علـــى الكلّـــيّة [133].

وبتفحّص خطبه ﷺ – على الرّغم من قلّتها – يتّضح هذا الامر بجلاء ، فقـــد كان يعلّم أصحابه في خطبة الجمعة قواعد الاسلام و شـــرائعه ، ويـــأمرهم و ينـــهاهم إذا عرض له أمر ، و كان من منهجه ﷺ في كلّ ذلـــك مراعـــاة حقـــائق الأحكـــام ومقاصدها [134].

---

[131] – برغوث عبد العزيز ، المنهج النبوي و التغيير الحضاري ، سلسلة كتاب الأمة ، رقم 39 ، الطبعـــة الأولى . (الدوحـــة : وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، 1415 هـــ/ 1995 م) ، 52 .

[132] – ن م ، ص 49 ، 50 .

[133] – الشاطبي ، الموافقات ، ج3 ، ص 366 .

[134] – ابن القيم ، زاد المعاد ، ج1 ، ص 424 ، 427 .

قال الامام ابن القيّم في زاده: "... كانت خطبة الرّسول ﷺ إنّما هي تقرير لأصول الإيمان ، من الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و لقائه ، و ذكر الجنّة و النّار ... و من تأمّل خطب النّبيّ ﷺ و خطب أصحابه ، وجدها كفيلة ببيان الهدى و التّوحيد و ذكر صفات الرّبّ جلّ جلاله ، و أصول الإيمان الكلّية و الدّعوة إلى الله ، و ذكر آلائه تعالى الّتي تحبّبه إلى خلقه ، و أيّامه الّتي تخوّفهم من بأسه ، و الأمر بذكره و شكره الّذي يحبّبهم إليه ، فيذكرون من عظمة الله و صفاته وأسمائه ما يحبّبه إلى خلقه ... فينصرف السّامعون و قد أحبّوه و أحبّهم ، ثمّ طال العهد و خفي نور النّبوّة وصارت الشّرائع و الأوامر رسوما تقام من غير مراعاة حقائقها و مقاصدها ..." [135].

هـ - البعد الشّموليّ :

نقصد بالبعد الشّموليّ لجمعات النّبيّ ﷺ شمول مواضيعها لكلّ مجالات الحياة ، و جميع ميادين النّشاط البشريّ . و يعتبر هذا البعد متفرّعا من أحد الأصول الكبرى و الخصائص العضمى للإسلام ، و هو الشّمول الّذي يعني أنّه منهج كامل ومتكامل يستوعب الزّمن كلّه ، و يستوعب الحياة كلّها ، و يستوعب كيان الإنسان كلّه ،[136] و هو ما عبّر عنه العلماء الأصوليّون بجلب المصالح ودرء المفاسد في العاجل (الدّنيا) والآجل (الآخرة) .

جاء في كتاب (أدب الخطيب) [137]:" ... و لمّا كانت خطبة الجمعة بهذه المثابة الإعلاميّة الكبيرة ، فإنّنا ننظر في جوهرها عند تأسيسها من طرف النّبي ﷺ فنجدها تتطرّق لجميع مناحي الحياة ، من دينيّة و سياسيّة و حربيّة ، فضلا عن

---

[135] - ن م ، ج1 ، ص 424 .

[136] - القرضاوي يوسف ، الخصائص العامة للإسلام ، الطبعة الثالثة ، (بيروت : مؤسسة الرسالة، 1405 هـ/ 1985م) ، ص ص 105 -125 ؛ البنا حسن ، مجموعة الرسائل - رسالة الإسلام - .

[137] - تأليف الأمام علاء الدين بن ابراهيم بن العطار الدمشقي (ت 724هـ) تحقيق محمد بن الحسن السليماني ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1996) .

الشؤون الإجتماعيّة العامّة ، وليست قاصرة على الجانب الدّينيّ فقط كما يعتقد بعض النّاس ؛ ضرورة أنّ الإسلام جاء لما يصلح الدّين والدّنيا والمعاش والمعاد ..." [138].

والدّارس لخطب الرّسول ﷺ يجدها دالّة على هذا البعد ، فقد كانت وسيلة للتّربية و التّعليم و التّهذيب و التّثقيف ، و التّوجيه و التّسيير، و القيادة و التّعبئة ، و الإعلام و الإخبار والاتّصال ، وكانت وسيلة للتّنشئة الإجتماعيّة وتوثيق العلاقات بين المؤمنين ، وأداة لبناء الجماعة وتماسكها والقضاء على الأمراض الإجتماعيّة .

و - البعد البلاغيّ (الإقناعي) :

نقصد بالبعد البلاغيّ لخطب النّبيّ ﷺ تحقّقها بأعلى مستويات الإقناع و أرقى درجات الحجّة البالغة . و قد كان هذا البعد في حقّه ﷺ من باب الواجبات الكبرى الملقاة على عاتقه و من الخصائص العظمى لمنهج دعوته ، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...﴾ [139] و قال : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ...﴾ [140] ، أي " هذه طريقتي و مسلكي و سنّتي و هي الدّعوة إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له ، أدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك و يقين و برهان عقليّ و شرعيّ " [141] ، فالبصيرة من معانيها الحجّة و البرهان و البيّنة .

و بعرض هذا البعد على ميزان خطاب الله تعالى ، المتمثّل في القرآن الكريم ، نخلص إلى كون الخطاب النبويّ ، هو أبلغ و أكمل صورة تطبيقيّة للبلاغ المبين و الحجّة البالغة ، و لا عجب في ذلك فالأصل في السّنّة أنّها أكمل النّماذج التطبيقيّة للإسلام .

---

[138] - عبد الله كنون ، " مواكبة خطبة الجمعة لتطورات العصر " ، مقالة في كتاب " أدب الخطيب " ، ص 179 .

[139] - سورة النحل ، الآية 125 .

[140] - سورة يوسف ، الآية 108 .

[141] - ابن كثير إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، 7 ج ، الطبعة السادسة ، (بيروت : دار الأندلس ، 1404هـ/ 1984م) ، ج4 ، ص 58 .

و قد كان النبي ﷺ شديد الحرص على إقناع الناس بما يدعو إليه ، فكان يتخير أحسن الأساليب ، و أفضل المناهج ، فجاءت خطبه من آيات الله في الوضوح والبيان ، المبين عن الغرض الذي ينبغي أن يفهمه السامع بسهولة تامة ولا يضيع بين الغرابة والتعقيد [142] ، و لا عجب فقد قال عن نفسه الزكية ، " بعثت بجوامع الكلم "[143] ، و قال عنه رب العزة : ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [144] .

و لم يكتف ﷺ بثقته في نفسه حول هذا الأمر بل كان من منهجه أن يسأل السامعين ، هل وعوا ما قال ؟، و الأخبار في ذلك كثيرة و متواترة .

قال الإمام البخاري :" قال الزهري [145] :" من الله الرسالة ، و على رسول الله ﷺ البلاغ ، و علينا التسليم "[146] ، "و قد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة و أداء الأمانة ، و استنطقهم بذلك في أعظم المحافل ، في خطبته يوم حجة الوداع ، و قد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفا . كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ : " أيها الناس إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون ؟ " قالوا ، نشهد أنك قد بلغت و أديت و نصحت ، فجعل يرفع اصبعه إلى السماء ، ينكسها إليهم و يقول ، اللهم هل بلغت ، و في رواية مرارا و قال : ألا فليبلغ الشاهد الغائب "[147] .

---

[142] – عبد الرب بن نواب الدين ، الدراسة النظرية للخطابة ، ص 43 ، 44 .

[143] – متفق عليه : أخرجه البخاري في كتاب الجهاد و السير باب قول النبي ﷺ بعثت بجوامع الكلم عن أبي هريرة ،رقم 2755 ، و مسلم في كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، رقم 813 .

[144] – سورة النور ، الآية 54 .

[145] –هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي ، أحد الأئمة الأعلام و عالم الحجاز و الشام من كبار العلماء الأتباع ، قال فيه الليث بن سعد : ما رأيت عالما أجمع من ابن شهاب ، و قال فيه عمر بن عبد العزيز : لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية منه ، و هو شيخ الإمام مالك ، توفي عام 124 هـ بالمدينة ، (الدارقطني ، ذكر أسماء التابعين) .

[146] – أخرجه البخاري في صحيحه معلقا ، كتاب التوحيد ، باب قول الله : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ .

[147] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج2 ، ص 609 ؛ و الحديث جزء من حديث طويل متفق عليه : اخرجه مسلم في كتاب القسامة و المحاربين والقصاص و الديات باب تغليظ تحريم الدماء و الأعراض و الأموال ، عن أبي بكرة ، رقم 3179 .

ز - البعد القرآني :

المقصود من البعد القرآنيّ لجمعات النّبيّ ﷺ ، كونها غلب عليها الخطابة بالقرآن الكريم . فقد تبيّن لنا من سنته أنّه كان كثيرا ما يخطب بالقرآن الكريم ، و أنّ الكثير من الصحابة حفظوا سورا و آيات كثيرة من خطبه .

و هذا البعد لجمعاته هو ما يفسّر لنا قلّة المرويات من خطبه عموما و خطب الجمعة على وجه الخصوص على الرّغم من كون فترة الهجرة كانت عشر سنين ، أي ما يقارب خمسمائة جمعة ، و على الرّغم من كون الجمعة من المجالس الّتي يقلّ فيها نسيان ما يخطب به ﷺ لكثرة الحضور .

قال صاحب " الدّراسة النّظريّة للخطابة " :" ... على أنّه من المعالم البارزة للخطب النّبويّة فضلا عن كونها من وحي الله تبارك و تعالى لرسوله ﷺ ، تضمّنها لكثير من نصوص القرآن الكريم ، و لكثير من المعاني و المقاصد الإيمانيّة الّتي نزل بها كتاب الله ، و يمكن القول إنّ الخطابة النّبويّة تدور في محورها العام حول القرآن العظيم بيانا لمعانيه ، و دعوة إلى الإيمان به ، و تصحيحا للمفاهيم الخاطئة حوله و ملاحاة عنه ... و لكثرة ترداد الآيات القرآنيّة في الخطب النّبويّة و لا سيما بعض السّور حفظ كثير من الصحابة آيات القرآن العظيم من سماعهم لتلك الخطب الشّريفة " [148]. و قد ثبت هذا بالكثير من السّنن .

فعن أمّ هشام بنت حارثة رضي الله عنها قالت :" لقد كان تنّورنا و تنّور رسول الله ﷺ واحدا سنتين أو سنة و بعض سنة ، و ما أخذت ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرأها كلّ يوم جمعة على المنبر إذا خاطب النّاس " [149]. و في رواية قالت رضي الله عنها : " ما أخذت ق إلا من فيّ رسول الله ﷺ كان يخطب بها كلّ جمعة " [150].

---

[148] - عبد الرب بن نواب الدين ، ص 41 .

[149] - سبق تخريجه في ص ، هميش رقم 47 ، و الحديث لمسلم رقم 1442 .

[150] - أخرجه مسلم في نفس الموضع السابق رقم 1441 .

و عن أُبيّ بن كعب ﷺ قال :" قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة (تبارك) و هو قائم فذكرنا بأيام الله ..."[151]، و في رواية سورة (براءة) [152].و عن جابربن سمرة ﷺ [153] قال : " كنت أصلي مع النّبي ﷺ الصّلوات فكانت صلاته قصدا و خطبته قصدا ، وفي رواية : يقرأ آيات من القرآن و يُذكر الناس " [154].

---

[151] – أخرجه ابن ماجة سلفي سننه ، كتاب إقامة الصلاة و السنة فيها ، باب ما جاء في الاستماع للخطبة و الإنصات لها ، رقم 1101 ، و رجاله ثقات .

[152] – أخرجه أحمد في مسند الأنصار عن أبيّ ، رقم 20325 ، و رجاله ثقات .

[153] – هو أبو عبد الله جابر بن سمرة بن جنادة السوائي بن جندب بن سواءة المدني و هو ابن أخت سعد بن أبي وقاص ، صحابي جليل ، روى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة ، روى عنه الشعبي و عامر بن سعد بن أبي وقاص، عاش في الكوفة و مات فيها عام 74هـ ، (أسد الغابة) .

[154] – أخرجه الستة ، و اللفظ لمسلم في كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، رقم 1434 . و عند أحمد و غيره : "و يقرأ آيات من القرآن على المنبر " ، رقم 20023 .

المبحث الثالث

مكانة الجمعة في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ

إن عصر الخلفاء الرّاشدين ﷺ هو خير العصور و أحسنها بعد عصر النّبيّ ﷺ ، فقد زكّاهم ﷺ و أوصى أمّته بالإقتداء بهم . عن العرباض بن ساريةﷺ [155] قال: **وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون و وجلت منها القلوب ، قلنا يا رسول الله ، إن هذه لموعظة مودّع ، فماذا تعهد إلينا ، قال : " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ، و من يعش منكم فسوف يرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنّتي و سنّة الخلفاء الرّاشدين المهديّين ، و عليكم بالطّاعة و إن عبدا حبشيّا ، عضّوا عليها بالنواجذ ، فإنّما المؤمن كالجمل الأنِف حيثما انقيد انقاد "** [156].

و لقد اهتمّ الخلفاء الرّاشدون ﷺ بمصالح الخلافة ، و حرصوا حرصا شديدا على الاقتداء بالرّسول ﷺ و الالتزام بكتاب الله عزّ وجلّ في كلّ شأن من شؤون الحياة ، و قد ظهر ذلك جليّا في اهتمامهم بالجمعة ، نذكر شيئا من ذلك على سبيل التّمثيل لا الحصر .

---

[155] –هو أبو نجيح العرباض بن سارية السّلميّ الحمصي ، صحابي جليل ، و هو ممن نزل فيهم قوله تعالى :﴿ ولا على الذين أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون ﴾ التوبة 92 ، عاش في الشام ناشرا للعلم ، و توفي عام 75 هـ (أسد الغابة) .

[156] – أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة و اجتناب البدع ، و قال هذا حديث حسن صحيح ، رقم 2600 ، و أحمد في مسند الشاميين ، و أبو داود و ابن ماجة .

أولا – عناية الخلفاء الراشدين ﷺ بالمساجد و خاصة مسجد الجمعة :

لقد كان المسجد على عهد الخلفاء الرّاشدين ﷺ محلّ اهتمام كبير منهم ، ممّا جعلهم شديدي الحفاظ على رسالته ووظيفته كما كان على عهد رسول الله ﷺ [157] ، فاستمرّ دارا للعبادة ، فيه يعبد الله ويذكر ذكرا كثيرا ، و دارا للخلافة ، فيه تُدبّر أمور المسلمين و منه تُساس دولتهم ، وفيه يتربّى أفراد المجتمع ومنه يُوجّهون ؛ ويمكن للمتفحّص أن يلحظ هذا الاهتمام في جانبين :

الجانب الأول : اهتمامهم ببناءالمساجد وتوسعتها

كان الخلفاء الرّاشدون ﷺ قد فتح الله على أيديهم بلادا واسعة من أرض الله ، ترامت أطرافها من بلاد الفرس شرقا إلى أرض مصر غربا ، ومن أرض اليمن جنوبا إلى حدود التّرك شمالا [158].

و قد كان من سنّتهم ﷺ في البلاد المفتوحة و المدن الجديدة الّتي أمروا بتخطيطها و إنشائها أن يُبنى مسجد جامع تقام فيه الجمعة و المناسبات الكبرى و مساجد صغيرة في أحياء كل مدينة لتقام فيها الصّلوات الخمس .

ففي البصرة أمر الخليفة عمر بن الخطّاب ﷺ [159] أبا موسى الأشعري ﷺ بالخروج إليها ، و أن يصرف للخطط لمن هناك من العرب و يجعل كلّ قبيلة في

---

[157] – الرشلي ، المسجد ونشاطه الاجتماعي ، ص 93 .

[158] – أحمد زين دحلان ، الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية ، 2ج ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار صادر ، 1417هـ/1997م) ، ج1 ، ص 160 .

– حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي ، الطبعة الثالثة عشرة ، (بيروت : دار الجيل ؛ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1411هـ/1991م) ، ج1 ص 222 .

[159] – هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل ، صاحب رسول الله و أمير المؤمنين و ثاني الخلفاء الراشدين ، ولد عام 40 قبل الهجرة ، أسلم قبل الهجرة بخمس سنين ، فأعز الله به الإسلام والمسلمين ، وضع التاريخ الهجري و دون الدواوين ، كان من أكبر فقهاء الصحابة ، استشهد عام 23 هـ ، (أسد الغابة) .

محلّـــة ، و أن يأمر النّاس بالبناء و أن يبني لهم مسجدا جامعا [160]، و أن تبني كلّ قبيلـــة مسجدا و مقـــبرة [161].

و في الكوفة كان أوّل بناء أقيم حين أمر الخليفة بتخطيطها المسجد ، و كـــان عاملها هو سعد بن أبي وقّاص ﷺ [162]؛ فقد جاء في الأخبار أنه " لما افتتح عمر بن الخطّاب ﷺ البلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري ﷺ و هو على البصرة يأمره أن يتّخذ للجماعة مسجدا ، فإن كان يوم الجمعة انضمّوا إلى مسجد الجماعة فشهدوا الجمعة و كتـــب إلى سعد بن أبي وقّاص و هو على الكوفة و إلى عمرو بن العاص ﷺ [163] و هو على مصـــر بمثل ذلك " [164]، و كذلك فعل مع كلّ عماله .

أمّا في مدن الثّغور فقد كتب إلى أمـــراء الأجنـــاد أن لا يتبـــدّدوا في القـــرى و أن ينـــزلوا المدائن و أن يتّخذوا في كلّ مدينة مسجدا واحدا هو المسجد الجـــامع ، حتّى تظهر قوّة المسلمين بالإسلام و يكونوا قدوة وأسوة لأهل البلاد المفتوحة [165].

و لكي يكون المسجد مظهرا من مظاهر المجتمع المسلم ، كان الخلفاء يـــأمرون حين يخطّط لها أن تكون وسط المدينة [166].

---

160 – الوشلي ، المسجد و نشاط الاجتماعي ، ص 98 ، 99 .

161 – حسن إبراهيم ، م س ، ج1 ، ص517 .

162 – سعد بن مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب من بني مرة القرشي ، أسلم بعد أربعة من البعثة ، وهـــو أحـــد العشرة المبشرين بالجنة و أحد الستة أصحاب الشورى ، شهد مع الرسول كل المشاهد ، و هو أول من رمى بسهم في سبيل الله ، و كان على رأس الجيش الذي قاتل الفرس بالقادسية ، و هو الذي فتح المدائن و بنى الكوفة ، و كان واليا علـــى العـــراق ، تـــوفي عام 55هـــ .

163 – هو أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو القرشي أسلم عام ســـتة بعـــد الهجـــرة ، استعمله الرسول ﷺ على عمان ، و قد فتح الله على يديه بلدانا كثيرة منها مصر ، و لم يزل واليا عليها حتى توفي عام 43هـــ .

164 – علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ، كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعـــال ، 18 ج ، (بـــيروت : مؤسسة الرسالة ، 1413هـــ/1993م) ، ج ، ص .

165 – الوشلي ، المسجد و نشاط الاجتماعي ، ص 99 .

166 – القاسمي جمال الدين ، إصلاح المساجد من البدع و العوائد ، (الجزائر – البليدة -: قصر الكتاب) ، ص 52 ، 53 .

و من اهتمام الخلفاء الرّاشدين ﷺ بالمساجد ، أنهم كانوا يأمرون بتوسعتها كلّما اقتضى الحال ذلك . فقد روى البخاريّ و أبو داود[167] عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : " إنّ المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنيًا باللبن و سقفه الجريد ، و عُمُده خشب ، فلم يزد فيه أبو بكر ، و زاد فيه عمر و بناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن و الجريد ، ثمّ غيّره عثمان ﷺ فزاد فيه زيادة كثيرة ، و بنى جداره بالحجارة المنقوشة و القَصّة و جعل عمده من حجارة منقوشة و سَقَفه بالسّاج"[168].

و كما اهتمّ الخلفاء الرّاشدون ﷺ ببناء المساجد و توسيعها ، فقد اهتمّوا بها من حيث تنظيفها و تطييبها و إضاءتها ، و مكافأة القائمين عليها من المجمّرين (المطيبين) و المؤذّنين.

جاء في الآثار أنّ عليّا بن أبي طالب ﷺ[169] الخليفة الرّابع مَرّ ذات ليلة في شهر رمضان على المساجد و فيها القناديل فقال : نَوّر الله على عمرَ في قبره كما نوّر علينا مساجدنا[170] ؛ وكان الخليفة الثّالث عثمان بن عفّان ﷺ هو أوّل من رزق المؤذّنين اهتماما بهم[171] ؛ و كان الخليفة الثّاني عمر بن الخطّاب ﷺ قد خصّص للمساجد أوقاتا محدّدة تُطيّب فيها و تُجمّر ، و هو يوم الجمعة ، لأنّه يوم اجتماع النّاس كلّهم في المسجد للجمعة ، و لكي تبقى رائحته الطيّبة على مدار الأسبوع[172].

---

[167] – هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر الأزدي السجستاني ، من شيوخ و علماء السنة و الحفاظ المقدمين ، ولد عام 202هـ بسجستيان ،رحل في طلب العلم كثيرا فزار العراق والشام و و مصر والحجاز و خراسان واستقر في البصرة و جمع و صنف و برع في هذا الشأن و هو من تلاميذ الإمام أحمد ، و هو شيخ الترمذي و النسائي ، مات بالبصرة عام 275 هـ من مصنفاته : السنن ، المسائل ، المراسيل ، الزهد ، (موسوعة الحديث ، قرص مضغوط) .

[168] – أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصلاة باب بنيان المسجد ، رقم 427 ؛ و ابو داود في كتاب الصلاة باب في بناء المساجد ، رقم 381 . و القَصة هي الجص ، و الساج هو نوع جيد من الخشب

[169] – هو علي بن أبي طالب أمير المؤمنين و رابع الخلفاء الراشدين ، ولد عام 23 قبل الهجرة ، تربى في بيت الرسول ﷺ ، و هو من الأوائل الذين دخلوا الإسلام ، زوجه الرسول ﷺ من ابنته فاطمة ﷺ ، وقد شهد مع الرسول ﷺ كل المشاهد . كان من أفقه الصحابة ، استشهد عام 40 هـ .

[170] – ابن الجوزي أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن ، تاريخ عمر بن الخطاب ، الطبعة الأولى ، (الجزائر : الزهراء للنشر و التوزيع ، 1991) ، ص

[171] – الوشلي ، المسجد و نشاط الاجتماعي ، ص 100.

[172] – ن م ، ص 97 ، 98 .

الجانب الثاني : الاهتمام بالرسالة الشّاملة للمسجد

لا جَرَم أنّ الإسلام رسالة شاملة لجميع المجالات الّتي تحقّق السّعادة للإنسانيّة في الدّنيا و الآخرة و ذلك بجلب كلّ المصالح و درء كلّ المفاسد ؛ و لقد كانت هذه الحقيقة في قرون الخير و بخاصّة زمن الخلفاء الرّاشدين من المعلوم من الدّين بالضّرورة حتى أنّها تجلّت في كلّ صغيرة و كبيرة من حياتهم ، و من ذلك ظهورها بجلاء في رسالة المسجد .

قال صاحب كتاب (المسجد ونشاطه الاجتماعي) : " حينما تسلّم خلفاؤه الرّاشدون القيادة من بعده – أبو بكر[173] . و عمر و عثمان و علي ﷺ – الواحد تلو الآخر حفظوا للمسجد وظيفته الاجتماعية و رسالته الشّاملة ، و بقوا يزاولون ما كان رسول الله ﷺ يزاوله ، فلم يتّخذوا لهم دُورَ عمل و لا مؤسّسات نشاط اجتماعيّة و خدميّة سوى المسجد .[174]

و" إنّنا إذا درسنا حياة الخلفاء الرّاشدين الأربعة واحدا تلو الآخر و عهدهم المفضّل نجد أنّ كلّ واحد منهم لم يتخلّ عن المسجد في كثير ممّا يُدَبَّرُ فيه من شؤون الحياة و الأمّة ، و عهدهم كان السِّمة المميّزة لاستمرار المسجد مستوعبا لجميع أنشطته المختلفة و المتنوّعة " [175].

و يمكن تلخيص شموليّة رسالة المسجد على عهد الرّاشدين في النّقاط التّالية :

- المسجد دار للعبادة .
- المسجد مؤسّسة تعليميّة .
- المسجد مؤسّسة تربويّة .
- المسجد مؤسّسة تثقيفيّة .

---

[173] – هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو من بني كعب بن لؤي القرشي ، ولد بعد مولد الرسول بسنتين ، و هو أول من شرح الله صدره للإسلام ، كان له فضل كبير في الدعوة إلى الله ، و هو أول من بويع بالخلافة ، حارب المرتدين عن الدين ، توفي عام 13 بعد الهجرة .

[174] – الوشلي ، م س ، ص 101 ، 102 .

[175] – ن م ، ص 101 .

- المسجد مؤسّسة إقتصاديّة .
- المسجد مؤسّسة اجتماعيّة .
- المسجد مؤسّسة سياسيّة .
- المسجد مؤسّسة عسكرية .
- المسجد مؤسّسة صحية .
- المسجد دار للقضاء [176].

ثانيا – عناية الخلفاء الرّاشدين ﷺ بالجمعة

لقد كان الخلفاء الرّاشدون ﷺ نموذجا فذّا في الاهتمام و العناية بالجمعة إنْ بيومها أو بخطبتها أو بصلاتها ؛ و ليس ذلك بالغريب عنهم و قد نالوا شرف صحبة رسول الله ﷺ ، و شاهدوا بأُمّ أعينهم عناية الرّسول ﷺ بها . و قد حفلت الكتب الّتي دوّنت سيرهم بالأخبار الكثيرة في هذا الأمر ، و من خلال التتبّع لما ورد عنهم من آثار يمكن أن نستشفّ المعالم التّالية :

1 – الاقتداء الأمثل و الإئتساء الأكمل بسنّة الرّسول ﷺ و هَدْيِه في جمعاته :

لقد كانت خطبهم ﷺ متمحورة حول روح الإسلام و جوهره ألا و هو توحيد الله عزّ و جلّ في ربوبيّته و ألوهيّته و حاكميّته ، و تدور مع مصلحة الإسلام حيث دارت ، فلا تستعمل لخدمة مصلحة الخليفة و لا لمصلحة حاشيته و بطانته و قرابته ، و لا لتحقيق مآربه أو مآرب آلِه و قبيلته . قال العلاّمة ابن القيّم :" و من تأمّل خطب النّبيّ ﷺ و خطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى و التّوحيد و ذكر صفات الرّبّ جلّ جلاله و أصول الإيمان الكلّية و الدّعوة إلى الله و ذكر آلائه تعالى ... [177] "

---

[176] – ن م ، ص 101-115 ؛ طه الولي ، المسجد في الاسلام ، الطبعة الاولى ، (بيروت : دار العلم للملايين ، 1409 ه / 1988 م) ، ص ص 158 – 168

[177] – زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج1 ، ص 423 ، 424 .

و لم تكن خطبهم ﷺ تَسْبح في عالم الخيال و التّجريد ، بل كانت خطبا عمليّة تنطلق من واقع النّاس و ما يعيشونه من مشكلات .و يراعون ظروفهم و يخاطبون عقولهم و نفوسهم بما تفهم و تطيق و بما يقتضيه الحال .

و كانوا ﷺ من أفقه النّاس وأعلمهم ، تجلّى ذلك في خطبهم الّتي صدق عليها قول الرّسول ﷺ :" إنّ طول صلاة الرّجل و قِصَر خطبته مَئِنّة من فقهه "[178]، فجاءت خطبهم في كلمات جوامع ، معدودة المباني لكنّها زاخرة بالمعاني ، تتمحور حول الأصول الكلّية للإسلام ، فما من خطبة من خطبهم إلاّ كانت المقاصد العامّة للشّريعة فيها حاضرة و بارزة ، فجاءت من أروع الخطب فصاحة و بلاغة و إقناعا ، فقد علموا علم اليقين أنّ إقناع النّاس فرْضٌ واجبٌ في الدّعوة إلى الله عزّ و جلّ فحملوا أنفسهم على التحقّق بالبلاغ المبين ، و الحجّة البالغة ، و لم يعتمدوا على ما لهم من وجاهة أو شرف الصّحبة في إقناع النّاس . و عرفوا حقيقة النّفوس البشريّة ، و خبروا كنهها ، و هي أنّها تسأم و تملّ ، فأوجزوا مواعظهم دون أن يخلّ ذلك ببلاغتها و سحرها .

2 – شمولية خطب الخلفاء الرّاشدين ﷺ

و ممّا امتازت به خطب الجمعة عند الخلفاء الرّاشدين ﷺ – إضافة إلى ماسبق – أنّها كانت شاملة لجميع مناحي الحياة[179].

فقد كانت حينما بُويع لكلّ واحد منهم ﷺ الوسيلة الأساسيّة لإعلان منهجه في الاستخلاف ، أو ما يشبه اليوم بيان السّياسة العامّة في الحكم[180].فعن الزّهري عن أنس بن مالك قال :" لما بُويع أبو بكر في السّقيفة و كان الغد ، جلس أبو بكر في المنبر ، فقام عمر فتكلّم قبل أبي بكر ، فحمد الله و أثنى عليه ، ثم قال : إنّ الله قد جمع أمركم على خيركم .. صاحب رسول الله و ثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا

---

[178] – جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب تخفيف الصلاة و الخطبة عن أبي وائل قال : خطبنا عمار فأوجز و أبلغ ، فلما نزل قلنا : يا أبا اليقظان لقد أبلغت و أوجزت ، فلو كنت تنفست ، فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ، و ذكره و تمامه " فأطيلوا الصلاة و اقصروا الخطبة و إن من البيان سحرا " ، رقم 1437 . و أخرج أحمد و الدارمي مثله .

[179] – علاء الدين بن العطار ، أدب الخطيب ، الملحق 1 ، ص 179 .

[180] – الوشلي ، المسجد ونشاطه الاجتماعي ، ص 102 .

فبايعوه ، فبايع النّاس أبا بكر بيعة العامّة بعد بيعة السّقيفة ، ثم تكلّم أبو بكر فحمد الله و أثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد : أيّها النّاس ، فإنّي قد ولّيت عليكم و لست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، و إن أسأت فقوّموني ، الصّدق أمانة ، و الكذب خيانة ، و الضّعيف عندكم قويّ حتّى أريح عليه حقّه إن شاء الله ، و القويّ فيكم ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد إلاّ ضربهم الله بالذّل ، و لا تشيع الفاحشة في قوم قطّ إلاّ عمّهم الله بالبلاء . أطيعوني ما أطعت الله و رسوله ، فإذا عصيت الله و رسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله " [181].

و كانت خطبة الجمعة على عهدهم ﷺ بمثابة المؤسّسة الإعلاميّة الرّسميّة الّتي تنطق باسم مؤسّسة الخلافة ؛ فمن فوق منبرها كان الخليفة يُخبر المسلمين عن نصر أو فتح حقّقه جيشهم فيحمدون الله ، أو عن تقهقر أو ضعف أصابهم فيستحثّهم النّصرة و المؤازرة .

جاء في الآثار" أن عمر بن الخطّاب ﷺ كان يخطب يوم الجمعة بالمدينة فقال : يا سارية بن حصن الجبل .. الجبل ، من استرعى الذّئب فقد ظلم ، فالتفت النّاس بعضهم إلى بعض فلم يفهموا مراده ، فلمّا قضى صلاته قال له علي ﷺ : ما هذا الّذي قلته ؟ قال : أو سمعته ؟ قال : نعم أنا و كلّ من في المسجد ، قال : وقع في خلدي أنّ المشركين هزموا إخواننا و ركبوا أكتافهم و أنّهم يمرّون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوه و ظفروا ، و إن جاوزوه هلكوا ، فخرج منّي هذا الكلام . فجاء البشير بعد شهر فذكر أنّهم سمعوا في ذلك اليوم و تلك السّاعة حين جاوزوا الجبل صوتا يشبه صوت عمر يقول : يا سارية بن حصن الجبل .. الجبل ، فعَدَلْنا إليه ففتح الله علينا "[182].

---

[181] - ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، **الكامل في التاريخ** ، 10ج ، ، الطبعة الخامسة ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، 1405هـ/1985م) ، ج2 ، ص 224 ، 225

[182] - ابن الأثير ، أُسد الغابة في معرفة الصحابة ،5ج ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي) ، ج2 ص244 .

و كان الخلفاء الرّاشدون ﷺ من فوق منبر الجمعة يُعلّمون الأمّة ويُربّونها و يرشدونها ، و من فوقه يستشيرونها و يوجّهونها في مختلف القضايا من سياسيّة و اقتصاديّة و عسكريّة و اجتماعيّة و قضائيّة و غيرها ، و الأمثلة الشّاهدة على ذلك كثيرة ، نذكر منها مايلي :

و جاء في الأخبار " أنّ رجلا قام إلى عمر ﷺ و هو على المنبر ، فقال : يا أمير المومنين ، ظلمني عاملك و ضربني ، فقال عمر: و الله لأُقِيدنّك منه إذا ... فقال عمرو بن العاص ﷺ : أو تقيد من عاملك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم و الله لأقيدنّ منه .. أقاد رسول الله ﷺ من نفسه ، و أقاد أبو بكر من نفسه .. أفلا أقيد ؟ فقال عمرو بن العاص ﷺ : أوَ غَيْرَ ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : و ما هو ؟ قال : أو يُرْضيه ، قال : أو يرضيه "[183].

و روى ابن سعد[184] في الطّبقات عن موسى بن طلحة[185] قال :" رأيت عثمان يخرج يوم الجمعة عليه ثوبان أصفران فيجلس على المنبر فيؤذن المؤذّن ، و هو يتحدّث فيسأل النّاس عن أسعارهم و عن قُدَامهم و عن مرضاهم ، ثمّ إذا سكت المؤذّن قام يتوكّأ على عصا عقفاء فيخطب و هي في يده ، ثمّ يجلس جلسة ، فيبتدأ كلام النّاس فيسألهم كمسألته الأولى ثمّ يقوم فيخطب ثمّ يترل و يقيم المؤذّن "[186].

و عنه أيضا قال : سمعت عثمان بن عفّان ﷺ و هو على المنبر والمؤذّن يقيم الصلاة وهو يستخبر النّاس عن أخباره و أسعارهم "[187].

---

[183] – أبو جعفر أحمد المحب الطبري ، الرياض النضرة في مناقب العشرة 4ج ، الطبعة الأولى (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1405 هـ/1984م) ، ج2 ، ص 360 .

[184] – هو أبو عبد الله بن سعد بن منيع البصري الهاشمي ، ولد بالبصرة سنة 168 هـ نشأ بها إلى أن سافر إلى بغداد حيث لزم شيخه الواقدي أخذ العلم عن شيوخ كثر منهم ابن عيينةو ابن مهدي ، من مؤلفاته : " التاريخ " ، " الطبقات الصغير " ، توفي ببغداد عام 230هـ .

[185] – هو أبو عيسى موسى بن طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي ، كان كثير الحديث ، و قال العجلي : تابعي ثقة توفي عام 103هـ ، (الطبقات) .

[186] – ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 9ج ، (بيروت : دار صادر) ، ج3 ، ص 59 .

[187] – ابن سعد ، ن م ، ص 59 . وأخرجه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة ، رقم 509 ، و رجاله رجال الصحيح قاله الهيثمي .

و من على منبر الجمعة كان الخلفاء الرّاشدون ﷺ يستسقون للأمّة بالدّعاء .جاء في الطبقات :" خطب عمر ﷺ النّاس في زمن الرّمادة فقال : أيّها النّاس.. اتّقوا الله في أنفسكم و فيما غاب عن النّاس من أمركم ، فقد ابتليت بكم و ابتليتم بي ، فما أدري ، السّخطة عليّ دونكم ، أو عليكم دوني ، أو قد عمّتني و عمّتكم ، فهلمّوا فلندع الله يصلح قلوبنا و يرحمنا و أن يرفع عنّا المحل ؛ فرُئِيَ عمر يومئذ رافعا يديه يدعو الله ، و دعا النّاسُ ، و بكى و بكى النّاسُ مليّا ثم نزل [188].

3 – إعداد الخلفاء الراشدين للخطب

إنّ ممّا يلفت النّظر – ونحن ندرس سيرة الخلفاء الرّاشدين ﷺ ونتتبّع أخبارهم حول منهجهم في الدّعوة إلى الله عموما ، ومنهجهم في خطبهم على وجه الخصوص – أنهم كانوا يستعدّون لخطبهم استعدادا جادّا ومسؤولا ، وكانوا يُعِدّون خطبهم إعدادا متقنا وجيّدا .

فعلى الرّغم من أنّهم كانوا – بعد رسول الله ﷺ – أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء وأعلم النّاس بدين الله ، وأحفظهم لكتابه و سنّة رسوله ﷺ ، إلاّ أنّهم كانوا يولون اهتماما خاصّا للإعداد والتّحضير لما يقولونه للنّاس في خطبهم ، وما ذلك إلاّ لعلمهم وإدراكهم لأهمّية ذلك في نجاح رسالة الخطبة وتحقيق أهدافها . جاء في الكشّاف : أنّ أمير المؤمنين عثمان بن عفّان ﷺ لمّا بُويع صعد المنبر فقال :" الحمد لله...وأُرْتِجَ عليه فقال : إنّ أبا بكر وعمر كانا يُعِدّان لهذا المقام مقالا ، وإنّكم إلى إمام فعّال أحْوَج إلى إمام قوّال ، وستأتيكم الخطب " [189]، و في رواية ، " لمّا وَلِيَ عثمان قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وتشهدّ ثمّ أُرْتِج عليه فقال : أيّها النّاس إنّ أوّل كلّ مركب صعب و إن أعِشْ فستأتيكم الخطب على وجهها وسيجعل الله بعد عسر يسرا " [190].

---

[188] – ابن سعد ، ج1 ، ص 231 ، 232 .

[189] – الزمخشري جار الله محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، 4ج ، (بيروت : دار الكتاب العربي) ، ج4 ، ص 535 .

[190] – أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، شرح و ضبط أحمد أمين و آخرون ، (بيروت : دار الكتاب العربي ج4 ، 1402هـ/ 1982م) ، ج4 ، ص 66 . و أُرتج عليه أي اشتد عليه الكلام ، و الإرتاج الإغلاق و منه رتاج الباب .

المبحث الرّابع

مكانة الجمعة في المجتمع الإسلامي على مدار التّاريخ (بيان عامّ)

إنّ من الصّعب جدّا على الباحث في موضوع الجمعة و مكانتها على مدار التّاريخ الإسلاميّ إعطاء صورة موضوعيّة واضحة المعالم في مبحث معدودة كلماته ، و ذلك لما تتّصف به الحضارة الإسلاميّة من بعد و امتداد في الزّمان و المكان ، و لما طرأ عليها من تغيّرات و تقلّبات . لهذا يجدر بنا في هذا المقام إجراء نظرة عامّة على أهمّ جوانب الموضوع حتّى نتمكّن من أخذ صورة لأهمّ معالمه .

لا خلاف أنّ المساجد كانت من أعظم مؤسّسات الإسلام مساهمة في عصمة الدّين و حفظ كيان المسلمين ، فهي بيوت الله في أرضه ، و مكان لإعلان العبودية له ؛ فيها يتربّى المؤمنون ، و من محاريبها يتزوّدون بالإيمان ، و من منابرها يُذكّرون و يُنصحون و يُدعوْن إلى الخير ، و في ساحتها يَنهلون من العلوم و المعارف ، و في رحابها يتعارفون و يتحابّون ، و فيها يتدارسون شؤون حياتهم ، و منها ينتشرون لعمارة الأرض وفق منهج الله [191] .

و لقد كانت – و يجب أن تظلّ هكذا – مركز حياة المسلمين و مصدر التّجديد و الإصلاح و التّوجيه ، فما من نازلة تنزل بالمسلمين إلاّ و كان مناديهم ينادي (الصّلاة جامعة) . و هي القطب الّذي تدور حوله رحى الحياة [192]، و لطالما كانت على مدار التّاريخ هي منطلق المسلمين في كفاحهم و جهادهم ضدّ أعدائهم و أعداء الدّين [193]، و خير مثال على ذلك ثورات الجزائر ضدّ المعتدين على مدار قرون عديدة.

---

[191] – الوشلي ، المسجد و نشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ ، ص 5 .

[192] – أبو الحسن بن علي بن الحسن الندوي ، الأركان الأربعة – الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، الحج – في ضوء الكتاب و السنة الطبعة الرابعة ، (الكويت : دار القلم ، 1398هـ/1978م) ، ص 52 ، 53 .

[193] – طه الولي ، المسجد في الإسلام ، ص ص 170-183 .

و يوم أن كان المسلمون يعرفون لبيوت الله هذا المقام المحمود كانوا بحقّ أعظم مجتمع على الأرض ، و خير أمّة أخرجت للنّاس ، فكانوا هم قادة الإنسانيّة و قُدوتَها ، و نموذجها الحضاريّ . فلمّا جهلوا هذا المقام للمسجد و أعرضوا عنه ، و﴿ ...نَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ...﴾ [194] ، تداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها ، و أصبحوا غثاء كغثاء السّيل ، و أصابهم الوهن ، و عادوا القهقرى ، الأمر الذي يوحي أن لا علاج و لا شفاء لهذا الدّاء العضال إلاّ إذا عادت الأمّة إلى المسجد بأحياء رسالته ، و إقامة شعائره ، إذ لا يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما صلح به أوّلها .

غير أنّ المسجد لم يكن ليبلغ تلك الدّرجة العليا و يحقّق تلك المقاصد الجليلة ، و لا ليحرز تلك المكانة من قلوب المسلمين لو لم يُشرّع له المشرّع الحكيم أحكاما خاصّة ، كانت بمثابة الأسس الّتي عليها أقيم بنيانه ، و بمثابة الرّحم الّتي منها تُستَحْيى رسالته ، و على رأس تلك الأحكام صلاة الجمعة و صلاة الجماعة [195] .

أوّلا – مكانة الجمعة عند جماهير المسلمين :

لقد كانت الجمعة بالنّسبة للمسلمين على مدار تاريخهم ، من أوثق العُرى الّتي ربطتهم بدينهم ، إن في فترات قوّتهم أو في فترات ضعفهم ؛ فلئن كان الإسلام قد شهد عبر آماد طويلة انتقاضا لعراه عروة عروة – كما تنبأ بذلك الرّسول ﷺ :" **لينقضنّ عرى الإسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبّث النّاس بالّتي تليها ، و أوّلهنّ نقضا الحكم و آخرهنّ الصّلاة** " [196] ، فإنّ الصّلاة ، –و صلاة الجمعة بوجه خاصّ–، بنصّ الحديث و شهادة التّاريخ ، كانت هي آخر العرى الّتي مسّها الانتقاض ، و ما ذلك إلاّ لخصوصيتها و مكانتها الربّانيّة و الاجتماعيّة . و من رحمة الله بالأمّة الإسلاميّة أنّ انتقاض صلاة الجمعة لم يكن كلّيا و شاملا ممّا جعلها كما سلف العروة الوثقى بين المسلمين و دينهم .

---

194 – سورة المائدة ، الآية 13 .

195 – النّدوي ، الأركان الأربعة ، ص 54 ، 57 .

196 – أخرجه أحمد في باقي مسند الأنصار ، عن أبي أمامة الباهلي ، و رجاله لا بأس بهم ، رقم 21139 ؛ و أخرجه ابن حبان و الحاكم .

هذا و إنّ في الحديث الشّريف دلالات منهجيّة و تربوية في إصـــلاح أحـــوال لمسلمين سيأتي ذكرها - إن شاء الله - في الباب الرّابع .

لقد ظلّت شعيرة الجمعة بعد قرون الخير - "**خيركم قرني ثمّ الّذين يلونهم ثـمّ الّذين يلونهم ثمّ الّذين يلونهم**" [197] - تتأرجـح بين القوّة و الضّعف مـن حيـث نيامها برسالتها و وظائفها ، و لكنّها لم تفقد الحدّ الأدنى من مكانتها في قلوب جماهـير لمسلمين و وجدانهم . و ذلك الحدّ الأدنى هو الّذي كان ينطلق منه المجتمع لتجديد بنائه كلّما وهن ، و لإحياء دينه كلّما ضمر .

و لقد نوّه بهذه المكانة الكثير من العلماء و الباحثين ، مـن المسـلمين و مـن غيرهم ، و في هذا المقام نثبت ما خلص إليه أحد الدّارسين من غير المسـلمين حـول صلاة الجمعة و تأثيرها على المسلمين ، و هذا الباحث هو الأستاذ (فيليـب حتّـي)، ستاذ الآداب السّامية بجامعة (برنستون) بأميركا ، قال :" و هذه الصّـلاة الجامعـة ي وقارها و بساطتها ، لا يفوقها أيّ نوع من أنواع العبادات الجامعـة ، إذ يقـف لمصلّون معتدلي القامة في صفـوف يسودها النّظام في المسجد و يتّبعون زعـامة الإمام كلّ دقّة و احترام ، و لعمري إنّ منظرهم ليكون دائما بالغ الأثر في النّفس ؛ و هـذه لصّلاة الجامعة كوسيلة للنظام لا بدّ و أنّها كانت ذات أثر عظيـم في نفـوس أبنـاء لصّحراء المعتزّين بأنفسهم ... لقد رقّت في نفوسهم الشّعور بالمسـاواة الاجتماعيّـة ر الإدراك لفكرة المصالح المشتركة و توحيدها ، و لقد ساعدت على تقويّـة الأخـوّة ي مجتمع المؤمنين الّتي أحلّها دين محمّد نظريّا محلّ روابط الدّم ... و هكذا أصبحـت رض الصّلاة هي الأرض الأولى للتّدريب في الإسلام " [198].

---

[197] - متفق عليه ، و اللفظ لمسلم أخرجه في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ﷺ ثم الذين يلونهم ، ثم الذيـن يلونهـم ، ن عمران بن حصين ، 4603 .

[198] - طبارة عفيف عبد الفتاح ، روح الصلاة في الإسلام ، الطبعة الثامنـة ، (بـيروت : دار العلـم للملايـين ، 1978) ، ص 177 ، 178 . نقلا عن كتاب تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، الطبعة الثالثة ، ص 162 ، 163 .

و قد أحسن الإسلام الحنيف أيّما إحسان حينما جعل أمر الجمعة – صلاة و خطبة – من الواجبات العينيّة على كلّ مكلّفٍ ، وأوجب أن تكون في جماعة و جعلها من عزائم الدّين .

فلو لم تكن من الواجبات العينيّة لتساهل النّاس في أدائها و لربّما كان قليل القليل فحسب هم من يؤدّونها ، و لأصاب الدين من جرّاء ذلك ضمور و اضمحلال ، و لحدث انقطاع بين المسلمين وبين الإسلام في أوثق عراه .

و لو لم تكن من الواجبات الجماعيّة لصلاّها النّاس فرادى ولمسّ الدّين من أثر ذلك تغيير شائن وتحريف بائن .

و لو لم تكن من عزائم الدّين لانفلت النّاس عنها بحكم طبيعتهم وميلهم إلى التّرخّص ، ولحدث للدّين انزواء و انطواء أو ربّما فناء . فالجمعة – صلاة وخطبة – ممّا شرعه الله عزّ وجلّ لحفظ الإسلام وحفظ أمّته .

فإذا كان الله عزّ وجلّ قد تعهّد بحفظ دينه و شريعته ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [199] فإنّ ممّا حفظ به الله تعالى هذا الدّين إيجاب صلاة الجمعة ، وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل القادم .

ثانيا – مكانة الجمعة عند العلماء :

تُعتبر الجمعة من أهمّ الشعائر التّي حظيت باهتمام علماء الدّين منذ فجر الإسلام ، و لا غرابة في ذلك و قد نالت من قبل ذلك اهتماما خاصّا في القرآن الكريم و سنّة الرّسول ﷺ ، و سنّة الخلفاء الرّاشدين ﷺ و يمكن تجلية ذلك الاهتمام من خلال مظهرين اثنين و هما :

---

[199] – سورة الحجر ، الآية 9 .

أ – الاهتمام بها تأليفا :

إنّ الدّارس المتفحّص للتّراث الثّقافي الإسلاميّ حول ما كُتب عـــن موضـــوع الجمعة – صلاة و خطبة – يلحظ أنّها نالت عناية كبيرة في فكر العلماء على مختلـــف تخصّصاتهم ، و ما ذلك إلاّ أمارة على مكانتها العظيمة عندهم .

فقد اهتمّ بها المفسّرون إجمالا و هم يتصدّون لبيان ما جاء من ذكر عن الصّـــلاة و الدّعوة إلى الله و التّبليغ ، و تفصيلا و هم يفسّرون سورها .

و على الرّغم أنّ من المفسّرين منْ فسّرها بما لا يوحي أنّها أُنزلت حول موضوع واحد و هو الجمعة ، إلاّ أنّ الكثير منهم قد فسّرها على أساس الوحدة الموضوعيّة [200].

و اهتمّ بها علماء الحديث رواية و دراية و آثارهم في ذلك غنيّة ، حتّى إنّه يمكن جمعها في أسفار كثيرة . فما من مصنّف في السّنن إلاّ و قد عقد كتابا أو بابا لما ورد من أحاديث و أخبار و آثار حول الجمعة و ما يدور في فلكها من أحكام بـــالتفصيل [201]. و ما من شارح من شُرّاح تلك المصنّفات إلاّ و قد تعرّض لما ورد في الجمعة من آثـــار فشرحه و بيّـــنه .

و قد نالت الجمعة أيضا القسط الوافر من اهتمامات علمـــاء أصـــول الفقـــه و فروعه ، فراح الأصوليّون منهم إلى بيان ما يتعلّق بها من أدلّة و قواعـــد ، و حِكـــم و عِلل و مقاصد ، ما كان منها كلّيّا أو جزئيّا ، و إجماليّـــا أو تفصيليّـــا ، و أصليّـــا أو تبعيّا ؛ و ذهب الفقهاء منهم إلى بيان و تفصيل كلّ ما تعلّق بها من أحكام الوجـــوب و النّدب و الإباحة و الكراهة و التّحريم ، و غير ذلك .

---

200 – الألوسي شهاب الدين محمود ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، 10 ج ، (بيروت : دار الفكـــر ، 1402 هـــ/ 1983م) ج 28 ، ص 92 ؛ الغزالي محمد ، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكـــريم ، 3 ج ، الطبعـــة الأولى ، (القاهرة ، بيروت : دار الشروق ، 1415 هـــ / 1995) ، ج3 ، ص . سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج6 ، ص 3562 .

201 – أ – ي فنسك ، مفتاح كنوز السنة ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ، (بيروت : دار إحياء التراث العـــربي ، 1403هـــ/ 1983م) ؛ أ – ي فنسك و آخرون ، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .

و قد اعتنى الفقهاء بموضوع الجمعة بحرص كبير جدّا حتّى بالغ بعضهم في ذلك بإثبات شروط و فروض و أركان ينفيها التّدقيق والتّحقيق العلميّان . غير أنّ هذه المبالغات وإن كانت في ذاتها مَنْقصة تدعو إلى التعجّب [202]، إلاّ أنّها باعتبار آخر ، تدلّ على مدى اهتمامهم و عنايتهم بهذه الشّعيرة العظيمة .

و لم يقتصر الاهتمام بالجمعة على الأصناف السّابقة من العلماء ، بل شمل أيضا المؤرّخين الّذين دوّنوا في مصنّفاتهم تاريخ المساجد و رسالتها [203]، والأدباء الّذين اهتمّوا بالفطاحلة من الخطباء فدوّنوا لهم خطبهم الّتي ما زال الكثير منها بين أيدينا [204].

2 – الاهتمام بها من حيث التّوسُّل بها إلى الإصلاح :

و كما اهتمّ العلماء بالجمعة تصنيفا و تأليفا . فقد اهتمّوا بها من حيث كونها أهمّ وسائل التّغيير و الإصلاح ؛ وكيف لا يهتمّ العلماء بمنبر الجمعة وسيّد المصلحين و إمام المتّقين و خلفاؤه الرّاشدون و أصحابه الأكرمون قد اتّخذوه للدّعوة و التّبليغ و الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر وسيلة .

و بإلقاء نظرة على كتب سِيَر و طبقات العلماء العاملين ، و المصلحين الرّبّانيّين ، وبتتبُّع آثارهم وأخبارهم نجد أنّ معظمهم قد اتّخذ منابر الجمعة وسيلة في الإصلاح والتّغيير إلاّ ما كان من بعضهم الّذين منعتهم أسباب خاصّة أو منعهم الأمراء الجائرون .

---

[202] – الألباني محمد ناصر الدين ، الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة ، الطبعة الأولى ، (الجزائر : الدار السلفية ، 1410هـ) ص 77 .

[203] – حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد ، القاهرة : الدار العربية للكتاب) ، طه الولي ، المسجد في الإسلام ؛ عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ، الدارس في تاريخ المدارس ؛ علي حسني الخربوطي ، تاريخ الكعبة ... .

[204] – الجاحظ ، البيان و التبيين ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ج4 ص ص 57-151 ... .

الفصل الثاني

المقاصد الشرعية للجمعة

المبحث الأوّل : مفهوم المقاصد الشرعيّة

المبحث الثّاني: أهمّية دراسة الجمعة في ضوء مقاصد الشّريعة

المبحث الثّالث: المقاصد الشّرعية للجمعة من خلال نصوص الكتاب و السنة

المبحث الرابع: فعالية الجمعة في تحقيق مقاصد الشّريعة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

إذا كانت الجمعة قد استمدّت مكانتها السّامية وشرفها العظيم من كونها جمعت وألّفت بين عمودين من أهمّ أعمدة الإسلام وهما الصّلاة والدّعوة إلى الله ، فإنّ مقاصدها و غاياتها قد اشتقّت مكانتها وشرفها من مقاصد و غايات الصّلاة والدّعوة إلى الله ابتداءً ، و من مقاصد و غايات الشّريعة انتهاءً .

فممّا هو متّفق عليه بين العلماء أنّ للوسائل أحكام المقاصد ، فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل ، والعكس صحيح ." وكلّما قَوِيَت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة كان أجرها أعظم من أجرها نَقُصَ عنها ، فتبليغ رسالات الله من أفضل الوسائل لأدائه إلى جلب كلّ صلاح دعت إليه الرُّسل ، وإلى درء كلّ فاسد زَجَرت عنه الرّسل ، و التّبشير وسيلة إلى جلب مصالح الطّاعة والإيمان ، والإنذار وسيلة إلى درء مفاسد الكفر والعصيان "[1] ، ومن هذا المنطلق كانت الدّعوة إلى الله والصّلاة من الكلّيّات الضّروريّة في الشّريعة [2] ، ليس لأنّها شُرِعت لحفظ الدّين أو حفظ المصالح الضّروريّة الخمس فقط ، وإنما لحفظ كلّ المصالح ، ودرء كلّ المفاسد ، وهذا الأمر هو ما سنحاول بسطه في هذا المبحث إن شاء الله .

---

[1] - ابن عبد السّلام عز الدين عبد العزيز ، قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، 2ج ، الطّبعة 2 ، (بيروت : دار الجيل ، 1400هـ/1980م)، ج ص .

[2] - الشّاطبي ، الموافقات ، ج 2 ، ص 9 .

المبحث الأوّل

مفهوم المقاصد الشّرعيّة

أوّلا – المفهوم اللّغويّ :

1- المعنى اللّغويّ لكلمة مقاصد :

كلمة مَقَاصِد جمع مفرده مَقْصِد على وزن مَفْعِل كـ (مسجد) و (مجلس) فهو إذن ظرف مكان أيْ يدلّ على اسم المكان ، وهو هنا مكان مجازيّ وأصله قَصَدَ نقول : قَصَدْتُه وقَصَدْتُ له ، و قَصَدْتُ إليه و إليك قَصْدي و مَقْصِدي ، وبابك مَقْصِدي ، و أخذت قَصْدَ الوادي وقَصيد الوادي....

و قد استعملت العرب هذا اللّفظ بعدّة معان ورد بعضها في القرآن الكريم في ستّة مواضع منه ونلخّصها فيما يلي [3]:

- الطّلب و الإتيان .
- الغَرَض و الوِجْهة و الغاية .
- التّوسّط بين الإسراف و التّقتير . نقول : قَصَدَ في معيشته و اقْتَصَد فهو مُقْتَصِد من الاقتصاد.
- الاستقامة . نقول : اقْتَصَد فلان في أمره أي استقام ، وطريق قَاصِدة أي مستقيمة .
- القرب و السّهولة .
- العدل

---

[3] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج3 ، ص353 ، فصل الدال فصل القاف ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج1 ، ص 327 ، 328 ، باب الدال فصل القاف ؛ الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 367 .

و من مجموع هذه الدّلالات اللّغويّة نخلص إلى أنّ المعنى اللّغويّ العامّ لمقاصد الشّريعة هو :" مطالب الشّريعة و غاياتها في تحرّي الاستقامة و التوسّط وإقامة العدل" [4] ؛ وفي القرآن الكريم ما يدلّ على بعض هذه المعاني . قال تعالى: ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ [5] أي توسّط فيه بين الإسراع و الإبطاء ، و يعني أيضا اعتدل فيه ، ويَتْبع هذا في المعنى قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [6] وقوله:﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ [7]، وقوله : ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾ [8] . فكلّ هذه الآيات وردت بمعنى التّوسط والاعتدال .

وقد ورد بمعنى الاستقامة ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴾ [9] أي بيان الطّريق القاصد المستقيم . وورد بمعنى القرب والسّهولة واليسر والتّوسّط في قوله : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ﴾ [10] أي سفرا متوسّطا غير متناهي البعد [11].

---

[4] – سوابعة مخلوف ، " مقاصد الشريعة الإسلامية عند ابن عاشور " ، (رسالة ماجستير ، قسم الكتاب و السّنة ، معهد أصول الدّين ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، 1996) ، ص9 .

[5] – سورة لقمان ، الآية 19 .

[6] – سورة فاطر ، الآية 32 .

[7] – سورة المائدة ، الآية 66 .

[8] – سورة لقمان ، الآية 32 .

[9] – سورة النحل ، الآية 9 .

[10] – سورة التوبة ، الآية 42 .

[11] – الأصفهاني الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، ضبط و مراجعة : محمد خليل عيتاني ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار المعرفة ، 1418هـ/1998م)ص 419 .

2 – المعنى اللّغويّ لكلمة شريعة :

كلمة شَرِيعة مشتقّة من فعل شَرَع يشرع شرعا وشروعا ، واستعملت العرب هـذا اللّفظ في لسانها بمعاني كثيرة نذكر منها ما يلي [12]:

- مَوْرِد الماء أو مورد الشّاربة .
- الطّريق والمذهب الظّاهر المستقيم .
- الـــدّين والـــمِلّة والمِنهاج.
- السَّنُّ والوضع الإظهار .
- الابتداء في الأمر والخوض فيه .

و في القرآن الكريم ما يدلّ على بعض هذه المعاني ، منها قولـــه تعـــالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾ [13] وقوله : ﴿ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ [14] بمعنى السّنّ والوضع ، ومنها قوله تعالى :﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ [15] وقولـــه : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [16].

---

[12] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج8 ، ص ص 175–179 ، حرف العين فصل الشين ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيـــط ، ج3 ، ص44 ، باب العين فصل الشين ؛ الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 233 .

[13] – سورة الشورى ، الآية 13 .

[14] – سورة الشورى ، الآية 21 .

[15] – سورة الجاثية ، الآية 18 .

[16] – سورة المائدة ، الآية 48 .

ثانيا – المفهوم الاصطلاحيّ :

1– المفهوم الاصطلاحيّ لكلمة شريعة أو شرع :

عرّف المناويّ [17] الشّرع فقال : " الشّرع نهج الطّريق الواضح و استعير للطّريقة الإلهيّة في الدّين " [18].

وعرّف التّهانويّ [19] الشّريعة فقال : " هي ما شرع الله تعالى لعباده من الأحكام الّتي جاء نبيّ من الأنبياء صلّى الله عليهم و على نبيّنا وسلّم سواء كانت متعلّقة بكيفيّة العمل وتسمّى فرعيّة و عمليّة ، ودُوِّنَ لها علم الفقه ، أو بكيفيّة الاعتقاد و تسمى أصليّة و اعتقاديّه ، ودُوِّن لها علم الكلام ، وسُمِّي الشّرع أيضا بالدِّين و الملّة ، فإنّ تلك الأحكام من حيث أنّها تُطاع دِين و من حيث أنّها تُملى وتُكتب مِلّة ، و من حيث أنّها مشروعة شرع " [20].

ومن هنا يمكن القول بأنّ الشّريعة الإسلاميّة هي ما نزل به الوحي على سيّدنا محمد ﷺ من الأحكام الّتي تُصلح أحوال النّاس في دنياهم و آخرتهم سواء في ذلك أحكام العقيدة أو العبادة أو الأخلاق [21].

---

[17] – المناوي هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري من كبار العلماء بالدين و الفنون ولد عام 952 هـ/ 1554 م ، له مصنفات كثيرة منها : "فيض القدير في شرح الجامع الصغير "، توفي بالقاهرة عام 1031 هـ/ 1622 م.

[18] – المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف – معجم لغوي مصطلحي – تحقيق د/ محمد رضوان الداية ، (بيروت: دار الفكر المعاصر ؛ دمشق : دار الفكر) ، ص 428 .

[19] – التهانوي هو محمد أعلى بن شيخ علي بن قاضي محمد حامد الفاروقي (نسبة إلى عمر) السني الحنفي التهانوي (نسبة إلى قانة موطنه في الهند) ، وهو من علماء القرن 12 هـ/ 18 م ، نشأ في بيت علم و دين ، وكتب الكشاف في 1158/ 1745 .

[20] – التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، 4ج ، تحقيق د/ لطفي عبد البديع ، ترجمة النصوص الفارسية د/ عبد النعيم محمد حسنين (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1382هـ/ 1963 م) ، ج4 ص 24 .

[21] – يوسف قاسم ، مبادئ الفقه الإسلامي ص 22 .

2 – المفهوم الاصطلاحيّ لكلمة شرعيّ :

لفظ الشّرعيّ يجيء بمعنيين :

الأوّل: ما يتوقّف على الشّرع ، أي لا يدرك لولا خطاب الشّـــارع كوجـــوب الصّلاة و الصّوم والزّكاة ، و يخرج من هذا وجوب الإيمان بالله و تصديق النّـــبيّ ﷺ و... فإن أمثالها لا تتوقّف على الشّرع لتوقّف الشّرع عليها لأن ثبوت الشّرع متوقّف عليها فلو توقّف شيء من تلك الأحكام على الشّرع لزم الدّوْر .

الثّاني : ما ورد به خطاب الشّرع أي ما يثبت بالشّرع سواء كان موقوفـــا علـــى الشّرع أوّلا ، و إن كان لم يتوقّف على الشّرع[22].

ثالثا – المعنى الاصطلاحيّ للمركّب الإضافيّ مقاصد الشّريعة.

عرّف العلاّمة محمّد الطّاهر بن عاشور[23] المقاصد العامّة للشّريعة بقوله :"مقـــاصد التّشريع العامّة هي المعاني و الحِكم الملحوظة للشّارع في جميع أحوال التّشريع أو معظمها ، بحيث لا تختصّ ملاحظتها بالكون في نوع خاصّ من أحكام الشّريعة ، فيدخـــل في هـــذا أوصاف الشّريعة و غايتها العامّة ، و المعاني الّتي لا يخلو التّشريع عن ملاحظتها ، ويدخـــل في هذا أيضا معان من الحِكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظـــة في أنواع كثيرة منها "[24].

---

[22] – التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، ج4 ، ص 131 .

[23] – هو الإمام محمد الطاهر بن عاشور ولد بتونس عام 1879م ونشأ وتعلم ، تخرج بشهادة التطويـــع عـــام 1899م ، درّس في جامع الزيتونة وبعد من كبار علماء تونس المعاصرين فهو نحوي و لغوي و مفسر و أديب و مصلح اجتماعي ، شغل رئيـــس المفتـــين بتونس ، و كان عضوا في المجامع اللغوية ، له مصنفات و دراسات و أبحاث كثيرة ، منها : التحرير و التنويـــر " مقـــاصد الشـــريعة الإسلامية " أصول الإصلاح الاجتماعي في الإسلام " ... توفي عام 1973م (معجم المفسرين لنويهض) .

[24] – مقاصد الشريعة الإسلامية ، (تونس : الشركة التونسية للتوزيع) ، ص 51 .

و عرّفها العلاّمة علاّل الفاسي[1] قال : " المراد بمقاصد الشّريعة الغاية منها و الأسرار الّتي وضعها الشّارع عند كلّ حُكْم من أحكامها" [2].

وفي دراسة حديثة حول مقاصد الشّريعة ، استخلص صاحبها تعريفا للمقاصد مبنيًا على مختلف الاستعمالات و البيانات الواردة عن العلماء الّذين تحدّثوا في موضوع المقاصد فقال : " إنّ مقاصد الشّريعة هي الغايات الّتي وُضِعت الشّريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد " [3].

و عرّفها صاحب كتاب (خصائص التشريع الإسلامي في السياسة و الحكم) بقوله :" نعني بالمقاصد القيم الّتي تكمن وراء الصّيغ و النّصوص و يستهدفها التّشريع جزئيّات وكلّيّات"[4].

و عرّفها أحد العلماء فقال : " المراد بأهداف الشّريعة مقاصدها الّتي شُرعت الأحكام لتحقيقها ، و مقاصد الشّارع هي المصالح الّتي تعود إلى العباد في دنياهم و أخراهم سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو عن طريق دفع المضارّ" [5].

و من مجموع ما مرّ معنا من تعريفات لغويّة و اصطلاحيّة لكلمتَيْ مقصد و شريعة نخلص إلى أنّ المقاصد الشّرعيّة للجمعة هي : " الغايات و القيم العليا و الأهداف و المصالح و المعاني و الحكم و الأسرار و الأبعاد الدّنيويّة و الأخرويّة الّتي اعتبرها الشّارع الحكيم و لاحظها في تشريع شعيرة الجمعة ". و هذا التّعريف هو الّذي سنعتمد عليه في هذه الدّراسة إن شاء الله تعالى .

---

[1] – هو علال بن عبد الواحد الفاسي الفهري ولد عام 1908م بفاس ، تعلم بالقرويين و أصبح من كبار علماء المغرب ، كان من أشد المعارضين للإستعمار الفرنسي من كتبه : دفاع عن الشريعة ، تاريخ التشريع الإسلامي،توفي بتوخارست عام 1974م(الزركلي).

[2] – مقاصد الشريعة الإسلامية و مكارمها ، الطبعة الرابعة مصححة ، (الدار البيضاء – المغرب – : مطبعة النجاح الجديدة ، 1991م) ، ص 7 .

[3] – الريسوني أحمد ، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ، الطبعة الأولى ، (الرباط : دار الأمان ، 1411هـ/1991م) ، ص7 .

[4] –فتحي الدريني ، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة و الحكم ، الطبعة الثانية ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1407ه/1987م) ، ص 194 .

[5] – المقاصد العامة للشريعة ، الطبعة الثانية ، (الرباط : دار الأمان ، 1414 هـ/ 1993م) ، ص 79 .

المبحث الثّاني

أهميّة دراسة الجمعة في ضوء المقاصد الشّرعيّة

إنّ معرفة مقاصد الشّريعة عموما من أهمّ الموضوعات الّتي يساعد إبرازهـــا علـــى إعادة ثقة الأمّة بنفسها و بفقه علمائها ، و غايات و مقاصد شرائعها ، و يوضّح عظمـــة الشّريعة الإسلاميّة و امتيازها على بقيّة الشّرائع في تحقيق مصالح الخلـــق و درء المفاســـد عنهم ، و بيان الحِكم و العلل الكامنة وراء كلّ نصّ شرعيّ ، تصديقا و تحقيقا لحقيقـــة كبرى و هي أنّ الله تعالى ما خلق شيئا عبثا ، و ما ترك شيئا سدى[31] ، قـــال تعـــالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾[32] ، ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَبَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾[33] .

و بمعرفة مقاصد الشّريعة يصبح العقل المسلم عقلا غائيّا تعليليّا مقاصديّا ، يـــدرك أنّه ما من شيء في هذا الوجود إلاّ و له حكمة و مقصد[34] ، وما من حكم من أحكـــام الشّريعة إلاّ و له مقصد ، وما من نصّ شرعيّ ، آية من كتاب الله كان أو حديثا ثبت عن رسول الله ﷺ ، إلاّ وله مقصد ، سواء كان كليّا أم جزئيّا ، عامّـــا أم خاصّـــا ، ظـــاهرا أم باطنا .

هذا عن أهميّة علم مقاصد الشّريعة عموما ، أمّا عن أهميّة دراسة الجمعة في ضـــوء هذا العلم ، فإنّها تتبيّن و تتوضح بعد المقدّمات التّالية .

---

31 – طه جابر فياض العلواني " " ص 2 ، 3 . من تقديمه كتاب يوسف العالم ، المقاصد العامة للشريعة .

32 – سورة المؤمنون ، الآية 115 .

33 – سورة الحجر ، الآية 85 .

34 – طه جابر ، المرجع السابق .

- إنّ الوظيفة الوجوديّة للإنسان كما يقرّر ذلك القرآن الكريم هي الاستخلاف في الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [35].

- إنّ جوهر الاستخلاف الانسانيّ و مقصده الأسمى هو تحقيق العبوديّة لله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [36].

- إنّ الخلافة بمفهومها الحضاريّ ، هي تحقيق العبوديّة لله تعالى و السّيادة في الأرض ، عبر التّوافق و الانسجام مع سنن الله الكونيّة و التّشريعيّة ، و الاستمتاع بخيرات الأرض ، طاعة و شكرا ، و الاستعداد للقاء الله [37] .

- إن منهج الخلافة في مرحلتها الخاتمة هو الإسلام ممثلا بالوحي قرآنا و سنّة ، و إن الأبعاد الكبرى لهذا المنهج هو التّرقي الرّوحيّ و المعرفيّ و الأخلاقيّ و العمرانيّ [38].

- إنّ وضع الشّرائع و منها شريعة الإسلام هو لتحقيق مصالح العباد في العاجل و الآجل [39].

و بعد هذه المقدّمات يمكن بيان أهميّة دراسة الجمعة في ضوء مقاصد الشّريعة فيما يلي من النقاط:

أوّلا – استنباط مقاصد الجمعة من المقاصد العامّة للشّريعة .

فإذا كانت الشّريعة قد وضعت لمصالح العباد في العاجل والآجل فإنّ أيّ باب أو شعبة من هذه الشّريعة قد وضع لما وضعت له الشّريعة نفسها ، ومن هنا يعلم أنّ مقاصد الجمعة جزء من القاصد العامّة للشّريعة .

---

[35] – سورة البقرة ، الآية 30 .

[36] – سورة الذاريات ، الآية 56 .

[37] – برغوث الطيب ، " منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة المحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية " رسالة ماجستير ، ، شعبة الدعوة و الإعلام ، معهد أصول الدين ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر – 1992) ص 25 .

[38] – ن م ، ص 39 .

[39] – الشاطبي ، الموافقات ، ج2 ، ص 6 .

يقول الإمام الشّاطبيّ : " والمعتمد هو أنّا استقرينا من الشّريعة أنّها وضعت لمصالح العباد ... وإذا دلّ الاستقراء على هذا ، وكان في مثل هذه القضيّة مفيدا للعلم فنحن نقطع بأن الأمر مستمرّ في جميع تفاصيل الشريعة "[40].

ويقول في موضع آخر : " إذا ثبت أن الشّارع قد قصد بالتّشريع إقامة المصالح الأخرويّة والدّنيويّة وذلك على وجه لا يختل لها به نظام ، لا بحسب الكلّ ولا بحسب الجزء ، وسواء في ذلك ما كان من قبيل الضّروريّات أو الحاجيّات أو التّحسينات ، فإنّها لو كانت موضوعة بحيث يمكن أن يختلّ نظامها أو تخل أحكامها ، لم يكن التّشريع موضوعا لها ، إذ ليس كونها مصالح إذ ذاك بأولى من كونها مفاسد ، لكنّ الشّارع قاصد بها أن تكون مصالح على الإطلاق ، فلابدّ أن يكون وضعها على ذلك الوجه أبديّا وكليّا وعامّا في جميع أنواع التّكليف والمكلّفين وجميع الأحوال "[41].

من كلّ ما مرّ يمكن استنتاج ما يلي:

1. إنّ كلّ ما ورد في الجمعة من نصوص قرآنيّة أو سنّيّة ، إلاّ و له مقصد و حكمة في حياة الإنسان ، فردا أو في جماعة ، إمّا بدرء مفسدة عنه أو بجلب مصلحة له .
2. إنّ المقاصد التّفصيليّة لنصوص الجمعة تؤلّف فيما بينها ما يمكن أن نطلق عليه " نظرية مقاصد الجمعة " و هذه النّظريّة مع غيرها من النّظريّات تشكّل ما اصطلح عليه العلماء بـ" النّظريّة العامّة للشّريعة "[42].
3. إنّ تلك المصالح الّتي جاءت بها الشّريعة لتشريع الجمعة ليست مقيّدة بمكان معيّن أو زمان محدّد أو شخص بذاته أو جماعة بعينها ، و إنّما هي مصالح مطلقة فلا تقييد لها ، و أبديّة فلا تحديد لها ، و عامّة فلا تخصيص لها .

---

[40] - ن م ، ج2 ، ص 6 ، 7 .

[41] - ن م ، ص 37 .

[42] - جمال الدين عطية ، النظرية العامة للشريعة الإسلامية ؛ التنظير الفقهي ، الطبعة الأولى ، (مطبعة المدينة ، 1407هـ/ 1987 م) .

ثانيا – معرفة مكانة مقاصد الجمعة ضمن المقاصد العامّة للشّريعة

إنّ ممّا هو معلوم في الدّين بالضّرورة أنّ أحكام الشّريعة تتفاوت فيما بينها في الأهمّيّة، فليس ﴿ ... سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ [43]؛ لأجل ذلك قسّم العلماء أحكام الشّريعة إلى ما شُرع لحفظ الضّروريّات ، و إلى ما شرع لحفظ الحاجيات ، و إلى ما شرع لحفظ التّحسينات ، كما قسّموها باعتبارات أخرى ، إلى أحكام كلّيّة و أخرى جزئيّة ، و إلى أحكام قطعيّة و أخرى ظنّيّة ، و إلى غير ذلك من التّقسيمات ، كالفرض العينيّ و الكفائيّ ، و المسنون و المستحبّ ، و المكروه و الحرام [44].

و من هنا تتجلّى لنا أهمّيّة دراسة الجمعة في ضوء مقاصد الشّريعة ، في كونها تهدي و ترشد إلى تنظيم و ترتيب كلّ نصوص الجمعة و أحكامها حسب أهمّيّتها و آثارها ، فالأحكام الّتي شرعت لحفظ الضّروريّات هي الأهم و الأحقّ بالاعتبار و المراعاة ، و تليها مكمّلاتها ، ثمّ الأحكام الّتي شرعت لحفظ الحاجيات ، و تليها مكمّلاتها ، فالأحكام الّتي شرعت لحفظ التّحسينات ، ثمّ مكمّلاتها [45].

من ذلك يمكن استنتاج ما يلي :

1. إنّ على المضطلعين بالإصلاح و التّغيير أن يتمكّنوا في علم مقاصد الشّريعة و لو بالحدّ الأدنى منه .
2. إنّ على خطباء المساجد أن يفقهوا علم مقاصد الشّريعة عامّة و أن يتخصّصوا في علم مقاصد الجمعة على وجه الخصوص ، لأنّ هذا العلم هو الكفيل بتحقيق أهمّ الشّروط في مجال فقه التّغيير و هو ترتيب الأهداف ، فالأهداف الغائيّة (الإستراتيجيّة)

---

[43] – سورة التوبة ، الآية 19 .

[44] – جمال الدين عطية ، النظرية العامة للشريعة الإسلامية ، ص .

[45] – ن م ، ص .

هي الأوْلى في الاعتبار ثمّ تليها الأهداف المرحليّة ، و هذا ما يطلق عليه في مناهج الدّعوة " فقه الأولويّات ".

ثالثا – التّمكين من الفهم و التّنزيل الصّحيحين للنّص على الواقع

فإذا كانت نصوص الشّريعة – قرآنا و سنّة – لا يمكن أن تفهم الفهم الصّحيح ، و لا يمكن أن تنزّل التّنزيل الصّحيح ، الّذيْن أرادهما الله سبحانه و تعالى ، إلاّ بالضّوابط و الأدوات المنهجيّة اللاّزمة [46]، فإنّ إحدى أهمّها هو مبدأ اعتبار المقاصد الشّرعيّة و تقديرها .

فالعلم بمقاصد الشّريعة له – بالإضافة إلى غيره من العلوم الضّروريّة للفهم و التّنزيل – أهميّة كبرى في فهم النّصوص الشّرعيّة ، و الاجتهاد فيما لم يكن فيه نصّ صريح وفق المسالك الكشفية " الّتي تقوم أغلبها على قواعد الفهم النّصّيّ أو قواعد الاستقراء لما ورد منها ضمنيّا في ثنايا الأحكام الشّرعيّة "[47].

و كما لِعلم مقاصد الشّريعة أهميّة كبرى في الفهم ، فإنّ له مثيلتها في فقه التّنزيل الصّحيح للنّصوص على الواقع ، إذ لكلّ حكم من أحكام الشّريعة مقصد يهدف إلى تحقيقه في واقع النّاس ، و بتحقّقه في هذا الواقع تتحقّق للإنسان منفعة ، أو تدرأ عنه مفسدة [48].

و لا يخفى على ذي لبّ ما للحكم و مقصده من ترابط ، و ما لفهم الحكم و تنزيله على الواقع من علاقة .

---

[46] – النجار عبد المجيد ، فقه التدين فهما و تنزيلا ، 2ج ، الطبعة الأولى ، سلسلة كتاب الأمة رقم 18 (الدوحة : مركز البحوث و الدراسات برئاسة المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية ، 1410هـ) ، ج1 ، ص ص 90 – 98 .

[47] – ن م ، ج1 ، ص 106 .

[48] – النجار عبد المجيد ، " مسالك الكشف عن مقاصد الشريعة بين الشاطبي و ابن عاشور "، مجلة العلوم الإسلامية ، الجزائر – قسنطينة – جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية : رقم العدد 2 ، (1407هـ/1987م) ، ص25 ، 26 .

المبحث الثّالث

المقاصد الشّرعيّة للجمعة من خلال نصوص الكتاب و السنّة

لقد بيّن علماء مقاصد الشّريعة - بعد استقرائهم لمواردها - أنّ المقصد العامّ من بعث الرّسل و تنزيل الكتب و سَنّ الشّرائع ، إنّما هو حفظ نظام العالَم (الإنسانيّة) و استدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه و هو نوع الإنسان ، و ذلك بضبط تصرّفه فيه على وجه يعصم من التّفاسد و التّهالك ، و قد عبّروا عن ذلك بقاعدة كلّيّة و هي : إنّ الشّريعة متطلّبَة لجلب المصالح و درء المفاسد[49] .

و قد ساقهم هذا المنهج إلى تقسيم المصالح إلى مصالح ضّروريّة و حاجيّة و تحسينيّة ؛ و في ضوء هذا المنهج وهذا التّقسيم سنحاول بيان أهمّ ما شُرعت له الجمعة من المقاصد .

أوّلا - تشريع الجمعة لحفظ المصالح الضّروريّة :

يُقصد بالمصالح الضّروريّة في اصطلاح العلماء ما كانت الأمّة بمجموعها و آحادها في ضرورة إلى تحصيلها بحيث لا يستقيم النّظام بإخلالها و انخرامها[50] أوهي ما " لا بدّ منها في قيام مصالح الدّين و الدّنيا ، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، بل على فساد و تمارج و فوت حياة ، و في الآخرة فوت النجاة و النعيم ، والرجوع بالخسران المبين[51] . و قد مثّله العلماء بحفظ الدّين ، و النّفس ، و العقل و النّسل و المال ،

---

[49] - ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص 63 .

[50] - ن م ، ص 79 .

[51] - الشاطبي ، الموافقات ، ص 8 .

و الحرّيــة [52] و الكون [53] و هي أهمّ المقاصد الّتي شُرعت لأجلها الجمعة و بيــان ذلــك بأدلّته كما يلي :

1 – تشريع الجمعة لحفظ الدّين :

تتألّف صلاة الجمعة باتّفاق جمهور العلماء من الخطبة و من الصّلاة . و لمّا كانتــا هاتين الأخيرتين في معناهما الشّرعيّ أفضل أنواع الذّكر ، فإنّ هذا الأمر يجعل من صــلاة الجمعة من أكبر أصول العبادات ، و من المعلوم " أنّ أصول العبادات راجعة إلى حفــظ الدّين من جانب الوجود كالإيمان والنّطق بالشّهادتين والصّلاة والزّكاة والصّيام والحــج وما أشبه ذلك" [54] ، كالذّكر و التّذكير و الشّكر .

فالجمعة من حيث أنّها صلاة ، قُصد بها حفظ الدّين من جانب الوجــود ، إذ أنّ إيقاعها وإقامتها على رؤوس الأشهاد فيه إيجاد للدّين وإظهار له ؛ ومن حيث أنّها خطبــة قُصد بها حفظ الدّين من جانب الوجود و العدم معا .

فمن جانب الوجود شُرِعت الخطبة لبيان الدِّين الحقّ وتبليغه ، والدّعوة إليه كمــا أنزله الله عزّ وجلّ ، وكما بيّنه وبلّغه رسوله ﷺ .

و من جانب العدم شرعت لِحفظ تديّن آحاد المسلين وجماعاتهم أن يدخل عليه ما يفسده ، وذلك بنفي ما يفسد الدّين والتّديّن من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتــأويل الجاهلين .

---

[52] – ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، 130 .

[53] – برغوث عبد العزيز ، المنهج النبوي و التغيير الحضاري ، ص 48 ، 49 .

[54] – الموافقات ، ج2 ، ص 8 .

قال الشّيخ أبو الحسن النّدويّ [55]:" ... وقد كان للجمعة والجماعة ومحافظة المسلمين عليها في الأمصار والأقطار فضل كبير في سلامة هذا الدّين ، وسلامة الشّريعة الإسلاميّة والأوضاع الدّينيّة ، وبقائها على ما تركه عليها رسول الله ﷺ وأصحابه ، وبُعدها عن تحريف المحرّفين وعبث العابثين ، فلو كان المسلمون - أعاذهم الله عن ذلك - تركوا الجمعة والجماعة ، وانفردوا بعباداتهم و صلواتهم في بيوتهم ، وقاموا بها منفردين منعزلين مُوَزّعين مشتّتين ، لحُرّفت هذه الصّلوات ومُسخت مسخا كبيرا وأفقدها أصالتها ووضعها الأوّل ، وتنوّع المسلمون فيها ، وصاروا فيها فِرَقا وأقساما ، كما كانوا في كثير من مظاهر حياتهم المدنيّة ، وآدابهم الاجتماعيّة ، وكانت للصّلاة أنماط ونماذج محليّة وفرديّة ، كما كانت لليهود والنّصارى ، وكما هو معلوم وشائع في ديانات الهند وطوائفها الدينيّة ، فقد كانت هذه الجماعة عاملا كبيرا من عوامل وحدة المسلمين في العبادات وأحكام الدّين من التّحريف"[56].

أدلّة التّشريع :

الاستقراء الكلّيّ لنصوص الجمعة .

إنّ الاستقراء الكلّيّ لنصوص الوحي قرآنا وسنّة أفضى إلى نتيجة أساسيّة و هي أنّ المقصد الجوهريّ والمحوريّ لتشريع شعيرة الجمعة هو حفظ الدّين ، وقد مرّ بيان ذلك بكلام شيخ المقاصديّين الإمام الشاطبي .

أدلّة القرآن الكريم .

إنّ القرآن الكريم يدلّنا بما لا ريب فيه ، أنّ الجمعة إنّما شُرعت في أساسها لحفظ الدّين ، وقد جاء التّعبير القرآنيّ صريحا في الإعراب عن هذا المقصد بلفظ الذّكر ، قال

---

[55] - هو الشيخ ابو الحسن علي بن الحسن الندوي من سلالة الحسن بن علي ﷺ ، عالم معاصر ، ولد في (راي بريلي – لكنهو -) بالهند عام 1912 ، و هو من عائلة عريقة في النسب و العلم ، فأبوه هو العالم الشريف عبد الحي بن فخر الدين صاحب كتاب " نزهة الخواطر " ، و كانت أمه من حافظات القرآن و تؤلف ، تخرج في جامعة لكنهو ، سافر كثيرا و له مصنفات كثيرة (ترجم له الشرباصي في مقدمة كتاب " ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين) .

[56] - الأركان الأربعة ، ص 61 ، 62 .

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [57].

قال العلاّمة ابن عاشور وهو يفسّر هذه الآية والّتي بعدها : هـــذه الآيـــات هـــي المقصود من السورة (أي الجمعة) و ما قبلها مقدّمات لها ..." أوّل أغراضها ما نزلـــت لأجله و هو التّحذير من التخلّف عن صلاة الجمعة و الأمر بترك ما يشغل عنها في وقـــت أدائها "، ثم بيّن أنّ ما جاء قبل هذه الآية هو مقدّمات بين يدي الغرض الأساســـيّ ، ثمّ قال : " لأن الغرض الأوّل من السّورة ، التّحريض على شهود الجمعـــة و النّـــهي عـــن الأشغال الّتي تشغل شهودها " . [58]

أدلّـــة السّـــنّة .

إذا كان القرآن الكريم قد عبّر عن مقصد حفظ الدّين الذّي شُرِعت لأجله الجمعة ،بلفظ الذكر فإنّ السّنّة أيضا جاء تعبيرها عن هذا المقصد بلفظ الذّكر ، قال النّـــبيّ ﷺ : **" من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثمّ راح فـــي السّـــاعة الأولـــى فكأنمـــا قـــرّب بدنة ، ومن راح في السّاعة الثّانية فكأنّما قرّب بقرة ، ومن راح في السّاعة الثّالثـــة فكأنما قرّب كبشا أقرن ، ومن راح في السّاعة الرّابعة فكأنّما قرّب دجاجة ، ومـــن راح في السّاعة الخامسة فكأنّما قرّب بيضة ، فإذا خرج الإمـــام حضـــرت الملائكـــة يستمعون الذكر"** [59].

قال العلماء : " إنّ الذّكر المنصوص عليه في الآية هو بهذا الحديث الصّلاة والخطبـــة معا ، إذ لا شكّ أنّ الإمام إذا خرج ابتدأ بالخطبة ، فكانت بذلك الخطبة هي أوّل الذّكـــر وانقضاء الصّلاة هي آخره "[60].

---

[57] – سورة الجمعة ، الآية 9 .

[58] – ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج28 ، ص 205 ، 206 .

[59] – أخرجه الجماعة إلا ابن ماجة ، و اللفظ لمالك في الموطأ ، كتاب الجمعة ، باب العمل في غسل يوم الجمعة عن أبي هريرة ، رقم 209 .

[60] – القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج28 ، ص 107 .

و لمّا كان ذكر الله عزّ و جلّ على مقام محمود من الأهمّيّة جعله مقصدا عظيما لتشريع شعيرة من أهمّ شعائر الله المعظّمة و هي الجمعة ، فإنّه يجدر بنا أن نتساءل عن الحكمة من ذلك ؟

والجواب على ذلك يتجلّى و يظهر من وجهين :

- الوجه الأوّل : مقام الذّكر

فالذّكر أصل من أصول الدّين العظيمة بل هو الدّين كلّه [61]، و لهذا حوى القرآن الكريم عددا عظيما من الآيات المشتملة عليه بلغت ما يقارب اثنتين و ستّين و مائتين آية أو يزيد.

و حوت السّنّة النّبويّة الشّريفة كمّا هائلا و عظيما من الأقوال و الأفعال الدّالة على الذّكر و فضله و أنواعه و مواضعه و غير ذلك .

- الوجه الثّاني : شمول الجمعة لجميع أنواع الذّكر.

و ذلك بما تضمّنته من تلاوة للقرآن العظيم في الصّلاة ، و من تذكير في الخطبة ، فالقرآن الكريم هو أفضل الأذكار و أعظمها.قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ﴾ [62] و قال : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ [63] و قال : ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ﴾ [64].

---

61 - ابن بادیس عبد الحمید ، مجالس التذکیر من کلام الحکیم الخبیر ، (قسنطینة – الجزائر -: دار البعث) ، ص 28 .

62 -سورة الأنبياء الاية 50 .

63 - سورة القمر الاية 17 .

64 -سورة النمل الاية 91 ، 92 .

قال الشيخ الإمام ابن باديس[65] معلّقا على هذه الآيات : "فهذه البركـــة و هـــذا التّيسير ، و هذا الأمر بالتّلاوة المقرون بالأمر بتوحيد العبادة و بالإســـلام علـــى طريـــق الحصر ، لم ترِد إلاّ في القرآن" [66].

و القرآن الكريم هو أفضل الأذكار و أعظمها لأنّه شامل لجميع أنواع الذّكر القلبي و اللساني و العملي ، و في هذا قال الشّيخ أيضا : " إنّ أشرف حالَتَيْ الإنسان إنّما تحصل على أكملها لتالي القرآن العظيم ، فإنّ أفضل ما فيه و هو قلبه يكون قائما بأفضل أعمالـــه و هو التّفكّر و التّدبّر في أفضل المعاني ، و هو معاني القرآن و أنّ ترجمان ذلك و هو لسانه يكون قائما بأفضل أعماله و هي البيان بأفضل كلام و هو القرآن ، و جوارحه كـــانت قائمة بأفضل عبادة و هي الصّلاة في أشرف موقف و هو مناجاة الرّحمن بآيات القـــرآن "[67].

هذا عن القرآن الكريم و شموليته لجميع أنواع الذّكر ، أمّا التّذكير في خطبة الجمعة فيكفي به مثلةً قول الله تعالى عنه : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[68] ، و يكفي به شرفا أنّه وظيفة الرّسول ﷺ و من اتبعه . قال تعـــالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[69] ، و قـــال : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾[70] ، و يكفي بالتذكير رفعة و سموًّا أنّ روحـــه و محوره هو القرآن الكريم إمّا تلاوة أو تفسيرا.

---

[65] – هو الإمام المصلح عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي من كبار رجال التجديد و الإصلاح في العصر الحديث ، ولد بقسنطينة عام 1889م حفظ القرآن مبكرا ، تخرج في الزيتونة اشتغل بتعليم الصغار و الكبار ، أصدر الكثير من المجلات منها الشهاب و المنتقد ، أسس مع زمرة من علماء الجزائر جمعية العلماء التي كان لها الفضل الكبير في التمهيد لثورة الجزائر ، و انتخب رئيسا لها ، فسر القرآن تدريسا ، توفي عام 1940 .

[66] – مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، 30 .

[67] – ن م ، ص 40 .

[68] – سورة فصلت الآية 33 .

[69] – سورة يوسف الآية 108 .

[70] – سورة الغاشية الآية 21 .

2 – تشريع الجمعة لحفظ النّفس ، والعقل ، والنّسل ، والمال ، والحرّية ، والكون .

لا مِراء و لا جدال في كون خطبة الجمعة أعظم وسيلة للدّعوة إلى الله و تبليغ رسالته ، و الدّعوة إلى الخير و الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر ؛ و من المعلوم أنّ هذه الأمور من الأصول العظيمة في الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[71]، ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[72]، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[73] .

و بتفحّص هذه الأصول :

- الدّعوة إلى الله .
- الدّعوة إلى الخير .
- الأمر بالمعروف .
- النّهي عن المنكر .

و الّتي تعتبر خطبة الجمعة من أعظم وسائلها ، يتبيّن بوضوح أنّ تشريع الله عزّ و جلّ لهذه الشّعيرة قد قُصد به – إضافة إلى حفظ الدّين – حِفظُ بقية الكلّيّات الضّرورية الأخرى إنْ من جانب الوجود أو من جانب العدم .

فإذا كان المقصد العامّ من تشريع الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر هو حفظ الدّين وحفظ النّفوس و العقول والأموال والأنساب والحرّيات والكون ، فإنّ شعيرة الجمعة بتضمّنها للصّلاة والخطبة ، تكون لزاما راجعة إلى حِفظ ما حَفظ أصلها و هو الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

---

[71] – سورة آل عمران الآية 104 .

[72] –سورة آل عمران الآية 110 .

[73] –سورة فصلت الآية 33 .

فالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أعظم أصول الإسلام ، بل هما الإسلام نفسه كما قال العلماء ؛ جاء في كتاب فتح القدير :" كلّ آية ذكرها الله في القرآن في الأمر بالمعروف فهو الإسلام" [74]، وقال ابن حجر الهيثميّ [75]:" المراد بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر الأمر بواجبات الشّرع و النّهي عن محارمه" [76].

أمّا حفظ كليّة الدّين ، فقد مرّ بيان أهمّ معالمها ، وأمّا حفظ بقية الكليّات الضّروريّة ، فلا خفاء أنّ الجمعة وفقا للمراد الإلهيّ و التّطبيق النّبويّ ، مجال رحب لدعوة النّاس أفرادا وجماعات إلى حفظ النّفوس من التّلف والهلاك ، لأنّ العالم يتألف منهم ، وفي كلّ نفس خصائصها الّتي بها قوام أمر العالم ، ولأنّ المكلّفين لو عَدِموا عَدِم التّديّن .
وهي مجال فسيح لتنوير العقول ، بله الحثّ على حفظها من أن يصيبها خلل في نفسها أو وظيفتها ، لأنّ ذلك مؤدّ إلى فساد عظيم من عدم انضباط التّصرّف ، ناهيك عن كون انعدام العقل مفضٍ إلى انعدام التديّن أيضا ، وهكذا الأمر بالنّسبة لبقيّة الكلّيات .

ثانيا – تشريع الجمعة لحفظ المصالح الحاجيّة والتحسينيّة :

عرّف العلماء المصالح الحاجيّة بقولهم : هي ما تحتاج الأمّة إليه لاقتناء مصالحها وانتظام أمورها على وجه حسن ، بحث لولا مراعاته لما فسد النّظام ولكنّه كان على حالة غير منتظمة " [77]، وبوجه آخر هي :" ما يُفتقر إليها من حيث التّوسعة ورفع الضّيق المؤدّي في الغالب إلى الحرج والمشقّة اللاحقة بفَوْت المطلوب ، فإذا لم تُراع دخل على

---

[74] – الشوكاني محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير ،ضبط أحمد عبد السلام ، 5ج ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1415هـ/1994م) ، ج 2 ، ص 650 .

[75] – هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر المصري الهيثمي السعدي الشافعي ، ولد في محلة الهيثم (مصر) عام 909هـ، درس في الأزهر ، ثم رحل إلى مكة و استقر بها يفتي و يدرس و يؤلف إلى أن مات عام 974هـ. (معجم الطبوعات العربية ليوسف إلياس سركيس) .

[76] – ابن حجر الهيثمي ، الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ج2 ، الطبعة الأولى ، (القاهرة : المطبعة الأزهرية المصرية ، 1325هـ) ، ج2 ، ص140 .

[77] – ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص 82 .

المكلّفين – على الجملة – الحرج والمشقّة ولكنّه لا يبلغ مَبلغ الفساد العـــاديّ المتوقّـــع في المصالح العامّة "[78].

أمّا المصالح التحسينيّة فمعناها :" الأخذ بما يليق من محاســـن العـــادات و تجنّـــب الاحوال المدنّسات التّي تأنفها العقول الرّاجحات [79]" و بمعنى آخر هي :" ما كـــان بهـــا كمال حال الامّة في نظامها حتّى تعيش آمنة مطمئنّة و لها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم ، حتّ تكون الامّة الإسلاميّة مرغوبا في الاندماج فيها أو التّقرُّب منها [80]".

و يظهر تشريع الجمعة لحفظ ذين الصّنفين من وجهين :

الوجه الأوّل : من حيث أنّ الجمعة وسيلة فعالة لدعوة الأمّة لحفظ هذه المصالح .

فالجمعة – بحكم فرضيتها على عموم الأمّة – وسيلة فعّالة جدًا لتعريف المســـلمين بهذه المصالح وبيان أهميّتها و قيمتها في تحقيق العبوديّة لله ، و القيام بأعباء الاســـتخلاف ، وبالـــتّالي دعوتهم إلى مراعاتها بحسب ما يقـــتضيه التّرتيب العامّ للمصالح فيمـــا بينـــها ، و إلى إبعاد كلّ ما من شأنه التّأدية إلى إزالتها أو إفسادها أو تعطيلها ، سواء كان واقعـــا أو متوقّعا [81].

الوجه الثّاني : من حيث أنّ الأحكام الواردة في الجمعة تضمّنت هذه المصالح :

فقد تضمّنت الجمعة الكثير من الأحكام الشّرعيّة الحاجيّة و التّحسينيّة مثل التّطـــهّر و التّطيّب و التّجمّل بأحسن الثّياب و تنظيف و تجمير المســـاجد ، و مثـــل الاجتمـــاع للعبادة ، و التّعارف فيما بين المؤمنين و ما يحصل منه من نفع للمجتمع .

---

[78] – الشاطبي ، الموافقات ، ج2 ، ص 10 ، 11 .

[79] – ن م ، ص 11 .

[80] – ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص82 .

[81] – الريسوني أحمد ، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ، ص26 .

فلو تتبّعنا بالتّفصيل كلّ ما يقع في ليلة الجمعة و يومها من أفعال ، لوجدنا أنّ الكثير منها يندرج في باب الحاجيّات و التّحسينيّات الّتي قصد الشّارع الحكيم إلى حفظها .

...هذا وممّا يلاحظ في هذا الشأن هو أنّ جميع ما شرع الله عز و جلّ من مصالح حاجيّة و تحسينيّة للجمعة يصُبّ في خدمة المصالح الضّرورية ، لهذا ينبغي المحافظة على كلّ الأحكام لأنّ " في إبطال الأخفّ ، جرأة على ما هو آكد منه ، و مدخل للإخلال به ، فصار الأخفّ كأنّه حمًى للآكد ، والرّاتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، فالمخلّ بما هو مُكمِّل كالمخلّ بالمكمَّل من هذا الوجه ...والمتجرئ على الأخفّ بالإخلال به ، مُعرّض للتّجرؤ على ما سواه ...فإذًا قد يكون في إبطال الكمالات (الحاجيات و التحسينيات) بإطلاق إبطال للضّروريات بوجه مّا [82]" .

---

[82] - الموافقات ، ج2 ، ص21 ، 22 .

المبحث الرّابع

فعاليّة الجمعة في تحقيق المصالح الضّرورية و الحاجيّـــة والتّحسينيّة

لبيان فعالية أحكام الجمعة – صلاة و خطبة و يوما – في تحقيق المصالح الضّروريـة والحاجيـــة والتّحسينيّة للإنسان فردا و في جماعة و في أمّة ، هناك حقيقة ينبغي الانطـــلاق منها و هي :

إنّه لو لم تكن الجمعة على مقام محمود و مستوى راقٍ جدّا من الفعالية لما نصّبـــها الشّارع الحكيم للمساهمة في تحقيق أعظم مقاصد الوجود الإنسانيّ و هما مقصدا العبوديـــة و الاستخلاف .

و في ضوء هذه الحقيقة ، و من خلال البحث و التّفحّص لما ورد من أحكام فيـــها يمكن إرجاع فعاليتها إلى العوامل التّالية :

أوّلا – ربّانية أحكامها :

نقصد بربّانية أحكام الجمعة أنّها ربّانية في المصدر و الغاية[82]. فربّانية مصدرهـــا تعني أنّها نابعة من الوحي الإلهي (القرآن و السّنّة) ، و ربّانية غايتها تعني أنّـــها تهـــدف إلى تحقيق أكبر مقاصد الوجود الإنسانيّ و هو ربط الصّلة بالله عزّ و جلّ . و هذا العـــامل من أهمّ عوامل فعاليّة الجمعة ، و ذلك لما له من آثار فعّالة على رسالة الجمعة و وظيفتها ، و يمكن تلخيصه فيما يلي :

---

[82] – القرضاوي يوسف ، الخصائص العامّة للإسلام ، ص ص 9 –12 .

1. العصمة من التّناقض و التّطرّف[84]: فكون أحكام الجمعة من عند الله و كون غايتها و أهدافها هي ربط الإنسان بالله ، فهذا يجعلها معصومة من التّناقض و من ثَمّ يجعلها فعّالة في تحقيق رسالتها .

2. البراءة من التّحيّز و الهوى[85]: و كونها ربّانية في مصدرها و غايتها فهذا يترّهها عن أن تكون متحيّزة إلى شخص أو فئة ، و هو ما يزيد في فعاليتها ، فالإنسان من فطرته لا يخضع إلاّ لمن هو أقوى منه ، فكون أحكام الجمعة من عند القويّ العزيز ، و كونها تقصد إلى إرضاء هذا القويّ العزيز ، فهذا ممّا يؤثّر تأثيرا كبيرا على نفوس البشر لتحقيق مراد الله منهم في أحكام الجمعة .

3. الاحترام و سهولة الانقياد[86]: و كون الجمعة ربّانية فهذا من شأنه أن يجعل لها هالة من القدسيّة و الاحترام ، و من المعلوم أنّ التّقديس يجلب دوما الحبّ و الخضوع ، و هذين هما أساس كلّ فعاليّة لأنّهما يسهّلان الانقياد و التّنفيذ لما أراده الله من وراء أحكام الجمعة .

ثانيا – كمالها و تكاملها :

أمّا الكمال فقد تبيّن لنا أنّ أحكام الجمعة و مقاصدها شاملة بحيث أنّها تسعى لتحقيق و جلب كلّ مصلحة و خير ، و نفي و درء كلّ مفسدة و شرّ . ممّا يجعلها في غنى عن كلّ بدعة و محدثة يُقصد بها تكميل أحكامها ، أو تدعيم مقاصدها من عجز أو نقص .

و أمّا التّكامل فيظهر من خلال تكامل كلّ حكم في وظيفته و غايته مع الأحكام الأخرى ، مهما كان نوعه و درجته . فما من حكم من أحكامها أوجب شيئا

---

[84] – ن م ، ص 48 .

[85] – ن م ، ص 50 .

[86] – ن م ، ص 51 .

أو حرّمه ، أو ندب لشيء أو كرّهه ، إلاّ و هو يعود علـــى بقيّـــة الأحكـــام بالتّـــأييد و التّأكيد[87]. و يظهر ذلك من خلال تـــأييد مجمـــوع الأحكـــام المندرجـــة في درجـــة التّحسينيّات للأحكام المندرجة في درجة الحاجيّات ، و تأييد هاتين لما هو أعلـــى منـــهما و هو درجة الضّروريّات ،و تمحور الكلّ حول كلّية حفظ الدّين ، المعبَّر عنها بقوله تعالى: ﴿ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [88].

ثالثا – ابتناؤها على الفطرة :

إنّ ابتناء أحكام الشّريعة على الفطرة مسلّم به في ديننا ، فقد قال الله عزّ و جـــلّ : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾[89] ، و قد أفاض علماؤنا في بيان ذلك [90]؛ لهذا فإنّ المقام هنا ليس لتأكيد ما هو آكد ، مـــن أنّ أحكام الجمعة بُنيت على الفطرة ، و إنّما الغرض هو بيان كون هذه الخصوصية ممّا يزيـــد في فعاليتها في تحقيق ما شُرعت لأجله .

فالإنسان من طبيعته السّعي لتحقيق مطالب فطرته سواء كـــانت مطـــالب نفســـيّة أو جسميّة أو روحيّة ؛ فإذا ما تلقّى أمرا بفعل شيء ما يتنافى مع هذه الفطرة فإنّـــه ينفـــر منه ، الأمر الّذي يجعله غير فعّال في إنجازه و تحقيقيه ، أمّا إذا كان متوافقا مع فطرته فإنّـــه ينجذب إليه بفعاليّـــة .

و المتأمّل في كلّ أحكام الجمعة و مقاصدها وفق هذا المنظور ، يجدها كلّها نابعة مـــن الفطرة ، فالنّاظر المتفحّص في المقصد العامّ من تشريعها ، يلحظ لأول وهلة ، أنّه لا يعـــدو أن يساير حفظ الفطرة و الحذر من خرقها و اختلالها ، لهذا فإنّ كلّ ما يفضي إلى خـــرق فيها يُعدّ في الشّرع محذورا و ممنوعا ، و ما يفضي إلى حفظ كيانها يعدو واجبا .

---

[87] – الموافقات ، ج2 ، ص 16 ، 17 .

[88] – سورة الجمعة ، الآية 9 .

[89] – سورة الروم ، الآية 31 .

[90] – ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص ص 56 – 62 .

و الأمر جار على هذا المنوال في مقاصدها الأخرى ؛ فحفظ النّفـــوس و العقـــول و الأموال و الإنسان و الحرّيات و الكون من الفطرة ، و النّظافة و التّجمّـــل ، و الـــتّزيّن و الانتظام كلّها من الفطرة ، و هذا كلّه من شأنه تفعيل وظيفة الجمعة .

رابعا – سماحتها و يُسرها :

تعتبر السّماحة أوّل أوصاف الشّريعة و أكبر مقاصدها ، و هي في معناها راجعة إلى الاعتدال و العدل و التّوسّط و السّهولة و اليُسر ، و هي منبع الكمالات و بها وصـــف الله أمّة محمّد ﷺ [91]: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [92] .

و إذا كان هذا الوصف عامّا للشّريعة جملة ، فإنّ الاستقراء دلّ علـــى أنّ الأمـــر مستمرّ في جميع تفاصيله ، و من ذلك أحكام الجمعة ، فإنّ كلّ أحكامها جاءت ســـهلة سهلا محمودا لا حرج فيها و لا ضيق ، و هي لا تفضي بالإنسان إلاّ إلى خير ، فلا ضـــرر فيها و لا ضرار مطلقا ، و هي كلّها ملائمة و مناسبة لفطرة الإنسان .

قال ابن عاشور :" ... و قد أراد الله تعالى أن تكون شريعة الإسلام شريعة عامّـــة و دائمة فاقتضى ذلك أن يكون تنفيذها بين الأمّة سهلا ، و لا يكون ذلك إلاّ إذا انتفـــى عنها الإعنات ، فكانت بسماحتها أشدّ ملاءمة للنّفوس لأنّ فيها إراحة النّفوس في حـــالي خويصتها و مجتمعها " [93]. و هذا ما يجعل من الجمعة فعّالة في الوصول إلى إنجاز ما نِيـــطَ بها من أهداف .

---

[91] – ن م ، ص 60 – 62 .

[92] –سورة البقرة ، الآية 143 .

[93] – ابن عاشور ، م س ، 61 .

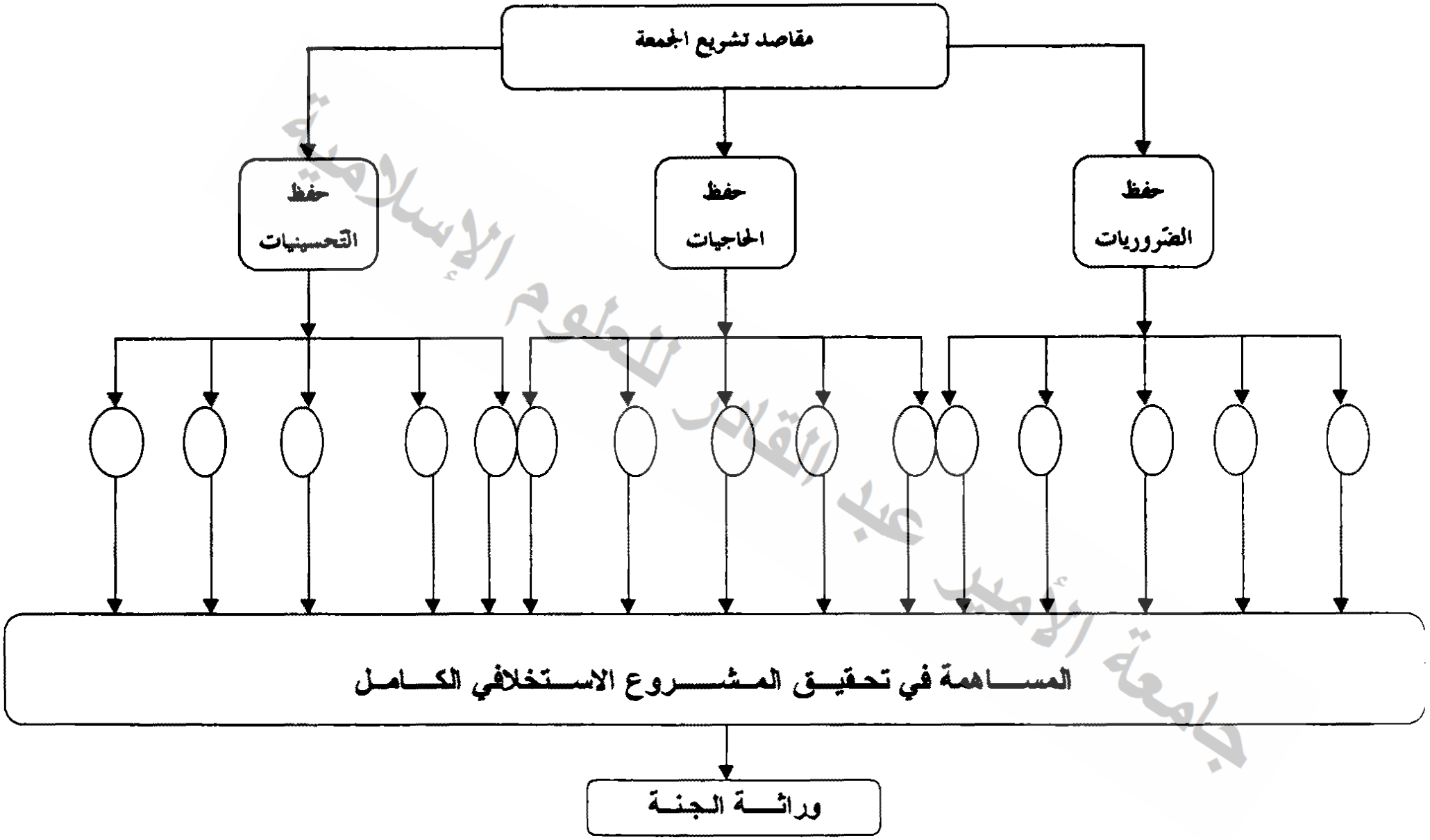
مقاصد تشريع الجمعة
حفظ الضّروريات
حفظ الحاجيات
حفظ التحسينيات
المساهمة في تحقيق المشروع الاستخلافي الكامل
وراثة الجنة

البَابُ الثَّانِي

الأَبعَادُ الإِعْلامِيَةُ

للجُـــمُعَةِ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

البعد التربوي و التعليمي للجمعة

المبحث الأول : مفهوم التّربية و التّعليم المنوطين بالجمعة

المبحث الثاني: أهداف التّربية و التّعليم المنوطين بالجمعة

المبحث الثالث: منهج الجمعة في تحقيق هذه الأهداف

المبحث الرّابع: فعالية الجمعة في تحقيق هذه الأهداف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

مفهوم التّربية و التّعليم المنوطَين بالجمعة

أوّلا- مفهوم التربية :

1-المفهوم اللغوي:

كلمة التّربية في اللّغة مشتقّة من فعل رَبا و رَبِيَ و رَبَبَ ، و هي من أصل واحد و هو رَبَبَ . تقول العرب : رَبا يَرْبو و رَبَّ يَرُبُّ ربًّا و ربابا ، و رَبَبَ يُرَبِّبُ رَبًّا و تَرْبيبا . و يقولون أيضا : تَرَبَّبَه و ارْتَبَّه و ربّاه تربية ، و قالوا : رَبِيَ و يَرْبى رَبا و تربية . و بالرّجوع إلى القواميس اللّغوية يمكننا تلخيص أهمّ معاني التّربية فيما يلي[1]:

- التّزكية (الزّكاء و الزّكاة) و الزّيادة و النّماء و الإتمام .
- الإصلاح و الحفظ و التّمتين و الرّعاية و الولاية و التّعهّد .
- النّشأة (التّنشئة) و التّرَعْرُع .
- الملك و السّيادة و السّوْس و الرّياسة .

ملاحظة

- من دلالات لفظ الرّبّ أنّه اسم وصِفة لله عزّ و جلّ ، و الله عزّ و جلّ هو ربّ الأرباب . و الرّبّ في الأصل بمعنى التّربية ، و هي تبليغ الشّيء إلى كماله شيئا فشيئا ثمّ وُصف به تعالى للمبالغة [2]، لأنّه هو المربّي المطلق ، و منه اشتقّ لفظ الرّباني و الرّبي و الرّبّي .

---

[1] - ابن منظور ، لسان العرب ، ج1 ص ص399-409 ، باب الباء فصل الراء ؛ ابراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج1 ، ص 331 ؛ الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 150 ، مادة (ر ب ب) ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ج1 ، ص 70 ، باب الباء فصل الراء .

[2] - البيضاوي ناصر الدين أبو الخير عبد بن عمر الشوازي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، (بيروت : دار الفكر ، 1402هـ/1982م) ، ص 3 .

- إنّ الله هو المربّي الحقّ على الإطلاق ، لأنّه هو خالق الفطـــرة و واهـــب المواهب ، و هو الذي سنّ سُننا لنموّها و تدرّجها و تفاعلها ، كمـــا أنّـــه شرع شرعا لتحقيق كمالها و صلاحها و سعادتها [3].

2 - المفهوم الاصطلاحي :

إنّ البحث عن مفهوم التّربية في الاصطلاح الشّرعي يقتضي أن يكون محـــدّدا في ضوء المرجعيّة الأساسيّة للمذهبيّة الإسلاميّة الممثّلة بالوحي الإلهيّ . و بالرّجوع إلى القرآن و السّنّة نجد أنّ موضوع التّربية قد أُحيط بعناية خاصّة منذ البدايـــات الأولى لنزول الوحي ، و ما ذلك إلاّ لكونه من المقاصد الضّروريّة الكبرى للشّريعة.

و قد عبّر القرآن الكريم و السّنّة النّبويّة عن التّربيـــة بمصطلحـــات و دلالات عدّة ، مثل التّزكية و الخُلق العظيم و الخلق الحسن و حسن الأدب ؛ كما جاء التّعبير عنها بالإشارة إلى وظائفها و خصائصها ، و بتحديد الصّفات الواجبة في حقّ القـــائم بها و هو المربّي ، المعبَّر عنه بالرّبانيّ و الرّبّي .

غير أنّ المصطلح الأكثر استعمالا من بين تلك المصطلحات هـــو التّزكيـــة ، و هو الذي عبّر به القرآن الكريم للدّلالة عن البعد التّربويّ للجمعة في سورة الجمعـــة حيث قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ . . . ﴾[4] ؛ لهذا يحسن بنا الوقوف على معانيه و دلالاته .

---

[3] - النحلاوي عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والأسرة والمجتمع . الطبعة الثانية ، (دمشـــق : دار الفكر ، 1403 / 1983 م) ص 14 .

[4] - سورة الجمعة ، الآية 2 .

3 – دلالـــة مصطلح التّزكيّة على المفهوم الاصطلاحيّ للتّربيّة :

يعتـــبر مصطلح التّزكية غاية في الدّلالة علـــى العمليّـــة التّربويـــة الشـــاملة و المتكاملة[5]. فمن حيث الدّلالة اللّغوية تفيد التّزكية ما تفيده التّربيـــة مـــن معـــاني النّماء و الزّيادة و البركة و الصّلاح و تقوية دوافع الخير[6] .

و من حيث الدّلالة الشّرعيّة ، فإنّ التّربية و التّزكية ما هما إلاّ مسمّيَيْن لحقيقـــة واحدة في موضوعها و منطلقاتها ، و في أهدافـــها و وســـائلها ، و في خصائصـــها و مقاصدها .

فإذا كانت التّربية في الإسلام هي إنشاء الإنسان و تبليغه شيئا فشيئا و حـــالا فحالا إلى حدّ التّمام و الكمال ، فإنّ التّزكية في حقيقتها ما هي إلاّ ذلك الإنشـــاء و التّنشئة لنفس الإنسان بتطهيرها من كلّ الأرجاس و تنميتها و إصلاحها بـــالتّدريج حتّى تبلغ إلى حدّ الكمال[7] .

قال صاحب تفسير المنار و هو يفسّر معنى التّزكية من قوله تعـــالى : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[8] ، قال :" عَلِم إبراهيم و إسماعيل- عليهما السلام - أنّ تعليـــم الكتاب و الحكمة لا يكفي في إصلاح الأمم و إسعادها ، بل لا بدّ أن يقرن التّعليـــم بالتّربية على الفضائل و الحمل على الأعمال الصّالحة بحسن الأســـوة و السّياســـة ، فقال : ﴿ ويزكّيهم ﴾ ، أي يطهّر نفوسهم من الأخلاق الذّميمة و ينـــزع منـــها

---

[5] – الغزالي محمد ، " نظرية التربية الإسلامية للفرد و المجتمع " ، بحث مقدم إلى ندوة خبراء أسس التربية الإســـلامية المنعقـــد بمكة المكرمة في جمادى الثانية 1400هـــ/ ، (شركة مكة للطباعة و النشر) ، ص1 ، في : آمال حمزة المرزوقـــي : النظريـــة التربوية و مفهوم الفكر التربوي الغربي ، الطبعة الأولى ، (جدة : تهامة) ، ص 85 .

[6] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج14 ، ص 358 ، 359 ، حرف الواو و الياء من المعتل ، فصل الزاي ؛ الزمخشري ، أســـاس البلاغة ، ص 193 .

[7] – التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ج3 ، ص4 ؛ ابن عاشور ، التحرير والتنوير ج1 ، ص 166 .

[8] – سورة البقرة ، الآية 129 .

تلك العادات الرّديئة و يعوّدها الأعمال الحسنة التّي تطبع في النّفوس ملكات النّمو و يبغّض إليها الأعمال القبيحة الّتي تغريها بالشرّ "[9].

و قال الشّيخ محمّد الغزاليّ :" حدّد القرآن الكريم عمل النّبيّ ﷺ بين النّاس في ثلاثة عناصر متماسكة ، هي تلاوة القرآن و التّزكية و التّعليم ... و التّزكية هي أقرب الكلمات و أدلّها على معنى التّربية ، بل تكاد التّزكية و التّربية ترادفان في إصلاح النّفس و تهذيب الطّباع ، و شدّ الإنسان إلى أعلى كلّما حاولت المثبّطات و الهواجس أن تسفّ به و تعوج "[10].

و من خلال المتابعة لمصطلح التّزكية في القرآن الكريم أمكن استخلاص الحقائق التّالية[11] :

- إنّ التّزكية هي إحدى وظائف ثلاث تشكّل رسالة محمّد ﷺ .

- و هي بنصوص القرآن الكريم و السنّة النبوية من أهمّ الفرائض العينيّة الواجبة على كلّ إنسان بالغ عاقل ، و لا نجاة و لا فلاح إلاّ بها ، و هو ما يدلّ عليه قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[12] ، ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾[13] .

- و هي في حقيقتها القرآنية شاملة لجميع الأعمال الصالحة ، سواء ما كان من أعمال القلوب كالإيمان بالله و حبّه و خشيته و ذكره و شكره ، أو ما كان من

---

[9] - محمد رشيد رضا ، تفسير المنار ، 12ج ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار المعرفة) ، ج1 ص 473 .

[10] - الغزالي محمد ، م س .

[11] - ورد مصطلح التزكية في القرآن الكريم بمختلف اشتقاقاته 59 مرة .

[12] - سورة الشمس ، الآية 9 ، 10.

[13] - سورة طه ، الآية 75 ، 76 .

أعمال الجوارح مثل الصلاة و الصوم و الزكاة ، و بالجملة فإنّ كلّ عمل تحقّق فيه شرطا الإخلاص و الصّواب فهو من أعمال التّزكية[14] .

- و التّزكية في الإسلام في بعدها الدّعوي لا يقتصر الاضطلاع بها على الرّسول ﷺ فحسب و إنّما هي رسالة أتباعه أيضا ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ... ﴾[15] .

ثانيا – مفهوم التّعليم (تعليم الكتاب و الحكمة) :

1-المفهوم اللغويّ :

كلمة تعليم مشتقّة من فعل عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًا ، و العلم نقيض الجهل ، نقول : عَلِمْتُ الشيء أَعْلَمُه أي عرفته . قال في اللسان : عَلِمَ و فَقِهَ أي تَعَلَّمَ و تَفَقَّهَ ، و عَلُمَ و فَقُهَ أي ساد العلماء و الفقهاء . و يقال : عَلَّمه العِلْمَ و أَعْلَمَه إيّاه فتَعَلَّمَه ، و يقال : تَعَلَّمْ في موضع اِعْلَم[16] .

2 – المفهوم الاصطلاحيّ :

أ) تعليم الكتاب :

عرّف العلماء الكتاب في الشّرع فقالوا :" هو كلام من كلام الله تعالى فيه هدي و نور ، يوحي الله به إلى رسول من رسله ليبلّغه للنّاس . و يطلق أيضا على ما يشمل الصّحف و الألواح و جميع أنواع الوحي اللفظيّ أو الكتابيّ الّتي يترّلها الله على أيّ رسول من رسله ليبلّغها إلى النّاس و بأيّة لغة من اللغات نزلت ، صغيرة

---

[14] – علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ، التصفية و التربية و أثرهما في استئناف الحياة الإسلامية ، الطبعة الثانية ، (الرياض : دار التوحيد ، 1414هـ) ، ص 57 ، نقلا عن : عبد الرحمن عبد الخالق ، الأصول العملية للدعوة السلفية ، ص38

[15] – سورة يوسف ، الآية 108 .

[16] – ابن منظور ، لسان العرب ، ص 417 ، 481 .

كانت أو كبيرة ، مدوّنة أو غير مدوّنة ، فيها صفة الإعجاز اللفظيّ للنّاس أو ليس فيها ذلك "[17].

و قد ذُكر الكتاب مقرونا بالتّعليم سبع مرّات ، منها أربع مرّات بمعنى القرآن ، منها الآية الّتي في سورة الجمعة و الّتي هي محلّ شاهدنا على البعد التعليميّ للجمعة . و لهذا فإن المقصود بتعليم الكتاب هنا هو تعليم القرآن الكريم باتّفاق المفسّرين .

غير أنّ السّؤال الّذي يطرح نفسه هنا هو : هل المقصود بتعليم القرآن :

- تعليم قراءته و كتابته ؟
- أم تعليم تلاوته و تحفيظه ؟
- أم تعليم أحكامه ؟
- أم تعليم معانيه ؟
- أم تعليم مقاصده و أسراره ؟

إنّ للمفسّرين في معنى تعليم الكتاب وجوه كثيرة .

فمن قائل أنّه تعليم قراءته و كتابته ، و إلى هذا ذهب صاحب (تفسير المنار) فقال : " تعليم الكتاب أي الكتابة الّتي يخرجون بها من ظلمة الأمّيّة و الجهل إلى نور العلم و الحضارة [18]، فهذا الدّين الّذي جاء به محمّد ﷺ قد اضطرّهم إلى تعلّم الكتابة بالقلم ، و أخرجهم من الأمّيّة ، لأنّه دين حثّ على المدنيّة و سيّاسة الأمم ، و كان أوّل حاجتهم إلى تعلّم الكتابة وجوب كتابة القرآن ... و كان النّبيّ ﷺ يأمرهم بتعلّم الكتابة "[19].

---

[17] – الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة ، العقيدة الإسلامية وأسسها ، الطبعة السابعة ، (دمشق : دار القلم ، 1415هـ/1994م) ص 466 .

[18] – محمد رشيد رضا ، ج2 ، ص 28 .

[19] – ن م ، ج3 ، ص 222 ، 223 .

و منهم من قال إنّ تعليم الكتاب قصد به تعليم تلاوتـه و حفظ ألفاظـه ، قال الإمام الرّازيّ [20]: " المراد أنّه (أي النّبيّ ﷺ) يـأمرهم بتـلاوة الكتـاب .. و ذلك لأنّ التّلاوة مطلوبة لوجوه منها :

- بقاء لفظه على ألسنة أهل التّواتر ، فيبقى مصونا من التّحريف و التّصحيف .
- أن يكون لفظه و نظمه معجزا لمحمّد ﷺ .
- أن يكون في تلاوته نوع عبادة و طاعة .
- أن تكون قراءته في الصّلوات و سائر العبادات نوع عبادة "[21].

و هناك من ذهب إلى كون تعليم الكتاب هو تعليم معـانيه و حقائقه و أحكامـه و مقاصده . و في هذا قال الرّازيّ :"... و يعلّمهم معـانيه و حقائقـه ... إنّ الحكمة العظمى و المقصود الأشرف تعليم ما فيه من الدّلائل و الأحكام ، فـإنّ الله وصف القرآن بكونه هدى و نورا بما فيه من المعـاني و الحكم و الأسرار"[22] .

و قال ابن عاشور :" يعلّمكم الكتاب ، أي يعلّمكم الشّريعة ، فالكتاب هنـا هو القرآن باعتبار كونه كتاب تشريع ، لا باعتبار كونه كتابا معجزا ، و يعلّمكـم أصول الفضائل . و تعليم الكتاب هنا هو تبيين مقاصده ، و أمرهم بحفـظ ألفاظـه لتكون معانيه حاضرة عندهم "[23].

و من المفسّرين من ذهب إلى أنّ تعليم الكتاب هو تعليم شامل ، و في هذا قـال الشّيخ الغزاليّ : " إنّ معنى تعليم الكتاب المشار إليه في الآية هو تنوير الذّهن بما يفتقر إليه من هدايات كثيرة في عالم الغيب و الشّهادة ، أي في عالم المـادّة و مـا وراء

---

[20] –هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي التيمي البكري فخر الدين من سلالة أبي بكر ، ولد عام 544هـ في الري ، و هو من علماء الشافعية ، لقب شيخ الإسلام ، أتقن علوما كثيرة ، من مصنفاته :" مفاتيح الغيب " ، " نهاية الايجاز في دراية الاعجاز " ، توفي في هراة عام 606هـ ر.

[21] – الرازي ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، 16ج ، الطبعة الثالثة ، (بيروت : دار الفكر ، 1405 / 1985 م) ج2 ، ص 73 .

[22] – ن م ، ج2 ، ص 73 .

[23] – التحرير والتنوير ، ج2 ، ص 49 .

المادّة ، فالقرآن الكريم كتاب تضمّن علوما كثيرة في العقائد و التّشريع و التّـــاريخ و الأخلاق و غيرها "[24].

وبالرّجوع إلى السّنة النّبوية الشّريفة باعتبارها النّموذج التّطبيقي الأمثل للقـرآن الكريم نجد أنّ تعليم الكتاب يشمل كلّ تلك الوجوه ، لأنّها غير متنافيّة فيما بينـها ، بل إنّ مجموعها يشكّل مراتب في التّعلّم يفضي أوّلها إلى أوســطها ، وأوســطها إلى آخرها ، فكلّ تلك الوجوه مطلوبة شرعا و قد مارسها الرّسول ﷺ .

و ممّا يدلّ على أنّ تعليم الكتاب تعليم شامل ، هو أنّ القرآن متوجّه به لكـــل النّاس ، و ما دام النّاس من أصل فطرتهم متفاوتون في الإدراك و العلم ، فإنّ تعليمهم الكتاب يكون بحسب مراتبهم . و في قول الله عزّ و جلّ : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ ... ﴾[25] قرينة على أنّ معنى تعليم الكتاب تعليم شامل ، إذ أنّ الأمّيّة لهـا دلالات كثيرة تدلّ في مجموعها على أنّها مراتب و مستويات ، و هذا يقتضـــي أن يكون لكلّ نوع من أنواعها ما يناسبها من التّعليم [26].

غـــير أنّ ممّا يجب لفت الانتـــباه إليه هو أنّ تعليم الكتاب بجميع مراتبه ليـــس مقصودا لذاته ، و إنّما يُقصد به الاهتداء بهديـــه و الحكم بـــه و الاحتكـــام إليـــه مصداقا لقول الله عزّ و جلّ : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾[27]، و قولـه : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ... ﴾[28]، و قوله : ﴿ ... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[29]، ﴿ ... وَمَنْ

---

[24] – الغزالي محمد ، نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع ، ص 1 .

[25] – سورة الجمعة ، الآية 2 .

[26] – أنظر الفصل الثاني من الباب الرابع .

[27] – سورة البقرة ، الآية 2 .

[28] – سورة البقرة ، الآية 185 .

[29] – سورة المائدة ، الآية 44 .

لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[30] ﴿ . . . وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[31] . وهذا ما يجعل ارتباط التّعليم بالتّربية ضرورة مُلحّة .

ب) تعليم الحكمة :

ورد لفظ الحكمة في القرآن الكريم عشرين مرّة ، وجاء اقترانها مع الكتاب أحد عشر مرة ، و جاء الأمر بتعليمها مع القرآن نفسه في أربعة مواضع ، منها الآية الّتي في سورة الجمعة موضوع هذه الدراسة وموضع الشّاهد فيها على البعد التعليميّ للجمعة ، و ظاهر من المواضع الأربعة السّالفة الذّكر أنّ تعليم الحكمة مع الكتاب هو من العناصر الثّلاثة الّتي تُكوّن رسالة الرّسول ﷺ وغاياتها الرّئيسية[32] .

و الحكمة – كما بيّن العلماء – من خصائص النّبوّات الّتي تسوس النّاس و تنمّي ملكاتهم النّفسيّة و تنظّم صفوفهم في طاعة الله بشتّى التّوجيهات[33]، و هذا ما تشير إليه الآيات ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[34] ، و قال تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾[35]، و قال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ

---

[30] – سورة المائدة ، الآية 45 .

[31] – سورة المائدة ، الآية 47 .

[32] – الغزالي محمد ، سر تأخر العرب والمسلمين ، (قسنطينة – الجزائر – : دار البعث ، 1406 هـ/ 1986 م) ص108 .
عبد الرحمن عبد الخالق ، الأصول العملية للدعوة السلفية ص 38 .

[33] – الغزالي محمد ، المرجع السابق ،ص 109 .

[34] – سورة آل عمران ، الآية 81 .

[35] – سورة النساء ، الآية 54 .

دَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[36].

و قد جاءت كلمة الحكمة في سورة الإسراء بعد مجموعة من التّوجيهات الدّينية و الاجتماعيّة و الاقتصاديّة و السّياسيّة و العلميّة و المنهجيّة و النّفسيّة و الأخلاقيّة و غيرها ، امتدّت من الآية الثانية و العشرين إلى الآية التّاسعة و الثّلاثين التي قال فيها : ﴿... ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ...﴾[37].

و جاءت الحكمة في سورة"لقمان": ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ... ﴾[38] ، ثمّ شرع لقمان يفصّل تلك الحكمة في مجموعة من التّوجيهات شبيهة بما ورد آنفا في سورة "الإسراء" .

و قد جاء ذكر للحكمة في سورة "النّحل" على أنّها من أهمّ ما يجب اعتباره في الدّعوة إلى الله عزّ و جلّ ، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾[39] ، و قد ذكر الله سبحانه في سورة البقرة تنويها عظيما بالحكمة ، و ذكر أنّ مَن أوتيها من فرد أو جماعة فقد أوتي خيرا كثيرا ، قال تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[40]، وقد توسّطت الحكمة في هذه الآية آيات كثيرة تحثّ على حسن الإنفاق في طرق الخير ، وعلى التّكافل الاجتماعيّ بما يقضي على ظاهرة

---

[36] – سورة ص ، الآية 20 .

[37] – سورة الإسراء ، الآية 39 .

[38] – سورة لقمان ، الآية 12 .

[39] – سورة النحل ، الآية 125 .

[40] – سورة البقرة ، الآية 269 .

الفقر في المجتمع ، كما تحثّ على حسن البناء الاجتماعيّ والتّنظيم الاقتصاديّ للمجتمع .

من تلك الآيات وفي ضوئها يمكن استنتاج ما يلي:

- إنّ الحكمة من العلوم الّتي أوجب الإسلام على الأمّة تحقيقها بالتّعليم والتّعلم إن على مستوى أفرادها أو جماعاتها ، وهي بنصوص القرآن الكريم من الوظائف الأساسيّة والمقاصد الرّئيسية الّتي أُرسل الرّسول ﷺ لأجلها ، وأنّها وظيفة من اتّبعه .

- إنّ ذكر الوظائف الأساسيّة الّتي أُرسل لأجلها الرّسول ﷺ - والتي من ضمنها تعليم الحكمة -- في سورة " الجمعة "، فيه قرينة على أنّ من الوظائف الأساسيّة لمؤسّسة المسجد عموما ، و الجمعة على وجه الخصوص تعليم الحكمة ، و هو ما يُستنتج منه أنّ من أهمّ المواصفات الّتي يجب أن يتّصف بها المضطلع بالإمامة و الخطابة أن يكون قد تعلّم الحكمة حتّى يتمكّن من تعليمها .

- إنّ الحكمة مفهوم واسع الدلالات ، رحب المعاني ، فهي كما تبيّن تشمل توجيه الإنسان فردا و في أسرة و في جماعة ، و تشمل التّوجيهات في جميع مناحي الحياة .

- إنّ الغاية العظمى من التّوجيهات الّتي تشملها الحكمة هي التّماسك و التّوازن الاجتماعيين ؛ قال الشّيخ محمّد الغزاليّ :" إنّ هذه الحكمة رحبة الدّلالة ، و لكنّها تضمّ أوّل ما تضمّ التّوجيهات و التّقاليد الّتي تتماسك بها الجماعة كما يتماسك الجسم بجهاز عصبيّ ... و أحسب أنّ الحكمة هي المعنى الباطن لكلمة الميزان ، أي الجانب النّظري ، و أنّ الميزان هو الجانب العمليّ لكلمة الحكمة ، و قد وردت كلمة الميزان في مواضع من الكتاب العزيز منها قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ... ﴾[41] و قوله عزّ و جلّ : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ

[41] - سورة الشورى ، الآية 17 .

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ... ﴾[42]، و المعنى الذي لا محيص عنه أنّ المجتمع لا بدّ أن يتوازن بالعدل و يترابط بالحكمة"[43] .

"و مجموع الآيات الّتي وردت فيها الحكمة و الميزان تعطينا منهجا ، أنّ الأمّة لابدّ أن يكون لها من الرّؤية القرآنية الّتي تستنبطها من مجموع الآيات سيّاسة قرآنيّة : كيف تحكم الشّعب وكيف تنزّلها على واقع النّاس ، أي كيف يُنَزّل الفكر القرآنيّ على واقع عمليّ ، فالكتاب هو القيم و المبادئ الموحى بها ، و الميزان هو التّجسيد العمليّ أو الواقع التّنفيذيّ البرامجيّ لهذه القيم و المبادئ "[44]. لهذا فسّر بعض العلماء الحكمة بالتّعاليم المانعة من الوقوع في الخطأ و الفساد و بأنّها إتقان العلم و إجراء الفعل وفق ذلك العلم[45] .

استنتاج

اتّضح ممّا سبق أنّ وظيفة تلاوة الآيات و وظيفة التّزكية و وظيفة تعليم الكتاب و الحكمة ، هي عناصر الرّسالة الّتي أرسل الله لأجلها محمّدا ﷺ ، و هي بنصّ القرآن الكريم رسالة الدّعاة إلى الله ما داموا هم ورثة الأنبياء .

و المتأمّل في هذه الوظائف من خلال الرؤية القرآنية يستخلص أنّها هي وظائف الرّبّانيّ ،"لأنّ الرّبانيّين هم المؤهلون للاستمرار على ما مات عليه الرّسل عيهم السلام " [46].

و الرّبّانيّ من المصطلحات القرآنيّة الدّالّة على الوظيفة التّربوية الكاملة ، فالرّبّاني هو المنسوب إلى الرّبّ بزيادة الألف و النون ، للمبالغة، و قيل :" هو من الرّب بمعنى التّربية ، كانوا يربّون المتعلّمين بصغار العلوم قبل كبارها، و الرّباني هو

---

[42] – سورة الحديد ، الآية 25 .

[43] – الغزالي محمد ، سر تأخر العرب و المسلمين ، ص109 ، 110 .

[44] – الغزالي محمد ، كيف نتعامل مع القرآن ، (الجزائر : دار الانتفاضة للنشر والتوزيع) ص 103 .

[45] – ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج2 ، ص 49 ؛ ج3 ، ص 61 .

[46] – سعيد حوى ، إحياء الربانية ، الطبعة الرابعة ، (بيروت : دار السلام ، 1403هـ/1984 م) ، 18 .

العالم الرّاسخ في العلم و الدّين أو الّذي يطلب بعلمه وجه الله ، و قيل: هو العـــالم العامل المعلّم[47] .

و قد حدّد القرآن الكريم أهمّ مواصفات الربّانيّ في أربع مواضع و هي :

الموضع الأوّل :

قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[48] .

الموضع الثّاني :

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[49] .

الموضع الثّالث :

قال تعـــالى : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[50] .

---

[47] – ابن منظور ، لسان العرب ، ص 403 ، ص 404 ؛ التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ، ج3 ، ص3 ، 4 .

[48] – سورة آل عمران ، الآية 146 ، 147 ، 148 .

[49] – سورة المائدة ، الآية 44 .

[50] – سورة المائدة ، الآية 63 .

الموضع الرابع :

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[51] .

من هذه الآيات تتلخص أهمّ مواصفات الرّبانيين فيما يلي :

- الدّعوة إلى توحيد الله عزّ وجلّ .
- العلم بالكتاب و تعليمه .
- الدّرس والتّدريس .
- الحكم بما أنزل الله .
- الحفظ لكتاب الله .
- الشّهادة على النّاس في الحكم بما أنزل الله .
- الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر .
- التّضحيّة والجهاد في سبيل الله .
- الاستعلاء والعزّة بالله .
- الصّبـــر .
- العزم و الــثّبات على الحقّ ...

و كلّ هذه المواصفات تتحقّق بتلاوة الآيات و التّزكيّة و تعليـــم الكتـــاب و الحكمة [52].

من كلّ ما سبق و في ضوئه يمكن استنـــتاج :

إنّ المسؤولين المضطلعين بوظيفة الدّعـــوة إلى الله عمومـــا ، و الخطابـــة في المساجد خصوصا ، أن يتّصفوا بمواصفات الرّبانيّ ، ليس فقط لأهمّيتـــها ، و إنّمـــا

---

[51] – سورة آل عمران ، الآية 79 .

[52] – سعيد حوى ، إحياء الربانية ، ص ص17-22 ؛ 40 – 44 .

لكون الربّانيّة و تكوين الربّانيين هي الرّسالة المنوطة به و هو مـــا ســـيأتي بيانـــه في أهداف التّربية و التّعليم .

ج) علاقة التربية (التزكية) بالتعليم (تعليم الكتاب و الحكمة) :

اتّضح أثناء عمليّة التّحليل لمفهوميْ التّزكية و تعليم الكتـــاب و الحكمـــة في ضوء القرآن الكريم ، أنهما متداخلان فيما بينهما تداخلا كبيرا ، و السّبب الرّئيـــس في ذلك يعود إلى خصائص المنهج الإسلاميّ في التّربية و التّعليم .

فمن أهمّ تلك الخصائص أنّ الإسلام يدمج بين العمليّة التّربويّـــة و العمليّـــة التعليميّة دمجا ، لكأنّ التّربية فيه هي التّعليم ، و التّعليم فيه هو التّربية .

فكثيرا ما يربط القرآن الكريم بين العمليتين في وحدة متجانسة ، و الأمثلـــة على ذلك كثـــيرة ، مثـــل قولـــه تعـــالى: ﴿ ... وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ...﴾[53] ، ﴿ ... وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ...﴾[54] ، ﴿ ...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ...﴾[55] .

إنّ التّزكية (التّربية) في الإسلام لا يمكن أن تكون بغـــير تعليـــم الكتـــاب و الحكمة ، وتعليم الكتاب و الحكمة لا يمكن أن يكون بغير تزكية ، الشيء الّـــذي يجعل من غير الممكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر . لكن ما يجب ملاحظته أنّ العلـــم في الإسلام ليس مقصودا لذاته و إنّما لغيره ، بينما التّزكية (التّربية) تقصد لذاتهـــا ، فالتّربية بمعيار علم المقاصد ، تعتبر مقصدا ، و العلم وسيلة إليها .

---

[53] – سورة البقرة ، الآية 129 .

[54] – سورة آل عمران ، الآية 164 .

[55] – سورة البقرة ، الآية 282 .

فقد سئل الإمام مالك[56] عن طلب العلم ، أهو فريضة على الناس ؟ فقال :" لا و لكن يطلب من المرء ما ينتفع به في دينه[57] .

و تأكيدا لهذا الارتباط بين التّزكية و العلم النّافع ، كان الرّسول ﷺ يستعيذ بالله من كلّ علم غير نافع : " **اللهمّ إنّي أعوذ بك من علم لا ينفع** "[58] .

إذن فالمنهج الإسلاميّ في التّربية و التّعليم يشترط أن تكون العلوم الّتي تقدّم إلى الإنسان الّذي يراد تربيته في المجتمع الإسلاميّ ، علوما نافعة في ذاتها ، ثمّ يفرض على الإنسان أن يعمل بما علم ، و ألاّ يتناقض سلوكه مع قوله ، و قد ذمّ الله تعالى اليهود في سورة " الجمعة " بأنّهم حُمّلوا التّوراة و لم يعملوا بها ، فأشبهوا الحمار الّذي يحمل أسفارا فوق ظهره لا ينتفع بها و لا يعرف ما فيها ، مع ما يعانيه من مشقّة حملها[59] .

---

[56] – الإمام مالك : هو مالك بن أنس الأصبحي الأنصاري ، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ولد عام 93هـ بالمدينة أخذ العلم عن نافع مولى ابن عمر ، والزهري و ربيعة الرأي ، و تتلمذ على يديه الكثير منهم عبد الله بن المبارك و وكيع بن الجراح و الشافعي و غيرهم ، من تصانيفه "الموطأ" وجمع فقهه في "المدونة"، توفي بالمدينة عام 86هـ .

[57] – عمر ابن عبد البر ، جامع بيان العلم و فضله ، (المدينة : المكتبة العلمية) ، ص 9 ، 10 .

[58] – أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر و الدعاء و التوبة و الاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عُمل و من شر ما لم يعمل ضمن حديث طويل عن زيد بن أرقم ، رقم 4899 . و النسائي في كتاب الاستعاذة رقم 5363 .

[59] – آمال حمزة المرزوقي ، النظرية التربوية الإسلامية ، ص 95 .

المبحث الثّاني

أهداف التّـــزكية وتعليم الكتاب و الحكمة

إنّ أهمّ النّتائج الأساسيّة الّتي يمكن استخلاصها من عمليّة التّحليـــل لمفـــهوم التّزكية و التّربية و تعليم الكتـــاب و الحكمـــة في ضـــوء الاســـتعمالات اللّغويـــة و الشّرعية ، و من بعض البحوث و الدّراسات المتخصّصة [60] هي :

1- إنّ الموضوع المحوريّ الّذي تدور عليه هذه العمليّات هو الإنسان بمفهومـــه الشّموليّ روحا و عقلا و نفسا و جسدا ، و صغيرا و كبيرا ، و ذكرا و أنثـى ، و في حياته المادّيّة و المعنويّة ، و فردا و في جماعة ، و في مجتمع و في حضارة .

و هذا المفهوم الشّامل للإنسان هو من أهمّ خصـــائص المنـــهج الإســـلاميّ في تصوّره للإنسان ، فطريقة الإسلام في التّربية و التّعليم هي معالجة الكائن البشـــريّ كلّه معالجة شاملة لا تترك منه شيئا ، و لا تغفل عـــن شـــيء ، جســـمه و عقلـــه و روحه ، و حياته المادّية و المعنوية و كلّ نشاطه على الأرض ؛ إنّـــه يأخذ الكـــائن البشريّ كلّه ، و يأخذه على ما هو عليه بفطرته الّتي خلقه الله عليـــها دون إغفـــال شيء منها أو إدخال شيء ليس منها [61] .

---

[60] - القاضي يوسف مصطفى ؛ و بالحن مقداد ، علم النفس التربوي في الإسلام ، (الرياض : دار المريـــخ ، 1401هـــ/ 1981م) ص144 وما بعدها ؛ النحلاوي عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ،الطبعة الثانيـــة ، (دمشـــق : دار الفكر ، 1403هـــ/ 1983م) ص ص 105-130 .

[61] - محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، 2ج ، الطبعة الثامنة (بيروت ، القاهرة :دار الشـــروق ، 1403 / 1983 م) ، ج1 ، ص ص 18-33 ؛ الإنسان بيـــن الماديـــة والإسلام ، الطبعـــة الســـابعة ، (بـــيروت ، القـــاهرة : دار الشـــروق ، 1402هـــ/1982م) ، ص69 .

2 – إنّ الغايات و الأهداف الّتي تسعى إلى تحقيقها عمليّات التّزكية و تعليم الكتاب و الحكمة عظيمة الشّأن جليلة القدر ، إذ هي من صميم الأهداف الكبرى و المقاصد العظمى للشّريعة الإسلاميّة و هي :

- تحقيق العبودية الخالصة و الشاملة لله مصداقا لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[62] .

- تحقيق المشروع الاستخلافي و الإعماري مصداقا لقوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[63]، و يمكن إبراز ذلك في مستويين :

أوّلا – على مستوى الفرد : (إخراج الإنسان الصّالح الرّبّانيّ) :

يعتبر إخراج الإنسان الصّالح من أكبر أهداف و غايات الشّريعة الإسلامية و ذلك لكونه هو نواة المجتمع الصّالح ، فالأفراد هم اللّبنات الّتي يتكوّن منها المجتمع ، فإذا صلُحوا صلُح المجتمع و إذا فسدوا فسد المجتمع . و من ثَمّ كان تكوين الفرد الصّالح و بناء كيانه و صياغة شخصيّته أمر في منتهى الضّرورة[64] .

و لا تكمن أهمّية عملية بناء و صياغة شخصيّة الإنسان الصّالح في كونها سببا لنجاحه و فلاحه في عاجل أمره و آجله فحسب ، بل إنّها هي السّبيل الوحيد لتحقيق مشروع خلافة الأرض و عمارتها وفق منهج الله تعالى .

لهذا كانت تشريعات الإسلام سواء كانت في باب العقائد أو العبادات أو الأخلاق أو المعاملات ، وسواء كانت من قسم الضّروريات أو الحاجيّات أو التحسينيّات ، كلّها تصبّ في هذه الغاية وهذا الهدف ، وصدق الله تعالى إذ

---

[62] – سورة الذاريات ، الآية 56 .

[63] – سورة البقرة ، الآية 30 .

[64] – بالحن مقداد ، دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة ، الطبعة الأولى ، (بيروت ، القاهرة : دار الشروق ، 1403هـ/1983م) ، ص32 ، 37 ؛ محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ص13 .

قال : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ... ﴾[65]، فما العمل الحسن إلاّ ميزة الإنسان الصالح .

و"المنهج الإسلاميّ في عمله لإعداد الإنسان الصالح ، لم يترك النّاس حيارى يخبطون في التّيه ، كلّ منهم يرسم الصّورة على هواه ، و إنّما حدّد لهم مواصفات هذا الإنسان في دقّة و وضوح ، و رسم لهم المنهج الّذي يصلون به إلى تحقيق تلك الغاية" [66]. بل لقد كان هذا المنهج جدّ واضح و صريح في الدّلالة على أنّ من أهمّ أهداف وغايات التّزكية و تعليم الكتاب و الحكمة بمجتمعة إخراج الإنسان الصّالح[67].

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[68].

فالنّبوّة الّتي من وظائفها التّزكية و تعليم الكتاب و الحكمة تهدف إلى إخراج الإنسان الرّبّانيّ و ذلك من خلال خطّة تربويّة و تعليميّة شاملة ، أهمّ عناصرها العلم و التّعليم و الدّرس و التّدريس . فتقدير الآية هو : كونوا ربّانيين بسبب كونكم عالمين و معلّمين ، و بسبب دراستكم الكتاب و تدريسه .

و ليست هاته هي كلّ صفات الإنسان الصّالح و الإنسان الرّبّانيّ ، بل هناك صفات كثيرة ، و إنّما لخّصت آيات الرّبّانيّين أمّهاتها .

إذن فعمليّة التّزكية و عمليّة تعليم الكتاب و الحكمة تهدف إلى التّرقية الشّاملة و الكاملة للإنسان ، بما يجلب له السّعادة و يدرأ عنه الشّقاوة في الدّنيا و الآخرة .

---

[65] – سورة الملك ، الآية 2 .

[66] – محمد قطب ، م س ، ص 14 .

[67] – ماجد عرسان الكيلاني ، مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح ، سلسلة كتاب الأمة ، الطبعة الأولى ، (الدوحة : وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، 1411) ، ص41 .

[68] – سورة آل عمران ، الآية 79 .

و بتحليل هذا الهدف الكلّيّ إلى أهداف جزئيّة يمكن استخلاص أنّ مجمـــوع تلك العمليّات يهدف على مستوى الفرد إلى :

1 – ترقية الإنسان معرفيّا :

و ذلك بتزويده بكلّ ما يحتاج إليه من المعارف و العلوم الصّحيحـــة ، الّـــتي تمكّنه من القيام الأمثل بأعباء رسالته و تبعات وظيفته المتمثّلة في[69] :

-تحقيق العبوديّة الخالصة لله عزّ و جلّ .

-تحقيق مشروع الخلافة الرّاشدة .

و تشمل هذه العلوم و المعارف ثلاث مجالات و هي :

- مجال سنن الهداية (الوحي) : و هي العلوم و المعارف المستنبطة من القـرآن الكريم و السّنة النّبويّة .
- مجال سنن الآفاق : و هي العلوم و المعارف المستنبطة من الكون .
- مجال سنن الأنفس : و هي العلوم و المعارف المستنبطة من العمران البشريّ.

2 – ترقية الإنسان روحيّا:

يعتبر البعد الرّوحيّ في الشخصيّة الإنسانيّة بعد أساسيّ أصيـــل ، لا يمكـــن للإنسان أن يحقّق وظيفته الوجوديّة بدون إعطائه حقّه من العنايـــة ، لهـــذا اعتـــبره الإسلام مركز الكيان البشريّ و نقطة ارتكازه و محور توازنه ، و أعطـــاه اهتمامـــا خاصّا ، و ركّز عليه بشكل مكثّف في برنامجه التّربويّ الشّامل و اعتبره أحد أهـــمّ غاياته و أفعل وسائله في تربية الإنسان و مواءمة نشاطه الإعماريّ مع سنن الهدايـــة و الآفاق و الأنفس[70].

---

[69] – الطيب برغوث ، منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية ، ص ص 42 – 44 .

[70] – الطيب برغوث ، موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي ، سلسلة لبنات في المسار الحضاري ، الطبعة الأولى ، (الجزائر : دار الينابيع للنشر والإعلام ، 1413 / 1993م) ، ص 20 .

و تتحقّق ترقية الإنسان روحيّا من خلال تغذية روحه بما تحتاج إليه من غـذاء يكون مصدره و منطلقه هو الحقّ ، و وسيلته هي الحقّ ، و غايته هي الحقّ . و هـذا الغذاء هو استشعار الصّلة الدّائمة بالله عزّ وجلّ بالإخلاص لـه في كـلّ شـيء ، و مراقبته في كلّ شيء ، و التّوبة إليه و التّوكّل عليه ، و حبّه و التّطلّـع الدّائـم إلى رضاه ، و الامتثال لما أمر و التّسليم بما قضى و قدّر[71] .

3 – ترقية الإنسان نفسيّا و جسميّا :

يقصد بترقية الإنسان نفسيّا و جسميّا السّموّ و الرّفعة بما ينتجـه جسـمه و نفسه من طاقة حيوية ، مثل طاقة الدّوافع الفطريّة و النّزوعـات و الانفعـالات و المشاعر و الأحاسيس و غيرها .

يقول الأستاذ محمد قطب[72] :" ... هذه الطّاقة يعترف بها الإسلام اعترافـا كاملا صريحا قويّا .. لا يعترف بها خلسة في الظّلمة ، بل يعترف بها جهرة و يسـلّط عليها الأضواء ،و لكنّه يربّيها كما يربّي طاقة العقل و طاقة الرّوح يربّيها لا بـالقمع و لا بالكبت و لكن بالتّنظيف و التّهذيب" [73] .

4 – ترقية الإنسان سلوكيّا :

المقصود بترقية الإنسان سلوكيّا ، تبليغه إلى أعلى درجات الكمال في أدائـه للأعمال ، و هي درجة الإتقان و الإحسان ، حيث يتناغم أداؤه للأعمال مع سـنن الهداية و سنن الآفاق و سنن الأنفس[74] . و الارتقاء بالسّلوك الإنسانيّ هو الهـدف المحوريّ لحركة البناء الحضاريّ كما أوضح ذلك حديث الرّسول ﷺ : " إنّما بُعثـت

---

[71] – يحي بن حمزة اليماني الذمار ، تصفية القلوب من أدران الأوزار و الذنوب ، تحقيق د/ حسن محمد مقبـولي الأهـدل ، الطبعة الثالثة ، (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، 1415هـ/1995م) ، ص 20 .

[72] – هو محمد بن قطب بن ابراهيم مفكر إسلامي مصري معاصر ولد بالقرب من أسيوط عـام 1919م ، كـان في تنظيـم الإخوان المسلمين ، أدخل السجن في عهد عبد الناصر ، له الكثير من المصنفات ، منها منهج التربية الإسلامية "واقعنا المعـاصر " "مذاهب فكرية معاصرة "، و يقيم الآن في السعودية .

[73] – محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ص 106 .

[74] – الطيب برغوث ، موقع المسألة الثقافية ، ص23 .

لأتمم صالح الأخلاق"[75] ، و هو من الجهة المنهجيّة غاية الارتقاء المعـرفيّ و الرّوحـيّ السّابق ذكرهما . فهما مطلوبان طلب الوسائل ، بينما الارتقاء السّلوكي (الأخلاقـي) مطلوب لذاته[76] .

و تتحقّق التّربية السّلوكية للإنسان من خلال اجتهاده المستمرّ للتّحلّي بالمنطق العمليّ ، و النّزوع الجماليّ ، و النّزوع الجماعيّ ، و على الـدأب و روح المتابعـة و روح المسؤولية[77].

إيجاد و تحقيق التّوازن بين العوامل المكوّنة لشخصية الإنسان :

إنّ شخصيّة الإنسان في نظر الإسلام تتكوّن من جميع المكونات التّي فطرهـا الله عليها ، و التّي ترجع في عمومها إلى الرّوح و العقل و الجسم و النّفس . وهـي عوامل من الصّعب التّفريق بينها ، إذ أنّها مترابطة و متداخلة وممتزجة فيما بينها[78] .

والمنهج الإسلامي لا يكتفي بمراعاة مطالب كلّ جانب من جوانب الشّخصية فقط ، و إنّما يسعى دائما من خلال تشريعاته إلى تحقيق التّوازن الكامل بين هـذه الجوانب[79]، هذا التّوازن الذّي يُعدّ من أهمّ الأهداف في عمليّة التّربية و التّعليم لأنّـه هو الذّي يحقّق للأنسان في الأرض أقصى ما يستطيعه من سلام وسعادة و إنتـاج في كلّ مجالات الحياة الماديّة و المعنويّة على السواء[80]. و باستحضار أحد معاني الحكمـة – التّي سبق بيانها و هو إيجاد التّوازن – يتبيّن بوضوح هذا الهدف الذّي تسعى إليـه عمليّة التّربية والتّعليم المنوطة بالجمعة .

---

[75] – حديث أخرجه أحمد في مسند المكثرين عن أبي هريرة و رجاله معدودون في الثقات رقم 8595 .

[76] – موقع المسألة الثقافية ، ص 23 .

[77] – ن م ، ص ص 23–26 .

[78] – سامية حسن السّاعاتي ، الثّقافة والشّخصية ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار النهضة العربية ، 1983) ، ص ص 128–130 ؛ محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ج1 ، ص75 .

[79] – محمد قطب ، الإسلام بين المادية و الإسلام ، ص70 ؛ منهج التربية الإسلامية ، ج1 ، ص27 .

[80] – يحي هاشم حسن فرغل ، معالم شخصية المسلم ، (صيدا ، بيروت : المكتبة العصرية) ، ص ص51–93 .

ثانيا – على مستوى المجتمع : (إخراج الأمّة الصّالحة الرّبّانية)

من البديهيّ أنّ إصلاح نظام العالم إنّما يحصل بإصلاح البشر ، و أنّ إصلاح البشر إنّما يحصل بإصلاح أفراده ، ثمّ بإصلاح مجموعه في حال اجتماعه ، لهذا كان الإصلاح الإجتماعيّ ، هو الغرض الأسمى للإسلام [81]، و الغاية العظمى لمنهاجه التّربويّ و التّعليميّ ، كما أنبأ بذلك صريح قوله تعالى:﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[82].وقوله : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾[83]، و بالتّدبّر الفاحص لمواصفات الرّبانيين ، أو مقام الرّبانية ، الّذي يضمّ و ظيفة تلاوة الآيات و تعليم الكتاب ، يتبيّن أنّ تحقيق هذه المواصفات و هذا المقام في صورته النموذجية المثلى و بوجهه الكلّيّ الأشمل و الأكمل لا يمكن حدوثه إلاّ إذا كانت تلك المواصفات مشروع أمّة بأكملها ، تقيم له المؤسّسات الخاصّة ، و تجنّد له الرّجال الأكفاء ، و تضع له البرامج المناسبة ، و تختار له الوسائل و الأساليب الفعّالة .

قال سيد قطب[84] و هو يفسّر قوله تعالى :﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ ... ﴾ :" فلا بدّ من جماعة تدعو إلى الخير ، و تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر .لابدّ من سلطة في الأرض تدعو إلى الخير و تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر ، و الّذي يقرّر أنّه لا بدّ من سلطة هو مدلول النّص القرآنيّ ذاته . فهناك (دعوة) إلى الخير . و لكن هناك كذلك (أمر) بالمعروف . و هناك (نهي) عن المنكر . و إذا أمكن أن يقوم بالدّعوة غير ذي سلطان ، فإنّ الأمر و النّهي لا يقوم بهما إلاّ ذو سلطان ... فمنهج الله في

---

[81] – ابن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، ص 103 .

[82] – سورة آل عمران ، الآية 104 .

[83] – سورة آل عمران ، الآية 110 .

[84] – هو سيد بن قطب بن ابراهيم مفكر إسلامي مصري ولد بالقرب من أسيوط عام 1906 ، تخرج في كلية دار العلوم بالقاهرة عام 1934م عمل في وزارة المعارف و في عدة صحف ، بعد عودته من أمريكا استقال من الوزارة والتحق بالإخوان و أصبح عضوا بارزا ، أدخل السجن بسبب معارضته للنظام الحاكم ، له مصنفات كثيرة منها "التصوير الفني في القرآن "، " النقد الأدبي " ، " السلام العالمي و الإسلام " ، استشهد عام 1966م .

الأرض ليس مجرّد وعظ و إرشاد و بيان ، فهذا شطر . و أمّا الشّطر الآخر فهو القيام بسلطة الأمر و النّهي ، على تحقيق المعروف و نفي المنكر من الحياة البشريّة ، و صيانة الجماعة الخيّرة من أن يعبث بها كلّ ذي هوى و كلّ ذي شهوة و كلّ ذي مصلحة "[85].

و هكذا هو الأمر بالنّسبة لوظيفة التّعليم و التّدريس و الحكم بما أنزل الله و الشّهادة على النّاس و الجهاد في سبيل الله ... فوجودها و تحقّقها و بقاؤها رهين بوجود سلطة تقوم عليها .

قال الإمام الألوسي[86] في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[87] قال :" و معنى (شهداء) يحمونه من أن يحوم حوله حماه التّغيير و التّبديل بوجه من الوجوه أو شهداء عليه أنّه حقّ أو مبيّنين ما يخفى منه "[88].

قال الشّيخ سعيد حوّى[89] معقّبا :" أقول: بل شهداء عليه أنّه مقام في حياة النّاس و شهداء بذلك على النّاس "[90].

---

[85] – في ظلال القرآن ، ج1 ، ص 444 .

[86] – هو أبو الثناء محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش الحسيني الألوسي شهاب الدين ، شيخ علماء العراق في عصره ، ولد عام 1217هـ/1802م ببغداد ، و الألوسي نسبة إلى جزيرة آلوس في وسط نهر الفرات ، تقلد الإفتاء و عزل ، فانقطع للعلم ، توفي عام 1270هـ/ 1854م ، (معجم المفسرين ، نويهض) .

[87] – سورة المائدة ، الآية 44 .

[88] – الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، 30ج ، (بيروت : دار الفكر ، 1403هـ/1983م) ، ج6 ، ص 144 .

[89] – هو الأستاذ سعيد حوى ، عالم سوري معاصر ، ولد عام 1932 بحلب انضم إلى حركة الإخوان المسلمين و أصبح من المنظرين لها ، له الكثير من المصنفات منها " الأساس في التفسير "و " الأساس في السنة " الأساس في المنهج" . توفي عام1987م

[90] – سعيد حوى ، إحياء الربانية ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار السلام ، 1404هـ/1984م) ، ص18 .

و من هنا يتبيّن للنّاظر فرق دقيق في مواصفات الرّبانيين ، بين أن يتّصف بها فرد و بين أن يتّصف بها مجتمع ، فهي في الحالة الأولى لا تعتمد إلاّ على الوازع الإيمانيّ ، أمّا في الحالة الثّانية فهي تعتمد على الوازع الإيمانيّ و السّلطانيّ معا ، و هو ما يجعلها في نظام مؤسّساتيّ إيجابيّ و فعّال .

و خلاصة الأمر فإنّ عمليّة التّزكية و تعليم الكتاب و الحكمة في بعدها الإجتماعيّ ، تهدف أيضا إلى التّرقية الشّاملة و الكاملة للمجتمع بجلب كلّ ما يُصلحه و درء كلّ ما يُفسده[91] . و بتحليل هذا الهدف الكلّيّ إلى أهداف جزئية نحصل على الأهداف التّالية :

- تمتين و توثيق العوامل المكوّنة للمجتمع الرّبّانيّ .
- إيجاد التّوازن بين هذه العوامل بما يحقّق التّماسك و التّوازن الاجتماعيّ .
- إصلاح العلاقات الاجتماعيّة
- إصلاح النّظم الاجتماعية ...[92]

---

[91] مقداد يالجن دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد و المجتمع و الحضارة الإنسانية ، ص ص 68 – 75 .

[92] – وهذا ماسيخصص له الباب الثالث من هذا البحث .

المبحث الثالث

منهج الجمعة وأسلوبها في تحقيق أهداف التزكية و تعليم الكتاب و الحكمة

تبيّن من المبحثين السّابقين أنّ التّزكية و تعليم الكتاب و الحكمة ، مفـــاهيم رحبة المعاني و الدّلالات ، عظيمة الأهداف و الغايات ، و أنّها تستغرق كلّ معـــاني الدّين و مقاصده .

و لمّا كان لزاما على الأمّة الإسلاميّة تحقيق هذه المقـــاصد ســـواء بالنّســـبة لأفرادها أو مجموعها ؛ و لمّا كان الشّأن متعلّقا بالتّحقّق بأعظم "رسالة امتدّت طـولا حتّى شملت آباد الزّمن ، و امتدّت عرضا حتّى انتظمت آفاق الأمم ، و امتدّت عمقا حتّى استوعبت شؤون الدّنيا و الآخرة" [93] ، فإنّ السّير وفق منهاج واضح المعالم يعتبر من أوجب الواجبات – من باب ما لا يتمّ الواجب إلاّبه فهو واجـــب – و ذلـــك لكونه هو الكفيل بتحقيق أقصى شروط الفعاليّة المتمثّلة في :

- اختصار الزّمن .
- توفير الجهد .
- الاقتصاد في الإمكانات و الوسائل .
- ربط الأعمال بأهدافها .
- التّقويم و النّقد الدّائبين للعمل ...

و انطلاقا من هذا الاعتبار فإنّ السّؤال الّذي يطرح نفسه في هذا المقام هو :

---

[93] – البنا حسن رسالة التعاليم رسالة الإسلام .

ما هو المنهج الأقوم الّذي به تستطيع الأمّة أن تحقّق أهداف التّزكية و تعليم الكتاب و الحكمة لأفرادها و مجموعها ؛ و يكون ذاته صالحا و مناسبا للجمعة لتحقّق به تلك الأهداف ؟

و للإجابة على هذا التّساءل يمكن القول :

إنّ المنهج الّذي يصلح لتحقيق هذه المقاصد العظمى ، ليس إلاّ المنهج الّذي مارسه الرّسول ﷺ في عملية التّزكية و تعليم الكتاب و الحكمة ، و يمكن إبرازه من خلال المعالم التّالية :

الخطوة الأولى – إصلاح الاعتقاد :

لا يخفى على أحد من العقلاء ما لاعتقادات الإنسان و تصوّراته من آثار على حياته في جميع جوانبها ، و بخاصّة إذا كانت تلك الاعتقادات و التّصوّرات دينيّة أو فلسفيّة . "فإنّ النّظرة العامّة إلى الوجود الّتي يأخذ بها الإنسان و يعتقد بحقائقها و يتّخذ منها عقيدة له و فلسفة لحياته ، هي الأصل الّذي تنبثق منه جميع نظراته الفكريّة ، و اتّجاهاته السّلوكيّة ، و هي المحرّك الخفيّ لأفكاره و سلوكه ، و هي أساس اختلاف الحضارات و الثّقافات" [94] . و لهذا قال الرّسول ﷺ للسّائل الّذي قال له : **يا رسول الله قل في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك ، " قل آمنت بالله ثمّ استقم "** [95] .

... لأجل ذلك كان إصلاح اعتقاد الإنسان هو منطلق جميع الرّسالات السّماويّة في مشاريعها الإصلاحيّة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً

---

[94] – المبارك محمد ، نظام الإسلام العقيدة والعبادة ، (بيروت : دار الفكر ، 1405 / 1984م) ، ص 3 .

[95] – أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام عن سفيان بن عبد الله الثقفي و هو من سأل الرسول ﷺ ، رقم 55 . و أخرجه الترمذي و ابن ماجة و أحمد و الدارمي .

أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ...﴾[96]، و قال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[97].

و هو أوّل أبعاد و أهداف المشروع التّغييريّ للرّسالة الخاتمة من بدايتها إلى كمالها و تمامها ، بل إنّ الرسول ﷺ و هو يلتحق بالرّفيق الأعلى يوصي بإصلاح الاعتقاد ، فعن عائشة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال في مرضه الّذي مات فيه :" **لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد** "[98].

و إذا كان الأساس في كلّ تغيير هو تغيير ما بالأنفس كما قال الله عزّ و جلّ : ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ...﴾[99]، فإنّ أوّل ما يجب تغييره في كلّ نفس ، هو معتقدها و تصوّرها عن الله و الكون و الحياة ، قبل أي أمر آخر ، لأنه أولى الأولويات[100] ، و هو ما عناه الرّسول ﷺ بقوله :" **ألا و إنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا و هي القلب** "[101].

و تغيير النّفس بإصلاح اعتقادها هو الأساس الّذي تبنى عليه كلّ البناءات الفكريّة و الرّوحيّة و الأخلاقيّة و العمرانيّة و هو مبنى الخير كلّه . وكلّما كان هذا الأساس قويّا و متينا كان ما فوقه من بناء قويّا و متينا أيضا[102]. قال تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ...﴾[103].

---

[96] – سورة النحل ، الآية 36 .

[97] – سورة الأنبياء ، الآية 25 .

[98] – متفق عليه و اللفظ للبخاري ، أخرجه في كتاب الجنائز باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، رقم 1244 ؛ و مسلم في كتاب الصلاة و مواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور و اتخاذ القبور مساجد رقم 826 .

[99] – سورة الرعد ، الآية 11 .

[100] – الطيب برغوث ، منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها ، ص ص 152-154 .

[101] – متفق عليه ، و اللفظ لمسلم أخرجه في كتاب المساقات ، باب أخذ الحلال و ترك الشبهات ، عن البشير بن النعمان ، رقم 2996 .

[102] – الطيب برغوث ، م س ، ص 152 .

[103] – سورة الأعراف ، الآية 96 .

أمّا إذا كان هذا الأساس ضعيفا و هشّا ، فإنّ ما فوقه من بناء سيكون حتما أكثر ضعفا و أشدّ هشاشة ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾[104] .

لأجل ذلك جعل الإسلام الحنيف من هذا الهدف محور كلّ إصلاح و جوهر كلّ مشروع ، و صاغ نظريته التربوية و التعليمية و الثقافية والسياسية و الحضارية على أساسه.

و قد كان هذا المَعْلَمُ (إصلاح الاعتقاد) -كما تبيّن في الباب الأوّل - المحور المركزيّ الّذي تدور عليه خطب الرّسول ﷺ وخطب خلفائه الرّاشدين وصحابته الميامين . فما من خطبة أثرت عنه إلاّ وكانت مفتتحة بإعلان التّوحيد لله عزّ وجلّ ، وفي هذا قال : "كلّ خطبة ليس فيها تشهّد فهي كاليد الجذماء "[105] ؛ وما من خطبة من خطبه إلاّ وكان مدارها هو الدّعوة إلى توحيد الله وطاعته وتقواه وطلب مغفرته والدّعوة إلى اتّباع كتابه والاهتداء بهدي نبيّه ﷺ ونبذ كلّ بدعة وضلالة وخطبة الحاجة أوضح مثال على ذلك .

وإذا كان إصلاح الاعتقاد على هذا المقام من الأهمّيّة ، فإنّه يجب على كلّ مضطلع بمسؤوليّة التّغيير والإصلاح ، والدّعوة والتّبليغ أن يجعل من هذا المعلم أساس ولبّ منهجه .

---

[104] - سورة طه ، الآية 124 .

[105] - أخرجه الترمذي في سننه عن أبي هريرة ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح و قال هذا حديث حسن صحيح غريب ، رقم 1024 .وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، و أحمد و صححه الألباني .

الخطوة الثّانية – إصلاح التّفكير :

يقصد بإصلاح التّفكير إصلاح المنهج الّـــذي يســـلكه العقـــل للوصـــول إلى المعرفة[106] ، فيما يرجع إلى الشّؤون في الحياة العاجلة و الآجلة ، لتحصيل العلـــم بما يجب سلوكه للنّجاح في الحياتين ، كي يسلم صاحبه من الوقـــوع في مـــهاوي الأغلاط في الحياة الدّنيا ، و في مهاوي الخسران في الحياة الآخرة[107] .

و هو مقصد عظيم من مقاصد الشّريعة الإسلاميّة ، إذ "سلوك الإنســـان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطا وثيقا ، يستقيم باستقامته و يعوجّ باعوجاجه ، و يثمـــر بإثماره و يعقم بعقمه ، لأنّ أفعاله ناشئة عن اعتقاداته ، و أقواله إعراب عـــن تلـــك الاعتقادات ، و اعتقاداته ثمرة إدراكه الحاصل عن تفكيره و نظره"[108] .

لهذا اهتمّ الإسلام بمسألة التّفكير و مسألة إصلاحـــه اهتمامـــا عظيمـــا ، لا يضاهيه فيه أي دين أو ملّة أو نحلة[109] .

فقد جعلت الشّريعة العقل باعتباره أداة الإدراك و الفهم و النّظر و الفكـــر و التّمييز و الذّكر و هو مناط التّكليف و المسؤوليّة ، إذ أنّ هـــذا العقـــل إضافـــة إلى كونه "موجّه الإنسان و دافعه و وسيلته إلى إدراك موقعه وغايته من الحياة ، فـــهو موجّهه ودافعه ووسيلته في طلب علم الغيب و التلقّي عن رسالات الوحي" [110] .

---

[106] – النّجار عبد الحميد ، دور حرّية الرّأي في الوحدة الفكريّة بين المسلمين ، الطبعـــة الأولى ، (هـــوندن – فرجينيـــا – (و م أ) : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1413هـــ/1992م) ، ص 28 .

[107] – ابن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، ص51 .

[108] – ابن باديس عبد الحميد ، تفسير ابن باديس ، إعداد د/ توفيق محمد شاهين ، و محمد الصالح رمضان ، الطبعة الثالثـــة ، (بيروت : دار الفكر 1379هـــ/1979م) ، ص 154 .

[109] – العلواني طه جابر الفياض ، إصلاح الفكر الإسلامي – مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي – ، (هـــوندن – فرجينيا – و م أ : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1995م) ، ص

[110] _

فمن غير العقل لا يمكن إدراك فحوى الوحي ، و لا يمكن وضعه موضع الإرشاد و التّوجيه لعمل الإنسان و بناء الحياة و نظمها و إنجازاتها بما يحقق غاية الوحي و مقاصده و توجيهاته و أحكامه[111].

"و العقل هو الّذي يميّز بين ما هو وحي صحيح موثّق و بين ما هو دجل و خرافة ، و هو الّذي يمكّن الإرادة الإنسانيّة من الخيار و يضعها أمام مسوولية المسلك و المصير" [112].

وهو من قبل هذا و بعده أساس التّكريم ، الّذي ناله الإنسان الضّعيف من الله العظيم ، فبعمليّة من عمليّاته الأساسيّة و هي التعلّم و العلم ، نال شرف خلافة الأرض و عمارتها ، قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[113] ، و من هنا ندرك البعد الوظيفيّ للعقل الإنسانيّ كركن أساسيّ في إقامة الخلافة و الشّهود الحضاريّ على نور من توجيه الوحي و الرّسالة الرّبّانية ، قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ... ﴾ [114] و قال : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ... ﴾ [115].

و قد جعل الإسلام الحنيف العقل ضمن الضّروريّات الكلّية الخمس الّتي يجب حفظها ، إذ هو أساس الصّلاح كلّه في العاجل و الآجل[116] ، و من هذا المنطلق اعتبر التّفكير فريضة شرعيّة على كلّ مسلم[117] ، و شُنّع بالتّقليد و المقلّدين

---

111 _

112 _

113 – سورة البقرة ، الآية 31 .

114 – سورة آل عمران ، الآية 110 .

115 – سورة البقرة ، الآية 143 .

116 – الشاطبي ، الموافقات ، ج2 ، ص9 .

117 – عباس محمود العقاد ، التفكير فريضة إسلامية ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، 1969) ، ص ص 7–22 .

و بالجمود و الجامدين و شنّع باتّباع المصادر المزيّفة للمعرفة و رفض مناهج التّفكير غير العلميّة المحكومة بالظّن و التخرّص[118] .

قال ابن عاشور :" إنّ كلّ فرد مأمور بصحّة التّفكير في دائرة ما يحتاجه من الأعمال تفكيرا يعصمه من الوقوع في مهاوي الأخطاء ، و المقدار الّذي يستطيعه من التّفكير يجب عليه تصحيح تفكيره فيه ، و المقدار الّذي لا يستطيعه يجب عليه تطلّب الإعانة فيه بمن يبلّغه إلى الحق الصحيح فيه من أهل الإرشاد في ذلك الباب . قال الله تعالى : ﴿ . . .فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[119] . فإذا سلك المسلمون هذا السبيل الّذي دلّت عليه الآية ، أصبح تفكيرهم سالما وعلمهم كاملا ، لأنك تجد كل واحد مشتملا على حالتين من التّفكير ، حال الاستقلال بالفكر فيما يبلغ إليه فكره ، وحال التّلقّي والاسترشاد فيما يتجاوز تفكيره[120] .

و من هذه المنطلقات نفهم وجه اهتمام القرآن و السّنة باستدعاء العقول النّظر و التّذكّر و التّعقّل و العلم و التّأمّل و التّدبّر و التّعليم و التّعلّم و الفكر و التّفكّر ، و الفقه و التّفقه و الاعتبار .

و القرآن الكريم في اهتمامه بالمسألة الفكريّة ، له منهج فريد لا مثيل له على الإطلاق ، فهو لا يتعرّض لذكر أداة التّفكير الّتي عبّر عنها بالفؤاد و القلب إلاّ بذكر الوظيفة المنوطة بها[121] . ﴿فانظروا﴾ ﴿أفلا ينظرون﴾ ﴿انظر﴾ ﴿أفلا تعقلون﴾ ﴿لعلّكم تعقلون﴾ ﴿نعقل﴾ ﴿أفلا تذكرون﴾ ﴿لعلّكم تذكرون﴾ ﴿لعلّهم يفقهون﴾ ﴿اعلم﴾ ﴿أفلا يعلم﴾ ﴿اعلموا﴾ .

و من كثرة ما استدعى القرآن الكريم العقول لأداء وظيفتها ، اهتدى علماء الإسلام منذ الصّدر الأوّل إلى حقيقة كبرى من حقائق الشّريعة الخالدة و هي أنّ هذا

---

118 - الطيب برغوث ، منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة ، ص ص 60 –65 .

119 - سورة النحل ، الآية 43 .

120 - ابن عاشور ، أصول النّظام الاجتماعي في الإسلام ، ص 53 .

121 - حودت سعيد ، اقرأ وربك الأكرم ، الطبعة الأولى ، (الجزائر : المطبعة العربية ، 1990م) ، 161 ، 117 .

العقل ليس مناطا للتّكليف فحسب ، و إنّما هو أداة في درك الأحكام الشّـــرعية إذا بلغ صاحبه درجة الاجتهاد[122]، و من ثمّ اعتبروا القياس و الإجمـــاع مـــن الأدلّـــة الشّرعية الّتي نصبها الشّارع الحكيم للكشف عن الأحكام . و يلحق بهذا الاستدلال المرسل أو ما يطلق عليه المصالح المرسلة ، و كذلك الاستحسان ، و كلّ ذلك بطبيعة الحال في إطار متّسق من ضوابط الوحي[123] .

و قد استقرأ الشّيخ ابن عاشور أهمّ مجالات إصـــلاح التّفكـــير الـــواردة في الإسلام (قرآنا و سنّة) فخلص إلى ثمان نواح كلّها مـــن أصـــول نجـــاح الفـــرد و الجماعة في المجتمع[124]، و هي جديرة بأن تراعى في الخطاب الإسلاميّ الحديـــث بمختلف أنواعه و وسائله ، و قد بدا لي بعد فحصها و درسها أنّها كانت مراعـــاة بشكل بيّن في خطب النّبيّ ﷺ و ملخّصها فيما يلي :

1. إصلاح تفكير النّاس في تلقّي العقيدة :

فقد كانت خطبه كما سلف كثيرة الدّعاء إلى تصحيح التّفكير في العقيـــدة ، و يكفي إلقاء نظرة على ما ثبت من خطبه ، أو ما كان يخطب بـــه مـــن القـــرآن و خاصّة القرآن المكّي ، الّذي من خاصّيته التّعرّض لمسائل العقيدة .

2. إصلاح تفكير المسلمين في تلقّي الشّريعة :

و ذلك بتعليمهم الحِكم و المقاصد و العلل و المعاني الّتي لأجلها شـــرع الله الأحكام سواء كانت عامّة أم خاصّة .

3. إصلاح تفكير المسلمين في العبادة :

و ذلك بتعليمهم أنّ العبادات كلّها تعود عليهم بالخير و النّفـــع في الدّنيـــا و الآخرة ، و أنّ الله غنيّ حميد لا تنفعه طاعة الطّائعين و لا تضرّه معصية العاصين .

---

[122] – عبد المنعم النمر ، الاجتهاد ، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، بيروت : دار الشروق ، 1406 / 1986م) ص 220 .

[123] – محمد مصطفى شلبي ، أصول الفقه الإسلامي ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار النهضة العربيـــة ، 1398 /1978م) ، ص 150 ، 188 ، 257 .

[124] – ابن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، ص ص 53 – 63 .

4. إصلاح تفكير المسلمين فيما تحصل به النّجاة في الحياة الآخرة :

و ذلك بالتّأكيد الدّائم على ضرورة العمل الصّالح مع الإيمان ، و على أنّ مدار النّجاة في الآخرة رهين بتقوى الله ، و ليس على الاتّكال .

5. الحزم و أخذ الحيطة و الحذر :

فالأخذ بالحزم ناحية من نواحي التّفكير الصّحيح لأنّه يقي المرء الوقوع في الأرزاء الّتي يصعب دفعها أو تتطلّب لذلك جهدا زائدا و وقتا ثمينا .

6. إصلاح تفكير المسلمين في المعاملة :

و ذلك بتعليمهم ضرورة التّعارف بينهم ، و ضرورة السّعي إلى ما به يدوم ذلك التّعارف ، و تعليمهم الإنصاف من النّفس بأن يحبّ الإنسان المؤمن لأخيه المؤمن ما يحبّ لنفسه .

7. إصلاح تفكير المسلمين في الأحوال العامّة للعالم :

و هو من أهمّ مواقف التّفكير الصّحيح ، لأنّ تصوّر العالم على خلاف ما هو عليه يوقع في مصائب عظيمة ، على الفرد و على الأمّة في مختلف المجالات ، و لا يقتصر الأمر على الأحوال الحاضرة للعالم بل يتعدّاه وجوبا إلى الأحوال الماضية .

8. إصلاح تفكير المسلمين في مصادفة الحقيقة في العلوم :

و يدخل في هذا العلوم الشّرعيّة (سنن الهداية) و العلوم الكونيّة (سنن الآفاق و الأنفس) ، و يعني ذلك الحثّ على تحرّي الصّواب و تجنّب الخطأ و ذلك لأنّ أكبر أسباب الخلل و الضّلال في العلم تنجرّ عن محاولة إرغام الحقّ و العلم على أن يكون وفق هوى ذي الهوى ، و على حسب شهوته ، و أكبر أسباب النّجاح و الهدى جعل الحقّ و العلم رائدا في القول و العمل و إن خالف المشتهى .

فأمّا سنن الهداية فقد كان الرّسول ﷺ شديد التّرغيب في تحصيلها ، شديد التّرهيب من تجاهلها و الزّهد فيها .

فقد جاء في الآثار أنّ الرّسول ﷺ خطب ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيرا ثمّ قال :" ما بال أقواما لا يفقهون جيرانهم و لا يعلمونهم و لا

يعطونهم و لا يأمرونهم و لا ينهونهم ، و ما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم و لا يتفقهون ، و لا يتعظون ..."[125].

و كما أنّ الإسلام أوصى بالتفقّه و التعلّم فقد أوصى المسلمين بأن يتوخّوا من يأخذون عنه ، قال تعالى :﴿ ...فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾[126]، و قال :﴿ ...فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[127] ، ﴿ ... وَلَوْ رَدُّوهُ وَإِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ... ﴾[128].

و أمّا الدّعوة إلى مصادفة الحقيقة في سنن الآفاق و الأنفس فإنّ الحثّ عليها مبثوث في الشّريعة من خلال مقاصدها العامّة الدّاعية إلى إصلاح شأن الأمّة بما يؤهّلها للقيام بأعباء الخلافة و مسؤولية الشّهود الحضاريّ على العالم .

الخطوة الثالثة – إصلاح العمل :

العمل هو كلّ فعل أو حركة تتمّ بإرادة و قصد و هدف ، قال رسول الله ﷺ :" إنّما الأعمال بالنّيات ..."[129] ، فكلّ فعل أو حركة تتمّ دون إرادة أو قصد أو هدف لا تسمّى عملا ، و لمّا كان القصد أو الإرادة أو الهدف من الخصائص الخاصّة بالإنسان ، فإنّ القرآن الكريم أطلق اسم العمل على حركات و أفعال الإنسان الهادفة لجلب الخير و دفع الشّرّ أو العكس ، أمّا الحركات غير الهادفة كحركة الشّمس و القمر و الرّياح فقد سمّها جريانا [130]، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾[131].

---

[125] – أخرجه الطبراني في الكبير عن بكير بن معروف عن علقمة .

[126] – سورة الفرقان ، الآية 59 .

[127] – سورة النحل ، الآية 43 .

[128] – سورة النساء ، الآية 83 .

[129] – متفق عليه ، أخرجه البخاري ، كتاب بدأ الوحي عن عمر بن الخطاب رقم 1 . و مسلم في كتاب الإمارة باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية ، رقم 3530 .

[130] – جودت سعيد ، العمل قدرة وإرادة ، الطبعة الثانية ، (دمشق : مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري ، 1404 /1984م) ، ص 69 ، 70 .

[131] – سورة يس ، الآية 33 .

و باعتبار الإنسان عاقلا و مريدا و قاصدا ، فإنّ أعماله الصّادرة عنه يمكن تقسيمها إلى أعمال نفسيّة و أعمال بدنيّة[132].

- الأعمال النّفسيّة : و هي الانفعالات النّفسانية الّتي تترتّب عليها آثار حسنة أو قبيحة ، و أكثر الأعمال النّفسيّة نجده دافعا و باعثا لأعمال بدنيّة .

- الأعمال البدنيّة : و هي الأفعال الصّادرة من الأعضاء و الجوارح لتحصيل مقصود دفع إليه العقل (الإرادة و القصد) ، فتخرج من هذا ، الأفعال المجرّدة كالمشي لغير قصد و غيره[133].

و باعتبار الإنسان كائنا ذا نزوع فرديّ واجتماعيّ ، فإنّ أعماله الّتي تصدر عنه يمكن تقسيمها إلى :

- أعمال فرديّة : وهي مجموع أعماله النّفسيّة و البدنيّة الخاصّة به ، ولا تعلّق مباشر للمجتمع بها ، سواء كانت خيرا أم شرّا .

- أعمال اجتماعيّة : و هي مجموع أعماله النّفسيّة و البّدنيّة الّتي يتفاعل بها تفاعلا مباشرا مع غيره ، سواء كانت خيرا أم شرّا .

ومن هذا المنطلق نخلص إلى أنّ مفهوم إصلاح العمل هو :" تقويم أعمال الإنسان النّفسيّة و البدنيّة حتّى تتوافق مع سنن الوحي (الكتاب و السنّة) و سنن الآفاق و سنن الأنفس".

و لقد اهتمّ الإسلام الحنيف (قرآنا و سنّة) بإصلاح العمل بقسميه النّفسيّ و البدنيّ و الفرديّ و الاجتماعيّ اهتماما فائقا ، تجلّت أبسط صوره في العدد الهائل الّذي ذُكر به العمل و ما يجب له من إصلاح في القرآن الكريم .

---

[132] - ابن عاشور ، أصول النّظام الاجتماعي في الإسلام ، ص 68 .

[133] - ن م .

فقد ورد ذكر لفظ العمل في الذّكر الحكيم تسعا و خمسين و ثلاثمائة مـــرّة (359) ، مقرونا إمّا بصفة الصّلاح و الحُسن ، أو صفة السّوء ، ســـواء بأســلوب التّصريح أو بأسلوب التّلميح .

و لمّا كانت أعمال الإنسان تجري على حسب معتقداته و أفكـــاره ، فـإنّ الإسلام - وهو يضع منهجه القويم في إصلاح عمل العاملين - دائما ينطلـــق مـــن إصلاح الاعتقاد و التّفكير ، و لذلك لا نجد ذِكْرا للعمل الصالح ، إلاّ و يسبقه ذِكْـر لبعده العقديّ ، فما من آية في كتاب الله ذكرت الإيمان مجرّدا ، بل دائما تعطـــف عليه عمل الصّالحات أو تقوى الله أو الإسلامَ له ، بحيث أصبحـــت صلـة العمـل بالإيمان آصرة لا يعروها وهن ؛ فإذا عُقدت مقارنة بين الهدى و الضـــلال ، جُعـل الإيمان و العمل جميعا في كفّة ، و جعل الكفر في الكفّة الأخرى ، قـــال تعـالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلاَ الْمُسِيءُ ... ﴾[134] . و الآيات التّي تقرن الإيمان بالعمل الصّالح كثيرة جدّا و هذه نماذج ؛ قال تعـــالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾135، ﴿ ... إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ... ﴾[136] ، ﴿ ... مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ... ﴾[137] ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾[138] .

و قال الرّسول ﷺ و هو يعلّم معاذا[139] منهج الدّعوة و الإصـــلاح :" **إنّـك تأتي قوما من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله و أنّي رسـول الله فإن هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كـلّ**

---

134 - سورة غافر ، 58 .الآية .

135 - وردت هذه الآية أكثر من ستين مرة .

136 - سورة الفرقان ، الآية 70 .

137 - سورة غافر ، الآية 40 .

138 - سورة طه ، الآية 82 .

139 - هو أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري ، ولد عام 20 قبل الهجرة ، و هو ممن شهد بيعة العقبة الثانية من الأنصار ، شهد المشاهد مع الرسول ﷺ ، بعثه الرسول قاضيا و داعية إلى اليمن ، و بعد وفاة الرسول ﷺ انتقل إلى الشام معلما و مجاهدا حتى توفي بها في 18هـ ، (أسد الغابة) .

يوم و ليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم ..." [140]. و قال أيضا:" قل آمنت بالله ثمّ استقم" [141]، فإصلاح العمل هو الاستقامة ، و هو مبنيّ على صلاح الاعتقاد المعبّر عنه بقوله "آمنت بالله".

و لأهمّيّة العمل الصّالح في الإسلام ، جعله الله عزّ و جلّ ركنا من أركان الدّين و أساسا من أسس الإيمان . قال الإمام ابن باديس :" الدّين كلّه عقد بالقلب ، و نطق باللسان ، و عمل بالجوارح ، الظّاهرة و الباطنة ، و كلّ واحدة من الثّلاثة يسمّى إيمانا باعتبار ، و يسمّى إسلاما باعتبار آخر . فعقد القلب يُسمّى إيمانا لأنّه تصديق ، و يسمّى إسلاما لأنّ عقد القلب على الشّيء إذعان و خضوع له .

و نطق اللّسان بالشّهادتين يسمّى إيمانا ، لأنّه دليل على التّصديق و يسمّى إسلاما لأنّه دليل على الخضوع و الانقياد . و الزّكاة مثلا تسمّى إيمانا لأنّها مبنيّة على التّصديق ، و ثمرة من ثمراته ، و تسمّى إسلاما لأنّها انقياد و إذعان . فالإيمان في الوضع الشّرعيّ هو قول باللسان و عمل بالقلب و عمل بالجوارح ، فمن استكمل ذلك استكمل الإيمان ، و من لم يستكمله لم يستكمل الإيمان "[142] ، و الأدلّة على ذلك من القرآن و السّنّة كثيرة جدّا .

فالله عزّ و جلّ جعل العمل رسالة الوجود و وظيفة الأحياء ، و جعل السباق في إحسانه سرّ الخليقة و دعامة الحساب . قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾[143].

---

[140] – متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، رقم 1308 . و مسلم في كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين و شرائع الإسلام ، رقم 27 . و الترمذي و النسائي و أبو داود و أحمد و ابن ماجة .

[141] – أخرجه مسلم و غيره ، وقد سبق تخريجه في الهامش رقم (100) من هذا الفصل .

[142] – ابن باديس عبد الحميد ، العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية ،رواية و تعليق محمد الصالح رمضان ، الطبعة الثالثة ، الجزائر : منشورات دار الكتب ، 1989م) ،47 ، 48 .

[143] – سورة المُلك ، الآية 2 .

و العمل هو الّذي يوزَن في الدّار الآخرة يوم الحساب : ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[144].

و النّكوص عن القيام ببعض الأعمال الصّالحة ، هو العلامة الّتي نصبها القرآن دليلا على فراغ النّفس من العقيدة و خراب القلب من الإيمان ، قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾[145].

و كثيرا ما يشار إلى الإسلام وحقيقته الشّاملة بمظاهر عمليّة واضحة محدودة. قال تعالى: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾[146].

و لجلال العمل و قدره عند الله عزّ و جلّ ، قصّ علينا القرآن تاريخ أمم كثيرة أهلكها الله بسوء أعمالها ، و كان عاقبة أمرها خسرا ، فقد أهلك الله قوم لوط لارتكابهم الفاحشة ، و أهلك قوم شعيب لبخسهم المكيال و الميزان[147].

و السّنّة الشريفة أيضا تزخر و تستفيض بالنّصوص الّتي تربط الإيمان بالعمل ، قال ﷺ :" **الإيمان بضع و سبعون أو بضع و ستّون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلّا الله و أدناها إماطة الأذى عن الطّريق ، و الحياء شعبة من الإيمان**"[148]. بل إنّ حياته ﷺ كلّها كانت دعوة لإصلاح العمل ، و قد عبّر عن

---

[144] – سورة الأعراف ، الآية 8 ، 9 .

[145] – سورة الماعون ، الآية 1 ، 2 ، 3 .

[146] – سورة البلد ، الآية 11 – 16 .

[147] – الغزالي محمد ، عقيدة المسلم ، (باتنة – الجزائر – : دار الشهاب) ص ص21 – 35 .

[148] – متفق عليه ، و اللفظ لمسلم أخرجه في كتاب الإيمان ، باب عدد شعب الإيمان عن أبي هريرة ، رقم 50 . و البخاري في كتاب الإيمان باب أمور الإيمان رقم 8 .

ذلك بنفسه الزّكية حين قال بأسلوب الحصر:" **إنّما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق** "[149].

و هكذا كانت خطبه ﷺ وقد سبق بيان ذلك .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[149] – سبق تخريجه في التهميشة رقم 82 .

المبحث الرّابع

فعاليّة الجمعة في تحقيق أهداف التّزكيّة و تعليم الكتاب و الحكمة

بالإضافة إلى العوامل العامّة للفعالية الّتي حظيت بها الجمعة – الّتي ذكـــرت في نهاية الباب الأوّل – فإنّها قد حظيت أيضا بعوامل أخرى خاصّـــة ، ممّـــا زاد في فعاليتها ، و يتوضّح ذلك من خلال النّقاط التّالية :

أوّلا – فعاليّة الجمعة في إصلاح الاعتقاد :

لا جرم أنّ الجمعة – صلاة و خطبة – إنّما شُرِعت لحِفظ جميـــع المقـــاصد الشّرعيّة الضّرورية و الحاجيّة و التّحسينيّة ؛ و من المعلوم من الدّيـــن ضـــرورةً ، أنّ حفظ الدّين هو رأس أمر كلّ المقاصد و لبّها ؛ و لـــمّا كان أسُّ الدّين و روحه هـــو العقيدة ، فإنّ هذا يجعل مسألة إصلاح اعتقاد النّاس و مسألة تفعيل العقيدة في واقـــع المؤمنين بها ، هي جوهر رسالة الجمعة ، بل هي مقصد كلّ مقاصدها .

فأمّا مسألة إصلاح الاعتقاد ، فلا شكّ أنّ خطبة الجمعة بحكـــم تكرّرهـــا المنتظم في كلّ أسبوع ، و توقيتها المحدّد في ساعة معلومة مـــن النّـــهار ، و بحكـــم وجوبها على عموم الأمّة ، فإنّ هذا يجعلها أهمّ وســـيلة لبنـــاء المنظومـــة العَقَديّـــة الصّحيحة الخالية من كلّ الشّوائب .

و أمّا مسألة تفعيل العقيدة ، فبحكم أنّ الجمعة من أصول العبادات فهذا مـــن شأنه أن يجعلها وسيلة ناجعة لشحذ الفعاليّة الرُّوحيّة للفرد المسلم و الأمّة المســـلمة . و العبادة في المنهج الإسلاميّ جزء أساسيّ لا بدّ منه لقيامه و حسن تنفيذه ، فـــهي " الّتي تجعل العقيدة الإسلاميّة حيّة في النّفس ، و تنقلها من حيّز الفكر المجرّد إلى حيّز

القلب الّذي يحس و يشعر ، فتجعلها بذلك قوّة دافعة ، لها حرارتها و لها نورها ... وهي الّتي توقد جذوة العقيدة و تغذّيها وتتغذّى بها وتحييها و تحيى بها ، و هي الّتي تذكّر الإنسان بموقعه الحقيقي من الوجود ، فتريه موقعه باعتباره جزءً من الكون و الوجود ، ثمّ تُريه موقعه هو و الكون - باعتباره وجودا عارضا - من الوجود الأزليّ الثّابت ، أي باعتباره مخلوقا لخالق و خاضعا لآمر حقيقي أعلى[150] .

إذن فالجمعة وسيلة مثلى :

- لغرس معاني العقيدة الصّحيحة الّتي تعرّف الإنسان بربّه حقّ المعرفة ، و تنبّهه إلى فطرة العبوديّة لله الكامنة في أعماق نفسه ، و تحدّد له موقعه الصّحيح من منظومة الوجود و رسالته فيه .

- لتعهّد هذه المعاني في النّفس الإنسانية ، و العناية المستمرّة بتغذية أصولها بماء الطّاعات ، و العبادة الصّادقة ، حتّى تظلّ حيّة متوثّبة في أعماق الضّمير ، و ذلك بما حوته الجمعة نفسها من معاني العبوديّة و الطّاعة لله ، و بما اختُصّت به من كونها أفضل وسائل الدّعوة إلى الالتزام بالطّاعات و اجتناب المنهيّات .

ثانيا - فعاليّة الجمعة في إصلاح التّفكير :

تكمن فعاليّة الجمعة في إصلاح التّفكير في العوامل التّالية :

1 - إصلاح أصول و مصادر التّفكير و هو الاعتقاد :

إنّ دعوة الجمعة لإصلاح الاعتقاد و فعاليّتها في ذلك ، يجعلها جديرة بإصلاح التّفكير بفعاليّة كبيرة أيضا ، و ذلك لكون إصلاح الاعتقاد ، هو أرقى أنواع إصلاح التّفكير ، و هو أساسه و عموده الّذي يقوم عليه ؛ فالإنسان إذا عرف مبدأه و أصله ، و قيمته و قدره ، و وظيفته و رسالته ، و هدفه و غايته ، و مصيره و مآله ، فإنّه بذلك يكون قد زوى كلّ أصول الخير ، و حاز كلّ أصول التّفكير

---

[150] - محمد المبارك ، نظام الإسلام العقيدة والعبادة ، ص ص 154 - 155 .

الصّحيح و الفعّال ، و من هنا فإنّ أوّل و أهمّ عامل من عوامل فعاليّة الجمعة في إصلاح التّفكير ، هو إصلاح أصوله و مصادره .

2 – تنوّع مجالات الجمعة في إصلاح التّفكير و شموليتها :

فقد تبيّن لنا أنّ نواحي إصلاح التّفكير في الجمعة ، فضلا عن كثرها ، فهي متنوّعة و شاملة لكلّ ما يصلح حال الإنسان في دنياه و آخرته ، و هذا من شأنه مضاعفة فعاليتها .

3 – تكامل مجالات الجمعة في إصلاح التّفكير :

فكلّ مجال من تلك المجالات إلاّ و له وظيفة عائدة على بقيّة المجالات بالتّكميل و التّأييد و التّأكيد ، و هذا بيّن في كونه يزيد في فعاليّتها في هذا الميدان ، و مثاله إنّ إصلاح التّفكير في العبادة مكمّل لإصلاح التّفكير لتحصيل النّجاة في الحياة الآخرة ، من حيث أنّ العبادة هي أمارة التّقوى و هي العمل الّذي به يُجزي الإنسان ، قال تعالى : ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[151] ؛ و هو مكمّل لإصلاح التّفكير في تلقّي العقيدة من حيث أنّ العبادة هي التّجسيد العمليّ لمعاني العقيدة .

ثالثا – فعاليّة الجمعة في إصلاح العمل :

يمكن إبراز عوامل فعاليّة الجمعة في إصلاح العمل فيما يلي :

1 – فعالية الجمعة في إصلاح أصول العمل :

لا شك أنّ أمرا ما يكون فعّالا في إصلاح المعتقدات و الأفكار ، يكون أيضا فعّالا في إصلاح العمل ، لأنّ العمل كما سلف بيانه نابع من المعتقدات و الأفكار ، و من هنا تكمن فعالية الجمعة في إصلاح عمل العاملين ، فهي تصلحه من أصوله و ليس من فروعه .

---

[151] – سورة النحل ، الآية 32 .

2 – شمولية خطب الجمعة لجميع أعمال الإنسان :

إنّ الأصل في الجمعة هو أنّ مواضيعها شاملة لكلّ مجالات الحيـــاة و جميـــع ميادين النشاط البشري ، و من ثمّ فإنّها تتطرّق لإصلاح جميع أعمـــال الإنســـان ، سواء كان عملا نفسيّا أو بدنيّا ، فرديّا أو جماعيّا .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

البعد الثقافي للجمعة

المبحث الأول : مفهوم الثّقافة و مكوّناتها الأساسية

المبحث الثّاني : أهداف الثّقافة و منهج الجمعة في تحقيقها

المبحث الثّالث : فعالية الجمعة في تحقيق أهداف الثّقافة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

مفهوم الثّقافة و مكوّناتها الأساسية

أوّلا – مفهوم الثّقافة و مقتضياته:

1 – مفهوم الثّقافة

تعتبر الثّقافة من أكثر مصطلحات العلوم الاجتماعيّة الّتي كثر من حولها الخلاف في مفهومها و في عناصرها و في وسائلها و في وظائفها و في أهدافها ، و تتجلّى أبرز مظاهر ذلك ، في الكمّ الهائل من التّعريفات و المفاهيم الّتي عُرّفت بها و الّتي تجاوزت المائتي تعريف [1].

و يمكن إرجاع أسباب ذلك الخلاف ، إلى اختلاف نظرة الباحثين و الدارسين إلى هذا المصطلح تبعا لاختلاف عقائدهم و أفكارهم و مذاهبهم و مناهجهم في الحياة ، و لتباين تخصصاتهم العلمية و وجهات نظرهم ، بل وحتى اختلاف لغاتهم و بيئاتهم [2].

أ) المفهوم اللغوي :

الثقافة في لغة العرب مشتقة من " الثقف "، و أصله مادة (ث ق ف) ، و يمكن تلخيص معانيها وفق ما يخدم جوهر هذه الدراسة و منهجها فيما يلي [3]:

1. وجود الشيء و مصادفته .
2. الظفر بالشيء ، و أخذه غلبة .

---

[1] – سامية حسن الساعاتي ، الثقافة و الشخصية ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار النهضة العربية ، 1983) ، ص 34 .

[2] – نصر محمد عارف ، الحضارة – الثقافة – المدنية ، دراسة لسيرة المصطلح و دلالة المفهوم ، الطبعة الثانية ، (الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، 1415هـ/1995م) ، ص ص 19-26 .

[3] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج9 ، ص 19 ، 20 ، حرف الفاء فصل الثاء . الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج3 ، ص 121 ، باب الفاء فصل الثاء . الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 46 ، مادة (ث ق ف) .

3. تسوية الشيء و تقويم اعوجاجه ، سواء كان شيئا حقيقيا ملموسا كالرمح و القوس ، أو كان مجازيا كتثقيف عوج السلوك و الطباع .

4. سرعة وجود الشيء في الأذهان .

5. الحذق و المهارة في إتقان الشيء ، سواء كان ماديا أو معنويا .

6. الفهم و الذكاء .

7. الإدراك على وجه الإطلاق .

ملاحظة :

- هناك معاني أخرى للثقافة أعرضنا عنها لعدم تناسبها مع الدراسة ، و نشير إلى أن المعنى الأخير" الإدراك "، هو الذي أرجع إليه الراغب[4] في مفرداته جميع معاني الثقافة سواء كان هذا الإدراك بالنظر و التدبر أو بغيرهما [5].

ب) مقتضيات المفهوم اللغوي للثقافة :

تأسيسا على المعاني اللغوية السابقة لمفهوم الثقافة يمكن استخلاص المقتضيات التالية :

- "إنّ مضمون الثّقافة في اللّغة العربية أصيل ينبع من الذّات الإنسانيّة و ليس دخيلا عليها ، فهي تعني تنقية الفطرة البشريّة و تهذيبها و تقويم اعوجاجها و توليد معاني الخير فيها ، و إطلاق طاقاتها لتنشئ المعارف الّتي يحتاج إليها الإنسان.

- إنّ معانيها تتلخّص في البحث و التّنقيب و الإدراك و الظّفر بمعاني الحقّ و الخير و العدل ، و كلّ القيم الّتي تُصلح الوجود الإنسانيّ ، و تهذّبه و تقوّم اعوجاجه ، و هي بهذا تفتح الباب أمام العقل البشريّ لكلّ المعارف و العلوم النّافعة " [6].

---

[4] – هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المولود في عام 502هـ ، واحد من أئمة الاشتقاق و النظر في أصول العربية ، و صاحب الحديث و الشعر و الكتابة و الأخلاق و الحكمة و الكلام ، قال فيه فخر الدين الرازي : إنه من أئمة السنة ، من مصنفاته : تفصيل النشأتين و تحصيل السعادتين " ، " الذريعة إلى مكارم الشريعة " .

[5] – الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ضبط و مراجعة : محمد خليل عيتاني ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار المعرفة ، 1418هـ/1998م) ، ص 85 .

[6] – نصر محمد عارف ، المرجع السابق ، ص31 .

- إنّـــه يركّز في المعرفة على ما يحتاج الإنسان إليه طبقا لظروف بيئتـــه و مجتمعـــه و ليس على مطلق أنواع المعارف و العلوم . فهو مفهوم وظيفيّ عمليّ ، لذلك فـــالمثقّف الحقيقيّ هو من كان مرتبطا بمجتمعه و قضاياه بغضّ النّظر عن كمّ المعارف و المعلومـــات المكدّسة في ذهنه ، فهو كما قال ابن منظور : " غلام لقف ثقف أي ثابت المعرفـــة بمـــا يحتاج إليه" [7].

- إنّ الثّقافة عملية متجدّدة دائمة لا تنتهي أبدا ، فهي لا تعني أنّ إنسانا أو مجتمعـــا حصّل من المعارف و العلوم و القيم ما يجعله على قمّة السّلّم الثّقافيّ ، أو أنّه وصـــل إلى الغاية القصوى ، و إنّما دلالات التّهذيب و التّقويم تعني التّجدّد الذّاتي أي تكرار التّهذيب و مراجعة الذّات و تقويمها و إصلاح اعوجاجها" [8].

- إنّه مفهوم مطلق و عامّ و غير مقيّد و مخصّـــص ، فـــهو للإنســـان و الجماعـــة و المجتمع ، و يشتمل على جميع أنواع الممارسات الإنسانيّة و مختلف درجاتها ، و يعطـــي دلالاته على أيّ مستوى تحليليّ يستخدم فيه طالما تحقّق مطلق التّهذيب و التّقويم [9].

- إنّ مفهوم الثّقافة قريب جدّا من مفهوم الحكمة في منطلقاته و غاياته [10]. و هـــذا ما يؤكّد كون البعد التّثقيفي من أهمّ ما تقصد إليه الشّريعة عامّة ، و الجمعة على وجـــه الخصوص .

---

[7] – نصر محمد عارف ، المرجع السابق ، ص 31 .

[8] – ن م ، 32 .

[9] – ن م ، 33 ؛ محمد بن عبد الكريم الجزائري ، الثقافة و مآسي رجالها . (الجزائر : شركة الشهاب) ، ص 19 .

[10] – فخر الدين الرازي ، التفسير الكبير و مفاتح الغيب ، ج7 ، ص72 ، 73 ؛ ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج3 ، ص ص 60-64 .

ج) المفهوم الاصطلاحي :

إنّ السّؤال الّذي يتبادر إلى الأذهان لأوّل وهلة في هذا المقام هو :

هل يوجد في الحضارة الإسلاميّة و في تراثها الفكريّ مفهوم اجتماعيّ " للثّقافة" يمكن اعتماده و الاصطلاح عليه في الفكر و البحث الاجتماعيّ الإسلاميّ ، حتّى نتمكّن من تجنّب مزالق التّرجمة الحرفيّة للمفهوم الأجنبيّ و ما يحمل في طيّاته من فلسفات ميّتة و مُميتة ، و الاحتراز من مهاوي الاقتباس على غير بصيرة ، و الحذر من خطر التّلفيق العشوائيّ بين مفاهيم ذات أصول و غايات متناقضة و متنافرة ؟

و الجواب هو :

إنّ " الثّقافة " من حيث كونها مفهوما اجتماعيّا ، لم تعرفها الحضارة العربيّة و الإسلاميّة ، و لم يسجّل لها تراثها الفكريّ حضورا ، و إنّما هي ثمرة من ثمار عصر النّهضة في أوربا ، ففيها وُلد و فيها نشأ ، و في أحضانها ترعرع و منها نُقل إلى بقيّة الأمم [11].

غير أنّ هذا لا ينفي أنّ محتواها و مضمونها كان موجودا و حاضرا في الحضارة الإسلاميّة ، فالتّاريخ أثبت و يثبت أنّها قد عرفت أرقى الثّقافات الإنسانيّة [12]، بل إنّنا لا نجافي الحقيقة إذا اعتبرنا أنّ كلّ المجتمعات الإنسانيّة قد عرفت و عاشت بروح الثّقافة ، لأنّ الثقافة في حقيقتها هي أبرز السّمات و الصّفات الإنسانيّة ، و هي ليست حكرا على أمّة بعينها [13]. و من ثَمّ فإنّ تأسيس و بناء مفهوم اصطلاحيّ للثّقافة وفق معايير المذهبيّة الإسلاميّة يستلزم :

1- الانطلاق من الأصول الصّحيحة لاستعمالات اللّغة العربية للكلمة مع مراعاة خصائص اللغة و أساليب العرب في استعمالاتها .

---

[11] – بن نبي مالك ، مشكلة الثقافة ، الطبعة الرابعة ، ترجمة عبد الصابور شاهين . (الجزائر : دار الفكر ، دمشق : دار الفكر ، 1404هـ/1984) ، ص 20 . سامية الساعاتي ، الثقافة و الشخصية ، ص ص 29 – 34 .

[12] – بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ص ، 20 .

[13] – فؤاد البهي السيد ، علم النفس الاجتماعي . (القاهرة : دار الفكر العربي) ، ص 53 .

2- الانطلاق من المرجعيّة العقديّة و الفكريّة و السّلوكيّة للأمّة الإسلاميّة .

3- الرّجوع إلى التّراث الفكريّ للحضارة الإسلاميّة مع مراعـــاة متطلّبـــات الواقـــع الراهن .

4- الاستفادة الواعية ممّا وصل إليه الفكر الإنسانيّ .

و بناء على هذه المنطلقات وفي ضوئها ، و نظرا لكثرة مـــا كُتـــب حـــول هـــذا المفهوم ، و لاعتبارات منهجيّة ، فإنّه يمكن تعريف الثّقافة تعريفا إجرائيّا كما يلي :

" إنّ الثّقافة هي مجموع القيم المعرفيّة و الرّوحيّة و الأخلاقيّة و السّلوكيّة ، المتوافقـة مع سنن الله التّشريعيّة والتّكوينيّة (سنن الهداية و سنن الآفاق و سنن الأنفس) ، و الّـــتي تهدف إلى تقويم و ترقية فطرة الإنسان ، في بُعدَيها الفرديّ و الاجتماعيّ ، بما يؤهّله للقيام الكامل بوظيفته الوجودية ، المتمثّلة في تحقيق مستوى استخلافي راقٍ ".

ثانيا – مكوّنات الثّقافة و عناصرها :

تحليل ظاهرة الثّقافة :

إنّ الأهداف الّتي نسعى إلى تحقيقها من وراء عمليّة تحليل ظاهرة الثّقافة هي :

- معرفة العناصر التي تتكوّن منها الظّاهرة .
- ترتيب هذه العناصر و تصنيفها ، كيّما يسهل إدراكها ، و بالتّالي إدراك كيف تتمّ عملية التّثقيف.
- الاستعانة بهذا التّرتيب و التّصنيف في عمليّة بناء المنظومة الثّقافية للأمّة .

... هذا و ينبغي أن نبيّن أنّ عمليّة تحليل ظاهرة الثّقافة ، تتحقّق بالإجابـــة علـــى السّؤالين التـــاليين و هما :

1. كيف تتمّ عملية التّثقيف في أبسط صورها في مجتمع ما ؟
2. ما هي العناصر الّتي تـــتكوّن منها ظاهرة الـــثّقافـــة ؟

أمّا عن الكيفية الّتي تتمّ بها عملية التّثقيف ، فإنّ الإنسان ما أن يبعث به رَحِمُ أمّه إلى نور الحياة ،حتّى يجد نفسه محاطا بعدد لا حصر له من عناصر الوجود المادّية و المعنويّة ، الّتي لا يفهم و لا يعي منها في بداية حياته شيئا ، و لا تربطه بها سوى رابطة غرائزه الحيويّة الأولى ، و على رأسها إشباع بطنه . إنّه يولد ضعيفا لا يقدر على شيء ، قال تعالى :﴿ يريد الله أن يخفف عنكم وَخلق الإنسان ضعيفا ﴾ [14]، و قال: ﴿ الله الّذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا و شيبة يخلق ما يشاء و هو العليم القدير﴾ [15] ، و إنه يأتي إلى الدّنيا جاهلا لا يعلم شيئا ، قال تعالى : ﴿ وَالله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾ [16].

و مع مرور الأيّام تتغيّر الأحوال شيئا فشيئا ، فيبدأ في التعرّف على بعض ما يحيط به من عناصر الوجود الثّقافي ، بدءً بأمّه و أسرته ، ثمّ تأخذ الدّائرة في الاتّساع حتّى يصبح كنقطة في شبكة كثيفة جدّا من العلاقات الاجتماعيّة و غيرها .

و كذلك الأمر بالنسبة لعلاقة الإنسان (الطّفل) ببقيّة عناصر الوجود ، فإنّها تبدأ بسيطة و ساذجة ، ثمّ تتطوّر حالا فحالا ، حتّى تصل إلى درجة يصبح من المستحيل قطعها أو تفكيكها . فالفرد إذن منذ ولادته يكون غارقا في بحر من عناصر الوجود الّتي يعيش معها في حوار دائم ، في صحوه و نومه [17]، و في يقظته و في غفلته ، و في وحدته و مع غيره ، و ببصره و سمعه و لسانه و عقله و قلبه ... فكلّ ذلك الجوّ هو في الحقيقة الإطار الثّقافيّ الّذي يحي فيه الإنسان ، و الّذي بواسطته يمكن فهم كيف تتمّ عمليّة التّثقيف في أبسط صورها .

---

[14] – سورة النساء ، الآية 28 .

[15] – سورة الروم ، الآية 54 .

[16] – سورة النحل ، الآية 78 .

[17] – بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ص52 .

أمّا العناصر الّتي تتكوّن منها ظاهرة الثّقافة [18]، فنظرا لكثرتها و شـــدّة تشـابكها و تمازجها فإنّنا نبرزها مصنّفة ضمن أربع مجالات (عوالم) و هي [19]:

المجال الأوّل: **عالَم الأشخاص** .

إنّ الوحدة الأساسية لهذا العالَم هي الإنسان ، و يعتبر هذا العالم المحور المركـــزيّ الّذي تدور عليه جميع عناصر الثّقافة مهما اختلفت مجالاتها ، و ذلك أنّ ظـــاهرة الثّقافـة نتاج اجتماعيّ إنسانيّ [20]، فلا وجود لها دون مجتمع إنسانيّ ، كما أنّـــه لا وجـــود لـــه من دونها ، فهما ظاهرتان متماسكتان أشدّ التّماسك كأنّهما سطحا ورقة في تلاصقـهما ، فإذا محونا من أيّ مجتمع ثقافته فإنّنا نكون قد سلخنا عنه بشريّته [21].

و يندرج تحت هذا العالَم عناصر كثيرة جدّا لا يتّسع المقام لتفصيلها . لهذا فإنّنـــا نقتصر على أهمّها ، و هي الإنسان فردا بما فطر عليه من طاقات روحيّة و عقليّة و نفســيّة و جسميّة ؛ و الإنسان في جماعة (شخصا) بما أنشأ من علاقات اجتماعيّة و ما اكتســب من صفات اجتماعيّة .

المجال الثّاني : **عالَم الأفكار** .

إنّ الوحدة الأساسيّة لهذا العالَم هي الفكرة سواء كان مصدرها وحـــي السّـــماء و ميراث الأنبياء ، أو كان أرضيا وضعيا من نتاج العقل الإنسانيّ ، و أهمّ العناصر الثّقافيـة الّتي يتضمّنها هذا المجال هي : العقائد و الأفكار و المعارف و العلوم و العادات و التّقـاليد و الأخلاق و الفنون الأدبيّة و القيم و الاتّجاهات و ما كان على شاكلتها [22].

---

[18] – محمد بن عبد الكريم الجزائري ، الثقافة و مآسي رجالها ، 25 .

[19] – بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ص 62 .

[20] – سامية الساعاتي ، الثقافة و الشخصية ، ص 73 .

[21] – هذا التشبيه لـــ (كروبير-Kroeber) ، انظر المرجع السابق ، ص 73 .

[22] – الثقافة و مآسي رجالها ، ص 26 .

المجال الثّالث : **عالم الأشياء .**

يمثّل الشّيء المادّي أو المصنوع أو النّاتج المادّيّ الحضاريّ الوحدة الأساسيّة لهذا المجال ، سواء كان بسيطا أم معقّدا ، و سواء كان قديما أم حديثا ، و من هذا المنطلق فإنّ هذا العالَم يشمل كلّ العناصر الّتي أنتجها الإنسان و كان لها وجودا ماديّا من الإبرة إلى الصّاروخ [23].

المجال الرّابع : **عالَم العناصر و الظّواهر الطّبيعية .**

إنّ الوحدة الأساسيّة لهذا العالَم هو الشّيء الموجود في الكون من غير أن يكون للإنسان فيه أثر صناعيّ ، و ينزوي تحت هذا المجال ، ما لا حصر له من مخلوقات الله تعالى ، في الحيوان و النّبات و الجماد ، و مثل ما في الكون من الألوان و الأصوات و الرّوائح و الحركات و الأضواء و الظّلال [24].

ملاحظتان :

1- إنّ العناصر المكوّنة لظاهرة الثّقافة ليست محصورة في المجالات أو العوالم الأربعة فقط ، بل هناك مجالان آخران يحويان الكثير من العناصر و هما [25]:

- مجال العلاقات بين عناصر كلّ عالم .
- مجال العلاقات بين العوالم الأربعة .

2- إنّ المحور الأساسيّ لكلّ هذه العوالم بما تحويه من عناصر هو الإنسان .

---

[23] - مشكلة الثقافة ، ص 66 .

[24] - ن م ، ص 56 .

[25] - ن م ، 64 .

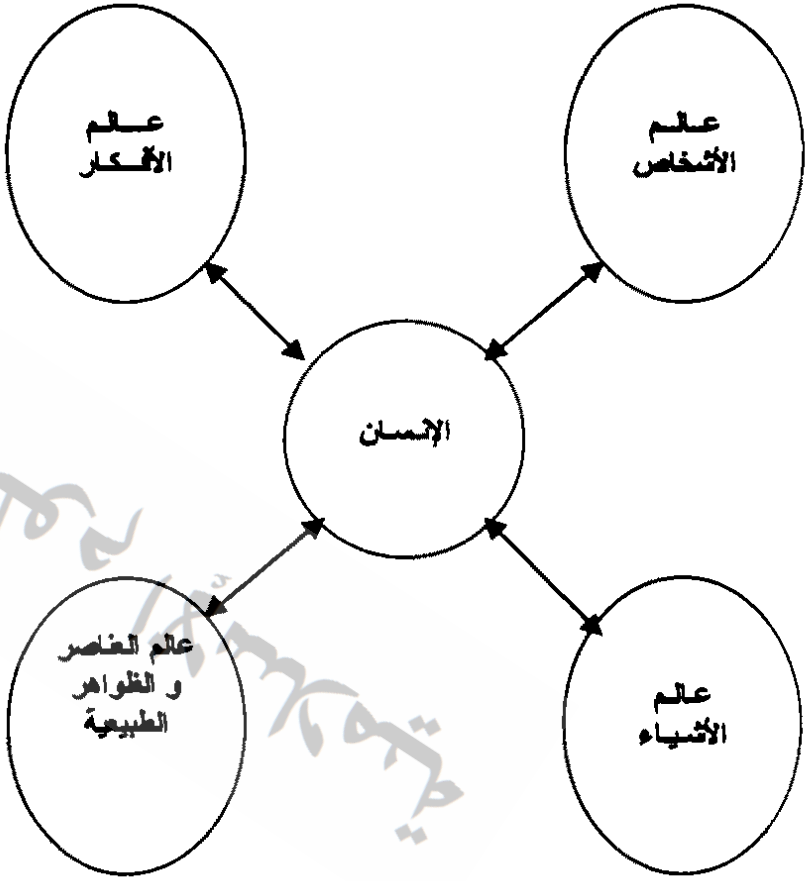

محورية الإنسان في العملية الثقافية

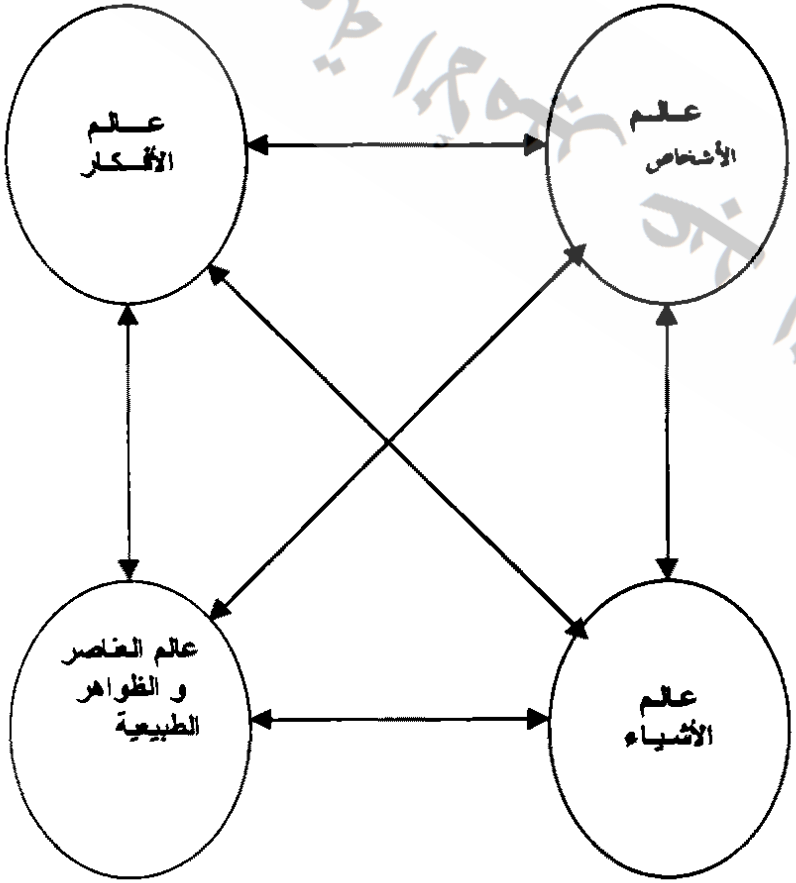

تصنيف العناصر المكونة لظاهرة الثقافة و علاقتها ببعضها

المبحث الثّاني

أهداف الثّقافة و منهج الجمعة في تحقيقها

أوّلا – أهداف الثّقافة :

يعدّ البحث عن أهداف و غايات العمليّات الاجتماعيّة – مثل عملية التّثقيف – من أهمّ الخطوات المنهجيّة في عمليّة تحديد التّعاريف و تبيين المفاهيم ، إذ بغير هذه الخطوة من البحث يبقى إدراكنا للمفهوم ناقصا ، إن لم يكن قاصرا ، و ذلك لأنّ البحث في الأهداف هو بحث في صميم الوظيفة الاجتماعيّة و الرّسالة الحضاريّة لتلك العمليّة .

و في الحقيقة إنّ هذا المسلك في البحث هو جوهر المنهج الإسلاميّ في المعرفة و روحه ، فالقرآن الكريم و السّنة النّبوية حينما يعرّفان شيئا ما ، إنّما ينهجان منهج البيان المباشر عن رسالته و وظيفته و هدفه و مقصده و الحكمة منه [27].

و في ضوء هذا البيان ، و انطلاقا ممّا جاء في تحليل مفهوم الثّقافة و مكوّناتها الأساسيّة ، و اعتمادا على التّعريف الإجرائي فإنّه يمكن إبراز أهدافها على مستويين .

1 – على مستوى الفرد : بناء الشّخصية السّوية :

يمثّل بناء الشّخصيّة السّوية و صياغتها الهدف المحوريّ و الأساسيّ الّذي تتوخّاه الثّقافة على مستوى الأفراد ، فكما أنّ الثّقافة لا وجود لها دون مجتمع إنسانيّ ، فإنّ المجتمع الإنسانيّ نفسه لا وجود له من دون أشخاص ، و من ثمّ فإنّه لا وجود للثّقافة من دون شخصية [28].

---

[27] – الشاطبي ، الموافقات ، ص ص 46 ، 56 .

[28] – سامية الساعاتي ، الثقافة و الشخصية ، ص 220 .

إنّ المجتمع في حقيقته هو مجموع الأفراد المكيّفين ، أي الأفراد الذين تمّ تغيير صفاتهم البدائيّة الّتي تربطهم بالنّوع إلى نَزْعات اجتماعيّة تربطهم بالمجتمع ، أو إخراجهم من كونهم أفرادا إلى أن يصبحوا أشخاصا ، و من المعلوم أنّ هذا الإخراج لا يمكن تحقيقه بغير الثّقافة ، فهي العنصر الّذي إذا تحلّى به الفرد و خلعه على نفسه صار مؤهّلا للاندماج في المجتمع و أصبح شخصيّة لها معاييرها و أدوارها [29].

و الفرد كما يولد داخل مجتمع ما ، فهو يولد أيضا داخل ثقافة ذلك المجتمع ، و هذه هي الّتي تتولّى تشكيل شخصيّته ؛ و هي الإطار الأساسيّ و الوسط الّذي تنمو فيه هذه الشّخصية و تترعرع . و من ثمّ فإنّ الثّقافة هي المؤثّر الرّئيسي في السّلوك الاجتماعيّ الذي يطبع تصرّفات الفرد ، و هي المحيط الّذي يصوغ كيانه ، كما أنّها هي الّتي تؤثّر في معتقداته و أفكاره و معلوماته و معارفه و دوافعه و انفعالاته و مشاعره و رغباته و مهاراته و خبراته ، و طرق تعبيره عن كلّ ذلك ، كما تحدّد له القيم و المعايير الّتي يسترشد بها ، و تفرض عليه العادات و التّقاليد الّتي يتمسّك بها [30].

و قد دلّت الأبحاث العلميّة المتخصّصة على أنّ طابع الشّخصيّة ذو علاقة وثيقة جدّا بنمط الثّقافة الّذي تنتمي إليه هذه الشّخصية [31].

2 – على مستوى المجتمع : بناء حضارة راقية :

إذا كان بناء شخصية الإنسان و صياغتها و تقويم فطرته و ترقيتها هو أوّل أهداف العمليّة الثّقافية ، فإنّ هذا الهدف نفسه ، ما هو إلاّ وسيلة إلى هدف أكبر منه تسعى الثّقافة إلى تجسيده على مستوى المجتمع ، و هو تحقيق مقام استخلافيّ راق ، أو ما يمكن التّعبير عنه ببناء حضارة راقيّة ، و من هنا يتبيّن لنا أنّ بناء الشّخصيّة هدف مطلوب طلب الوسائل ، أي هو هدف وسيليّ مرحليّ ، بينما بناء الحضارة الرّاقية هدف مطلوب طلب

---

[29] – مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع – شبكة العلاقات الاجتماعية ، الطبعة الثالثة ، ترجمة عبد الصابور شاهين . (الجزائر : دار الفكر . دمشق : دار الفكر ، 1406 هـ / 1986) ، ص67 .

[30] – سامية الساعاتي ، الثقافة و الشخصية ، ص 223

[31] – ن م ، ص 223 .

الغايات ، أو هو هدف غائي استراتيجي ؛ أي أنّ الأوّل مطلوب لغيره و الثّاني مطلـــوب لذاته . و لكن ما هي هذه الحضارة الرّاقية ؟ و ما هي مواصفاتها ؟ و ما هو وجه البرهـــان الشّرعيّ و العقليّ على أنّها غاية مطلوبة و مقصودة ؟

أمّا الحضارة فبعد الرّجوع إلى جذور الكلمة في اللّغة العربيّـــة ، و تتبّـــع معانيـــها الواردة في القرآن الكريم [32]، و بعد فحص أهمّ استعمالاتها في منابتها الّتي ولدت و نمـــت فيها[33] ، فإنّه يمكن تعريفها بأنّها : " حصيلة تفاعل الجهد الإنسانيّ مع سنن الهداية و سـنن الآفاق و سنن الأنفس ، من أجل التّرقّي المعرفيّ و الرّوحيّ و السّلوكيّ و العمرانيّ في عـالم الشّهادة ، إنجازا لمهمّة الاستخلاف و استعدادا لوراثة الجنّة "[34] .

و بنفس المسلك السّابق في اعتبار بناء الشّخصية مطلوب لبناء حضارة راقية ، فإنّنـا نلاحظ من هذا التّعريف أنّ بناء الحضارة الرّاقية – و هو من مطالب عـــالم الشّـــهادة – مطلوب لغاية أكبر منه في عالم الغيب ، و هي الفوز بالجنّة و نيل رضـــــا الله الأبـــديّ . و يبدو أنّ هذا التّعريف هو من أكمل و أشمل تعريفات الحضارة ، لأنّـــه تضمّـــن أهـــمّ مواصفاتها و عناصرها الّتي تتكوّن منها ، بغضّ النّظر عن ملّتـــها أو جنســـها أو مكانهـــا أو زمانها ، و لأنّـــه تضمّن العنصر القيميّ أو المعياريّ و الوظيفيّ للحضارة ، و يتجلّى لنا ذلك فيما يلي من النّقاط [35]:

أ. " وجود نسق عقيديّ يحدّد طبيعة العلاقة مع عالم الغيب .

ب. وجود بناء فكريّ سلوكيّ في المجتمع يشكّل نمط القيم السّائدة و الأخلاقيـــات العامّة و الأعراف .

ت. وجود نمط مـــادّي يشمل المبتكرات و الآلات و المؤسّسات و النّظم و العمـــارة و الفنون و جميع الأبعاد المادّية في الحياة .

---

[32] – انظر في تتبع المعاني اللغوية لكلمة (حضارة) كتاب : الثقافة ، الحضارة ، المدنية . لنصر محمد عارف . فقد بين فيه أن كلمة حضارة في اللغة العربية لها معاني كثيرة ، و أن جل من تناولوها اقتصروا على معنى واحد و هو ما يقابل البداوة

[33] – الثقافة و مآسي رحالها ، ص ص 14 ، 20 . الثقافة و الشخصية ، ص ص 33 – 56 .

[34] – برغوث الطيب ، موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التحديد الحضاري عند مالك بن نبي ، ص 10 ؛ منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة و المحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية ، ص 40 .

[35] – الحضارة – الثقافة – المدنية ، ص 61 .

ث. تحديد نمط العلاقة مع الكون و مسخّراته و عالم أشيائه و قواعد التّعامل مع هذه المسخّرات و قيمها .

ج. تحديد نمط العلاقة مع الآخر ، أي مع المجتمعات الإنسانيّة الأخرى و أسس التّعامل معها و قواعده ، و أسلوب إقناعها بهذا النّموذج و الهدف من ذلك الإقناع ".

... هذا عن مفهوم الحضارة الرّاقية و أهمّ مواصفاتها و عناصرها ، أمّا عن وجه البرهان الشّرعيّ و العقليّ الدّالّين على كونها مطلوبة و مقصودة ، فإنّ هذا الأمر في الإسلام ممّا يجب أن يكون معلوما بالضّرورة ، و النّصوص في ذلك قطعيّة في ثبوتها و دلالتها .

جاء في كتاب (منهج الحضارة الإنسانية في القرآن):" ... فالوظيفة الّتي يحمّلها القرآن للإنسان في الحقيقة إنّما هي عمارة الأرض ، بمعناها الشّامل العامّ ، و هي تشمل فيما تشمل إقامة مجتمع إنسانيّ سليم ، و إشادة حضارة إنسانيّة شاملة ، ليكون الإنسان بذلك مظهرا لعدالة الله تعالى و حكمه في الأرض ... و ينصّ القرآن في أكثر من موطن على هذه الوظيفة الّتي حمّلها الإنسان ، فهو يقول : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [36]، أي كلّفكم بعمارتها ، و يقول : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [37]،" أي خليفة منّي يخلفني في الحكم بالعدل بين خلقي ، و إنّ ذلك الخليفة هو آدم و من قام مقامه في طاعة الله و الحكم بالعدل بين خلقه "[38]، و يقول أيضا :﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [39]، و يقول : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

---

[36] - سورة هود ، الآية 61 .

[37] - سورة البقرة ، الآية 30 .

[38] - ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج1 ، ص 122

[39] - سورة القصص ، الآية 5 .

فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [40]، فهذه الآيات – و مثلها في القرآن كثير – تنطوي على تعريف صريح بالمهمّة الأساسيّة الّتي كلّف الإنسان في حياته الدّنيوية هذه أن ينهض بها ، ألا و هي تحقيق جامعة إنسانية فعّالة "[41].

ثانيا – منهج الجمعة في تحقيق أهداف الثّقافة :

انتهى البحث إلى أنّ " الثّقافة " مفهوم رحب الدّلالات و المعاني ، و أنّ عناصرها الّتي تتكوّن منها جدّ كثيرة و متنوّعة ، و جدّ متشابكة و معقّدة ؛ و خلصنا من خلال ذلك كلّه إلى أنّها تهدف إلى تحقيق أهداف في غاية الرّفعة و السّموّ .

غير أنّ هذا كلّه – على الرّغم من أهمّيته – يبقى غير كاف لأن يجسّد الثّقافة في واقع اجتماعيّ عمليّ ، إذ منتهى ما ينتج عنه هو عمليّة تعريف الثّقافة و تحديد مفهومها ؛ و بالنّسبة لواقعنا الإسلاميّ الرّاهن فإنّ مشكلته تجاه الثّقافة ليست منحصرة في محاولة فهمها بقدر ما هي في تحقيقها بصورة عملية [42]؛ و لكن هذا لا يغضّ و لا ينقص من قيمة البحث في المفهوم و ضرورته ، إذ أنّه الخطوة المنهجية الأولى في سبيل تحقيق الثّقافة في الواقع ، بل هو مفتاح الولوج إلى حقيقتها و كنهها ، لأنّ الحكم على الشّيء – كما قضى المنطق – فرع عن تصوّره .

... لأجل ذلك فإنّ قضيّة تحديد المنهج الّذي تتحقّق به الثّقافة في مشروع اجتماعيّ قابل للتّنفيذ يعدّ مطلبا ملحّا ، لأنّ جوهر البحث العلميّ و روحه لا يكمن في فنّ تحليل الظّاهرة الاجتماعيّة و تفكيكها إلى عناصرها الجزئية المكوّنة لها فحسب ، و إنّما في إتباع ذلك بعمليّة تركيب تلك العناصر في بناء ، و هو ما يقتضي عمليّة تصنيفيّة و ترتيبيّة لتلك العناصر ، ثمّ عمليّة أخرى تتمثّل في وضع ذلك كلّه في خطّة تربوية

---

[40] – سورة النور ، الآية 55 .

[41] – محمد سعيد رمضان البوطي ، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن ، الطبعة الأولى . (دمشق : دار الفكر ، 1405هـ/ 1985م) ، ص 26 ، 27 .

[42] – مشكلة الثقافة ، ص 61 .

صالحة ، مع مراعاة الوسائل العمليّة للتّركيب ، و عدم الحيد عن الغاية الأساسيّة المطلوب إنجازها و هي بناء شخصية سويّة و تشييد حضارة راقية [43].

فأمّا عمليّة التّصنيف ، فقد تمّ التعرّض لها عند بيان مكوّنات الثّقافة و عناصرها ، و قد اقتضى تناولها في ذلك الموضع اعتبار منهجيّ ، إذ أنّ مكانها الأصليّ هو في هذا المقام ؛ و أمّا بالنّسبة لعمليّة وضع خطّة تربويّة لتحقيق ذلك البناء ، فإنّها بالنّسبة لمؤسّسة المسجد و الجمعة بوجه خاصّ يمكن أن تتمّ باتّباع الخطوات التّالية :

الخطوة الأولى : تكوين الجمعة للمقاييس المعياريّة لشخصية المسلم و توجيهها :

نقصد بالمقاييس المعياريّة لشخصيّة إنسان ما ، مجموع الضّوابط القيميّة الذّاتية الّتي انطبعت بها نفسه ، اختيارا دون قسر ، و الّتي بها يقرّر و يحكم على الأشياء بالخير أم بالشّر ، بالحسن أم بالقبح ، بالجمال أم بعكسه ، سواء كانت مصادرها و أصولها دينيّة أخلاقيّة أم عقليّة أم نفسيّة أم اجتماعيّة ، أم مزيجا بين ذلك كلّه أم بعضه [44].

و يمثّل تكوين هذه المقاييس المعياريّة و توجيهها بالنّسبة للجمعة أوّل خطوة يجب أن نتبعها على طريق بناء المنظومة الثّقافية للأمّة الإسلاميّة و ذلك لعدّة اعتبارات :

الاعتبار الأوّل : تعلّقها المباشر بصياغة الشّخصيّة و بناء الحضارة .

... فإذا كانت الشّخصيّة هي النّواة المركزيّة والوحدة الأساسيّة للمجتمع و الحضارة [45]، فإنّ هذه الشّخصيّة لا يمكن أن تتشكّل و تصاغ إلاّ بعد أن يكون صاحبها قد انطبع – و لو بالحدّ الأدنى – بالمقاييس المعياريّة أو الضّوابط القيميّة الّتي يتشرّبها من المحيط الثّقافي لمجتمعه و أسلوب حياته ، و هو ما ندرك من خلاله ضرورة اهتمام الخطاب الإسلاميّ بتكوين هذه المقاييس و توجيهها ، لأنّها هي البذور الأولى لبناء الحضارة .

---

[43] – ن م ، ص 62 .

[44] – مشكلة الثقافة ، ص 53 .

[45] – السّالوطي نبيل توفيق ، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ، (جدة : دار الشروق) ، ص 289 .

و بالرّجوع إلى القرآن الكريم و السّنة النّبوية الشّريفة نجد أنّ الاهتمام بإصلاح المقاييس المعياريّة للمخاطَبين بالدّعوة من أبرز معالم المنهج الإسلاميّ في التّغيير ، بل إنّ رسالة الإسلام تتمحور حول إصلاح هذه المقاييس . قال تعالى : ﴿ ...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ...﴾ [46] ، و قال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [47] ، و معلوم أنّ تغيير النّفس و تزكيتها ، ليس إلاّ إصلاح ما به تصلح معتقداتها و أفكارها و أعمالها ، حتّى تصبح على قدم راسخة من التّمييز بين الحقّ و الباطل ، و بين الإيمان و الكفر ، و بين الصّواب و الخطأ ، و بين الخير و الشّر ، و بين الحسنة و السّيّئة ، و بين الحلال و الحرام و بين الجميل و القبيح .

لأجل ذلك أكثر القرآن الكريم من استدعاء العقول للتفكّر و إعمال النّظر و التّدبّر والاعتبار و التّفقه و التّعلم و غيرها من العمليّات العقليّة [48] ، الّتي ورد ذكرها فيه مئات المرّات [49] .

و قد تجسّد هذا المعْلم الإصلاحيّ في سنّة النّبيّ ﷺ عبر مسيرته الدعويّة بأكملها ، سواء في المرحلة المكيّة أو في المرحلة المدنيّة .

أخرج الإمام مالك عن عروة بن الزبير رضي الله عنه [50] أنه قال: أنزلت ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ في عبد الله بن أمّ مكتوم جاء إلى الرّسول ﷺ فجعل يقول : يا محمّد استدنيني و عند الترمذي يا رسول الله أرشدني ، و عند رسول الله رجل من عظماء المشركين ، فجعل النبي ﷺ يعرض عنه و يقول على الآخر ، و يقول : يا أبا فلان هل ترى بما أقول بأسا

---

[46] – سورة الرعد ، الآية 11 .

[47] – سورة سبح ، الآية 14 .

[48] – ابن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، ص 50 .

[49] – محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . (بيروت : دار الأندلس) ، مادة : فكر ، نظر ، علم ، فقه ، عبر ، ذكر ، و غيرها من العمليات العقلية .

[50] – هو أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي تابعي جليل ، كان عالما فذا ، أخذ العلم عن ثلة كبيرة من الصحابة ، قال عنه ابن عيينة : هو أعلم الناس بحديث عائشة ، و قال عنه الزهري : كان بحرا لا يكدره الدلاء . (موسوعة الحديث)

فيقول : لا و الدماء ما أرى بها تقول باسا . فأنزلت ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾ "[51]، فمن هذا الحديث نتبيّن أنّ الرّسول ﷺ كان شديد الحرص إلى الوصول إلى تغيير المقاييس المعياريّة للنّاس ، و محلّ الشّاهد في الحديث هو قوله : " هل ترى بها أقول باسا ".

الاعتبار الثّاني : المقاييس المعياريّة هي أساس البنيان الثّقافي :

... و كما أنّ تكوين المقاييس المعياريّة لشخصيّة المسلم ضروريّ في البناء النّفسيّ (الشّخصية) و البناء الحضاريّ للأمّة ، فإنّه ضروريّ أيضا في البناء الثّقافي ، و ذلك لكون تلك المقاييس هي الّتي :

- تُحدّد دور العقل في الكثير من المجالات ، و خاصّة في مجال فاعليّته الاجتماعيّة ، فالإنسان كلّما كان انطباعه بالمقاييس المعياريّة قويّا ، كان أداؤه الاجتماعيّ فعّالا ، و كلّما كان هذا الانطباع ضعيفا ، كان أداؤه الاجتماعيّ وَهِنا ، فالفعل الاجتماعيّ لكلّ إنسان من جنس مقياسه المعياريّ ، و لهذا لمّا عيّر أبو ذرّ الغفاري ﷺ أحد الصحابة ﷺ بقوله : يا ابن السّوداء ، كان توجيه الرّسول ﷺ متوجّها إلى أصل الفعل و هو المقياس المعياريّ ، فقال لأبي ذرّ معلّما و مربّيا :" إنّك امرؤ فيك جاهلية "[52].

و من هنا يمكن فهم جانب من جوانب المنهج الإسلاميّ في التّربية و التّعليم و التّثقيف ، و المتمثّل في تكرار النّبيّ ﷺ لبعض التّوجيهات في نفس المجلس ، و السّنّة بذلك غنيّة جدّا . فقد سأله أحد الصّحابة وصيّة فكرّر له مرارا قوله : لا تغضب ، أخرج البخاريّ عن أبي هريرة ﷺ أنّ رجلا قال للنّبيّ ﷺ : أوصني . قال : لا تغضب . فردّد مرارا ، قال : لا تغضب "[53]

---

[51] - أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب النداء للصلاة باب ما جاء في القرآن ، رقم 426 و هو مرسل ، و لكن الترمذي أخرجه عن عائشة ، و أخرجه الحاكم .

[52] - متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية و لا يكفر صاحبها إلا الشرك عن المعرور بن سويد ، رقم 29 ؛ و مسلم في كتاب الإيمان باب إطعام المملوك مما يأكل و إلباسه مما يلبس و لا يكلفه ما يغلبه ، رقم 3139 .

[53] - أخرجه في كتاب الأدب باب الحذر من الغضب ، رقم5651 . و الترمذي و أحمد و غيرهم

و ثبت عنه في بعض المجالس تكراره و تأكيده لبعض التوجيهات مثل قولـــه : ألا أنبّئكم بأكبر الكبائر ، ثلاثا ، قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الإشراك بـالله و عقـوق الوالدين ، وجلس و كان متّكئا و قال : ألا و قول الزّور فما زال يكرّرها حتّى قلنا ليته سكت "[54] . و قوله في الوصية بالأمّ : أمّك ... أمّك ... أمّك ... أمّك [55] . و قوله في الوصيـــة بالوالدين : رغم أنفه ثمّ رغم أنفه ثمّ رغم أنفه ، قيل من يـا رسـول الله قـال : مـن أدرك أبويه عند الكبر ، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنّة "[56] . و قولـه :" و الله لا يؤمن و الله لا يؤمن و الله لا يؤمن . قيل من يا رسول الله قـال : مـن لا يـأمن جـاره بوائقه "[57] . فهذه كلّها تأكيدات على أهمّية هذه المقاييس .

– تحدّد مواقف النّاس تجاه المشكلات و أفعالهم و ردود أفعالهم ، الّتي يعبّر عنـــها علماء النّفس بالأفعال المنكسة شرطيّا [58] . فإذا ما واجه الإنسان مشكلة فإنّ ردّ الفعـــل تجاهها يكون منبعثا من مقاييسه المعياريّة المنطبعة في نفســه . و لهـذا فـإنّ إصلاحـها و تكوينها و توجيهها ، يعدّ من صميم إصلاح الأعمال .

– تحدّد السّلوك الاجتماعيّ للنّاس في عمومه .

– تحدّد المباني الشّخصية في الفرد (أي ما يصير به الفرد شخصا) .

– تحدّد المباني الاجتماعيّة في المجتمع (أو أسلوب الحياة بتعبير الأنثروبولوجيين) [59] .

... و تلك هي أهمّ ملامح و سمات الثّقافة من حيث كونها نظريّـــة في المعرفـة و منهجيّة في السّلوك و منهجيّة في البناء ، لهذا فإنّ اختيار المنهج الصّائب و الفعّال الّـذي يُكوّن به المجتمع هذه المقاييس و ينقلها إلى كلّ فرد من أفراده ؛ و انتقاء أحسن الوسـائل و الأساليب لإنجاز ذلك ، يمثّل جانبا مهمّا و جوهريّا في عملية التّثقيف .

---

[54] – متفق عليه و اللفظ للبخاري ، أخرجه في كتاب الشهادات باب ما قيل في شهادة الزور عن أبي بكرة عن أبيه ، رقم 2460 .

[55] – جزء من حديث متفق عليه ، أخرجه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الأدب باب من أحق الناس بحسن الصحبة رقم 5514 .

[56] – أخرجه مسلم في كتاب البر و الصلة و الأدب باب رغم أنف من أدرك أبويه ...رقم 4627 . و أخرجه أحمد في مسنده .

[57] – متفق عليه و اللفظ للبخاري في كتاب الأدب باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه عن أبي شريح ، رقم 5557 .

[58] – فاخر عاقل ، علم النفس ، الطبعة الثامنة . (بيروت : دار العلم للملايين ، 1982) ، ص 522 . بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ص 65 .

[59] – مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ص 53 ، 54 .

و منه يجب على الخطاب الإسلاميّ المعاصر – و خاصّة الخطاب المسجديّ لما لـــه من خصوصيات – أثناء اهتمامه بالمقاييس المعياريّة ألاّ يكتفي بعملية استنباطها و تكوينـــها فقط ، و إنّما عليه أن يضطلع بما بعد مرحلة التّكوين ، و هي مرحلة التّوجيه لثمرات تلـك المقاييس .

فالتّوجيه الصّحيح بعد التّكوين الصّحيح ، هو الّذي ينتج ثقافة حقيقيّة (أســـلوب حياة موحّد) ، أمّا إذا كان التّوجيه منعدما أو كان خاطئا ، فإنّه في الحالة الأولى لا يفضي إلاّ إلى عدم مثله ، و في الحالة الثّانية فإنّه يؤدّي إلى ثقافات هجينة .

الخطوة الثّانية : تكوين و توثيق الصّلة بين الفرد المسلم و عناصر الثّقافة :

تمثّل عمليّة تكوين و توثيق صلـــة المسلم بعناصر الثّقافة و مكوّناتها أهمّ العمليّـــات و الخطوات المنهجيّة الضّروريّة ، الّتي تلي عمليّة تكويـــن المقـــاييس المعياريّـــة الذّاتيّـــة و توجيهها ، و ذلك لكونها هي المرحلة الّتي تتجسّد فيها الثّقافة في تركيب عامّ يمكّنها من تحقيق أهدافها [60] .

و من هذا المنطلق ، فلكي تـــثمر الرّسالة التّثقيفية للجمعة و تؤتي أكلها ، و مـــن أجل أن تكون مساهمتها في البناء الثّقافيّ للأمّة مساهمة محوريّة و فعّالـــة ، ينبغـــي علـــى الخطاب الإسلاميّ المعاصر أن يعود بها (الجمعة) إلى ما كانت عليه في عصـــور الخـــير و الازدهـــار ، من كونها الأداة الّتي تربط المسلم بخالق الوجود ، و بـــالموجودات علـــى اختلاف أنواعها و الّتي تعتبر عناصر و مكوّنات للثّقافة و الحضارة .

و كذلك ينبغي على المضطلعين بمؤسّسة المسجد ، أن يعودوا بالجمعة إلى ما كانت عليه ، من كونها من الوسائل العظيمة في تعليم المسلم كيف يتعامل مع الله و مـــع نفســـه و مع غيره من البشر و بقيّة الموجودات ، إذ حُسن تعامل الإنسان مع خالقه ، و حســـن تعامله مع الموجودات الّتي تحيط به ، هو المطيّة الّتي توصله إلى تحقيق وظيفته و رسالته الّـــتي من أجلها خلق .

---

[60] – مشكلة الثقافة ، 62 .

غير أنّ تحقيق ذلك ، دونه عقبات كثيرة و إشكالات عديدة ، أهمّها و أبرزها كثرة عناصر الموجودات الّتي تتشكّل منها الثّقافة ، و الّتي ينشأ عنها كثرة العلاقات و الصّلات الواجب تكوينها و توثيقها . و لهذا فمن الضّروري الاعتماد على التّصنيف السّابق لعناصر الثّقافة ، و منه نخلص إلى أنّ الجمعة أمامها أربع عوالم أو مجالات ثقافية يجب أن تربط الفرد المسلم بها .

1 – ربط المسلم بعالم الأشخاص :

يعتبر تكوين و توثيق صلة الفرد المسلم بعالم الأشخاص من أهمّ المعالم الثّقافيّة لرسالة الجمعة ، و ذلك لأنّ هذا العالم هو الّذي أناط الله به مسؤولية بناء مشروع خلافة الأرض و عمارتها ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾ [61]، و قال : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [62]، و هو الّذي يمثّل الرّصيد الثّقافيّ الّذي يزوّد الفرد منذ ولادته بالمقاييس المعياريّة ، و هو الّذي يربط بين بقيّة العوالم كيّما يجعلها قادرة على صناعة التّاريخ [63].

2 – ربط المسلم بعالم الأفكار :

إنّ لبّ هذه العلاقة و جوهرها يتلخّص في تعليم المسلم كيف يتعامل مع المعتقدات و القيم و المعارف و العلوم ، إذ أنّ عالم الأفكار يعدّ في منتهى الأهميّة و الخطورة بالنّسبة للثّقافة ، و ذلك لأنّ " مشكلة الثّقافة من الوجهة التّربويّة ، هي في جوهرها مشكلة توجيه الأفكار .. طبقا لمهمتها الاجتماعية " [64].

إنّ عالم الأفكار هو الوسيلة الّتي منحها الله عزّ و جلّ للإنسان لكي يتمكّن من القيام الأمثل بأعباء الخلافة ، هذا فضلا عن كونه هو الّذي به أصبح آدم و ذرّيته

---

[61] – سورة الأنعام ، الآية 165 .

[62] – سورة هود ، الآية 61 .

[63] – ميلاد مجتمع ، 27 .

[64] – مشكلة الثقافة ، ص 67 .

أهلا لحمل أمانة السّماء [65]. قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [66]، و قال : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [67]، لهذا يجب على خطباء الجمعة إعطاؤه حظه اللازم من الاهتمام .

3 و 4 – ربط المسلم بعالم الأشياء و عالم العناصر و الظّواهر الطّبيعية :

يعدّ تكوين و توثيق صلة المسلم بهذين العالَميْن ضروريّ جدّا ، و ذلك لكونهما يمثّلان مجموع المسخّرات الكونيّة الّتي من دونها يستحيل بناء المجتمع و الحضارة الإنسانيّة ، فعمليّة بناء المنظومة الثّقافيّة – الّتي هي أساس بناء الحضارة – لا يمكن أن تتمّ من غير وسائل ، سواء كانت وسائل على أصل خلقتها و فطرتها ، أو وسائل دخلت عليها يد الإنسان بالتّصنيع .

---

[65] – حودت سعيد ، اقرأ و ربك الأكرم ، ص 71 .

[66] – سورة البقرة الآية 31 .

[67] – سورة الرحمن ، الآية 1 ، 2 ، 3 .

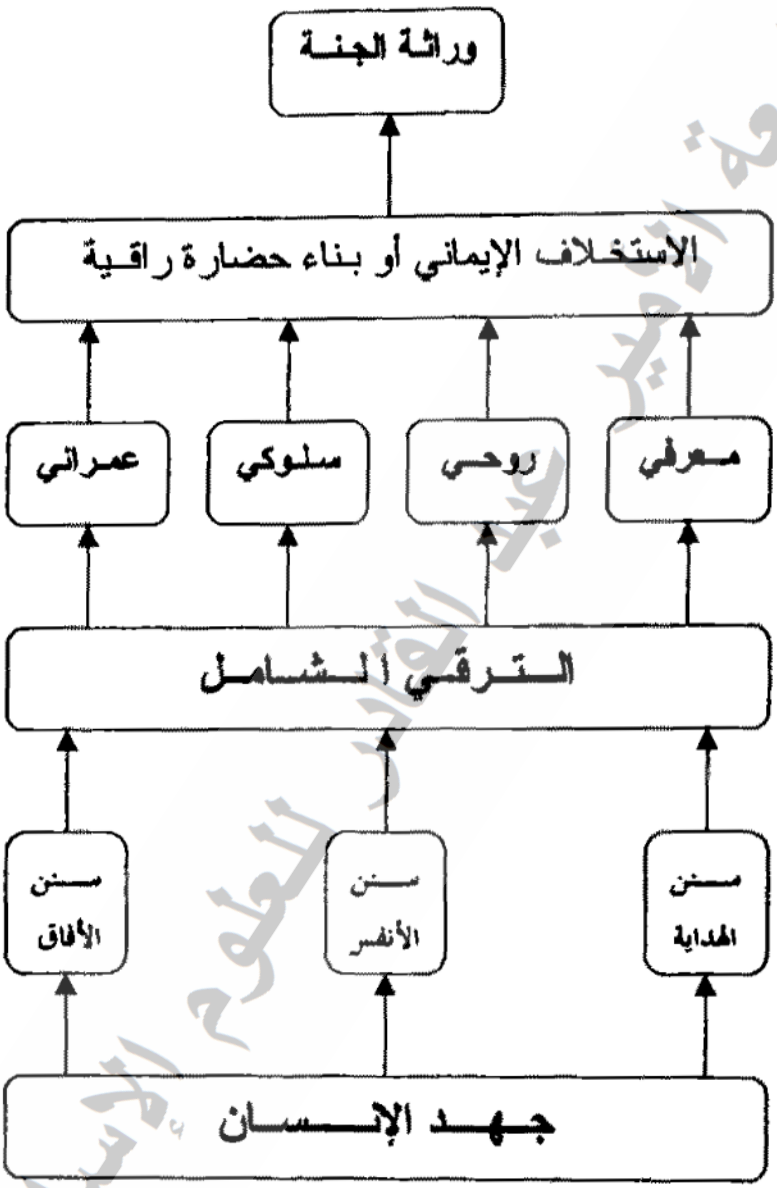

أهداف الثقافة و منهج الجمعة في تحققها

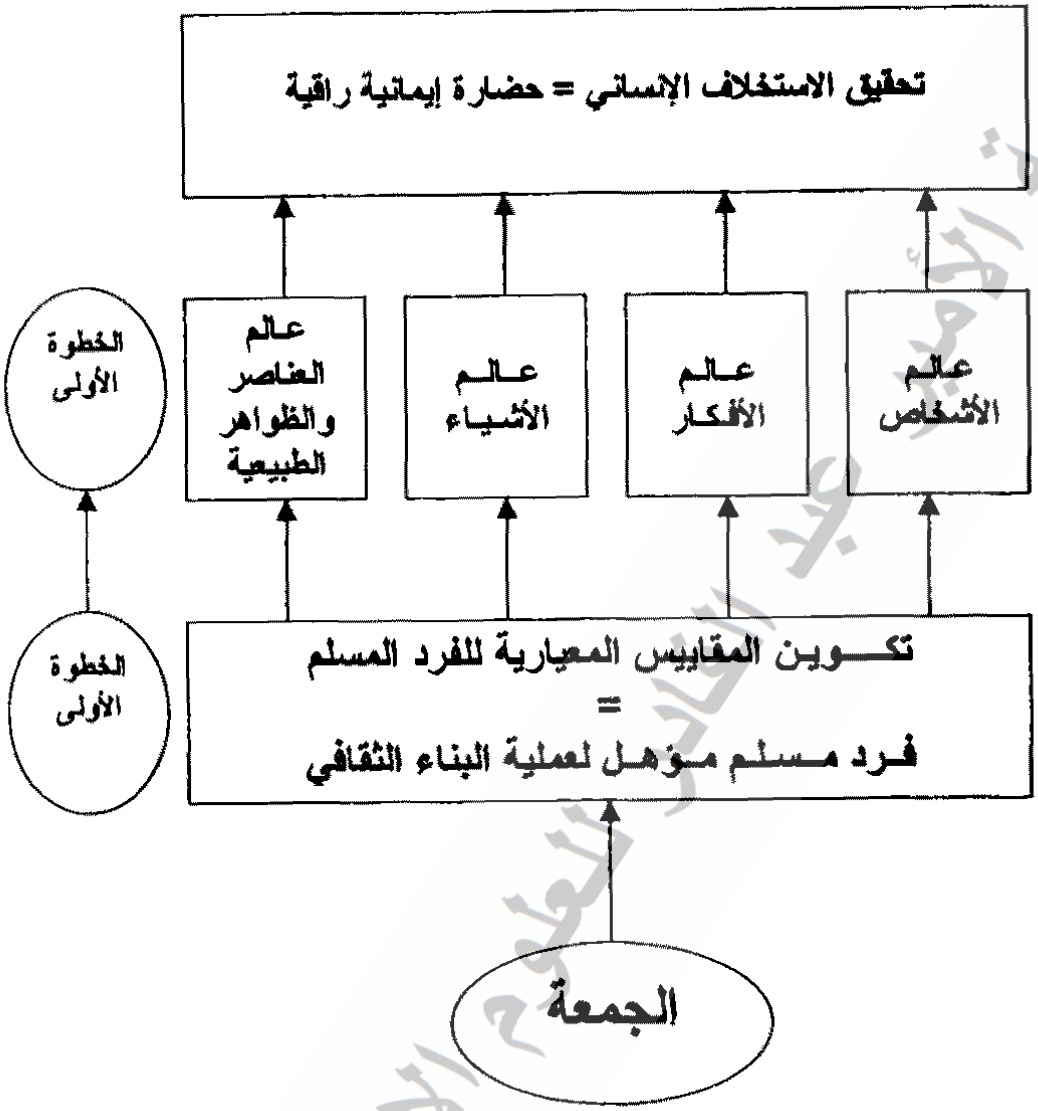

منهج الجمعة في تحقيق أهداف الثقافة

الخطوة الأولى : تكوين الجمعة للمقاييس المعيارية لشخصية المسلم و توجيهها

الخطوة الأولى : تكوين و توثيق الصلة بين الفرد المسلم و عناصر الثقافة

المبحث الثالث

فعالية الجمعة في تحقيق أهداف الثّقافة

أوّلا – فعاليّة الجمعة في تكوين المقاييس المعياريّة للفرد المسلم و توجيهها :

تعدّ الجمعة عن جدارة و استحقاق من أفعل وسائل الخطاب الإسلاميّ في تكوين و توجيه المقاييس المعياريّة للفرد المسلم لو أحسن القائمون عليها استعمالها . و يعود الفضل في ذلك ، لا لكونها قد حظيت بالقداسة الرّبّانيّة و العناية القرآنيّة و الاهتمام النّبويّ فحسب ، و إنّما لكون المقاييس المعياريّة بالنّسبة للإنسان المسلم مصدرها هو الشّريعة الإسلامية .

فالإسلام (قرآنا و سنّة) هو المصدر الرّئيسيّ الّذي يأخذ منه المسلم مقاييسه المعياريّة و ضوابطه القيميّة الّتي يميّز بها بين الحقّ و الباطل ، و الخير و الشّر ، و الحلال و الحرام .

غير أنّه يجب التّفريق بين المقاييس المعياريّة ذات الصّبغة الدّينية المحضة ، و المقاييس المعياريّة ذات الصّبغة الدّنيوية ، فالأولى تنبع من الوحي ، أمّا الثّانية فتنبع من سنن الآفاق و سنن الأنفس ، و هذا ما نتبيّنه من قصّة تأبير النّخل المشهورة . أخرج مسلم في صحيحه أنّ النّبيّ ﷺ مرّ بقوم يلقّحون النّخل فقال : لو لم تفعلوا لصلح ، فتركوه ، فال : فخرج شيصا فمرّ بهم فقال ما لنخلكم ، قالوا : قلت كذا و كذا ، قال : "أنتم أعلم بأمور دنياكم " و في رواية قال :" إنّما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به و إذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنّما أنا بشر "[69].

---

[69] – أخرجه مسلم في صحيحه بطرق عديدة ، كتاب الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي عن رافع بن خديج ، رقم 4356 ، 4357 ، 4358 ؛ و أخرجه ابن ماجة في كتاب الأحكام باب تلقيح النخل ، رقم 2461 ؛ و أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة ، رقم 1322 .

و من هنا ندرك أنّ فعاليّة الجمعة في تكوين المقاييس المعيارية و توجيهها ، إنّما هي متخصّصة بما كان متعلّقا بالدّين ، أمّا ما كان دنيويّا كالجمال و القبح ، اللذيْن لا يخضعان لمعيار الحلال و الحرام ، أو الخير و الشّر ، أو الحقّ و الباطل ، فإنّ علاقة الجمعة بتكوينه و توجيهه إنّما يكون بطرق غير مباشرة .

و الإسلام الحنيف لم يحجر على العقل المسلم الّذي تمكّن من الاجتهاد ، أن يجتهد في بعض المجالات و القضايا الّتي لم يثبت فيها نصّ شرعيّ بالتّحسين و التّقبيح ، و الحكم على الأشياء بالخير أو الشّر أو بالحقّ أو الباطل ... و يكفي على ذلك دليلا أنّ الاستحسان و المصالح المرسلة و علم مقاصد الشّريعة من الأدلّة الّتي اعتمدها الكثير من العلماء في التّشريع الاجتهاديّ ، بل أنّ الاجتهاد ذاته ما هو إلاّ استحسان لشيء ما أو استهجانه ، فيصبح حكما من الأحكام الشّرعية .

و من هنا نخلص إلى حقيقة مفادها : إنّ كون المقاييس المعياريّة للإنسان المسلم تنبع من أصول الشّريعة الإسلاميّة ، و كون الجمعة أهمّ وسائل الخطاب الإسلاميّ ، فهذا يجعلها جدّ فعّالة في تكوين و توجيه تلك المقاييس ، لأنّ تلقي القيم و المعايير من مصدر واحد من شأنه أن يطبع المجتمع بأسلوب موحدّ في الحياة ، و من شأنه القضاء على الفُرقة قبل حدوثها ، و هذا هو الأساس المتين الذّي يبنى عليه البناء الثقافيّ .

و إذا كانت الجمعة أهمّ الوسائل التي اعتمدها الإسلام الحنيف لبيان الحلال و الحرام ، و ما فرض الله على عباده و ما منعهم منه ، و ما أمرهم به و ما نهاهم عنه ، فإنّ هذا يجعلها وسيلة فعّالة جدّا لتكوين و توحيد و توجيه المقاييس المعيارية للمسلمين ، لأنّ الحلال و الحرام ، و الأمر و النّهي ، هي بالنّسبة للمقاييس المعياريّة المنابع الخالدة الّتي لا تنضب ، و المنابت الخصبة الّتي لا تجدب .

و لّما كانت الجمعة من أهمّ وسائل الدّعوة إلى الله الّتي تعرّف النّاس بالمصالح و تبينها لهم و تحثّهم على جلبها ، و تعرّفهم بالمفاسد و تبيّنها لهم و تحثّهم على درئها ، فإنّ هذا يجعلها وسيلة جدّ فعّالة في غرس و استنبات المقاييس المعياريّة ، و ليس ذلك فقط ، بل و توحيدها و توجيهها و حمايتها ، إذ لا يخفى على ذي علم بالإسلام ،

أن هذين الركنين (معرفة المصالح و معرفة المفاسد) هما أصلا التحسين و التقبيح في شريعة الإسلام ، فكل شيء من فكرة أو قول يكون في ميزان الإسلام حسنا ، إذا كان جالبا للمصلحة دارئا للمفسدة ، و كل شيء يكون في ميزان الإسلام قبيحا ، إذا كان جالبا للمفسدة دارئا للمصلحة .

ثانيا – فعالية الجمعة في تكوين و توثيق الصلة بين الفرد المسلم و عناصر الثقافة :

1 – فعالية الجمعة بربط المسلم بعالم الأشخاص :

إن أول مظهر تتجلى فيه فعالية الجمعة في ربط صلة الفرد المسلم بعالم الأشخاص بما يعود عليه و عليهم بالنفع ، هو أنها ملتقى مثاليا رائعا ، فبسببها يلتقي المسلمون جماعات جماعات ، كل أسبوع في مكان واحد و وقت واحد و لهدف واحد .

فمهما فرقت بينهم سبل الحياة و مشاغل الدنيا ، سواء كانت أسرية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها ، فإن الجمعة كانت و لم تزل و ستبقى هي الوسيلة التي تجمع بينهم في كل أسبوع مرة ، على تقوى الله و رضوانه . و لهذا جاء الأمر الإلهي بترك كل ما يشغل عنها حتى لو كان انشغالا بالمعيشة : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [70].

و التجمع للصلاة من يوم الجمعة ليس مقصودا للعبادة المحضة فقط ، و إنما قصد به أيضا – من جملة ما قصد – الربط بين المسلمين . قال العلامة السبكي [71] عن حكمة مشروعية الجمعة :" و حكمة مشروعيتها ما يترتب على الاجتماع إليها من جمع الكلمة و التحابب و التعاطف و التآلف و التعلم و تعود الصبر و الامتثال ..." [72]، فالتجمع إذن و الربط بين المؤمنين و توثيق الصلة فيما بينهم ، مطلوب و مقصود في شريعة الإسلام ،

---

[70] – سورة الجمعة ، الآية 9 .

[71] – هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن عبد الكافي والد التاج السبكي صاحب الطبقات ، ولد بمصر عام 683هـ، برع في الكثير من العلوم ، ولي قضاء الشام ، وله مصنفات عظيمة ، توفي عام 756هـ ، (معجم المطبوعات العربية) .

[72] – العبادي حامد بن محمد ، من حكم الشريعة و أسرارها ، (بيروت : منشورات المكتبة العصرية) ، ص 91 ، نقلا عن كتاب الدين الخالص للسبكي .

ففي عالم الأشخاص لا يمكن للإنسان المنعزل أن يتثقّف أو يتقّف ، و بالتّالي لا يمكنه أن يتحضّر أو يحضّر [73]، لهذا نبذ الإسلام الانعزال و الرّهبانية ، و جعل كلّ شعائره ذات أبعاد اجتماعيّة .

و لأجل ذلك رغّب الرّسول ﷺ أمّته بالتّبكير إلى المسجد يوم الجمعة منذ السّاعات الأولى ، حتّى يتسنّى لهم أن يتعارفوا فيما بينهم و يتحابّوا و يتوادّوا و يتعاطفوا و يتآخوا ؛ فإذا ما حصل ذلك ألمر تعاونا فيما بينهم . فالغنيّ يعين الفقير ، و القويّ يأخذ بيد الضّعيف ، و الكبير يرحم الصّغير ، و الصّغير يوقّر الكبير ، و العالم يعلّم الجاهل ، و هكذا تكون الجمعة آصرة و جامعة تجمع بين المسلمين [74].

و تبرز فعالية الجمعة في الرّبط بين المسلمين أيضا من خلال أهمّ خاصّية من خصائص رسالتها ، و هي أنّها رسالة أخلاقية شاملة لأخلاق الإنسان مع ربّه ، و لأخلاق الإنسان مع غيره (مع أخيه الإنسان و باقي المخلوقات) ، و لأخلاق الإنسان مع نفسه ، و هذا ما يجعلها من أهمّ وسائل تحقيق الثّقافة بصورة عمليّة .

إنّ الأخلاق بمفهومها الشّموليّ هي بالنّسبة لبناء المنظومة الثّقافية لأمّة ما ، المركّب التّربويّ الّذي يتمّ بواسطته تصنيف جميع العناصر الثّقافية الّتي ترجع إلى عالَم الأشخاص [75].

فإذا كانت الثّقافة في جانب من جوانبها نظريّة في السّلوك ، بمعنى أنّها أسلوب حياة المجتمع ، فإنّها لا تستطيع أن تكون كذلك ، إلاّ إذا اشتملت على عنصر يجعل كلّ فرد مرتبط بهذا الأسلوب ، و هذا العنصر لا بدّ أن يكون خُلُقيا [76]، لأنّ كلّ الرّوابط من دون رابطة الأخلاق تُعدّ ناقصة ، و لأنّ الأخلاق إن لم تكن هي الدّين – كما هي أخلاق الإسلام – فهي تضرب بجذورها إلى الدّين ، و معلوم ما لرابطة الدّين من قوّة و خلود .

---

[73] – بن نبي مالك ، ميلاد مجتمع ، ص 64 .

[74] – الدهلوي ولي الله ، حجة الله البالغة ، 2ج ، (بيروت : دار المعرفة) ، ج2 ، ص 25 .

[75] – مشكلة الثقافة ، ص 63 .

[76] – ن م .

2 – فعالية الجمعة في ربط المسلم بعالم الأفكار :

سبق أن بيّنا أنّ إصلاح تفكير الإنسان من المقاصد العظمى للشّريعة ، و من الأهداف الكبرى الّتي تسعى الجمعة إلى تحقيقها بعد إصلاح اعتقاده ، و لهذا فمن الجدير – تماشيا مع مقاصد الدّراسة – بيان أهمّ العوامل الّتي تجعل من الجمعة وسيلة فعّالة في ربط المسلم بعالم الأفكار ، و ذلك حتّى يتسنّى للقائمين على الخطاب المسجديّ مراعاتها و أخذها بعين الاعتبار .

فأوّل ما يواجهنا من تلك العوامل هو أنّ الجمعة قبل شروعها في عملية الرّبط بين الفرد المسلم و عالم الأفكار ، فإنّها تبدأ بإصلاح تفكيره ، و ذلك بتطهيره من كلّ أدران الوهم و الظّنّ و التّحرّص ، و من كلّ أرجاس الجهل و التّخريف و الهوى ؛ ثمّ تقوّم بتزويده بالفكر السّليم و العلم الصّحيح ، و توجهه إلى التّغذّي من المنابع الصّافية و اتّباع مناهج الحقّ ؛ فإذا ما أفلحت هذه المرحلة ، فإنّ أولى ثمراتها ستكون هي ربط هذا الفرد بعالم الأفكار على أساس سليم و منهج قويم . إذن فإنّ أولى مقوّمات و عوامل فعاليّة الجمعة في ربط المسلم بالمنظومة الفكرية الصّحيحة ، هي إرساء أسسها داخل نفسه .

فما لم يتمّ إصلاح فكر الفرد المسلم ، و إصلاح المنهج الّذي يسلكه عقله للوصول إلى المعرفة فيما يصلح دنياه و آخرته ، فإنّ عمليّة ربطه بعالم الأفكار تكون غير ذات جدوى ، و ليس الأمر يقتصر على هذا فقط ، بل ستكون عاملا من عوامل تدمير عالم الأفكار نفسه ، و لا تكون عملية ميّتة فحسب ، بل ستكون مميتة أيضا ؛ و من هنا نستخلص أنّه يجب على المسؤولين المختصّين بالخطاب المسجديّ مراعاة هذا العامل و عدم الاستهانة بأمره .

و من أهمّ عوامل فعالية الجمعة في ربط الفرد المسلم بعالم الأفكار و ما يدور في فلكه من عناصر ، أنّها في أصلها شُرعت لخدمة المثل العليا و القيم الرّفيعة و المبادئ السّامية للإسلام .

و المثل الأعلى في حقيقته هو النموذج القدوة الذي يراد منه أن يكون المثال المحتذى و الصورة التطبيقية المثلى للإئتساء ، أو هو نموذج الحياة الذي يراد للفرد المسلم أن يحياه ، و للأمة الإسلامية أن تعيش طبقا له . و لهذا يقرر القرآن الكريم أن الله تعالى هو وحده المحدد للمثل الأعلى في الاعتقادات و التطبيقات العملية : ﴿ و هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه و له المثل الأعلى في السماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم ﴾ [77]، أما المخالف لأمر الله فلا يكون مثله إلا مثل سوء [78]: ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء و لله المثل الأعلى و هو العزيز الحكيم ﴾ [79].

و يعتبر المثل الأعلى عاملا مهما جدا في فعالية الجمعة لأنه هو الذي يجعل جميع المسلمين يتطلعون إلى تحقيق أهداف الجمعة و غاياتها . أما إذا انحرف القائمون بالجمعة عنه إلى مثل سيئ و هابط ، كأن تصبح الجمعة خادمة لأغراض أشخاص ، أو هيئات شخصية ، فإن تطلعات المسلمين إليها و سبلهم إلى مقاصدها ستنقطع . فالمثل الأعلى هو الذي يمد الفرد بالأهداف التي يعمل من أجلها و يعمل لتحقيقها ، و هو الذي يمد الأمة بالرسالة التي تمنح وجودها المبرر و المكانة ، و هو الذي يعطي للحياة معناها و قيمتها ، و يمدها بأسباب الحركة و النمو و التقدم المستمر .

3 و 4 – فعالية الجمعة في ربط المسلم بعالم الأشياء و عالم العناصر و الظواهر الطبيعية :

من البديهي أن عالم الأشياء و عالم العناصر و الظواهر الطبيعية يرجعان إلى أصل واحد و هو الكون ، و من ثم فإن الهدف من بحث هذه النقطة هو بيان فعالية الجمعة في ربط المسلم بالكون .

و أول ما يطالعنا من عوامل الفعالية هو أن الجمعة قبل أن تكون الصلة ما بين المسلم و الكون ، فهي تعرفه له معرفة وافية كافية ، ثم تبين له كيف يتعامل معه . أي أنها

---

[77] – سورة الروم ، الآية 27 .

[78] – ماجد عرسان الكيلاني ، مقومات الشخصية المسلمة ، ص ص 81 – 87 .

[79] – سورة النحل ، الآية 60 .

تكشف له بالبراهين القاطعة أن هذا الكون من صنع صانع و تدبير مدبر و خلق خالق ، و أنه عنوان جلي بارز على وجود هذا المكون و وحدانيته ، و على أنه متصف بسائر صفات الكمال ، و مبرأ عن جميع صفات النقصان .

ثم إنها تنتقل به إلى بيان آخر عن الكون و هو أنه مسخر له من قبل الله عز و جل للتمتع بما فيه ، و أن ليس بينه و بين موجوداته صراع و لا تحد ، و إنما هو مذلل له من قبل الخالق عز و جل ، على أن ذلك التسخير غير ممكن بغير فهم سننه و قوانينه .

فإذا ما أيقن الفرد المسلم بأن الله عز و جل ما أقام الكون إلا لخدمته و تحقيق مصالحه ، فإن الجمعة تنبهه إلى حقيقة قيمة هذا الكون ، و تحذره من أن ينخدع به فيرفعه فوق مرتبته الحقيقية ، أو يستهين به فينزله دونها .

إذن فالأساس المعرفي هو أول عامل من عوامل فعالية الجمعة في ربط المسلم بعالم الأشياء و عالم العناصر و الظواهر الطبيعية (الكون) .

و من عوامل فعالية الجمعة في ربط الإنسان المسلم بالكون أنها لا تقتصر فقط على الربط الفكري المجرد القائم على العلاقة المعرفية الخالصة ، فالإنسان ليس عقلا فقط ، و إنما تربطه فكريا و روحيا و نفسيا و جسديا . فكما لعقل الإنسان تطلعات ، فإن لروحه أشواق ، و كما أن لجسمه مطالب فإن لنفسه تشوفات ، و من ثم فإن الجمعة إذ تقيم الصلة بين الإنسان و الكون فإنها تراعي مطالب الجسم من هذا الكون بما فيه من خيرات ، و تراعي تشوفات النفس إلى ما فيه من آيات ، و تراعي تطلعات العقل إلى فيه من منبهات مثيرات ، و تراعي أشواق الروح بما تضمن من الموجودات المسبحات التي تشعره بأن ما (من شيء إلا يسبح الله) معك أيها المسلم فلا تفتر !

الفصل الرابع

بُعد الجُمعة تُجاه الرأي العام

المبحث الأوّل : مفهوم الرّأي العام من وجهة نظر إسلامية

المبحث الثّاني : أهمّية الرّأي العام و وظائفه في الإسلام

المبحث الثّالث : منهج الجمعة في تكوين الرّأي العام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد

يعتبر الرّأي العامّ من المفاهيم القديمة في مضمونها ، الحديثة في ألفاظها و دراستها ، فقد كان معروفا و متداولا في الحضارة اليونانيّة و الرّومانيّة و المصريّة ، و تأكّد دوره المؤثّر و الفعّال في الحضارة الإسلاميّة [1].

أما مسمّاه و مصطلحه - Public Opinion - فهو ثمرة من ثمار عصر النّهضة في أوروبا ، حيث أنّه منذ بواكيرها الأولى لاقى اهتماما خاصا في حركة المجتمع التاريخية و الثقافية [2].

و على الرّغم ممّا حظي به من اتّفاق حول أهّميته و مكانته في أيّ مجتمع ، إلاّ أنّه اختُلف في مفهومه و تعريفه اختلافا كبيرا ، و يرجع ذلك إلى اختلاف نظرة الباحثين و الدّارسين إليه ، تبعا لاختلاف عقائدهم و أفكارهم و مناهجهم في الحياة ، و لتباين تخصّصاتهم و وجهات نظرهم الاجتماعيّة و السّياسية تجاه الشّعوب و مدى إيمانهم و اقتناعهم بفعالية رسالتها في مجال المشاركة في الحكم [3].

و الرّأي العامّ من المفاهيم ذوات الدّلالات الفلسفيّة و الأطر الاجتماعيّة و الأصول الحضاريّة الّتي يجب مراعاتها و وضعها في الحسبان حين التّعامل بها .

و من الغريب أن نجد دراسات و بحوثا عربيّة إسلاميّة تتبنّى حينا ، و تقلّد و تقتبس حينا آخر من الكتابات و الاستعمالات الغربيّة للرّأي العامّ ، دون طرحه اشكاليّة قابلة للفحص و النّقد و التّشريح و المراجعة ، و دون مراعاة منبته الاجتماعيّ و الحضاريّ [4].

---

[1] - محي الدين عبد الحليم ، الرأي العام في الإسلام . الطبعة الثانية ، (القاهرة : دار الفكر ، 1410هـ/1990) ، ص 18 .

[2] - بدأ الاهتمام به في أوروبا منذ ميكافيلي (1469م-1525م) ، ثم هوبز (1588م-1679م) ، ثم لوك (1632م- 1704م) ، ثم روسو (1712م-1778م) وهو أول من استخدم تعبير الرأي العام ، ثم د هيوم (1711م-1776م) ، ثم لوال في أوائل القرن 20 ، و هو صاحب كتاب " الرأي العام و الحكومة الشعبية " . و كان من مظاهر الاهتمام بالرأي العام قيام الثورات ، مثل الثورة الأمريكية و الفرنسية و غيرها . (عزي عبد الرحمن ، الرأي العام ، المجلة الجزائرية للاتصال عدد5 ، 1991 ، ص ، 31 ، 32) .

[3] - بوحلال عبد الله ، " الرأي العام : مفهومه ، تكوينه ، خصائصه ، و مظاهره ، و أهمية قياسه " ، المجلة الجزائرية للاتصال ، (الجزائر : جامعة الجزائر : عدد 5 ، (1991) ، ص9 .

[4] - عزي عبد الرحمن ، " الرأي العام و العصبية و الشورى " ، المجلة الجزائرية للاتصال ، (الجزائر : جامعة الجزائر : عدد 5 ، (1991) ، ص29 .

... لهذا يجب علينا أن نتساءل :

ما هي حقيقة مفهوم الرّأي العامّ كعمليّة و ظاهرة إنسانيّة ؟

و هل يوجد في الفكر الإسلاميّ نـــتاج مثله ؟

و ما هي حدود الاستفادة مـــنه ؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

مفهوم الرأي العام من وجهة نظر إسلامية

أولا – مفهوم الرأي العام :

1 – المفهوم اللغويّ للرّأي العامّ :

كلمة الرّأي في اللغة مشتقّة من فعل رَأى ، و الرَّأْيُ في اللسان العربي يطلق على النظر و الإبصار بالبصر أو البصيرة[5]. و هذا البحث سيقتصر على مفهوم الرّأي بالبصيرة .

يطلق الرّأي على العلم و الخبر ، نقول : رَأَيْت زيدا حليما أي علمته ، و بهذا فسّر البعض قول الله عز و جلّ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [6]، بمعنى ألم تعلم ، ألم ينته عملك إلى هؤلاء ، و قال آخرون : ألم تر أي ألم تخبر ، و تأويله سؤال فيه إعلام بمعنى أعلن قصّتهم ، وقد تكرّر كثيرا مثل هذا في القرآن الكريم[7] ، و هي كلمة كثيرا ما تستعملها العرب عند التّعجب و عند تنبيه المخاطب [8].

و يطلق الرّأي أيضا على الاعتقاد و هو العقل و التّدبير و النّظر و التّأمل . كما يطلق على التّفكير و البيان و المعرفة [9]، و كلّ هذه المعاني وردت في القرآن الكريم .

---

[5] – أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، 6ج ، (القاهرة : دار المعارف ، 1399هـ/1979م) ، ج2 ، ص 472 .

[6] – سورة آل عمران ، الآية 23 .

[7] – تكرر قوله تعالى (ألم تر) 31 مرة في 16 سورة .

[8] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج14 ، ص 299 ، حرف الواو و الياء من المعتل ، فصل الراء المهملة .

[9] – ن م ، ص 300 ، 301 .

2 – مقتضيات المفهوم اللغويّ للرّأي :

نستخلص ممّا سبق أنّ الرّأي في اللغة له مقتضيّات محددة جامعة مانعة نجملها في ما يلي[10]:

أ – إنّ الرّأي عمليّة عقليّة (أو قلبيّة) مبدؤها النّظر و التّأمّل و التّدبر و منتهاها المعرفة و العلم و الاعتقاد .

ب – إنّ الرّأي عمليّة عقليّة ذاتيّة يقوم بها الإنسان فيما بينه و بين نفسه حول قضيّة ما في وقت ما .

ج – إنّ الرّأي يتأثّر بالمحيط الخارجيّ لصاحبه ، سواء أكان هذا المحيط كونيّا أو اجتماعيّا .

د – إنّ الرّأي الحقيقيّ يقتضي أن يكون حرّا [11]، فليس من الرّأي – و هو عمل عقليّ مبنيّ على النّظر و التّأمّل و العلم و المعرفة – ما كان ناتجا عن قهر و استبداد أو تزييف للوعي أو تسلّط للهوى أو صادرا عن انطباع سطحيّ .

هـ – إنّ الرّأي الحرّ يقتضي أن يعلن به ، إذا ما قيمة رأي يبقى حبيس الخاطر و لا يكون له في الحياة تأثير ، " فالرّأي هو وجهة النّظر الّتي يعبّر عنها تعبيرا خارجيا و مكشوفا ... باللفظ أو الكتابة و لابدّ من أن يخرج من نطاق الباطن حتّى يمكن أن يقال إنّه رأي مستقل عن الأشخاص ، فالعنصر الهامّ للرّأي العامّ هو الّذي يتمثّل في الإعلان عنه"[12].

و – إنّ حرّية الرّأي ليست منحصرة في رأي يثمره صاحبه ابتداء بنظره الشّخصيّ ، و لكنّها تتعدّى ذلك إلى رأي يتلقّاه الإنسان من غيره فيعبّر عن قبوله و استصوابه ، و يسعى ليقنع به النّاس ، و يشيعه فيهم .

---

[10] – عبد المجيد النجار ، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلين . الطبعة الأولى ، (هيرندن – فرجينيا – الولايات المتحدة الأمريكية : المعهد العالمي للفكر الإسلامي) ، ص ص 43 – 48 .

[11] –عي الدين عبد الحليم ، الرأي العام في الإسلام ، ص 28 .

[12] – سامية محمد جابر ، الاتصال الجماهيري و المجتمع الحديث – النظرية و التطبيق – ، (مصر – قناة السويس : دار المعرفة الجامعية ، 1995) ، ص 200 .

أما كلمة العام فهي من فعل عمم و عم ، و هي ضد الخاص ، و يطلق العام أيضا على المشترك[13] ، فيكون بذلك الرأي العام هو رأي جماعة من الناس ، أو الرأي الحاصل عن مجموعة من الناس ، أو الرأي المشترك بينهم ، سواء عم بأصله وفق المقتضيات السالفة أو كان لواحد أو لآحاد الناس و انتقل أثره إلى عامة الناس .

3 – المفهوم الشرعي للرأي العام :

تبين من خلال المفهوم اللغوي للرأي العام أنه " الرأي المشترك لجماعة من الناس حول قضية معينة في وقت معين " ، و بإضافة كلمة الإسلام أو أحد اشتقاقتها نخلص إلى أن الرأي العام في مفهومه الشرعي هو :" الرأي المشترك للجماعة التي تدين بالإسلام أو الرأي المشترك لغالبية أفرادها حول قضية معينة في وقت معين ".

و لكن ، هل هذا التعريف كاف في الدلالة على مفهوم الرأي العام من المنظور الشرعي ؟

و الجواب : إن هذا المفهوم على أهميته يبقى ناقصا ، و ذلك لكونه لم يتعد الوصف الأولي و الظاهري للمفهوم ، لهذا ينبغي إبراز دلالته انطلاقا من خلفيته النظرية و الفلسفية بجميع أبعادها المنهجية التي تبين أسسه و وظائفه ، و ضوابطه و مقاصده[14] ، و بهذا المنطلق و في ضوئه يمكن تعريف الرأي العام من منظور شرعي كما يلي :

"**الرأي العام الإسلامي** هو : الرأي المشترك لجماعة المسلمين أو جمهورهم في وقت معين حول قضية من القضايا التي طلب الشارع إعمال النظر فيها ، سواء كان الطلب على سبيل الوجوب أو كان على سبيل الإباحة ، و سواء تعلق أمرها بأمور الدين أم بأمور الدنيا ، وكل ذلك في حدود المنهج الاسلامي ."

---

[13] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج12 ، ص 426 ، حرف الميم ، فصل العين المهملة .

[14] – عزي عبد الرحمن ،الرأي العام و العصبية و الشورى ، ص 29 .

4 – مقتضيات المفهوم الشرعي للرأي العام :

انطلاقا من المفهوم اللغوي للرأي العام و مقتضياته ، و من المفهوم الشرعي نخلص إلى أن الرأي العام الإسلامي يقتضي ما يلي :

أ – إنه لا مجال للرأي العام أو الخاص في عالم الغيب لأنه من اختصاص الوحي [15]، و من هنا لا ينبغي الخلط بين الرأي بجميع معانيه و بين العقيدة ، باعتبار أن الرأي هو جهد العقل في البحث المعرفي و ثمرته من الأحكام[16]، و العقيدة مصدرها الوحي الإلهي .

ب– إنه لا مجال للرأي في أن يخوض في ثوابت الشريعة كالعقائد و العبادات و الأخلاق و المواريث و ... و إنما مجاله هو الأمور الاجتهادية أو المتغيرات المقترنة بأمور الدنيا ، و كل ذلك في سياق الأصول الكلية للإسلام و ليس خارجا عنها[17].

ج– إنه ليس من الرأي في الإسلام ما كان صادرا عن هوى محض ، أو عن تزييف للحقائق و المعلومات و الأخبار ، أو عن قهر و تسلط و استبداد ، أو عن انطباع سطحي دون اعمال الفكر ، لأن كل هذه المصادر قد حكم عليها الإسلام بالإلغاء و البطلان ، قال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾[18].

د– إن الرأي العام الذي تفرزه الجماعة المسلمة أو غالبيتها حول قضية من القضايا أو مسألة من المسائل قد يكون صادرا من الجماعة ذاتها أو ممن ولتهم أمورها ، ففي الحالة الأولى يكون معبرا عن وظيفة النصح و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و في الحالة الثانية يكون معبرا عن وظيفة الشورى و كلها وظائف ضرورية .

هـ – إن الرأي العام في الإسلام لا يقصد به أن يقف عند عتبته النظرية الفكرية بل المقصود منه هو تحقيق وظائفه ، لأن مجرد الرأي لا أثر له ، إذ الهدف منه هو قوته الفاعلة الظاهرة المعلن عنها ، و لهذا لم يرد في الإسلام و لا في تراثه الفكري هذا المصطلح ، بل وردت وظائفه مثل الإجماع و الشورى و المناصحة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و غيرها .

---

[15] – الميداني حسن حبنكة ، العقيدة الإسلامية و أسسها ، ص 20 .

[16] – عبد المجيد النجار ، دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلين ، ص 43 .

[17] – عبد المنعم النمر ، الاجتهاد . ص 24 – 30 .

[18] – سورة البقرة الآية 256 .

ثانيا – أنواع الرأي العام المخاطَب بالجمعة :

هناك عدة أنواع من الرأي العام الذي تخاطبه الجمعة بهدف و قصد التأثير فيـــه ، و من نافلة القول التذكير بأن على الخطباء أن يدركوا أي نوع من أنواع الرأي العام هـم يخاطبون ؛ و يمكن الإشارة إليها فيما يلي :

1 – الرأي العام المحلي : و يمكن تصنيفه في صنفين :

الأول : و هو جمهور المصلين الذين يحضرون الجمعة و يتلقونها عن الإمام مباشرة مـــن غير واسطة من أهل الحي أو القرية أو المدينة .

الثانـــي: و هم جمهور الجمعة من أهل الحي أو القرية أو المدينـــة ، الذيـــن تخاطبـــهم بوسائط مثل الأشخاص الذين يشهدون الجمعة أو وسائل الاتصال المحلية .

2 – الرأي العام القطري : و هو الجمهور الذي تخاطبه الجمعة في كل قطـــر ، و تكـــون تلك الخطبة هي الخطبة الرسمية لذلك القطر ، و تبثها أهم وسائله الإعلامية .

3 – الرأي العام الإقليمي : و هو الجمهور الذي تخاطبه الجمعة في إقليـــم مـــن الأقـــاليم الإسلامية ، سواء كان الإقليم جغرافيا ، أو كان لغويا .

4 – الرأي العام الإسلامي : و هو الجمهور المسلم المتواجد في جميع أصقـــاع الأرض ، و الذي تخاطبه الجمعة بأي وسيلة و بأي أسلوب .

5 – الرأي العام العالمي : و المقصود به كل الإنسانية على اختلاف مللها و نحلها و لغاتها و أفكارها . و الاهتمام بهذا النوع من الرأي العام ضروري جدا شـــرعا و عقـــلا ، لأن الإسلام دين عالمي ، و رسالته يجب أن توجه لكل الناس ، و لعل من الحكـــم و الأسرار التي شرعها الله عز و جل من تشريع وجوب التوجه إلى البيت الحرام ، هـــو أن يكون للإسلام منبر عالمي لدعوة و مخاطبة الناس أجمعين ، قال تعـــالى :﴿ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ﴾ [19].

---

[19] – سورة البقرة ، الآية 125 .

المبحث الثاني

أهمية الرأي العام و وظائفه في الإسلام

تكمن أهمية الرأي العام في الإسلام في كونه يمتاز بعدة خصائص نجمله فيما يلي :

أولا - هو عملية فكريـــة :

... و قد تبين في بحث إصلاح التفكير مدى الأهمية القصوى التي أولاها الإســـلام الحنيف لأعمال العقل والفكر حتى إنه أوجب على كل فرد أن يفكر و أن يصحح تفكيره في دائرة ما يحتاجه من الأعمال ، تفكيرا يعصمه من الوقوع في مهاوي الأخطاء [20].

ثانيـــا - هو عملية فكرية جماعية :

... و هذا مما يزيده أهمية و قداسة ، فمن معالم المنهج الإسلامي و خصائصه أنـــه دين جماعي واجتماعي ، ولهذا كانت أغلب شعائره جماعية . فالتفكير الجماعي في زمـــن واحد و حول مسألة واحدة من شأنه أن يقلل الوقوع في الخطأ إن لم يكن نافيا للخطـــأ من أساسه [21]، لهذا قال الرسول ﷺ : " إن الله أجاركم من ثلاث خـــلال ، أن لا يدعـــو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا ، و أن لا يظهر أهل الباطل علـــى أهـــل الحـــق ، وأن لا

---

[20] - ابن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي في الإسلامي ، ص 53 .

[21] - الماوردي أبو الحسن ، أدب الدنيا و الدين . ص 321 .

تجتمعوا على ضلالة "[22].وقال أيضا : ...فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن و ما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ " [23].

و قد بحث العلماء الإسلاميون منذ العصور الذهبية للإسلام ، في مسألة الفكر و الرأي الجماعي ، و خاضوا كثيرا في المسائل المتعلقة بفعاليته ، كمسألة المفاضلة بين اجتماع الجماعة و إعمالهم لفكرهم و رأيهم حول القضية الواحدة في زمن واحد ، وبين انفراد كل واحد من الناس بالطالب للمشورة ، وكمثال على هذا الأمر ، نورد دراسة الإمام الماوردي لهذه المسألة و مناقشته لذينيك الأسلوبين . قال :" و الذي أراه في الأولى غير هذين المذهبين (الأسلوبين) على الإطلاق ، و لكن ينظر في الشورى فإن كانت في حال واحدة هل هي صواب أم خطأ ، كان اجتماعهم عليها أولى ، لأن ما تردد بين أمرين فالمراد منه الاعتراض على فساده أو ظهور الحجة في صلاحه ، وهذا مع الاجتماع أبلغ ، و عند المناظرة أوضح . و إن كانت الشورى في خطب قد استبهم صوابه ، و استعجم جوابه ، في أمور خافية و أحوال غامضة ، لم يحصرها عدد ، و لم يجمعها تقسيم ، ولا عرف لها جواب يكشف عن خطئه و صوابه ، فالأولى في مثله انفراد كل واحد بفكره ، و خلوه بخاطره ليجتهد في الجواب ، ثم يقع الكشف عنه أخطأ هو أم صواب ؟ فيكون الاجتهاد في الجواب منفردا ، و الكشف عن الصواب مجتمعا ، لأن الانفراد في الاجتهاد أوضح ، و الاجتماع على المناظرة أبلغ [24]".

ثالثا- هو وسيلة لعدد من الوظائف الاجتماعية :

إن الرأي العام من المنظور الاسلامي يعتبر الوسيلة المثلى لتحقيق عدد هام من الوظائف الشرعية الاجتماعية التي نصبها الشارع الحكيم في طريق المقاصد العامة للشريعة ، و قد علمنا من علم المقاصد " أن الوسائل لها أحكام المقاصد ، فالوسيلة

---

[22] – أخرجه أبو داود في سننه كتاب الفتن و الملاحم باب ذكر الفتن و دلائلها عن أبي مالك الأشعري ، و فيه محمد بن إسماعيل ضعيف و باقي رجاله ثقات ، رقم 3711 .

[23] – أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة عن عبد الله بن مسعود ، رقم 3418 ، و رجاله من الثقات .

[24] – الماوردي ، ن م . ص 313 .

إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل ، و الوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل[25]" ، و أهم هذه الوظائف هي :

1 – وظيفة المناصحة :

و هي أولى ثمار عملية الرأي العام في الإسلام ، إذ ما أن يقع أمر من الأمور الجليلة في المجتمع الاسلامي ، إلا و يوجب الاسلام على كل فرد من أفراده أن يفكر فيه ، بل إن الشريعة الإسلامية لم تكتف بإيجاب التفكير المجرد ، و إنما أوجبت أن يكون هذا التفكير صحيحا و سليما ، و لهذا أوجب الشارع على الأمة الإسلامية وظيفة الاستنصاح و النصح .

قال ابن عاشور : " كل فرد مأمور بصحة التفكير في دائرة ما يحتاج من الأعمال تفكيرا يعصمه من الوقوع في مهاوي الأخطاء ، فالمقدار الذي يستطيعه من التفكير يجب عليه تصحيح تفكيره فيه ، و المقدار الذي لا يستطيعه يجب عليه تطلب الإعانة فيه بمن يبلغه إلى الحق الصحيح فيه من أهل الإرشاد في ذلك الباب ، قال تعالى : ﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾[26]، فإذا سلك المسلمون هذا السبيل الذي دلت عليه الآية أصبح تفكيرهم سالما و عملهم كاملا ، لأنك تجد كل أحد مشتملا على حالتين من التفكير ، حال الاستقلال بالفكر فيما يبلغ إليه فكره ، و حال التلقي و الاسترشاد فيما يتجاوز حد تفكيره"[27].

و المناصحة في الإسلام ليست من نوافل الأخلاق التي من شاء تخلق بها تفضلا ، و من لم يشأ فليس عليه جناح ، و إنما هي من الأخلاق الاجتماعية الضرورية ، و لهذا

---

[25] – ابن عبد السلام عز الدين ، قواعد الأحكام في مصالح الأنام . ص 53 ، 54 .

[26] – سورة النحل ، الآية 43 .

[27] – أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، ص 53 .

جعلها الله عز و جل من صفات الأنبياء و الرسل [28]، قال تعالى : ﴿ ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾[29].

و النصيحة من حيث أنها وظيفة اجتماعية في المجتمع المسلم ، يطلب إقامتها من كل الأفراد المسلمين ، بل هي الفريضة التي يعوض بها الضعفاء و المرضى و الفقراء عن العجز عن القيام بوظيفة الجهاد في سبيل الله ، قال الله تعالى: ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله و رسوله ما على المحسنين من سبيل و الله غفور رحيم ﴾[30]، فليس على هؤلاء تضييق في حكم الشرع يعدون به مذنبين ، و لا إثم عليهم في القعود عن الواجب إذا قاموا بواجب النصيحة لله و لرسوله التي تعني كل مافيه مصلحة الأمة [31].

و قد ارتقى الإسلام بوظيفة المناصحة إلى عليين ، حتى عدها الرسول ﷺ هي الدين فقال: " **إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة ، قالوا لمن يا رسول الله ، قال : لله و لكتابه و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم** " [32]، و كان الرسول ﷺ يأخذ البيعة على النصيحة ، فعن جرير رضي الله عنه [33] قال : " **بايعت رسول الله على السمع و الطاعة فلقنني فيما استطعت و النصح لكل مسلم** ". و في رواية : " **بايعت رسول الله على إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و النصح لكل مسلم** " [34].

---

[28] – الشرباصي أحمد ، موسوعة أخلاق القرآن ، 6ج ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار العربي ، 1405هـ/ 1985م) ، ج5 ، ص 131 .

[29] – سورة الأعراف ، الآية 61 ، 62 .

[30] – سورة التوبة ، الآية 91 .

[31] – الشرباصي ، ن م ، ج5 ، ص 133 .

[32] – أخرجه النسائي و اللفظ له في كتاب البيعة باب النصيحة للإمام عن أبي هريرة ، رقم 4128 . و الترمذي في كتاب البر و الصلة باب ما جاء في النصيحة ، و قال هذا حديث حسن صحيح ، رقم 1849 . و أحمد و أبو داود .

[33] – هو أبو عمرو جرير بن عبد الله بن جابر البجلي صحابي جليل ، أسلم قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوما و كان له في الحروب بالعراق في القادسية و غيرها أثر عظيم و كانت جيلة متفرقة فجمعهم عمر بن الخطاب و جعل عليهم جريرا ، استوطن الكوفة ناشرا العلم ، و مات في قديد عام 51هـ

[34] – متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة رقم 55 . و مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة رقم85 . و الترمذي والنسائي .

قال صاحب كتاب (موسوعة أخلاق القرآن):" و كأن فضيلة النصيحة كانت ركنا من أركان المبايعة التي يقوم بها المسلم إذا أعطى الرسول عليه الصلاة و السلام الميثاق و العهد بأن يسير على صراط الله المستقيم"[35].

إذن نخلص من هذا البيان الموجز إلى نتيجة أساسية هي : إن أولى و أهم وظائف الرأي العام في الإسلام – باعتباره سلطة من سلطات المجتمع الإسلامي – إقامة خلق المناصحة .

2 – وظيفة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر مهمة الأنبياء و المرسلين ، ومهمة أتباعهم المؤمنين الدعاة المصلحين . و قد أولاه القرآن الكريم و السنة النبوية أهمية بالغة ، فهو أظهر صفات المؤمنين و أبرز سماتهم ، و هو السر و الوسيلة لقوتهم الاجتماعية ، و الغفلة عنه أو التهاون فيه يجر عليهم الشقاء و البلاء و يهوي بهم في مهاوي الدمار .

قال عز من قائل : ﴿ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون ءايات الله ءانآء اليل وهم يسجدون يؤمنون بالله و اليوم الأخر و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يسارعون في الخيرات و أولئك من الصالحين ﴾[36]، و قال : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون ﴾[37] ، و قال : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر و تؤمنون بالله . . . ﴾[38] ، و يقول : ﴿ و المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و يطيعون الله و رسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾[39].

---

[35] – الشرباصي ، ن م ، ج5 ، ص 136 .

[36] – سورة آل عمران ، الآية 113 ، 114 .

[37] – سورة آل عمران ، الآية 104 .

[38] – سورة آل عمران ، الآية 110 .

[39] – سورة التوبة ، الآية 71 .

قال الإمام أبو حامد الغزالي [40]:" الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، و هو المهمة التي ابتعث الله لها النبيين أجمعين ، و لو طوي بساطه و أهمل علمه و عمله لتعطلت النبوة ، و اضمحلت الديانة ، و عمت الفترة ، و فشت الضلالة ، و شاعت الجهالة ، و استشرى الفساد و اتسع الخرق ، و خربت البلاد ، و لم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، و قد كان الذي خفنا أن يكون ، فإنا لله و إنا إليه راجعون "[41].

و بمثل هذا قال المحققون من العلماء أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية [42] و العلامة القرطبي [43] و سيف الدين الآمدي [44] و الإمام الكبير الرازي [45] و الشيخ العلامة محمد رشيد رضا [46] و جموع غفيرة من العلماء .

و بغض النظر عما وقع من العلماء من خلاف حول الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، هل هو فرض عين أم فرض كفاية ؟ فإن ما يمكن استخلاصه من كل آرائهم هو أنه من أهم خصائص الجماعة المسلمة ، و من أهم وظائف الرأي العام المسلم ، و الآيات السالفات واضحة الدلالة في ذلك [47].

و مثل وظيفة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بالنسبة للمجتمع كمثل وظيفة جهاز المناعة بالنسبة للجسم ، بحيث لو دخله جرثوم أو غزاه جسم غريب أو اختلت

---

[40] - هو الإمام أبو حامد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي حجة الإسلام ، و مجدد قرنه ولد في طوس عام 451 هـ ، درس على إمام الحرمين الجويني وعلى شيوخ كثر ، حتى ذاع صيته ، و كان يحضر درسه 300 من كبار العلماء ، زار الكثير من بلاد الإسلام ، و اشتهر بالعبادة و الزهد ، له مصنفات كثيرة منها : " إحياء علوم الدين "و" إلجام العوام عن علم الكلام" و" الأدب في الدين "و "تهافت الفلاسفة " ، توفي عام 505هـ بطوس (طوس) ، (معجم المطبوعات العربية) .

[41] - إحياء علوم الدين ، ج2 ، ص 296 .

[42] - ابن تيمية ، الحسبة في الإسلام ، تحقيق إبراهيم رمضان ، الطبعة الأولى ، (بيروت دار الفكر اللبناني 1992) ، ص11 ، 12 .

[43] - الجامع لأحكام القرآن . ج4 ، ص 47 .

[44] - الإحكام في أصول الأحكام ، 4ج . (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1403هـ/1983) ، ج1 ، ص 307 ، 308 .

[45] - مفاتيح الغيب . ج8 ، ص 207 ، 208 .

[46] - تفسير المنار . ج4 ، ص31 ، 32 .

[47] - العمري جلال الدين ، الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر الطبعة الأولى ، (الكويت : دار القلم ، 1407 هـ/ 1487م) ص 185 .

وظيفة من وظائفه ، هب جهاز المناعة الاجتماعية (الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر) لإعلان حالة الطوارئ لمنع الأضرار الوافدة عليه .

و المتأمل في هذه الوظيفة بإمعان يجدها من ثمار خلق المناصحة و خلق الدعوة إلى الخير المبين بقوله عز و جل : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ﴾ ، بل تكاد الوظيفتان أن تكونا أمرا واحدا و حقيقة واحدة .

3 – وظيفة الشورى :

و من المهام الأساسية و الوظائف الرئيسية للرأي العام من المنظور الإسلامي وظيفة الشورى . و هي من أبرز صفات وسمات الجماعة المسلمة ، شأنها في ذلك شأن التوكل على الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و اجتناب كبائر الإثم و الفواحش ، و ما توسطها بين أهم أركان الإسلام في القرآن الكريم إلا دلالة على أهميتها و مكانتها ، و قد شاءت حكمة الله عز و جل أن يتأسس تشريعها في الفترة المكية ، بل إنها قد حظيت بسورة باسمها وهي ﴿سورة الشورى﴾ و هي مكية النزول ، و فيها قال الله تعالى :﴿ وما عند الله خير وأبقى للذين ءامنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾[48].

قال العلماء : ﴿ أمرهم شورى ﴾ ...جملة اسمية ، مثل الحج عرفة ، و بمقتضى اللغة الحج و عرفة متلازمان ، و بمقتضى اللغة (الأمر) يلزم أن يكون شورى ، فإذن شورى المسلمين و ما تنتهي إليه من قرار يلزم كل مسلم ، و الأحاديث التي تدعوا إلى التزام جماعة المسلمين أو جمهورهم و سوادهم كثيرة [49].

---

[48] – سورة الشورى ، الآية 36 – 38 .

[49] – الترابي حسن ، تجديد الفكر الإسلامي الطبعة الأولى ، (قسنطينة : دار البعث) ، ص 28 .

و قالوا : إن (الأمر) من قوله تعالى : ﴿ أمرهم شورى ﴾ هو اسم من أسماء الأجناس العامة مثل شيء و حادث ، و إضافة اسم الجنس قد تفيد العموم بمعونة المقام ، أي جميع أمورهم متشاور فيها بينهم [50].

و الإسلام إذ يجعل كل أمور المسلمين شورى بينهم ، فهذا من شأنه أن يصبغ حياتهم كلها بهذه الصبغة ، أي أن الشورى هي طابع الجماعة الإسلامية في كل شؤونها و في كل حياتها ، سواء وهي نواة لأمة كالجماعة الأولى في الفترة المكية ، أو هي الأمة بقوتها و عزتها و دولتها كما ذلك في المدينة [51].

و كما أن المنهج الإسلامي جعل أمر الشورى من أهم صفات الجماعة المسلمة ، و أمر بها في مختلف العلاقات بين الأفراد و الجماعات و في مختلف المؤسسات الاجتماعية ، فقد جعل أمرها في مؤسسات السياسة و الحكم أجزم و أوكد ، و ما ذلك إلا لكون جهاز الحكم بمثابة الجهاز العصبي للجسم ، و لكون الشورى من أهم فضائل الدول و المجتمعات بصرف النظر عن مللها و نحلها [52].

لأجل هذا جاء الأمر صريحا للرسول ﷺ باستشارة أمته ، قال تعالى :﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ [53].

قال الشهيد سيد قطب : " و بهذا النص الجازم : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ يقرر الإسلام هذا المبدأ في نظام الحكم ، حتى و محمد ﷺ هو الذي يتولاه . و هو نص قاطع

---

[50] – ابن عاشور ، التحرير و التنوير . ج25 ، ص 112 .

[51] – سيد قطب ، في ظلال القرآن . ج5 ، ص 3165 .

[52] – عمارة محمد ، " الشورى البشرية و الشريعة الإلهية " محاضرة ملتقى الفكر الإسلامي الثالث و العشرون تبسة (الجزائر)من 29 أوت إلى5 سبتمبر ، ص3 .

[53] – سورة آل عمران ، الآية 159 .

لا يدع للأمة المسلمة شكا في أن الشورى مبدأ أساسي لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه ..." [54].

و مما يزيد هذا الأمر توكيدا و جزما هو أن هذا النص القرآني نزل عقب غزوة أحد " أي عقب وقوع نتائج للشورى تبدو في ظاهرها خطيرة مريرة ! فقد كان من جرائها ظاهريا وقوع خلل في وحدة الصف (انقسام الرأي العام) ، اختلفت الآراء فرأت مجموعة أن يبقى المسلمون في المدينة محتمين بها ، ... و تحمست مجموعة أخرى (الغالبية) فرأت الخروج للقاء المشركين ، و كان من جراء هذا الاختلاف ذلك الخلل في وحدة الصف " [55]. و على الرغم من أن النبي ﷺ كان لديه الارهاص من رؤياه الصادقة التي تأولها بأن البقاء في المدينة أسلم ، إلا أنه أمضى أمر الشورى و هو يدرك ما وراءها من الآلام و الخسائر و التضحيات ، لأن إقرار المبدأ أو تعليم الجماعة و تربية الامة أكبر من الخسائر الوقتية .

فالإسلام كان ينشئ أمة و يربيها و يعدها لقيادة البشرية و الله عز و جل كان يعلم أن خير وسيلة لتربية الأمة و إعدادها للشهود و الإمامة الحضاريين أن تربى بالشورى و أن تدرب على تحمل التبعة ، و أن تخطئ لتعرف كيف تصحح خطأها ... فهي لا تتعلم الصواب إلا إذا زاولت الخطأ [56].

لأجل هذا قال الإمام الحسن البصري : " إن الله عز و جل أمر رسوله ﷺ بمشاورتهم ليستن به المسلمون ، و يتبعه فيه المؤمنون ، وإن كان عن مشاورتهم غنيا" [57].

و الشورى في المنهج الإسلامي ذات علاقة وثيقة جدا بالعقيدة من حيث أن الأخذ بالأسباب هو أحد معالم الإيمان ، و الشورى من أسباب التوكل بنص القرآن الصريح : ﴿ وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ [58].

---

[54] – سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ج1 ، ص 505 .

[55] – ن م ، ج1 ص 505 .

[56] – ن م ، ج1 ص 505 .

[57] – الماوردي ، أدب الدنيا و الدين ، ص 308 .

[58] – سورة آل عمران 159 .

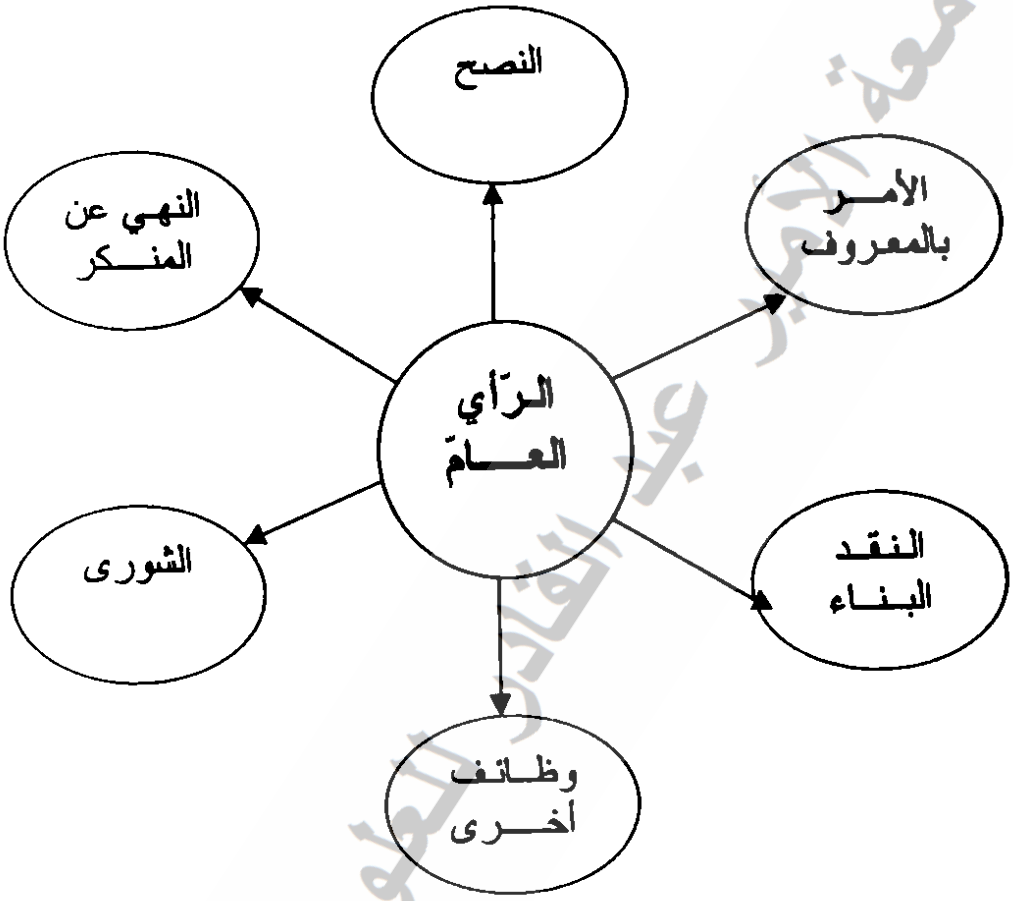

أهم وظائف الرأي العام من منظور إسلامي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

منهج الجمعة في تكـــوين الـــرّأي العـــامّ

أوّلا – المنطلقات و الأسس :

يعتبر الرّأي العامّ ظاهرة اجتماعيّة إنسانيّة ، و من ثَمّ فإنّه يخضع في تكوّنه و تكوينه و في نشأته و تطوّره و في تغيّره و تفاعله و في ضعفه و قوّته لمنظومة سنن الله و قوانينـه في الاجتماع الانسانيّ ، الأمر الّذي يفضي بنا إلى تقرير حقيقة هامّة و هي : إنّ نجاح الجمعة في تكوين الرّأي العامّ بجميع أنواعه و تشكيله و تغييره و حمايته منـــوط باتّبـــاع السّـــنن الاجتماعيّة الّتي يخضع لها ، و هو ما يستلزم كشفها و فهمها حتّى يســـهل تســـخيرها ، و السير في هديها . و يمكن ذكر أهمّ هذه المنطلقات فيما يلي :

المنطلق الأوّل :

إنّ الرّأي العامّ هو مجموع أراء الأفراد ، و لهذا لكي نفهم كيف يتكوّن فإنّه ينبغـي أن نفهم أولا كيف يتكوّن الرّأي عند الفرد ؟[59] و نفهم ما هي السّنن التي يخضع لها هـــذا التّكوين ؟

لقد تبين لنا في التحليل اللغوي و الاصطلاحي لمفهوم الرأي أنـــه عمليـــة عقليـــة مبدؤها النظر و التأمل و التدبر ، و غايتها العلم و المعرفة و الاعتقاد ، و أنه يتأثر بـــالمحيط الخارجي ، لصاحبه سواء كان محيطا كونيا أو اجتماعيا ، و من هنا نـــــدرك أن المكـــون

---

[59] – غريب محمد ، علم الاجتماع الاتصال و الإعلام .

الأساس للرّأي عند الفرد هو عقله ، و هذا ما ذهب إليه أصحاب النّظريّة المنطقيّة في تفسيرهم لكيفيّة تكوين الرّأي العام [60].

و تبعا لهذه النّظريّة يمكن أن نستنتج الآراء من الحقائق و ذلك بمراقبة الظّواهر و القوانين الطّبيعيّة و الاجتماعيّة المحيطة بنا ، و أنّ اختلاف البشر في الموضوع الواحد هو نتيجة لعدم تساويهم في عمليّة فهم تلك الظّواهر و القوانين المتعلّقة بذلك الموضوع [61].

المنطلق الثّاني :

إنّ عمليّة تكوين الرّأي العامّ تعني في المقام الأوّل تعميم الرّأي الفرديّ ، و بناء على النّظريّة المنطقيّة العقليّة فإنّ هذا يستوجب فقها و اتّباعا لسنن تعميم الأفكار و نشرها [62]. فكلّما كانت فهوم النّاس و إدراكاتهم لموضوع ما أو قضيّة ما متقاربة ، كلّما كانت آراؤهم فيه و أحكامهم عليه متقاربة ، و العكس صحيح ، أي كلّما كانت فهومهم لموضوع ما متباعدة ، كلّما كانت آراؤهم فيه و أحكامهم عليه متباعدة ، و نتج عن ذلك اختلاف سلوكيّ تجاهه .

و من هنا نستخلص نتيجة أساسيّة كبرى و هي :إنّ أهمّ عامل في تكوين الرّأي العامّ و حمايته هو توحيد منهج النّظر إلى الموضوعات أو القضايا المُراد إيجاد رأي موحّد حولها ، و بتعبير آخر توحيد المنهج المعرفيّ بين النّاس .

و انطلاقا من كون المعرفة في الإسلام هي كلّ معلوم دلّ عليه الوحي و الحسّ و التّجربة [63]، أو هي كلّ معلوم دلّت عليه سنن الهداية و سنن الأفاق و سنن الأنفس ، فإنّ الأسس الّتي يرتكز عليها الرّأي العامّ في الإسلام كلّها يصدر عن منهجه المعرفيّ . و أهمّ هذه الأسس هي :

---

[60] – علي عبد الحسن رزق ، "دور الوسائل الإعلامية في صناعة الرأي العام – نموذج حرب الخليج – "، المنطلق ، لبنان : عدد 107 ، (1410هـ/ 1994م) ، ص 268 .

[61] – ن م .

[62] – إفريت م . روجرز ، الأفكار المستحدثة وكيف تنتشر ترجمة سامي ناشد ، (القاهرة : عالم الكتب) ، ص160 ، 161 .

[63] – طه جابر العلواني ، إصلاح الفكر الإسلامي – مدخل إلى إصلاح نظم الخطاب في الفكر الإسلامي – ، ص

- بناء المنظومة التّربويّة و التّعليميّة .

- بناء المنظومة الثّقافيّة .

- تزويد النّاس بالمعلومات و الأخبار الصّحيحة حول الموضوع الّذي يـــراد توحيـــد الرّأي من حوله .

و قد مرّ بيان و توضيح كلّ هذه الأسس في الفصول السّابقة و أثبت فيها أنها مـــن وظائف الجمعة .

ثانيا – الوسائل و الأساليب :

تعتمد الجمعة في تكوينها للرّأي العامّ على عدّة أساليب نوجزها فيما يلي :

1 – عرض الحقائق :

إنّ عرض كلّ الحقائق و المعلومات المتعلّقة بالقضيّة أو بالموضوع الّذي يراد توحيـد الرّأي العامّ من حوله يُعدّ مسألة بالغة الأهمّية ، فقد لاحظ الدّارسون أنّ الجمهور المطّلـــع المتابع للأحداث يكون دائما أسرع إلى تكوين أراء محدّدة ذات طابع متّزن و دائم ، بعكس الجمهور غير المطّلع و البعيد عن متابعة الأحداث ، فهذا الصّنف الأخير من النّاس يكـــون عادة بطيئا في تكوين رأيه مذبذبا في اتّجاهاته فريسة للإشاعات [64].

و المنهج الإسلاميّ لا يجيز بأيّ حال من الأحوال الاعتمـــاد علـــى الأكـــاذيب و الأراجيف و الشّائعات في مخاطبة الرّأي العامّ ، حتّى في أحلـــك الظّـــروف و أصعـــب الحالات ، لأنّ عواقب الكذب شرّ مهما كان الأمر . لهذا كان النّبيّ ﷺ صادقا و صريحـــا في جميع خطابه ، و كان حين مشاورته في القضايا الكبرى شديد الاهتمام ببيـــان كـــلّ الحقائق ؛ و كلّ سيرته يشهد على ذلك ، بل إنّ القرآن الكريم يذهب في هـــذه المســـألة إلى أبعد ما يتصوّره الإنسان ، جاء في تفسير ابن كثير :" قال ابن جرير قـــال : حدّثـــني إسحاق بن شاهين عن خالد عن داود عن عامر عن عائشة ﷺ أنّها قـــالت :" لـــو كتـــم

---

[64] – عاطف عدلي العبد ، الاتصال و الرأي العام ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، 1414 هـــ/ 1993 م) ، ص 83 .

محمد ﷺ شيئا ممّا أوحي إليه من كتاب الله تعالى لكتم :﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾[65]" [66].

إنّ إحساس النّاس بصدق القائم بالاتّصال يؤدّي دورا تأثيريّاً هامّـــا في إقناعـــهم و توحيد آرائهم . لهذا يجب مراعاة هذا الأمر و إعطاؤه الأهمّية اللاّزمة في تكوين الـــرّأي العامّ [67].

2 – التّركيز و التّكرار و التوكيد :

يعتبر التّركيز و التّكرار من أنجح و أنجع الأساليب لتكوين الرّأي العامّ أو تغييره [68]. وذلك لكونها " ذات أثر كبير في إثارة الأهواء و الميول ، و إذا استعملها الخطيب بمـــهارة ودقة جذب السامعين إلى رأيه ، و أخذهم إلى ناحيته" [69].

فإذا كان من شروط نجاح العمل التّغييريّ الدّيمومة و الاســـتمراريّة ، فـــإنّ هـــذه الدّيمومة لا يمكن أن تتحقّق إلاّ بالتّركيز و التّكرار و التوكيد . فالعمل التّغييريّ " يحتاج إلى إلى استيفاء شرط التّراكميّة في الجهد من خلال تركيز تتابع هذه الجهود و تكاملها بصـورة منتظمة ، بل و قد تحتاج أحيانا إلى التّوالي و الفوريّة انسجاما مع قاعدة اضـــرب علـــى الحديد ما دام ساخنا ، و ما أكثر ما تبطئ عمليّة التّغيير و يطول مداها بسبب عدم الانتبـله إلى أهمّية قانون التّراكم القائم على التّركيز و التّتابع و التّكامل في الجهد [70]" ... لهذا كان المنهج التّربويّ و التّعليميّ في الإسلام يتّسم بالتّركيز و التّكرار و التوكيد ، و يتّضح ذلـــك جليّا في القرآن الكريم من خلال إكثار الحديث عن التّذكير ، و كذلك ظاهرة التّكرار فيـه

---

[65] – سورة الأحزاب ، الآية 37 .

[66] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج5 ، ص 467 .

[67] – عاطف العبد ، الاتصال و الرأي العام ص 90 .

[68] – ن م ، ص117 .

[69] – محمد أبو زهرة ، الخطابة . ص 66 .

[70] – برغوث الطيب ، الأبعاد المنهجية للفعل الدعوي في الحركة النبوية . ص 75 ، 76 .

الّتي كانت تستهدف متابعة الجرعات التّربويّة تخليّة و تحليّة ، و مواصلة تثبيت و تدعيم عمليّة التّغيير و البناء بشكل تدريجيّ متكامل [71].

جاء في كتاب الآراء و المعتقدات لـ (غوستاف لوبون) : إنّ التوكيد و التكرار عاملان قويان في تكوين الآراء و انتشارها ، و إليها تستند التربية في كثير من المسائل ، و هما يستعين رجال السياسة و الزعماء كل يوم في خطبهم "[72].

و قال في كتاب (روح الاجتماع): للتكرار تأثير كبير في عقول المستنيرين ، و تأثير أكبر في عقول الجماعات من باب أولى ، و السبب في ذلك كون المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية الّتي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان ، فإذا انقضى شطر من الزمن ، نسي الواحد منا التكرار، وانتهى بتصديق المكرر"[73].

3 – الوضوح و الإيجاز :

و هما من أهمّ أساليب الجمعة و أكثرها فعاليّة في عمليّة تكوين الرّأي العامّ و تشكيله و حمايته ، و خاصّة أنّ غالبيّة الأمّة تتصّف بالأمّية بجميع أنواعها ، فما لم تعتمد الجمعة في إقناعها على الوضوح في الطّرح و العرض و على الإيجاز غير المخلّ فإنّها ستعرّض رسالتها تجاه الرّأي العامّ إلى الفشل .

---

[71] – ن م . ص 77 ؛ الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة ، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ، ص 314 .

[72] – أبو زهرة ، الخطابة ،ص66 .

[73] – غوستاف لوبون ، روح الاجتماع ، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا ، سلسلة الأنيس ، (الجزائر : موفم للنشر ، 1988) ، ص 140 .

البَابُ الثَّالِثُ

الأَبعَادُ الاجْتِمَاعِيَةُ للجُمُعَةِ

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الفصل الأوّل

دور الجمعة في التنشئة الاجتماعية

المبحث الأوّل : مفهوم التّنشئة الاجتماعيّة و أهمّيتها في الإسلام

المبحث الثّاني : المؤسّسات المؤثّرة في عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة و موقع المسجد منها

المبحث الثّالث: منهج الجمعة في تحقيق عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة في برنامج تربويّ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

مفهوم التّنشئة الاجتماعيّة و أهمّيتها في الإسلام

أولا – مفهوم التّنشئة الاجتماعيّة :

تعتبر التّنشئة الاجتماعيّة من أهمّ العمليّات الاجتماعيّة الّتي يهتمّ بها علم النّفس و علم الاجتماع و علم التّربية و علم النّفس الاجتماعيّ [1]، و هي عمليّة معقّدة و متشعّبة ، لهذا فإنّ أنسب أسلوب لفهمها ، هو الوقوف على تعريفها ، ثمّ إجراء عمليّة تفكيك و تحليل لمختلف عناصرها المكوّنة لها ، و هذا الأسلوب هو الطّريق الفعّال لتركيبها و تحقيقها في مشروع تربويّ اجتماعيّ .

1 – تعريفها :

عرّف العلماء و الخبراء المختصّون عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة بتعاريف كثيرة ، تدور في مجملها حول كونها : " عمليّة تعلّم و تعليم و تربيّة تقوم على التّفاعل الاجتماعيّ ، و تهدف إلى اكتساب الفرد (في جميع أعماره) سلوكا و معايير و اتّجاهات مناسبة لأدوار اجتماعيّة معيّنة ، تمكّنه من مسايرة جماعته ، و التّوافق الاجتماعيّ معها ، و تكسبه الطّابع الاجتماعيّ ، و تيسّر له الاندماج في الحياة الاجتماعيّة "[2].

و إذا أردنا أن نلخّص مجموع الأهداف و الغايات الّتي تتوخّاها عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة في هدف استراتيجيّ ، أمكننا القول بأنّها تهدف إلى تعليم الفرد كيف يتثقّف ، و بالتّالي كيف يتحضّر [3].

---

[1] – تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية عند بعض أساطين علم النفس الاجتماعي محور المادة الدراسية لهذا العلم ، انظر زهران حامد عبد السلام ، علم النفس الاجتماعي . الطبعة الخامسة ، (القاهرة : عالم الكتب ، 1984) ، ص 243 .

[2] – ن م ، ص 243 .

[3] – مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع . ص 99 .

فهي" الوسيلة الفعّالة لتغيير الإنسان و تعليمه كيف يعيش في الجماعة ، و كيف يكوّن مع أقرانه مجموعة القوى الّتي تغيّر شرائط الوجود نحو الأحسن دائما ، و كيف يكوّن معهم شبكة العلاقات الّتي تتيح للمجتمع أن يؤدّي نشاطه المشترك في التّاريخ" [4].

2 – تحليل نفسيّ لعمليّة التّنشئة الاجتماعيّة :

تهدف عمليّة التّحليل النّفسيّ لظاهرة التّنشئة الاجتماعيّة إلى :

- بيان العناصر الّتي تتكوّن منها .
- ترتيبها حسب أهمّيتها في العمليّة .
- الاستعانة بها في عمليّة التّركيب لتحقيقها في الواقع الاجتماعيّ .

و السّؤال الّذي ينبغي طرحه بين يديْ التّحليل هو : كيف تتمّ عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة في أبسط صورها ؟ و ما هي الظّروف الّتي تجعل فردا ما يندمج في الحياة الاجتماعيّة ؟

إنّ الإنسان حينما يولد يكون في حالة بدائيّة جدّا ، و هي الحالة الّتي سمّاها القرآن و السّنة و عرفت في الفكر الإسلامي بالفطرة ، و المجتمع هو الّذي يتولّى تشكيله و تكييفه طبقا للحالة الّتي هو عليها ، سواء كانت خيرا أم شرّا ؛ و هذه الحالة هي الّتي عبّر عنها اللّطيف الخبير بقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [5]. و هو المعنى الّذي قصد إليه الرّسول ﷺ بقوله :" **ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسّون فيها من جدعاء ثمّ يقول أبو هريرة : ﴿ فطرة الله الّتي فطر النّاس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ﴾ ، و عند مسلم و غيره أو يشركانه** "[6].

---

[4] – ميلاد مجتمع .ص 100 .

[5] – سورة النحل ، الآية 78

[6] – متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب لا تبديل لخلق الله رقم 4402 . و مسلم في كتاب القدر باب كل مولود يولد على الفطرة ، رقم 4805 . و أخرجه الترمذي و النسائي و أبو داود و أحمد و مالك .

هذا ، و ينبغي الإشارة إلى أن هذه الحالة البدائية ، لا تعني بدائيتها الخلو و الفراغ المطلقين ، و إنما بدائيتها من حيث علاقتها بالعمليات و الخبرات الاجتماعية ، و الضعف العام الذي يولد به الإنسان ، قال تعالى : ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا و شيبة ...﴾ [7]، أما حقيقة هذه الفطرة فهي تحوي كل ما فطر و خلق عليه الإنسان ظاهرا و باطنا [8]، و يشمل ذلك كل الدوافع و الحاجات و الغرائز و الجبلات و الاستعدادات و القابليات ، سواء كانت جسمية (فيسيولوجية) أو عقلية أو نفسية أو روحية ، و التي تشكل في مجموعها الطاقة الحيوية للإنسان [9].

و تعتبر هذه الطاقة الحيوية المحرك الأساسي للسلوك و النشاط الإنساني ، إذ لولا وجودها و حركتها و حيويتها لانعدمت كل العمليات و الظواهر و الأنشطة الاجتماعية [10]. و مع هذا فلا يمكن الاقتصار عليها ، لأن هناك عوامل أخرى كثيرة تتدخل في تشكيل السلوك و النشاط البشري . فمن ذلك أن الإنسان لا يمكنه أن يحقق مطالب فطرته و لا يستطيع صرف طاقته إلا في وسط اجتماعي يندمج فيه و ينتمي إليه و يرتبط به ؛ و كل هذا يقتضي منه الدخول في شبكة العلاقات الاجتماعية لذلك المجتمع.

غير أن الإنسان ما إن يشرع في عملية الاندماج في تلك الشبكة ، حتى يجد أمامه حصونا منيعة من الالتزامات و المحظورات و الشروط و الضوابط التي تحول دون تحقيق تلك المطالب الفطرية للطاقة الحيوية ، إلا إذا كيفها صاحبها و هذبها كيما لا تتصادم مع الطاقات الأخرى فيحدث الصراع الذي يعود عليه و على المجتمع بالهلاك و الفناء [11].

و من هنا يصبح التكيف وفق الإرادة العامة للمجتمع من الضروريات التي يجب على كل فرد تحقيقها و إلا كان مصيره الطبيعي هو النبذ و العزل ، لأن المجتمع لا يمكن

---

[7] – سورة الروم ، الآية 54 .

[8] – ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج ص .

[9] – محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية . ج 1 ، ص 18 .

[10] – ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، الطبعة السابعة ، (بيروت : دار القلم ، 1409هـ/1989م) ، ص 41 ، 42 .

[11] – بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ص 107 ؛ السمالوطي نبيل محمد توفيق ، الإسلام و قضايا علم النفس الحديث . (الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 1986) ص ص 188 – 189 .

بناؤه إلا بالأشخاص المكيفين الذين يملكون الحد الأدنى من الأفعال المنعكسة ذات الاتجاه الإيجابي [12].

و تتم عملية التكيف التي يكتسب منها الفرد مجموعة الأفعال المنعكسة المنظمة لسلوكه بطريقتين :

- الطريقة الأولى : الإلزام الاجتماعي : و هو الأصل في عملية التكيف .
- الطريقة الثانية : الالتزام الشخصي : و هو نابع من الالتزام الجماعي و تابع له .

و تكمن أهمية الأفعال المنعكسة بالنسبة للفرد و المجتمع في كونها هي التي تقود تطور المجتمع ، و من هنا نعلم أن العلاقة بين المجتمع و الفرد المكيف جد وثيقة " فالمجتمع يخلق الانعكاس الفردي ، و الانعكاس الفردي يقود تطوره "[13].

و المجتمع إذ يفرض على الفرد تجسيد واقع نفسي في ذاته يؤهله لعملية الاندماج في علاقاته ، سواء بطريق الإلزام أو الالتزام ، إنما يعتمد في ذلك على المثل العليا التي يحيا بها و يحيا لأجلها ، و لولاها لما استطاع أن يحقق أدنى حد من التكييف .

و المثل العليا بالنسبة لأي مجتمع بشري هي في حقيقتها مجموعة تصوراته الدينية أو الفلسفية عن الخالق و الكون و الحياة و الإنسان . و هي الدستور الأخلاقي العام الذي يحكمه و يبين لأفراده أن أمرا ما خير أو شر ، نافع أو ضار ، صالح أو فاسد ، و بالتالي يجب فعله أو يجب تركه ، و ذلك هو روح عملية التنشئة الاجتماعية و جوهرها [14].

إذن فللدين باعتباره مصدر المثل العليا دخل كبير و دور رئيس في عملية التنشئة الاجتماعية لأنه هو الذي يقوم بعملية التكييف للطاقة الحيوية للإنسان و هو الذي ينظمها و يوجهها لخدمة الغاية الكبرى التي يسعى المجتمع لتحقيقها [15].

---

[12] - ميلاد مجتمع ، ص 66 ، 67 .

[13] - ميلاد مجتمع ، ص 66 .

[14] - حودت سعيد ، العمل قدرة و إرادة ، ص 86 ، 87 .

[15] - ميلاد مجتمع ، ص ص 71 ، 74 .

3 – عناصر عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة :

نستخلص من عمليّة التّحليل السّابقة ، أنّ أهمّ العناصر الأساسيّة الّتي تكوّن عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة هيّ :

- **بالنّسبة للفرد** : دوافعه و حاجاته و غرائزه و استعداداته و قابليّاته الجسميّة و النّفسيّة و العقليّة و الرّوحيّة و الاجتماعيّة . فكلّ هذه العناصر تدفع الفرد دفعا للانتماء إلى جماعة .
- **بالنّسبة للمجتمع** : علاقاته و نظمه و أنساقه و أدواره و مؤسّساته و قيمه و معاييره و قوانينه إلخ ؛ فكلّ هذه العناصر يضغط بها المجتمع على أفراده كي يُعَدّلوا فرديتهم و اتّجاهاتهم الخاصّة في سبيل الانتظام فيه .
- **العلاقة المتبادلة بين الفرد و المجتمع** .
- **المثل العُليا** : و هي المثل العليا الّتي تحدّد للمجتمع غاياته الكبرى من الوجود و وظائفه في الحياة و من أين ينطلق و إلى أين يسعى .

ثانيا – أهمّية التّنشئة الاجتماعيّة في الإسلام :

إنّ عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة من العمليات ذات الأهمّية القصوى للحياة الإنسانية ، ليس فقط بالنّسبة للفرد ، و إنّما بالنّسبة للمجتمع و الحضارة الإنسانيّة ؛ و ليس بالنّسبة إلى الحياة الدّنيا فحسب ، و إنّما بالنّسبة للحياة الآخرة أيضا .

فهي العمليّة الّتي تُخرج الفرد من قوقعته الحيوانيّة الغريزيّة إلى شخصيّته الإنسانيّة الاجتماعيّة [16]، و لولاها لعُدّ الإنسان صنفا من أصناف البهائم ، ليس لها من همّ سوى الأكل و الشّرب و النّوم و التّناسل . قال الأستاذ مالك بن نبيّ [17]:" إنّ العمل الأوّل في طريق التّغيير الاجتماعيّ هو الّذي يغيّر الفرد من كونه فردا (Individu) إلى أن يصبح

---

[16] – حامد زهران علم النفس الاجتماعي ، ص 243

[17] – مفكر إسلامي كبير ، ولد في قسنطينة عام 1905 م ، و نشأ في مدينة تبسة ، كان منذ صغره شغوفا بالدراسة ، تخرج مهندسا كهربائيا عام 1935 ، له مصنفات كثيرة منها : شروط النهضة ، الظاهرة القرآنية ، في مهب المعركة ، توفي عام 1973 .

شخصا (Personne) ، و ذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع ، إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع "[18].

و التّنشئة الاجتماعيّة هي العمليّة التي تغذّي المجتمع البشريّ و تمدّ الحضارة الإنسانيّة بأهمّ عوامل البقاء ؛ فإذا كانت الحضارة لا يمكن صناعتها إلاّ بتأثير عالم الأشخاص و عالم الأفكار و عالم الأشياء و عالم العلاقات الاجتماعيّة [19]، فإنّ هذا التأثير لا يمكن حدوثه و استمراره دون عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة . فهي في ميزان الخلق عند الله عزّ و جلّ ليس لها مثيل أو شبيه إلاّ عمليّة خلق الإنسان ذاتِه ، فكما أنّ الله عزّ و جلّ جعل المحافظة على النّوع الإنسانيّ بالتّناسل بين الذّكر و الأنثى ، فبثّ فيهما الغريزة الجنسيّة أو التّناسليّة ، فقد جعل المحافظة على الاجتماع الإنسانيّ بالتّفاعل بين الإنسان و الإنسان ، فبثّ فيه غريزة الاجتماع [20]، و هذا ما يبيّن لنا أنّه لولا عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة لما كان للإنسانيّة حضارة . فهي العمليّة الّتي تنبثق منها الشّخصيّة الإنسانيّة و هي الرّحم الّتي تصدر عنه العلاقات الاجتماعيّة و الأساس الّذي يُبنى عليه كيان الجماعة و المجتمع و الأمّة .

و هي وسيلة الثّقافة في تشكيل الشّخصيّة الإنسانيّة و صياغتها و بلورتها [21]، فالإنسان حينما يولد تكون عملية التّنشئة الاجتماعيّة هي وسيلة المجتمع في إكسابه الشّخصيّة و إدماجه في الإطار الثّقافيّ العامّ عن طريق إدخال التّراث الثّقافيّ في تكوينه ، و توريثه إيّاه توريثا متعمّدا بتعليمه أسلوب حياة ذلك المجتمع . لهذا قال والاس (Wallace) : " إن التّنشئة الاجتماعيّة هي همزة الوصل بين الثّقافة و الشّخصيّة ، فبدون عمليّة نقل الثّقافة إلى الأفراد عن طريق هذه العمليّة لا يمكن أن نتوقّع منهم انصيّاعا لمعايير مجتمعهم ولا لقيَمِه و نُظُمِه"[22].

---

[18] – ميلاد مجتمع ، 31 .

[19] – ن م ، ص 27 .

[20] – ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، ص 41 .

[21] – سامية الساعاتي ، الثقافة و الشخصية ، ص 223 ، 224 .

[22] – ن م ، ص 225 ، نقلا عن الثقافة و الشخصية لـ " والاس " .

و من المعلوم في الإسلام أن الوظيفة الوجودية للإنسان هي أن يعبد الله عز و جل حق العبادة ، و أن يكون له خليفة في أرضه وفق منهاجه[23] ، و بتفحص هذه الغاية و هذا المقصد يستبين للناظر ، أن هذا لا يمكن أن يتحقق من غير عملية التنشئة الاجتماعية و هو ما يجعلها تأخذ من أحكام الشريعة حكم الوجوب ، من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[23] - الطيب برغوث ، منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة و المحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية ، ص 25 .

المبحث الثاني

المؤسّسات و الهيئات الممارسة و المؤثّرة في عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة و موقع مؤسّسة المسجد منها

أوّلا – أهمّ المؤسّسات و الهيئات الممارسة و المؤثّرة في عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة :

لمّا كانت عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة على تلك الدّرجة من الأهمّية و المكانة ، سواء بالنّسبة لأفراد النّاس أو جماعاتهم ، أو بالنّسبة للحضارة الإنسانيّة قاطبة ، فإنّ حكمة الله عزّ و جلّ اقتضت ألاّ يقتصر الاضطلاع بها على جهة أو هيئة بعينها ، و على مرحلة معيّنة من مراحل العمر ، وإنّما جعلها الله قسمة على كل عضو من أعضاء المجتمع ، و ممتدّة على طول الحياة . و يمكن إجمال ذلك فيما يلي :

1 – الأسرة :

تعتبر الأسرة أهمّ عوامل و مؤسّسات التّنشئة الاجتماعيّة ، فهي الرّحِم الّتي أناط الله عزّ و جلّ بها استنبات الأفراد و إمداد المجتمع بهم ، و لهذا جاء التعبير عنها في القرآن الكريم على أنّها من آيات الله الدّالة على عظمته ، والّتي يجب إعمال التفكير في حقيقتها ، و في الحكمة من خلقها ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[24] ، و هي المحضن الأوّل الّذي ينشأ فيه الكائن الإنسانيّ و هو يستقبل الحياة ، و هي الممثّلة الأولى للثّقافة و أقوى الجماعات تأثيرا في معتقدات الفرد و أفكاره و سلوكاته ، و هي العامل

---

[24] – سورة الروم ، الآية 21 .

الأوّل في صبغ سلوك الطّفل بصبغة اجتماعيّة [25]. لهذا أفردها الرّسول ﷺ و خصّها بـالذّكر في التّأثير على الإنسان . قال ﷺ : " كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه ... "[26].

2 – المدرسة :

تعتبر المدرسة في العصر الحديث المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تقوم بوظيفة التربية و التعليم و التثقيف و التنشئة الاجتماعية ، فهي المؤسسة التي تأخذ حظا وافرا من وقت الفرد بعد الأسرة ، و تتلخص وظيفتها في التنشئة الاجتماعية في كونها وسيلة فعالة لتعليم المعايير و الأدوار الاجتماعية في شكل منظم ، و تعليم الواجبات و الحقوق و التعاون و ضبط الانفعالات و الانضباط السلوكي . و كذلك تساهم المدرسة في تعليم النشء الاعتماد على الذات في تحقيق الأهداف بما يلائم المعايير الاجتماعية ، و تعليمهم كيف ينشئون العلاقات الاجتماعية السوية [27].

3 – المسجد :

لأماكن العبادة دوْر عظيم و بارز في عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة [28]، و ذلك لما لها من قداسة في نفوس المؤمنين و ما لها من آثار على حياتهم . و قد تبيّن أثناء التّحليل النّفسيّ لعمليّة التّنشئة الاجتماعيّة ما للعنصر الدّيني من دور رئيسيّ في عمليّة بناء الشّخصيّة و إكسابها الأفعال المنعكسة الثّابتة ، و تنظيم الطّاقة الحيويّة و توجيهها .

فالدّين هو المنبع الذي يغذّي المجتمع بالمثل العليا ، و القيم الأخلاقيّة . فإذا كانت الإرادة هي الّتي تتصرّف في توزيع الطّاقة الحيويّة في مختلف قطاعات النّشاط الاجتماعيّ لدى الفرد و الجماعة ، فإنّ المثل الأعلى النّابع من الدّين هو وحده الذي يستطيع تنبيه هذه الإرادة ، و تنظيم جميع الغرائز [29].

---

[25] – حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي ، ص 253 .

[26] – سبق تخريجه في المبحث السابق .

[27] – علم النفس الاجتماعي ، ص ص 257 –260 .

[28] – ن م ، ص 265 . و انظر HILLARY CLITNON, **Il faut tout un village pour élever un enfant**.p.32,33

[29] – ميلاد مجتمع ، 72 ، 73 .

و يمكن إجمال وظيفة المسجد في التّنشئة الاجتماعيّة في كونه هو المصدر الوحيد و الأساسيّ الّذي يمدّ الفرد المسلم بالمثل العليا الّتي تحكم طاقته الحيويّة و تنظّمها و توجّهها بما يخدم أهداف المجتمع . و هو أحسن المؤسسات المنمّية للضّمير عند الفرد المسلم و الجماعة المؤمنة ، و الموحّدة للسّلوك الاجتماعيّ ، و المؤلّفة بين مختلف أعضاء المجتمع في شبكة من العلاقات .

4 – وسائل الإعلام :

يعتبر العصر الحديث عصر الإعلام حقّا ، فبفضله أصبح العالم قرية صغيرة ، بل كاد أن يكون غرفة صغيرة . و غدا تأثيره واضحا على كلّ مجالات الحياة و على جميع النّاس [30].

و لقد توسّعت دائرة وظائفه توسّعا عظيما ، حتّى شملت التّنشئة الاجتماعيّة [31]، فما من يوم يمرّ على الإنسان المعاصر سواء كان كبيرا أو صغيرا ، ذكرا أو أنثى ، متعلّما أو أمّيا ، غنيّا أو فقيرا إلاّ و وهو قد تأثّر بوسائل الإعلام .

و يتلخّص آثار وسائل الإعلام في عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة في النّواحي التّاليّة :

- إمداد الأفراد بما يلزمهم من المعلومات و الحقائق و الأخبار .
- إشباع الحاجات النّفسيّة للإنسان مثل حبّ الاطّلاع و التّسليّة .
- التّثقيف والتّعليم و إمداد الأفراد بالخبرات .
- دعم الاتّجاهات النّفسيّة و تعزيز القيم [32]الخ .

6 – جماعة الـ رّفاق:

إنّ من أهمّ العلاقات الاجتماعيّة التي يقيمها الإنسان و يسعى لإقامتها دوما أو غالبا في مختلف مراحل عمره علاقة الصّداقة و الصّحبة و الرّفقة ، فما إن يبدأ الإنسان

---

[30] – محمد لعقاب ، المسلمون في حضارة الإعلام الجديدة ، ص ص 13 ، 25 .

[31] – شون ماكبرايد ، أصوات متعددة و عالم واحد ، الاتصال و المجتمع، اليم و غدا ، ص 51 .

[32] – علم النفس الاجتماعي ، 263 ، 264 .

اكتساب صفة النزوع إلى الغير ، حتى يبدأ في تكوين علاقـــات الصحبـــة و الصداقـــة مع أقرانه بقصد اللعب و التسلية ، و تتطور فيه هذه النزعة و تتنوع صورهـــا و تتعـــدد معها أهدافها و مقاصدها ، إلى أن تصير من العلاقات الاجتماعية التي لا يمكن لأي مجتمـع أن يستغني عنها .

و لأهميتها وخطورتها اهتم الإسلام بها كثيرا ، قال الله تعالى مصورا عاقبة مـــن لم يحسن اختيار الأصحاب الأتقياء : ﴿ و يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني و كان الشيطان للإنسان خذولا ﴾ [33]، ويقول : ﴿ هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة و هم لا يشعرون الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ [34]، و قال النبي ﷺ : **إنما مثل الجليس الصالح و الجليس السوء كحامل المسك و نافخ الكير . فحامل المسك إما يحذيك و إما أن تبتاع منه و إما أن تجد منه ريحا طيبة . و نافخ الكير إما أن يحرق ثيابك و إما أن تجد ريحا خبيثة** " [35]. و قال :" **الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** " و في رواية " **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** "[36].

و تقوم جماعات الرفاق بأدوار مفيدة جدا لحياة الإنسان [37]، و خاصة في عمليـــة التنشئة الاجتماعية ، فهي عامل مهم في نمو الشخصية و اكتساب نمط شخصية الجماعـة ، فلكي يقبل الفرد في جماعة الرفاق ، " يجد نفسه – غالبا – متخليـــا عـــن عـــدد مـــن الانعكاسات المنافية للنزعة الاجتماعية ، ليكسب مكانها أخرى أكثر توافقا مـــع الحيـــاة الاجتماعية " [38]. كما تساعد جماعات الرفاق على النمو الجسمي عن طريـــق ممارســـة

---

[33] – سورة الفرقان ، الآية 27 – 29 .

[34] – سورة الزخرف ، الآية 66 ، 67 .

[35] – متفق عليه و اللفظ لمسلم في كتاب البر و الصلة و الأدب باب استحباب مجالسة الصالحين و مجانبة قرناء السوء ، رقم 4762 ، عن أبي موسى الأشعري ، و البخاري في كتاب البيوع باب في العطار وبيع المسك ، رقم 1959 .

[36] – أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في أخذ المال بحقه ، و قال هذا حديث حسن غريب رقم 2300 ، و أحمد في مسند المكثرين عن أبي هريرة ،رقم 7685 ، و رجاله ثقات .

[37] – هذا خاص بجماعة الرفاق في الحالة الإيجابية .

[38] – بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ص 67 .

الرياضة ، و على النمو الانفعالي و الاجتماعي ؛ و هي عنصر هـــام في تكويـــن المعايـــير الاجتماعية و التمكين من تعلم الأدوار الاجتماعية مثل القيادة و الطاعة [39] الخ .

7 - مـــجـــال العـــمل :

يعتبر مجال العمل مجالا خصبا للأنشطة و العمليات الاجتماعية و خاصـــة لعمليـــة التنشئة الاجتماعية ، ويتلخص أثره في النقاط التالية :

- تعليم الدور المهني باعتباره من أهم الأدوار الاجتماعية في حياة الإنسان .
- تكوين العلاقات الاجتماعية المهنية .
- إشباع حاجة الإنسان إلى المكانة الاجتماعية التي تتحقق من خلال قيامـــه بـــدوره المهني في المجتمع .
- تعليم الفرد المسؤولية في تحمل الواجبات [40].

ثانيا – محورية مسجد الجمعة بالنسبة للمؤسسات الممارسة لعملية التنشئة الاجتماعية :

لمـــا كان المفهوم الإسلامي للأمة هو أنها :" مجتمع إنساني يقوم علـــى الأســـاس العقائدي المشترك ، و (وذلك) بما تضمنه الإسلام من تصور لحقائق الوجـــود – مـــن الكون و ما وراء الكون – و من قواعد سلوكية وقيم أخلاقية و نظم تشـــريعية ، هـــو العامل المشترك بين أفراد هذه الأمة " [41]؛ و لما كانت الصلاة من بين جميع أنواع أعمـــال البر هي عمود الإسلام " **رأس الأمر الإسلام و عموده الصلاة** "[42] ، فإن هاتين الحقيقتـــين تجعلان المسجد باعتباره أخص مكان للصلاة ، هو النواة المركزية التي تدور في فلكها كـــل العناصر المكونة للأمـــة .

---

[39] – حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي ، ص 261 .

[40] – علم النفس الاجتماعي ، ص 266 ، 267 .

[41] – محمد المبارك ، **نظام الإسلام – الحكم و الدولة** – ، (دمشق : دار الفكر ، 1409هـ/ 1989) ، 100 .

[42] – جزء من حديث شريف سبق تخريجه في الباب الأول الفصل الأول .

فمن المسجد تشرق أنوار الوحي ، و منه تشع أضواء الأفكار ، وفيه تبنى شخصية الفرد وفيه يصاغ ضميره ، وفيه وبواسطته تنسج شبكة علاقات المجتمع ، ومنه تنطلق حملات الدفاع عن كيانه .

و انطلاقا من هذه الحقائق و في ضوئها يتحدد للناظر موقع المسجد من المؤسسات و الهيئات الممارسة و المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية ، و هو أنه ذو موقع محوري (استراتيجي) ، و هو النواة المركزية التي تدور في مدارها كل العوامل المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية .

و لقد أعطانا التاريخ الإسلامي من نفسه أصدق الشواهد و أعدلها على هذا الأمر ، إذ أن المجتمع الإسلامي شهد ميلاده الأول في المسجد ، و فيه نشأ و ترعرع ، و فيه تأسست خير أمة أخرجت للناس . لهذا فهو جدير بأن يوصف بالمجتمع المسجدي[43] .

و ليس التاريخ وحده يشهد على هذا الأمر ، بل الحاضر اليم ليعتبر ثاني اثنين في الشهادة على أن المسجد هو المؤسسة الوحيدة الصالحة لأن تكون منطلق نهضة الأمة و مصدر قوتها ، و هي المؤسسة الوحيدة الصالحة لأن تكون الرحم الذي يحمل جنين الحضارة الإسلامية من جديد .

قال الأستاذ بن نبي و هو يتحدث عن دور الفكرة الدينية في تنظيم الطاقة الحيوية للإنسان :" ... فإعادة التنظيم تستلزم الظروف نفسها ، أعني فكرة دينية جديدة ، و لقد برهنت تجربتنا اليومية على أمرين :

- إن الفكرة الإسلامية لم يعد لها في سلوك الفرد ما كان لها من فاعلية على عهد النبي ﷺ .
- و أنها تستعيد خلقها بصورة تلقائية عند قدمي المنبر في محيط المسجد ..."[44]

---

[43] -محمد ناصر بوحجام ، فضيلة الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض – المجتمع المسجدي ، (الجزائر – غرداية -: المطبعة العربية 1989م)، ص 62 ، 63 .

[44] – ميلاد مجتمع ، ص 112 .

" و نستخلص من الملاحظة الأولى :

- أن المسلم لا يحتفظ باستقلاله الأخلاقي ابتداء من اللحظة التي يغادر فيها المسجد .

- و الملاحظة الثانية ترينا أن المسلم يعثر على استقلاله الأخلاقي في جو المسجد ، إذ يكون اجتماع أشخاص يخلق تأثير الوعظ لديهم الظروف الأولية التي ظهرت فيها الفكرة الإسلامية على عهد المسلمين الأولين ..." [45].

[45] - ن م ، ص 113 .

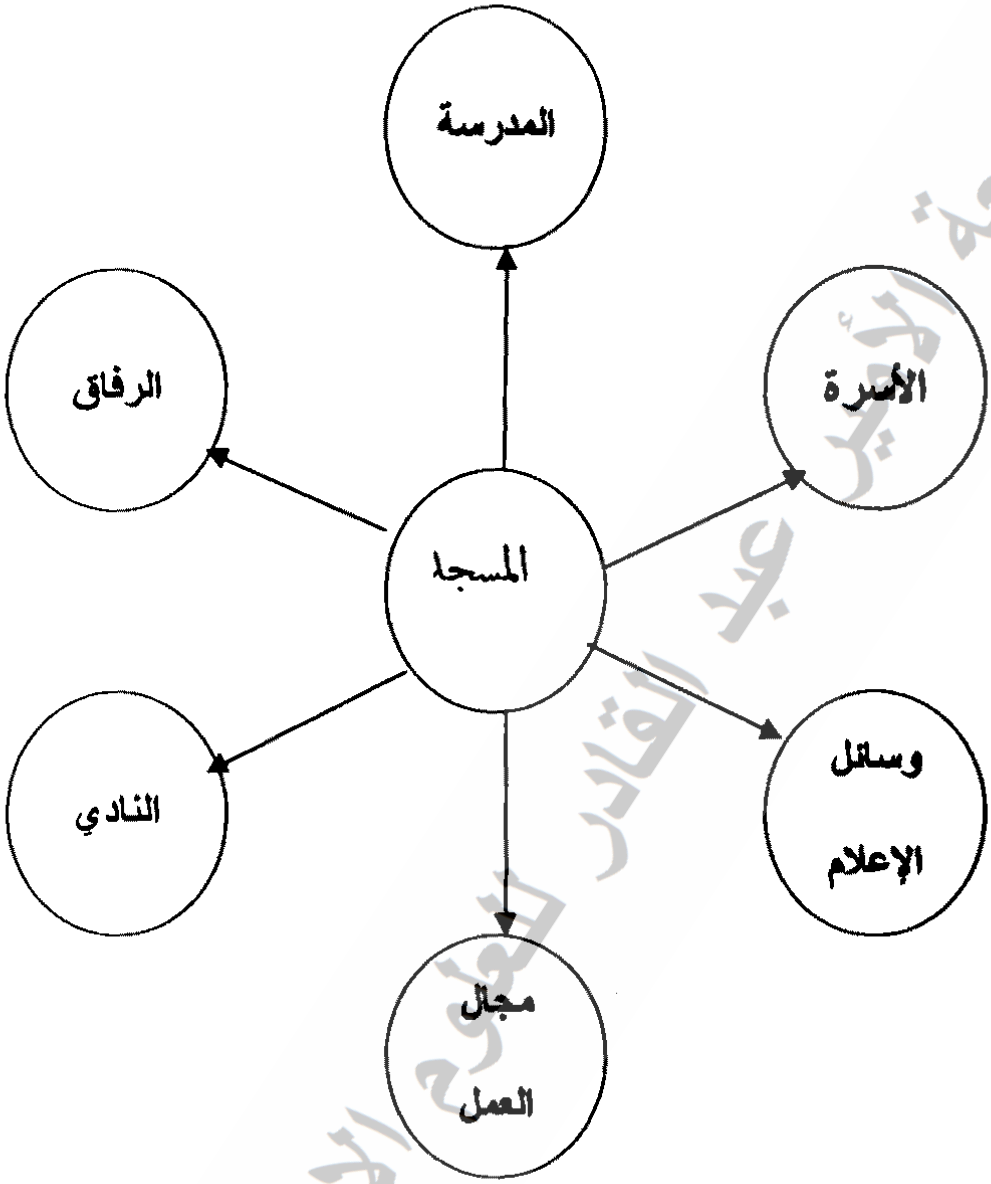

محورية المسجد في عملية التنشئة الاجتماعية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

منهج مسجد الجمعة في تحقيق عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة في برنامج تربويّ

أفادتنا عمليّة التّحليل الّتي أجريناها على عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة في فهمها و معرفتها و معرفة أهمّ عناصرها المكوّنة لها . غير أنّ هذا الأمر على رغم أهمّيته ، يبقى ناقصا ما لم يُتبع بعمليّة تركيبيّة لتلك العناصر ، و جعلها في صورة عمليّة تطبيقيّة ، إذ هي المقصود الأوّل . و لتحقيق هذا المقصد الجليل يمكن للجمعة أن تتّبع الخطوات التّاليّة :

أوّلا : تنظيم الطّاقة الحيويّة للإنسان .

يُعدّ تنظيم الطّاقة الحيويّة للإنسان أولى الخطوات المنهجيّة الّتي يسلكها منهج التّغيير الإسلاميّ [46] – و بالتّالي التي يجب أن تسلكها الجمعة – في سبيل تحقيق عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة ، و ذلك لكونها هي أوّل عمليّة أساسيّة لتكوين نظام الانعكاسات الّذي يغيّر سلوك الفرد و يؤهّله للاندماج في المجتمع ، و هذا التّغيير النّفسيّ هو الشّرط في كلّ تغيير اجتماعيّ [47] . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[48] .

و لهذا ينبغي الاهتمام بهذه الخطوة في جميع المؤسسات الممارسة و المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية ، بل يجب أن تكون هاجسا من هواجس النهضة الإسلامية . قال

---

[46] – مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ص 108 .

[47] – ن م ، ص 79 . حودت سعيد ، حتى يغيروا ما بأنفسهم ، الطبعة السابعة ، (دمشق : دار الهجرة 1407هـ/ 1987) ، ص ص 57 – 62 .

[48] – سورة الرعد ، الآية 11 .

الأستاذ بن نبي :" ... إنّ عمليّة إعادة التّنظيم و التّوجيه ينبغي أن تكون المهمّة الأولى في خطّة النّهضة الإسلاميّة ، لأنّ تحقيقها هو الّذي يوجد الشّرط الأوّل لتحويل الجهود في نطاق هذه النّهضة إلى جهود فعّالة "[49].

و لكن ، ما هي أهمّ خصائص و معالم هذا التّنظيم التي تراعيها الجمعة أثناء قيامها بعمليّة التّنشئة الاجتماعيّة ؟

و الإجابة على هذا السّؤال تتحدّد من خلال البيان التّالي :

أ) الخصائص المنهجيّة في تنظيم الجمعة للطّاقة الحيوية :

1- مراعاة الفطرة الإنسانيّة في التّنظيم :

إنّ أوّل معلم يراعيه المنهج الإسلاميّ في التّنشئة الاجتماعيّة و يجب أ ن تراعيه مؤسّساته الخاصّة بذلك ، هو " أنّه يأخذ الكائن البشريّ كلّه ، و يأخذه على ما هو عليه بفطرته التي خلقه الله عليها ، لا يُغفل شيئا من هذه الفطرة ، و لا يفرض عليها شيئا ليس في تركيبها الأصيل" [50].

و من هذا المنطلق فإنّ الجمعة – و هي تستقبل النّاس – لا تعتبرهم ملائكة أطهارا قد تخلّوا عن كلّ شرّ على عتبة المسجد ، و لا تعدّهم شياطين فُجّارا لا يمكن للشرّ أن يفارقهم و لو قَدر فواق[51]. و إنّما تعاملهم على فطرتهم و أصل خلقتهم ، فهي تعترف بكلّ ما في الإنسان من غرائز و دوافع و حاجات ، و جبلاّت و استعدادات و قابليّات ، سواء كان مصدرها الجسم أو الرّوح أو النّفس أو العقل .

و إذا كان اعتبار الفطرة و مراعاتها جمّ الفوائد ،لأنه أحد أكبر أوصاف الشّريعة ؛ فإنّه يكتفي به في هذا المجال أنّه يجعل الإنسان مقبلا على الإسلام و توجيهاته بحبّ و إخلاص ، و ينمّي فيه القابليّة لتنظيم طاقته الحيويّة [52].

---

[49] – ميلاد مجتمع ، ص 108 .

[50] – محمد قطب ، منهج التربية الإسلامية ، ص 18 .

[51] – الفواق هو المسافة التي ما بين حلبي الناقة و هو كناية عن الزمن اليسير أو المكان القريب و هو تعبير قرآني في سورة ص الآية15 .

[52] – ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص ص 56 – 62 .

2 – الشّموليّة في التنظيم :

و المقصود به أنّ منهج الجمعة في تنظيم الطّاقة الحيويّة للإنسان منهج كلّي ، فهو لا ينظّم جزءا من الطّاقة الحيويّة و يغفل عن الباقي ، و هو لا يهتمّ بجانب منها و يترك الجوانب الأخرى ، كأن يهتمّ بتنظيم الطّاقة الرّوحيّة و يغفل الطّاقة الجسديّة ، و هو لا ينظّم هذه الطّاقة في مرحلة أو مراحل من العمر و يعرض عن أخرى ؛ بل شموليّته هي الاهتمام بتنظيم هذه الطّاقة كلّها و في كلّ مراحل عمر الإنسان [53].

و من ثمّ فإنّ الجمعة و هي تخاطب النّاس لتنظيم طاقاتهم الحيويّة لا تُغفل شيئا منها بل تُقِرّ بها و تقدّر مطالبها ، و تعترف بأحقّيتها كلّها بالاستجابة لها ، استجابة صريحة مباشرة ، لا مواربة فيها و لا إنكار [54].

3 – الدّقّة في التّنظيم :

نعني بالدّقّة في تنظيم الطّاقة الحيويّة للإنسان أنّ المنهج الإسلاميّ في التّنشئة منهج تفصيليّ ، فعلى رغم كلّيّته و شموليته ، إلاّ أنّ هذا لم يمنعه من مراعاة كلّ جزئيّة من جزئيّات هذه الطّاقة بدقّة بالغة ، و كأنّه اختصّ بها . قال الأستاذ محمد قطب :" و حين يستعرض الإنسان وسائل الإسلام في التّربيّة ، يعجب للدّقّة العجيبة الّتي يتناول بها الكائن البشريّ ، الدّقّة الّتي تتناول كلّ جزئيّة على حدّة كأنّها متفرّغة لها ، ليس في حسابها سواها ثمّ الشّمول على هذا المستوى من الدقّة ، الشّمول الذي يتناول الجزئيّات جميعا و في وقت واحد . إنّها دقّة معجزة لا تصدر إلاّ عن الخالق المدبّر العظيم "[55]، ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾[56].

---

[53] – منهج التربية الإسلامية ، ص ص 19 – 25 .

[54] – محمد قطب ، الإنسان بين المادية و الإسلام ، ص 70 .

[55] – منهج التربية الإسلامية ، ص 18 .

[56] – سورة الروم ، الآية 30 .

4 – التـــوازن في التنظيم :

و من أهمّ معالم المنهج الإسلاميّ في التّنشئة الاجتماعيّة و في تنظيم الطّاقة الحيويّـــة للإنسان ، التّوازن و الوسطيّة ، و عليه فإنّ الجمعة و هي توجّه هذا الإنسان لتنظيم طاقاتـه الحيويّة ، فهي " لا تعطي كلّ جانب من الإنسان غذاءه فحسب ، بل تعطيه إيّاه كذلـــك بالقدر المضبوط الّذي لا يُجيعه و لا يُتخمه . و من ثمّ ينطلق الإنسان و قد أخـــذ حظّـه من الغذاء الصّالح بمقاديره الصّالحة ، نشيطا منتجا متحرّكا على الدّوام " [57].

إنّ الإنسان يشمل نوازع فطريّة تربطه بالأرض ، لأنّ الحياة في أهدافـــها العليـــا لا تتحقّق بغير وجود هذه النّوازع قويّة ملحّة ، و في الوقت ذاته يشمل نوازع فطريّة أيضا تهدف إلى السّموّ به إلى السّماء ، و الإنسان له الاستعداد لهذا و ذاك . ، و الغاية العليـــا للإسلام هي الوسيطة و التّوازن . فالإسلام يسعى إلى التّوفيق الدّائم بين أهـــداف الحيـــاة و ضرورات المجتمع و نوازع الفرد دون أن يطغى هدف علـــى هـــدف ، و لا مصلحـــة على مصلحة [58].

ب) أهمّ أساليب الجمعة في تنظيم الطّاقة الحيويّة للإنسان :

الأسلوب الأول : التّنحيّة و التّنقيّة أو التّخلية و التّحلية .

هذا الأسلوب المزدوج في تنظيم الطّاقة الحيوية ، هو نفسه عمليّة التّزكيّة بمفهومـــها الشّامل الّتي مرّ بيانها في الباب الثّاني [59]؛ لهذا فنحن في غنى عن إعادته .

و الجمعة دائمة الاعتماد على هذا الأسلوب ، ليس لأنّه فعّال في تنظيـــم الطّاقـــة الحيويّة للإنسان فحسب ، بل لأنّه من أهمّ وظائفها . فالتّزكيّة إذن هي تكييف الفـــرد ، لأنّها من جهة تجعل الفرد يتخلّى عن كلّ ذميم من الأفكار و الأقوال و الأفعال ، و مـــن

---

[57] – المرجع السابق ، ص 19

[58] – الإنسان بين المادية و الإسلام ، ص 69 ، 70 .

[59] – انظر الباب الثاني الفصل الأول .

جهة أخرى تجعله يتحلّى بكلّ حَسَنٍ من الأفكار و الأقوال و الأفعال . و هاتين العمليتين يتكوّن للإنسان جهاز الأفعال المنعكسة الّذي ينظّم له كلّ أفعاله [60].

الأسلوب الثاني: **تعليم العلم مع العمل .**

يُعتبر هذا الأسلوب من أهمّ الأساليب التّربويّة و التّعليميّة في المنهاج الإسلاميّ ، و هو من الأبعاد المنهجيّة لجمعات النّبي ﷺ و جمعات الخلفاء الرّاشدين و الأتباع بإحسان . و قد كان من أساليب النّبي ﷺ في تنشئته الاجتماعيّة للرّعيل الأوّل من المسلمين .

قال الأستاذ بن نبي :" و قد تمّ هذا العمل (أي توجيه و تنظيم الطّاقة الحيويّة للإنسان) في المجتمع الإسلاميّ الأوّل بفضل رعاية الفكرة القرآنيّة لا على أنّها مفاهيم تُدرس و تُعلّم على يد فقهاء الشّريعة و لكن على أنّها (حقيقة) عاملة مؤثّرة تجمع في نظامها مباشرة كلّ ما يقوم به الفرد من أعمال و إشارات ، على ما جاء في حديث ابن عمر و حديث جندب -رضي الله عنهما- :" لقد عشنا دهرا طويلا و أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن ، فتنزل السّورة على محمّد ﷺ فنتعلّم حلالها و حرامها ، و آمرها و زاجرها و ما ينبغي أن يقف عنده منها" [61].

ثانيا – توجيه الطّاقة الحيويّة للإنسان :

إنّ أبسط المعاني الّتي المقصودة من فكرة توجيه الطّاقة الحيويّة للإنسان – بعد أن تكون قد مرّت بمرحلة التّنظيم الّتي تجعلها مكيّفة و صالحة – هي توجيهها طبقا لمهمّتها الاجتماعيّة و توظيفها وفقا لرسالتها الحضاريّة و الاستخلافيّة المنوطة بها . لأنّ التّوجيه بصفة عامّة قوّة في الأساس و توافق في السّير و وحدة في الهدف ، و تكتيل و تكثيف للقوى [62]، و توجيه الطّاقة الحيويّة لتحقيق عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة ، خطوة في منتهى الضّرورة و الأهمّية ، لأنّ التّنظيم ما لم يُكمّل بالتّوجيه ، فإنّ الطّاقة الحيويّة الّتي كُيّفت و نظّمت ستتحوّل و تصير إلى ما كانت عليه من قبل ، إمّا ثائرة و إمّا غائرة ، هذا

---

[60] – ميلاد مجتمع ، ص 67 .

[61] –ن م ، ص 108 .

[62] – مشكلة الثقافة ، 67 .

بالإضافة إلى أنّ عمليّة التّنظيم لوحدها إن كتب لها النّجاح ، فسوف يكون محدودا لا يتعدّى نطاقه الأفراد ، أي أنّ فائدته لا تتجاوز محيط الفرد ، و هذا ممّا لا يحقّق التّنشئة الاجتماعيّة ، بل لا يفيد الحياة الاجتماعيّة كثيرا.

و من هنا فإنّ على الجمعة - و هي تباشر وظيفتها في التّنشئة الاجتماعيّة - أن تزاوج بين عمليّة التّنظيم و التّوجيه . و السّؤال الّذي يمكن أن يطرح هنا هو :

كيف تقوم الجمعة بعمليّة توجيه الطّاقة الحيويّة للإنسان ؟

إنّ هذه العمليّة يمكن أن تتمّ من خلال تجميع تلك الطّاقات الحيويّة المكيّفة و المنظّمة ، و تكتيلها و تكثيفها ، ثمّ توجيهها لتحقيق مقاصد الإسلام و غاياته و أهدافه . و هو ما قام به الرّسول ﷺ مع جيله الّذي ربّاه على عينه ، فكانت الطّاقة الحيويّة لدى صحابته ﷺ لا منظّمة فحسب و إنّما موجّهة لأداء نشاط مشترك يعرف كلّ النّاس تاريخه [63].

غير أنّ هذا البيان مهما بلغت أهمّيته فإنّه يبقى بيانا نظريّا ، فما السّبيل العمليّ الّذي يمكن أن توجّه الجمعة به الطّاقة الحيويّة للإنسان على تنوّعها و اختلافها ؟

و الجواب : إنّ أحد السّبل العمليّة الّتي يمكن اعتمادها في ذلك هو التّوجيه المقاصديّ ، أي وفق النّظريّة العامّة للمقاصد في تشريعنا المبارك ، فهي في جوهرها تنظيم و توجيه و حماية لكلّ الطّاقات الحيويّة للإنسان .

فبالنّسبة للضّروريّات نجد :

- أنّ حفظ الدّين قصد به تنظيم و توجيه و حماية كلّ الطّاقات الحيويّة للإنسان ، و خاصّة طاقته الرّوحيّة .

- و أنّ حفظ النّفس قد قُصد به تنظيم و توجيه و حماية الكثير من غرائز الإنسان مثل غريزة الأكل و الشّرب و النّوم و الرّاحة و حبّ البقاء .

---

[63] - ميلاد مجتمع ، ص 113 .

- و أنّ حفظ العقل قصد به تنظيم و توجيه و حماية كلّ ما فُطر عليه مثل التّفكير و التّذكّر و التّصوّر و التّخيّل و التّأمّل و التّدبّر إلى غير ذلك من العمليات العقليّة .

- و أنّ حفظ النّسل قصد به تنظيم و توجيه و حماية غريزة الإنسان التّناسليّة (الجنسيّة) .

- و أنّ حفظ المال قصد به تنظيم و توجيه و حماية غريزة الإنسان في التّملّك و الحيازة و السّيطرة .

و بالنّسبة للحاجيات و التّحسينيّات فإن معناهما كاسميهما في الدّلالة على تنظيمها و توجيهها لمختلف الطّاقات الحيويّة للإنسان .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

دور الجمعة في إصلاح العلاقات الاجتماعية

المبحث الأول : مفهوم إصلاح العلاقات الاجتماعيّة

المبحث الثاني: منهج الجمعة في إصلاح العلاقات الاجتماعيّة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

مفهوم إصلاح العلاقات الاجتماعيّة

أوّلا – دلالة المفهوم :

1 – مفهوم العلاقات الاجتماعيّة :

المقصود بالعلاقات الاجتماعيّة كلّ الرّوابط و الأواصر النّاشئة عن التّفاعل الاجتماعيّ ، سواء كان هذا التّفاعل إيجابيّا أم سَلبيّا ، صحيحا أم خاطئا ، حقّا أم باطلا .

و قد حلّل العلماء الاجتماعيّون العلاقات الاجتماعيّة فوجدوا أنّ أبسط وحداتها هي (الفعل الاجتماعيّ) أو (الفعل ذو المعنى) [1]، و قد عبّر عنه القرآن الكريم و السّنّة النّبويّة باسم العمل .

و العمل كما تبيّن[2]، هو كلّ فعل أو حركة تتمّ بإرادة و قصد و هدف ، و هو أنواع ، فمنه النّفسيّ ، و منه البدنيّ ، و منه الفرديّ ، و منه الاجتماعيّ [3].

و تأسيسا على ما تقدّم ، فإنّ الفعل الاجتماعيّ ، هو العمل الّذي يتمّ بإرادة و قصد و هدف بين شخصين فأكثر أو بين الفاعل و الآخرين الّذين يتفاعل معهم ، أي أنّ هناك (الفِعل) و (ردّ الفِعل) ، و هما معا يمثّلان أبسط أشكال التّفاعل الاجتماعيّ .

---

[1] – السمالوطي نبيل توفيق ، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ، (جدة : دار الشروق) ، ص 222 .

[2] – انظر الباب الثاني الفصل الأول .

[3] – جودت سعيد ، العمل قدرة و إرادة ، ص 69 . ماجد عرسان الكيلاني ، مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح ، ص 47 .

إذن، فالعلاقة الاجتماعية هي في جوهرها محصلة تفاعل اجتماعي ، و ينجم التفاعل عن ظهور عدة أفعال متبادلة ، و هكذا يكون أبسط مكونات الحياة الاجتماعية هو الفعل فالتفاعل فالعلاقة [4].

2 – مفهوم إصلاح العلاقات الاجتماعية :

انطلاقا مما سلف ، يمكن القول :" إن مفهوم إصلاح العلاقات الاجتماعية يتلخص في كونه تقويم الروابط و الأواصر الاجتماعية الناشئة عن التفاعل الاجتماعي ، حتى تتوافق مع سنن الله التشريعية المبثوثة في الكتاب و السنة ، و سنن الله التكوينية المبثوثة في الآفاق و الأنفس ، من أجل أن تقوم بوظائفها المنوطة بها أحسن قيام . و هذا يقتضي تقويم الفعل و رد الفعل و التفاعل معا ".

ثانيا – أهمية العلاقات الاجتماعية و أهمية إصلاحها :

1 – أهميتها بالنسبة للفرد :

تكمن أهمية العلاقات الاجتماعية بالنسبة للفرد في الكثير من الجوانب ؛ فهي مطلب فطري ضروري لا يمكن الاستغناء عنه ، و لا العيش من دونه مطلقا ،" فإذا عدنا إلى قصة الإنسانية الأولى ، فإننا نلاحظ أن القرآن قد بين أن آدم خلق لتكون معه زوجة ، و خلقت زوجه لتكون معه ، و اقتضى وجودهما مشاركة وجدانية تمثلت فيما نشأ بينهما من سكينة و طمأنينة و مؤالفة و مبادلة مادية و عاطفية في السراء و الضراء ... و نتبين من ذلك ، أن وجودهما مع بعضهما لم يكن مجرد فرد مع آخر ، بل كان بينهما وجود ثالث ، تمثل في شعور متبادل بأن كل واحد منهما للآخر ، و أن كل واحد منهما محتاج إلى أن يكون الآخر حذوه ، و معنى هذا أن صلة مشتركة و علاقة متبادلة قد حدثت بوجودهما معا " [5].

---

[4] – السمالوطي المرجع ، ص 147 ، 223 .

[5] – محمد التومي ، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم . (تونس : الدار التونسية للنشر ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1407هـ/ 1986) ، ص 263 .

و بالإضافة إلى ما سبق فإنّ الفرد يحتاج إلى العلاقات الاجتماعيّة لتلبية مطالبه و حاجاته الفطريّة كلّها من أبسطها و أصغرها ، إلى أعقدها و أكبرها .

و تكمن أهمّية العلاقات الاجتماعيّة أيضا في كونها هي التّجسيد الفعليّ لعمليّة التّنشئة الاجتماعيّة ، فالفرد لا يُحكَم عليه بأنّه كيّف طاقاته الحيوية و نظّمها و وجّهها ، إلاّ إذا دخل في شبكة العلاقات الاجتماعيّة للمجتمع الّذي يعيش فيه و ينتمي إليه .

و الفرد لا يستقل بشخصية متميزة لها مواصفاتها الخاصة و أدوارها المحدودة و مكانتها الاجتماعية ، إلا إذا ارتبط بالمجتمع بعلاقات اجتماعية كافية ، و كذلك لا يمكنه أن يتثقف و لا أن يتحضر بغير العلاقات الاجتماعية .

2 – أهميتها بالنسبة للمجتمع :

تعتبر العلاقات الاجتماعية ذات أهمية بالغة بالنسبة للمجتمع الإنساني ، فهي ركن من أهم أركانه ، و مقوم من مقوماته الأساسية التي لا يتصور وجوده بانعدامها [6].

و هي عنصر من أهم العناصر التي تدخل في البناء و التماسك الاجتماعيين ." فإذا كانت المجتمعات تتألف من مجموعة أنساق اجتماعية ، فإن كل نظام يتألف بدوره من مجموعة من العلاقات الاجتماعية المعقدة" [7].

و بالرجوع إلى القرآن الكريم نجد أنه أعطى أهمية قصوى للعلاقات الاجتماعية ، و جعلها أساس الاجتماع و أصل العمران [8]، قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾[9]. و هو يزخر بكم هائل من الآيات التي تفصل في شأن العلاقات الاجتماعية .

---

[6] – محمد التومي ، ن م ، ص 270 .

[7] – السمالوطي ، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ، 146 .

[8] – التومي ، م س ، 270 .

[9] – سورة آل عمران ، الآية 103 .

و لا تقتصر أهمّية العلاقات الاجتماعيّة عن كونها ركن من أركان المجتمع فقـط ، بل هي أوّل عمل تاريخيّ يقوم به المجتمع ساعة ميلاده .

قال الأستاذ مالك بن نبيّ :" (فالمجتمع) هو الجماعة الإنسانيّة الّتي تتطوّر ابتـداء من نقطة يمكن أن نطلق عليها مصطلح (ميلاد) . و لكن حيث نتحدّث عن (ميـلاد) معيّن ، فإنّنا نعرّفه ضمنا بوصفه (حدثا) يسجّل ظهور شـكل مـن أشـكال الحيـاة المشتركة ، كما يسجّل نقطة انطلاق لحركة التّغيير الّتي تتعرّض لها الحياة . و يظهر هـذا الشّكل في صورة نظام جديد للعلاقات بين أفراد جماعة معيّنة" [10].

و إذا كانت الجماعة الإنسانيّة لا تكسب صفة المجتمع حتّى تشرع في الحركـة ، فإنّ تلك الحركة ما هي إلاّ مجموع العلاقات الاجتماعيّة لذلك المجتمع [11].

و تكمن أهمّية العلاقات الاجتماعيّة بالنّسبة للمجتمع أيضا ، في كونهـا تشـكّل أحد العوالم الأربعة و أهمّها الّتي تصنع التّاريخ الإنسانيّ و هي :

1. عالم الأشخاص .
2. عالم الأفكار .
3. عالم الأشياء .
4. عالم العلاقات الاجتماعيّة .

بل إنّ عالم العلاقات الاجتماعيّة هو الّذي يربط بين العوالم الأخـرى ، فالبنيـان الاجتماعي الحقيقيّ لأيّ مجتمع يتأسس مع بداية علاقاته الاجتماعيّة ، أي حتّى قبـل أن يكتمل عالم الأشخاص و الأفكار و الأشياء على حدّ قول بن نبي ، و ذلك واضح و بيّـن في حالة المجتمع الإسلاميّ ساعة ميلاده ؛ و يتهدّم هذا البنيان إذا اختلت و تفكّكت شبكة العلاقات الاجتماعية بينما يبدو المجتمع في ظاهره قويّ و غنيّ بالأشـخاص و الأفكـار و الأشياء كما حدث أيضا للمجتمع الإسلاميّ حين أذنت شمس حضارته بالأفول[12].

---

[10] – ميلاد مجتمع ، ص 16 .

[11] – ن م ، ص 18 .

[12] – ن م ، ص 28 .

ثالـــثا : أهميـــة إصلاح العلاقات الاجتماعية في الإسلام :

تبيـــن لنا أن العلاقات الاجتماعية ذات أهمية كبيرة جدا بالنسبة للفرد و الجماعـــة و المجتمع و الحضارة الإنسانية ، غير أن هذه الأهمية تبقى محـــــدودة الفوائـــد في الزمـــان و المكان ما لم توسس هذه العلاقات على أسس متينة من الحق و الخير و الجمـــال ، لهـــذا كان المنهج الإسلامي في التعامل معها متمحورا حول إصلاحها وفقا لنظريتـــــه الكاملـــة و الشاملة .

و إذا كان الإسلام قد جاء بمنهج إصلاحي شامل جالب لكـــل مصلحـــة و دارئ لكل مفسدة في العاجل و الآجل ، فإن من أهم جوانب هذا المنهج هو إصلاح العلاقـــات الاجتماعية بكل أنواعها و بجميع صورها و أشكالها .

و قد بدأ الإسلام هذا الإصلاح منذ البواكير الأولى لدعوته ، إذ كـــان المؤمنـــون مأمورون بحسن الخلق في كل شيء ، و بالتعـــاون فيمـــا بينـــهم و بالعدالـــة و المـــروءة و بالإنصاف من النفس و بالاتحاد و الوفاء و المواساة و بالتسامح و غير ذلك ، و في كـــل هذا دلالة على أن إصلاح العلاقات الاجتماعية من المقاصد الكلية في الإسلام [13].

و لما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة أكمل هذا الإصلاح الاجتماعي العظيـــم – إصلاح العلاقات – بأن توجه بأعظم علاقة اجتماعية في التاريخ الإنساني كله ، و هـــي الأخوة في الله بين المؤمنين [14]؛ قال تعالى : ﴿ هوالذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهـم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهـم ولكن الله ألف بينهـم إنه عزيز حكيـم ﴾ [15].

و قد اقتضت حكمة الله عز و جل أن يكون هو من تولى بنفسه المقدسة تأسيس هذا الإخاء ، و أن يكون منطلقه هو بيته عز و جل ،" و لم يربطه بمصالح دنيوية زائلـة ، و

---

[13] – هدبري مجاهد محمد ، منهج القرآن و السنة في العلاقات الإنسانية . الطبعة الأولى ، (مصر : مطبعة الأمانة 1398هـ/ 1978) ، ص 80 ،81 .

[14] – لجنة من كبار علماء الأزهر الشريف و أساتذة الجامعات ، خطب الجمعة و العيدين ، (القاهرة : دار المعارف ، 1969) ، خطبة لعبد الصابور شاهين ، " الإخـــاء " ،ص ص 167 – 173 .

[15] – سورة الأنفال ، الآية 62 ، 63 .

لا رده إلى اعتبارات متغيرة باختلاف الزمان و المكان ، و ذلك ليبرز في هذا الإخاء طابع الاستمرار و الخلود" [16] . فكانت الهجرة بذلك نقطة البداية في التاريخ الإسلامي ، لا لأنها تتفق مع عمل شخصي قام به النبي ﷺ ، و لكن لأنها تتفق مع أول عمل قام به المجتمع الإسلامي ، أي مع تكوين شبكة علاقاته الاجتماعية ، حتى قبل أن تتكون تكونا واضحا عوالمه الاجتماعية الثلاثة [17].

و قد ورد موضوع إصلاح العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم و السنة النبوية بتسميات عديدة ، مثل الإصلاح بين الناس ، و إصلاح ذات البين . قال تعالى : ﴿ أن تبروا و تتقوا و تصلحوا بين الناس و الله سميع عليم ﴾[18]، و قال : ﴿ فاتقوا الله و أصلحوا ذات بينكم ﴾ [19]، و قال : ﴿ و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾[20]،و قال: ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم و اتقوا الله لعلكم ترحمون ﴾ [21]، و قال أيضا : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس و من يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ [22].

و المتأمل في مصادر الإسلام يستخلص أن موضوع إصلاح العلاقات الاجتماعية من المواضيع الكبرى في الإسلام .

و لقد بلغ موضوع إصلاح العلاقات الاجتماعية بين الناس في الإسلام مبلغا في منتهى الأهمية ، حتى أبيح لأجله الكذب ، فعن أم كلثوم[23] ﷺ أنها سمعت رسول الله ﷺ

---

[16] – عبد الصابور شاهين ، م س ، ص 170 .

[17] – بن نبي ، ميلاد مجتمع . ص 28 .

[18] – سورة البقرة ، الآية 224 .

[19] – سورة الأنفال ، الآية 1 .

[20] – سورة الحجرات ، الآية 9 .

[21] – سورة الحجرات ، الآية 10 .

[22] – سورة النساء ، الآية 114 .

[23] – هي الصحابية الجليلة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط و امرأة عبد الرحمن بن عوف الأموية ، أسلمت بمكة و كانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن النبي ﷺ . (أسد الغابة) .

يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا "[24]، و قالت : لم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث : في الحرب ، و الإصلاح بين الناس ، و حديث الرجل امرأته و حديث المرأة زوجها ".[25]

و عن أبي الدرداء قال :" قال رسول الله ﷺ : " ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام و الصلاة و الصدقة . قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إصلاح ذات البين ، قال : و فساد ذات البين الحالقة ".[26] و في الأثر عن سعيد بن المسيب[27] : و إياكم و البغضة فإنها هي الحالقة "[28].

و قال الرسول ﷺ :" كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة ..."[29]

---

[24] – متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب الصلح باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس ، رقم 2495 . و مسلم في كتاب البر و الصلة و الآداب باب تحريم الكذب و بيان المباح منه ، رقم 4717

[25] – هي زيادة في الحديث السابق عند مسلم .

[26] – أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب في إصلاح ذات البين ، رقم 4273 .

[27] – هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهبين عمرو المخزومي القرشي من كبار التابعين ، و كان من أعلمهم ، أخذ العلم عن نفر كبير من الصحابة أمثال عثمان و علي و عائشة و أبي هريرة و ابن عباس وابن عمر و ابن عمرو و بلال و غيرهم ، عاش بالمدينة و توفي بها عام 93هـ .

[28] – أخرجه مالك في الموطأ كتاب الجامع باب ما جاء في حسن الخلق ، رقم 1405 .

[29] – متفق عليه و اللفظ للبخاري أخرجه في كتاب الصلح باب فضل الإصلاح بين الناس و العدل بينهم ، رقم 2508 . و مسلم في كتاب الزكاة باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، رقم 1677 .

المبحث الثّاني

منهج الجمعة في إصلاح العلاقات الاجتماعيّة

تبين من المبحث السابق أنّ العلاقات الاجتماعيّة عبارة عن علاقات بينيّة ، أي أنّها نشاط اجتماعيّ بين أكثر من طرف ، و بدا من خلال التّحليل أنّ أصغر وحدة تمثّلها هي الفعل الاجتماعيّ ذو المعنى ، الّذي إن وقع من شخص تجاه غيره من الأشخاص ، وفق شروط معيّنة ، أحدث ردّ فعل ، فتكون النّتيجة هي حدوث تفاعل اجتماعيّ ، ثمّ بالاستمرار تتولّد العلاقة الاجتماعيّة [30].

لكن هذا التّحليل للعلاقة الاجتماعيّة ، ينبغي أن يُفهم على أنّه ليس تحليلا عقليّا افتراضيّا مجرّدا ليس له أثر إلاّ في التّصوّرات الذّهنيّة ، و إنّما هو تحليل سننيّ حقيقيّ تخضع له العلاقة الاجتماعيّة بالفعل ، و بالتّالي فإنّ له آثارا على العلاقة نفسها .

و من هنا ينبغي أن يوضع في الاعتبار أنّ كلّ تأثير على الفعل الأصليّ – الّذي هو وِحدة العلاقة الاجتماعيّة – له أثر على ردّ الفعل و على التّفاعل الاجتماعيّ و على العلاقة الاجتماعيّة ، و يستمرّ صداه حتّى يؤثّر في حركة التّاريخ .

و إنّ هذا الأمر يقودنا إلى أنّ كلّ محاولة للتّأثير على العلاقات الاجتماعيّة سواء كان بقصد إصلاحها أم بقصد إفسادها ، إنّما يبدأ من التّأثير على أصغر وِحداتها أي الفعل ذي المعنى .

لهذا كان إصلاح الإنسان في منهج التّربيّة الإسلاميّة – كما سبق الإشارة إليه في الباب الثّاني – ذو أبعاد ثلاثة و هي :

---

[30] – السمالوطي ، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ، ص 147 ، 222 ، 223 .

- إصلاح الاعتقاد .
- إصلاح التّفكير .
- إصلاح العمل .

فإذا أمكن ادراك حركيّة هذه الظّاهرة عبر جميع مراحلها ، أمكن تصوّر و ادراك المنهج الّذي رسمه الإسلام بجميع معالمه و خطواته لإصلاح العلاقات الاجتماعيّة ، و هو نفسه المنهج الّذي يمكن أن تتّبعه الجمعة اليوم مع جمهورها لتحقيق نفس الهدف ، و يمكن إبرازذلك من خلال الخطوات التّالية :

الخطوة الأولى – إرساء الجمعة أسس العلاقات الاجتماعيّة السّليمة :

لمّا كانت العلاقات الاجتماعيّة نوعا من الأفعال و الأعمال الإراديّة القاصدة و الهادفة للإنسان ، و لمّا كانت هذه نفسها تخضع لسلطان الاعتقاد و الفكر ، فإنّ هذا يجعلنا نجزم أنّ العلاقات الاجتماعيّة هي بدورها تخضع لسلطان الاعتقاد و الفكر .

و من هذا المنطلق فإنّ أوّل خطوة يمكن للجمعة أن تخطوها في سبيل تحقيق إصلاح العلاقات الاجتماعيّة ، هي إرساء أسسها في عالم المعتقدات و الأفكار. و قد بيّنا بإجمال أهمّية إصلاح الاعتقاد و إصلاح الفكر بما يُغنينا عن تكراره ، لهذا فإنّ الحديث هنا سنخصّصه لأهمّ الأسس الّتي تنبثق عنها العلاقات الاجتماعيّة السّليمة و الصّحيحة و هي :

1 – إصلاح علاقة الإنسان مع الله :

يعتبر إصلاح هذه العلاقة أهمّ أسس إصلاح العلاقات الاجتماعيّة على الإطلاق ، و ذلك لكونها هي منبع كلّ خير و مصدر كلّ عمل صالح ، و لأنّها هي الإسلام ذاته .

و قد جاء التّعبير عنها في القرآن الكريم بألفاظ في غاية الدّلالة على معناها . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ

عليـم ﴾ [31]، و قال : ﴿ ومن يسلـم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور ﴾[32] ، وقـال : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا . . . ﴾[33] .

جاء في التّفسير أنّ ﴿ العروة الوثقى ﴾ هي الإيمـان و هـي الإسـلام و هـي القرآن. و أنّ ﴿ حبل الله ﴾ هو عهد الله و هو القرآن[34] ، فـالعروة الوثقـى و الحبـل استعملا في تشبيه الدّين برابطة ماديّة قويّة . قال ابن كثير[35] :" و قوله : ﴿ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ أي فقد استمسك من الدّين بأقوى سبب ، و شبّه ذلك بالعروة القويّـة الّتي لا تنفصم ، فهي في نفسها محكمة مبرمة قويّة ، و ربطها قويّ و شديد "[36].

و إذا كانت الآيتان الأوليان قد أشارتا إلى العلاقة مع الله منفردة ، فـإنّ آيـة آل عمران ﴿ وَاعْتَصِمُوا ﴾ قد ذكرت نوعين من العلاقات معا ، و هما العلاقة مـع الله : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ﴾ ، و العلاقة بين النّاس : ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . و هـذا يشير إلى أنّ العامل الفعّال في إيجاد الوحدة النّفسيّة أو الرّوحيّة الّتي يؤول بموجبها جميـع الأفراد إلى الأخوّة هو ﴿ حبل الله ﴾ أو ﴿ العروة الوثقى ﴾ ، و ما ذلـك إلاّ "الإيمـان الصّادق" أو " الإسلام الواعي " أو " التّقوى الحق " أو " القرآن " باعتباره دعـوة إلى الاعتقاد السّليم و التّفكير الصّحيح و العمل الصّالح ، الّذي يعود على النّـاس بالفـائدة

---

[31] – سورة البقرة ، الآية 256 .

[32] – سورة لقمان ، الآية 22 .

[33] – سورة آل عمران ، الآية 103 .

[34] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم . ج1 ، ص 553 .

[35] – هو الإمام الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي الدمشقي ، ولد في قرية بصرى بالشـام عـام 701هـ /1303م ، و هو مؤرخ و مفسر و محدث ، و من فقهاء الشافعية ، من مصنفاته : " البداية و النهاية "التفسير " ، تـوفي عام 774هـ/1373م ، (معجم المفسرين لنويهض) .

[36] – ابن كثير ، م س .

الاجتماعيّة "[37]. أي أنّ الآية تثبت تما لا ريب فيه ، أنّ الاعتصام بحبل الله هو الّذي جمعهم بعد تفرّق ،و ألّف بين قلوبهم بعد عداء ، حتّى صاروا إخوة في الله .

إنّ الإسلام - كما هو معلوم - رسالة شاملة ، و شريعته وُضعت لدرء كلّ مفسدة و شرّ ، و جلب كلّ مصلحة و خير ، لهذا فمن الواجب على الأمّة الإسلاميّة أن تكون منطلقات إصلاحها الاجتماعيّ نابعة من مبادئه و قيمه و تعاليمه و توجيهاته .

و إذا كان هذا الاعتبار - شموليّة رسالة الإسلام - كاف لأن يُتّخذ منطلقا لإصلاح العلاقات الاجتماعيّة ، فإنّ ممّا يزيده حجّة و برهانا هو أنّ العلاقات الاجتماعيّة الّتي تربط بين أفراد المجتمع هي في الواقع ظلّ العلاقة الدّينيّة في المجال الاجتماعيّ[38]؛ فقد تبيّن أنّ دخول فرد ما في شبكة العلاقات الاجتماعيّة لمجتمع ما ، يعني أنّه أُخضع و أخضع نفسه لعمليّة التّنشئة الاجتماعيّة و أصبح فردا مكيّفا و صارت طاقاته الحيويّة لا منظّمة فحسب ، و إنّما موجّهة لخدمة أهداف و غايات المجتمع الّتي هي في حقيقتها ذات أصل دينيّ . و من هذا نستخلص أنّ علاقة الإنسان بالله في الإسلام بأيّ صورة ظهرت و بأيّ شكل برزت هي التي تلد العلاقة الاجتماعيّة .

قال الأستاذ بن نبي :" فالعلاقة الروحية بين الله و بين الإنسان ، هي التي تلد العلاقة الاجتماعية ، و هذه بدورها تربط ما بين الإنسان و أخيه الإنسان وأنها تلدها في صورة القيمة الاخلاقية . فعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الاجتماعية و العلاقة الدينية معا من الوجهة التاريخية على أنهما حدث ، و من الوجهة الكونية على أنهما عنوان على حركة تتطور اجتماعي واحد"[39]. و هذا نموذج توضيحي لهذا الأمر :

---

[37] محمد التومي ، المجتمع الإنساني في القرآن . ص 271 .

[38] - بن نبي ، ميلاد مجتمع . ص 57 .

[39] ميلاد مجتمع . ص 56 .

نماذج العلاقات	علاقة بالله	أثرها على العلاقات الاجتماعية
في مجال العقيدة	-اعتصام جماعي بحبل الله . -توكل على الله . -حب الله . -الإيمان باليوم الآخر .	-وحدة و قوة و تماسك اجتماعي ، تعارف ، حب أخوة. -الأخذ بالأسباب و أداء الواجبات . -حب المؤمنين و الشفقة على مخلوقاته. -عدم الظلم ، الحد من الطغيان، الشعور بالمسؤولية الاجتماعية
في مجال العبادات	الصلاة الزكاة الصوم الحج	-تنهى عن الفحشاء و المنكر -تكافل و تضامن و تعاون اجتماعي . -الإحساس بالمحتاج ، تعويد الصبر على المكاره. -تعارف ، سياحة ، منافع اقتصادية .
مجالات أخرى أخلاقية و اجتماعية و اقتصادية و سياسية	الأمر بالإحسان للوالدين و لذي القربى و الجيران . الأمر بالتواضع ، الإنصاف ، العدل ... النهي عن القتل ، الزنا ، الخمر ، الميسر ، السرقة :	التماسك الاجتماعي . التماسك الاجتماعي. القضاء على الآفات الاجتماعية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إذن ، ما من علاقة اجتماعية صالحة إلا و قد أمر بها الشرع ، و ما من علاقة اجتماعية فاسدة إلا و قد نهى عنها ، مما يبين حقيقة أن كل العلاقات الاجتماعية تحكمها العلاقات الروحية و الدينية التي يعيشها المجتمع .

و من هذا نستخلص نتيجة أساسية ينبغي على المضطلعين بالتغيير الإسلامي و على رأسهم خطباء الجمعة أن يولوها اهتمامهم و هي :

إن العلاقات الروحية في الإسلام هي بوجه ما علاقات اجتماعية و العلاقات الاجتماعية هي بوجه ما علاقات روحية ، و إن درجة الفاعلية في إصلاح العلاقات الاجتماعية منوط بإصلاح علاقة الإنسان بالله عز و جل ، لأنه كلما زاد عدد العلاقات الروحية أو الدينية السليمة ، كلما زاد عدد العلاقات الاجتماعية السليمة و قل الفراغ الاجتماعي ، و العكس صحيح [40].

2 – إصلاح علاقة الإنسان بنفسه :

نقصد بإصلاح علاقة الإنسان بنفسه تزكيتها و تنمينها و تقويمها ، و تشمل التزكية [41]:

أ. تزكية النفس (بمعناها الخاص ، أي مجال الأحاسيس و المشاعر).

ب. تزكية الفكر.

ج. تزكية العمل.

و على الرغم من كون إصلاح علاقة الإنسان بنفسه متضمن في علاقته بالله التي يمثلها الوحي – قرآنا و سنة – إلا أن إفرادها بالبيان يعد من الأسس الضرورية ، وذلك للاعتبارات التالية :

---

[40] – ن م .ص 57 .

[41] – عبد المجيد النجار ، الإيمان بالله و أثره في الحياة . الطبعة الأولى ، (بيروت :دار الغرب الإسلامي ، 1997) ، ص ص 169- 196 .

- إن علاقة الإنسان بنفسه هي العلاقة التي تبين مدى قوة انطباعه بالعلاقة مع الله و هي المرحلة التي يصاغ فيها الفعل الإرادي الذي يمثل أصغر وحدة للعلاقة الاجتماعية .

- إن الإنسان لا يستطيع تغيير ما بينه و بين الناس حتى يغير ما بنفسه قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [42].

- إنّ الإنسان لا يكون فعّالا في إصلاح غيره أو إصلاح ما بينه و بين غيره حتّى يكون هو نفسه صالحا .

لأجل هذا جاءت آيات كثيرة تبيّن أنّ ادّعاء الإيمان المجرّد لا يكفي في الحكم على صدق الإنسان ، بل لا بدّ من عمل و فعل و جهد شخصيّ يجسّده و يصدّقه . قال تعالى : ﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾ [43].

قال الشّهيد سيّد قطب مفسّرا هذه الآيات :" إنّ الإيمان ليس كلمة تقال ، إنّما هو حقيقة ذات تكاليف ، و أمانة ذات أعباء ، و جهاد يحتاج إلى صبر ، و جهد يحتاج إلى احتمال ، فلا يكفي أن يقول النّاس : آمنّا ، و هم لا يتركون لهذه الدّعوة حتّى يتعرّضوا للفتنة ... هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت و سنّة جارية في ميزان الله سبحانه ... و الله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء ، و لكنّ الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله "[44].

و قد اعتبر الكثير من العلماء أنّ علاقة الإنسان بنفسه هي إحدى ثلاث علاقات لو صلحت لنال الإنسان سعادة الدّنيا و الآخرة ، و لو فسدت لخسر الإنسان سعادة الدّنيا و الآخرة و هي :

---

[42] - سورة الرعد ، الآية 11 .

[43] - سورة العنكبوت ، الآية 1-3 .

[44] - سيد قطب ، في ظلال القرآن . ج5 ، ص 2270 .

- علاقة الإنسان بالله .

- علاقة الإنسان بالنّاس .

- علاقة الإنسان بنفسه .

و هي نفس العلاقات الّتي بنى عليها الإمام أبو الحسن الماوردي[45] كتابه النّفيس (أدب الدّنيا و الدّين) ، و أسمى تلك العلاقات بـ:

- أدب الدّين[46] : و هو كلّه مفصّل فيما يجب على العبد تجاه ربّه .

- أدب الدّنيا[47] : و هو كلّه مفصّل في العلاقات الاجتماعيّة بين النّاس و ما يصلح به المجتمع .

- أدب النّفس[48] : و هو مفصّل في كيفيّة إصلاح النّفوس.

و هي نفسها العلاقات الّتي لخّصها أحد أقطاب هذه الأمّة و هو الشّيخ العارف بالله عبد القادر الجيلاني[49] بقوله :

- أن تعيش مع الحقّ بغير خلْق : أي أن تعيش بالإخلاص في معاملتك مع الله .

- أن تعيش مع الخَلْق بغير نفس : أي أن تحيى بالإيثار في معاملتك مع النّاس .

- و أن تعيش مع النّفس بغير أمن : أي تكون علاقتك مع نفسك قائمة على المراقبة[50] .

---

[45] هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري ثم البغدادي الماوردي نسبة إلى ماء الورد ، ولد في البصرة عام 364هـ ، واحد من وجوه فقهاء الشافعية و كبارهم ، كان حافظا للمذهب و كتابه الحاوي أمارة على ذلك ، و كان أصوليا و مفسرا و أديبا ، اشتغل بالقضاء في بلدان كثيرة ، من كتبه : "الأحكام السلطانية" ، "قانون الوزارة و سياسة الملك" ، "أدب الدنيا و الدين" "النكت و العيون" ، توفي عام 450هـ . (نويهض)

[46] من ص 98 - 143 .

[47] من ص 143 - 241 .

[48] من ص 241 - 277 .

[49] - هو العارف بالله الشيخ أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح بن جنكي الجيلاني الحنبلي ، و ينتهي نسبه الحسن بن علي ، ولد بجيلان (بغداد) عام 471هـ ، أخذ العلم عن شيوخ عصره ببغداد و اشتغل بالوعظ ، من المصنفات التي تنسب إليه : الغنية لطالبي الحق عز و جل " و " الفتح الرباني و الفيض الرحماني " ، توفي عام 561هـ و إليه تنسب الطريقة القادرية ، (معجم المطبوعات العربية) .

[50] صلاح شادي ، **تأملات في كتاب مدارج السالكين** ، (الكويت : شركة الشعاع للنشر ، 1410هـ) ، ص 9 .

الخطوة الثانية : **تنظيم الجمعة للعلاقات الاجتماعية** .

بعد أن تكون الجمعة قد أرست الأسس المتينة للعلاقات الاجتماعيّة المتمثّلة في إصلاح علاقة الإنسان بالله ، وإصلاح علاقة الإنسان بنفسه ، تنتقل إلى الخطوة الثانية و هي عمليّة تنظيم تلك العلاقات بعد أن تكون قد تولّدت من كثرة التّفاعلات الاجتماعيّة .

و تعدّ هذه الخطوة جدّ ضروريّة لكونها هي المرحلة التي تخرج فيها العلاقات الاجتماعيّة السّليمة من حيّز الوجود بالقوّة إلى حيّز الوجود بالفعل أو الوجود المشاهد و المؤثّر في حركة المجتمع و التّاريخ .

و السّؤال الّذي يمكن أن يطرح في هذا المقام هو :

كيف تتم عملية التنظيم ؟

و الجواب هو : إن تنظيم الجمعة للعلاقات الاجتماعية يمكن أن يكون بأسلوبين :

الأسلوب الأول – **التنظيم بالتوجيه المباشر** :

و هو تنظيم تختلف العلاقات الاجتماعية التي تربط بين المسلمين عن طريق الخطبة ، أي أن هذا الأسلوب يعتمد على التوجيه الفكري أو العلمي ، فالخطيب يوجه الجماعة المسلمة إلى إصلاح علاقاتها سواء كانت أسرية أو جوارية أو اقتصادية أو سياسية بما يوافق :

1 سنن الله التشريعية المبثوثة في كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ، مثال ذلك :

- الحث على إصلاح العلاقة بين الزوجين .
- إصلاح العلاقة بين الجيران .
- إصلاح علاقة الأباء بالأبناء .
- إصلاح علاقة الحاكم بالمحكوم .
- إصلاح علاقات العمال فيما بينهم [51] الخ

[51] محمد عبد الله دراز ، دستور الأخلاق في القرآن ، ص من 689 - 778 .

2. سنن الله التكوينية المبثوثة في الأنفس بتعليم الناس أن العلاقات الاجتماعية السليمة هي التي تكون مبنية على السنن [52]، مثال ذلك :

- إن علاقات القرابة لا بد لها من الحب المتبادل .
- إن علاقات الجوار لا بد لها من الاحترام المتبادل .
- إن علاقات العمل لا بد لها من التعاون .
- إن العلاقات بين الحاكم و المحكوم و الأمير و المأمور لا بد لها من أداء ما على كل طرف من واجبات .

الأسلوب الثاني – التنظيم بالتوجيه غير المباشر .

و هو تنظيم مختلف العلاقات الاجتماعية التي تربط بين المسلمين عن طريق الجو الاجتماعي الذي يحدث بسبب فرض الجمعة نفسها ، أي أن هذا الأسلوب يعتمد على التوجيه بالقدوة و العمل.

فالمسجد يوم الجمعة يكون في جو كثيف من العلاقات الاجتماعية المثالية التي يمكن أن تكون الأساس الذي تبنى عليه العلاقات الاجتماعية خارجه ، و هذه نماذج منها :

– علاقات التعارف : قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [53].

– علاقات التعاون : قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [54].

---

[52] – حودت سعيد ، حتى يغيروا ما بأنفسهم ، الطبعة السابعة ، (دمشق : دار المحبة ، 1407هـ/1987م) ، ص 21 .

[53] – سورة الحجرات ، الآية 13 .

[54] – سورة المائدة ، الآية 2 .

- علاقات التحاب و التآخي : قال تعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾[55] ، وقال النبي ﷺ " **مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى** "[56].

-علاقات بين الكبار و الصغار القائمة على الشفقة من الكبار ، و الاحترام من الصغار قال النبي ﷺ "**ليس منا من لم يرحم صغيرنا و يعرف حق كبيرنا** [57] .

- علاقات بين الإمام (القائد) و المأمومين (التدريب على تعلم أصول العلاقات السياسية) .

فكل هذه العلاقات التي تحدث داخل المسجد يتعلم منها المسلمون كيف ينظمون علاقاتهم خارجه .

الخطوة الثالثة - توجيه الجمعة للعلاقات الاجتماعية :

تعتبر هذه الخطوة في منتهى الضرورة بالنسبة لعملية إصلاح العلاقات الاجتماعية ، و ذلك لكونها هي التي يتم بها تحقيق الغاية الكبرى للعلاقات الاجتماعية المتمثلة في بناء مجتمع صالح و قوي و متماسك . ففكرة التوجيه هنا تعني إخضاع كل العلاقات الاجتماعية المنظمة أو المكيفة حسب سنن الهداية و الأنفس لتحقيق مهمتها الاجتماعية و توظيفها وفقا لرسالتها الحضارية و الاستخلافية المنوطة بها .

و يمكن أن تقوم الجمعة بعملية توجيه العلاقات الاجتماعية عن طريق :

- الحث على الإكثار من العلاقات الاجتماعية السليمة :

---

[55] - سورة الحجرات ، الآية 10 .

[56] - متفق عليه و اللفظ لمسلم أخرجه في كتاب البر و الصلة و الأدب ، باب تراحم المؤمنين و تعاطفهم و تعاضدهم رقم 4685 ، و البخاري في كتاب الأدب باب رحمة الناس و البهائم عن النعمان بن بشير ، رقم 5552 .

[57] - أخرجه الترمذي في كتاب البر و الصلة باب ما جاء في رحمة الصبيان ، رقم 1843 ، و قال هذا حديث صحيح .و أخرجه أحمد و أبو داود .

لأن ذلك هو سبيل التراكم الذي يقضي على أوقات الفراغ التي تتسبب في الغـــالب في تكوين و بروز الآفات الاجتماعية ، و لهذا طالبت الشريعة بالإحسان في كـــل شـــيء و بتقوى الله أينما كان الإنسان و بإتباع كل سيئة بحسنة و بمخالقة الناس بخلق حسن .

- توجيه كل العلاقات الاجتماعية السليمة نحو أهداف الإســـلام و غاياتـــه و مقاصده وفق النظرية العامة لمقاصد الشريعة ، التي تنظمها في مجموعات .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

دور الجمعة في التربية على القيادة والانقياد الراشدين

المبحث الأول : مفهوم القيادة و الانقياد و أهميتهما

المبحث الثاني : منهج الجمعة في التربية على القيادة الرّاشدة

المبحث الثالث : منهج الجمعة في التربية على الانقياد الرّاشد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

مفهوم القيادة و الانقياد و أهمّيتهما

أولا – مفهوم القيادة و الانقياد :

تعتبر القيادة من المواضيع الّتي نالت حظّا كبيرا من اهتمامات الباحثين و الدّارسين المحدثين من مختلف تخصّصات العلوم الاجتماعيّة ، مثل علم النّفس و علم الاجتماع و علم التّربية و علم السّياسة و علم النّفس الاجتماعي و غيرهم ؛ لهذا تعدّدت تعاريفها و مفاهيمها . فنُظر إليها على أنّها سِمة ، و نظر إليها على أنّها عمليّة سلوكيّة ، كما نظر إليها على أنّها وظيفة اجتماعيّة [1].

و تماشيّا مع أهداف هذا الباب الّذي يتوخّى إبراز الأبعاد الاجتماعيّة للجمعة ، فإنّ بحثنا في موضوع القيادة سوف يتمحور حول كونها وظيفة اجتماعيّة .

و من هذا المنطلق فإنّه يمكن تعريفها على أنّها : وظيفة اجتماعيّة رئيسيّة ، يقوم بها عضو (قائد) من أعضاء جماعة أثناء تفاعله مع بقيّة الأعضاء (التّابعين) ، و هي شكل من أشكال التّفاعل الاجتماعيّ ، أو صورة من صور العلاقات الاجتماعيّة بين القائد و الأتباع ، حيث تبرز سمتان هما طرفا العلاقة ، فمن القائد تبرز سمة القيادة أو الأمر ، (و هي عبارة عن الفعل) ، و من الأتباع تبرز سمة الانقياد أو الائتمار ، (و هي عبارة عن ردّ الفعل) [2].

---

[1] – حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي ، ص 301 .

[2] – ن م ، ص 301 ؛ سعد جلال ، علم النفس الاجتماعي ، الطبعة الثالثة ، (بنغازي – ليبيا – : منشورات جامعة قار يونس ، 1409هـ/1989م) ، ص 226 .

" و القيادة سلوك يقوم به القائد للمساعدة على بلوغ أهداف الجماعة ، و تحريك الجماعة نحو هذه الأهداف ، و تحسين التّفاعل الاجتماعيّ بين الأعضاء و الحفاظ على تماسك الجماعة " [3]؛ فهي إذن وظيفة اجتماعيّة تنظيميّة .

و الانقياد هو الاستجابة لأوامر القائد لتحقيق تلك الأهداف من طرف الأتباع ، ولولاه لما كانت القيادة ، و من ثَمّ فإنّ مفهوم القيادة يعني وجود طرفين : قائد و منقاد .

و المتأمّل في القيادة من حيث أنّها سلوك اجتماعي و وظيفة ، يجد أنّها من السّلوكات الّتي يمارسها أغلب النّاس في حياتهم و لو في ظروف محدودة . قال صاحب كتاب " فصول في الإمرة و الأمير " : " ما من إنسان إلاّ و يمارس نوعا من أنواع الرّئاسة (القيادة) ، معلّم الحرفة على المتعلّم ، و الأستاذ على الطّالب ، و الأب على الزّوجة و الابن ، و الزّوجة على أولادها ، و الموظّف على من دونه ، و القائد على الجند ، و السّياسيّ على أتباعه ، و رئيس الدّولة على من سواه " [4].

و قال الشّيخ عبد الله درّاز:[5] " لكلّ منّا بعض العلاقات و هو يشغل مكانا معيّنا و يمارس بعض الوظائف في جهاز المجتمع ، فالأب مسؤول عن رفاهيّة أولاده الماديّة و الأخلاقيّة ، و المربّي مسؤول عن الثّقافة الأخلاقيّة و العقليّة للشّباب ، والعامل عن تنفيذ عمله و كماله ، و القاضي عن توزيع العدالة ، و الشّرطيّ عن الأمن العامّ ، و الجنديّ عن حفظ الوطن ، كذلك نحن - فرادى - مسؤولون عن طهارة قلوبنا ، و استقامة أفكارنا ، كما أنّنا مسؤولون عن حماية صحّتنا و حياتنا ، حتّى إنّنا نستطيع أن نجد في كلّ لحظة من لحظات الحياة الإنسانيّة بعض المسؤوليات ، و هي ليست افتراضيّة فحسب ،

---

[3] - حامد زهران ، م س ، 301 .

[4] - سعيد حوى ، فصول في الإمرة و الأمير ، الطبعة الأولى ، (الأردن - عمان : مكتبة الرسالة الحديثة ، 1402هـ/1982م) ، ص 5 .

[5] - هو الشيخ محمد بن عبد الله دراز ، فقيه و أديب مصري ، ولد ضواحي دسوق ، و تعلم بالإسكندرية ، و درس بالأزهر ، و أرسل في بعثة علمية إلى فرنسا و حصل على شهادة الدكتوراه من السربون عام1947 ، و لما عاد إلى مصر اشتغل بالتدريس بالأزهر و دار العلوم و جامعة القاهرة ، نال عضوية جماعة كبار العلماء عام 1949 م ، توفي في لاهور باكستان عام 1958 . (نويهض) .

بل حاضرة و واقعية متى ما تحققت لها الشروط العامة ، ثم إن اختلاف المواقف لا يتدخل إلا من أجل تخصيص و تحديد موضوع هذه المسؤولية "[6].

و صدق الرسول ﷺ إذ بين هذا الأمر بقوله : " **كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته ، الإمام راع و مسؤول عن رعيته ، و الرجل راع في أهله و مسؤول عن رعيته ، و المرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، و الخادم راع في مال سيده و مسؤول عن رعيته ، و كلكم راع و مسؤول عن رعيته** "[7].

ثانيا – أهمية القيادة و الانقياد :

القيادة و الانقياد من أهم العمليات الاجتماعية التي لا يمكن تصور وجود جماعة أو مجتمع أو أمة أو حضارة من دونهما . و إذا كانت العلاقات الاجتماعية هي من أهم الأركان التي تبنى عليها الجماعة أو الأمة ، فإن القيادة و الانقياد هما من أهم تلك العلاقات . و إذا كان المجتمع الإنساني لا يمكن أن يقوم بغير نظام و بغير سلطان ، فإن هذين لا يمكن أن يقوما من دون وجود عمليتي (القيادة) و (الانقياد) ؛ إذن فهما معا يمثلان ركنا من أركان المجتمع الإنساني ، و لا يمكن للاجتماع البشري أن يوجد بانعدامهما [8].

لأجل هذا اعتبر الإمام الماوردي وجود القيادة الركن الثاني – بعد الدين – لصلاح الأحوال ، و اعتبرها من الأمور التي لا تصلح الدنيا إلا بها ، قال رحمه الله : " اعلم أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة و أمورها ملتئمة ستة أشياء هي قواعدها و إن تفرعت و هي : دين متبع ، و سلطان قاهر ، و عدل شامل ، و أمن ،

---

[6] – محمد عبد الله دراز ، دستور الأخلاق في القرآن ، الطبعة السادسة ، تعريب و تعليق و تحقيق عبد الصابور شاهين ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، الكويت : دار البحوث العلمية ، 1405هـ/1985م) ، ص 139 .

[7] – متفق عليه عن سالم بن عبد الله بن عمر ، و اللفظ للبخاري أخرجه في كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى و المدن ، رقم 844 ، و أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل و عقوبة الجائر و الحث على الرفق بالرعية و النهي عن إدخال المشقة عليهم ، رقم 3408 . و أخرجه الترمذي و أبو داود و أحمد .

[8] – محمد التومي ، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ، (تونس : الدار التونسية للنشر ؛ الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب) ، ص 284 .

و خصب دارّ ، و أمل فسيح"[9]. ثمّ شرع يبيّن هذه القواعد ، فقال عن السّلطان القاهر : " و أمّا القاعدة الثّانية : فهي سلطان قاهر تتألّف برهبته الأهواء المختلفة ، و تجتمع بهيبته القلوب المتفرّقة ، و تنكفّ بسطوته الأيدي المتغالبة ، و تنقمع من خوفه النّفوس المتعاديّة . لأنّ في طباع النّاس من حبّ المبالغة على ما آثروه و القهر لمن عاندوه ما لا ينكفّون عنه إلاّ بمانع قويّ و رادع مليّ (زاجر) . و قد أفصح بذلك المتنبّي بذلك حيث يقول :

لا يسلم الشّرف الرّفيع من الأذى حتّى يراق على جوانبه الدّم
و الظّلم من شيم النّفوس فإن تجد ذا عفّة فلعلّة لا يَظلم

و هذه العلّة المانعة من الظّلم لا تخلو من أحد أربعة أشياء : إمّا عقل زاجر أو دين حاجر ، أو سلطان رادع أو عزّ صادّ ، فإذا تأمّلتها لم تجد خامسا يقترن بها ؛ و رهبة السّلطان أبلغها ، لأنّ العقل و الدّين ربّما كانا مضعوفين ، أو بداعي الهوى مغلوبين ، فتكون رهبة السّلطان أشدّ زجرا و أقوى ردعا "[10].

ثالثا – أهمّية القيادة و الانقياد في الإسلام :

لمّا كانت القيادة و الانقياد على ذلك المقام الرّفيع من الأهمّية في صلاح الاجتماع البشريّ و صلاح أمر الدّنيا و الآخرة ، فلا غرابة إذن أن نجد في الإسلام اهتماما خاصّا بهما ليس له نظير .

و بالرّجوع إلى القرآن الكريم و السّنة النّبويّة نجد مصداق ذلك جليّا من خلال الكمّ الهائل من النّصوص حول القيادة و الانقياد ، و هو ما جعل الفكر الإسلاميّ لا يضاهيه أيّ فكر آخر من حيث التّعرّض لهذا الموضوع .

---

[9] –الماوردي أبو الحسن ، أدب الدنيا و الدين ، الطبعة الثالثة ، تعليق محمد كريم راجح ، (بيروت:دار الرأ ، 1404هـ/ 1984م) ، ص 148 .

[10] – ن م ، ص 149 .

قال الأستاذ سعيد حوى : " و لا أظن أمة في هذا العالم عالجت هذا الموضوع كما عالجته الأمة الإسلامية ، فقد كتب في هذا الأمر علماؤها و فقهاؤها بما يستغرق عشرات المجلدات "[11].

و تكمن أهمية القيادة في الإسلام في كونه اعتبرها من تكاليفه الشرعية الملقاة على كل مكلف ، فقد قال الله عز و جل : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾[12]،"لأنه قد انتهكها "[13].

و قال الرسول ﷺ :" كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته "[14]. و من هذا الحديث نستنتج أن الإسلام لم يهتم بموضوع القيادة في بعده السياسي الخاص فقط ، أي الاهتمام بالقيادة الكبرى أو العامة للمجتمع ، و إنما اهتم به من حيث جميع أبعاده الاجتماعية و الحضارية .

و إذا كان أغلب من تكلم في القيادة و الإمارة و الإمامة من العلماء قد ركز على القيادة العامة و الإمامة العظمى ، فإن هذا لا يعني ضرورة أن الأبعاد الأخرى قد غفل عنها ، و إنما يعني هذا الاهتمام بالأصل الذي إن تحقق تحققت فروعه .

I – الاهتمام بالقيادة العامة :

لقد اهتم الإسلام بالقيادة اهتماما بالغا جدا ليس له مثيل حتى قال حبر الأمة و ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنه : إن الإمامة كانت إحدى الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم عليه السلام [15] و المشار إليها في قوله تعالى : ﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ﴾[16]،

---

[11] – فصول في الإمرة و الأمير ، ص 5 .

[12] – سورة الأحزاب ، الآية 72 .

[13] – محمد عبد الله دراز ، م س ، ص 138 .

[14] – سبق تخريجه في التهميشة رقم 7 .

[15] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج1 ، 290 .

[16] – سورة البقرة ، الآية 124 .

و عن مجاهد [17] في تفسيره لهذه الآية قال : " ابتلي بالآيات التي بعدها : ﴿ إني جاعلك للناس إماما ... وإذ جعلنا البيت مثابة للناس ... ﴾ [18].

و قال صاحب كتاب (متن مقاصد الطالبين في علم أصول عقائد الدين) [19] : " ففي الإمامة - و هي رئاسة عامة في أمر الدين و الدنيا - خلافة عن النبي ﷺ [20].

و قال الإمام الماوردي :" الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين و سياسة الدنيا "[21].

و من أبرز المظاهر و أوضح الدلائل على اهتمام الإسلام بالقيادة العامة و الإمامة العظمى أن الله عز و جل أمر بطاعة أولي الأمر في غير معصية ، و قرنها مع طاعته و طاعة رسوله ﷺ . قال تعالى : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [22] ، و قال عز و جل : ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ [23].

" و قد أجمع سلف الأمة و أهل السنة و جمهور الطوائف الأخرى على أن نصب الإمام و توليته على الأمة واجب على كل المسلمين شرعا و عقلا ، و استدلوا بأمور لخصها التفتزاني بقوله : لنا وجوه :

- الأول : الإجماع أي إجماع الصحابة و هو العمدة ، حتى قدموه على دفن النبي ﷺ .

---

[17] - هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم ، تابعي جليل ، ولد عام 21هـ بمكة ، سمع من كثير من الصحابة منهم عائشة و أبو هريرة و ابن عمر وابن عباس ، و كان أقل أصحابه رواية عنه ، و لكن كان أوثقهم ، تنقل كثيرا و استقر بالكوفة ،و شهد له العلماء بعلو مكانته في التفسير ، توفي عام 104هـ(نويهض) .

[18] - ابن كثير ، ن م ، ج1 ، 291 .

[19] - هو مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين التفتزاني ، من أعلام البيان و العربية و المنطق ، ولد بتفتزان من بلاد خراسان عام 712هـ / 1312م ، قال فيه ابن حجر : انتهت إليه معرفة علوم البلاغة و المعقول بالمشرق ، و لم يكن نظير في هذه العلوم ، من كتبه : حاشية على الكشاف ، توفي عام 793 هـ . (الأعلام للزركلي) .

[20] - محمد رشيد رضا ، الخلافة ، سلسلة الأنيس ، (الجزائر : موفم للنشر 1992) ، 15 .

[21] - أبو الحسن الماوردي ، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ، الطبعة الأولى ، (بيروت :دار الكتاب العربي 1410هـ/1990م)، ص29 .

[22] - سورة النساء ، الآية 59 .

[23] - سورة النساء ، الآية 83 .

- الثاني : أنه لا يتم إلا به ما وجب من إقامة الحدود و سد الثغور و نحو ذلك مما يتعلق بحفظ النظام .

- الثالث : أن فيه جلب منافع و دفع مضار لا تحصى و ذلك واجب إجماعا .

- الرابع : وجوب طاعته و معرفته بالكتاب و السنة ، و هو يقتضي وجوب حصوله و ذلك بنصبه" [24].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية تحت عنوان أهمية الولاية : " يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا قيام للدين إلا ، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ، و لابد لهم عند الاجتماع من الحاجة إلى رأس حتى قال النبي ﷺ : " إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم "[25]. و روى الإمام أحمد في المسند ، عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : " لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم "[26] ، فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع ، و لأن الله أوجب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ؛ و لا يتم ذلك إلا بقوة و إمارة ...فالوجب اتخاذ الإمارة دينا و قربة يتقرب بها إلى الله ، فإن التقرب إليه فيها بطاعته و طاعة رسوله من أفضل القربات ، و إنما يفسد فيها حال الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها "[27] .

2 – الاهتمام بالقيادات الخاصة :

و كما اهتم الإسلام بالقيادة العامة فقد اهتم بالقيادات الخاصة ، اهتماما كبيرا أيضا و لا عجب في ذلك لسببين :

---

[24] – محمد رشيد رضا ، الخلافة ، ص 16 .

[25] – أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم ، رقم 2241 ، و رجاله من الثقات

[26] – أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة ، رقم 6360 ، و فيه ابن لهيعة من الضعفاء ، و باقي رجاله ثقات .

[27] – ابن تيمية ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية ، سلسلة الأنيس ، (الجزائر : موفم للنشر 1990) ، ص 186 ، 187 .

الأول – إن المجتمع لا يمكن أن ينظم بغير القيادات الخاصة أو الفرعية .

الثاني – إن القيادة العامة أو الإمامة العظمى لا يمكنها القيام بوظيفتها المنوطة بها بغير القيادات الخاصة و الفرعية .

لأجل هذا بالغ الإسلام في العناية بالقيادات الخاصة في جميع المجالات ، نذكر منها على سبيل المثال النماذج التالية : – القيادة الأسرة – القيادة في القبيلة –القيادة في السفر – القيادة في البلدة – القيادة في الجيش – القيادة في الصلاة – القيادة في الحج ...إلخ ، و اهتم بكل ما يتعلق بإصلاحها و تقويمها و تمتينها ، و هكذا ظهرت الكثير من المصطلحات في الفكر الإسلامي مثل : تولية الأصلح و اختيار الأمثل و غيرها [28].

[28] – ابن تيمية ،م س ، ص50 ، 54 ، 56 .

المبحث الثاني

منهج الجمعة في التربية على القيادة الراشدة

إن أبسط معاني القيادة الراشدة هي القيادة الصالحة ؛ و هي التي تحققت بالشروط الضرورية اللازمة التي تؤهلها لتحقيق أهدافها بما يوافق سنن الله التشريعية و سننه التكوينية .

و تأسيسا على هذا الأمر ، فإن التربية على القيادة الراشدة أو الصالحة ، تعني التأهيل لها ، و ذلك بإكساب المتعلم الشروط اللازمة لذلك ، عن طريق التعليم و التدريب ، و هذا يقتضي اتباع منهج واضح المعالم .

و يمكن إبراز المنهج الذي تسلكه الجمعة في التربية على القيادة الراشدة من خلال الخطوات التالية :

الخطوة الأولى – غرس و تكوين الأخلاق الأساسية للقائد (المسؤول) :

تعتبر هذه الخطوة في منتهى الضرورة لتحقيق التربية على القيادة الراشدة ، و ذلك لكونها هي القاعدة التي تبنى عليها جميع أنواع القيادات ، بل و جميع أنواع المسؤوليات التي أشار إليها الرسول ﷺ في قوله : " **كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته** "[29].

و الأخلاق الأساسية التي تكاد تكون عليها دندنة المتكلمين في أخلاق أي قائد و أي مسؤول – و التي تسعى الجمعة إلى تربية الناس عليها – هي باختصار [30]:

---

[29] – سبق تخريجه في المبحث السابق ، الهامشة رقم 7 .

[30] – سعيد حوى ، الفصول في الإمرة و الأمير ، ص 16 .

- العقل – العلم – التثبت – مخالفة الهوى – العفة – الشجاعة – الكرم و السخاء و الجود – الحلم – كظم الغيظ – العفو – الرفق – اللين – الوفاء بالعهد و الوعد – الصدق – كتم السر – الحزم – الدهاء – التواضع – سلامة الصدر من الحقد و الحسد – الصبر – الشكر – المداراة – عدم قبول السعاية و النميمة – ترك اتخاذ الكافرين أولياء – المتابعة و مباشرة الأمور – بذل النصيحة و قبولها – حسن تدبير الأمور – العناية بمن حوله – مكافأة ذوي السوابق – حسن الترتيب و الهندام [31].

و لغرس هذه الأخلاق ، يمكن للجمعة أن تتبع أسلوبين هما :

الأسلوب الأول : النظري .

نقصد بالأسلوب النظري الذي تتبعه الجمعة في التربية على القيادة الراشدة ، ما يقوم به الخطيب في خطبته من تعليم الناس حقيقة تلك الأخلاق و توجيههم و حثهم بمختلف الطرق مثل الترغيب و الترهيب على التمسك بها ، و بيان أنها أمهات كل الفضائل و أسس كل الشمائل ، و كذلك تعليم الناس أن كل إنسان ميسر لنوع من القيادة يجب أن يتقنه ، و كل ذلك من خلال حديث الرسول عن المسؤولية .

الأسلوب الثاني : التطبيقي .

المقصود بالأسلوب التطبيقي المنهج العملي الذي تسلكه الجمعة في التربية على القيادة الراشدة ، و ذلك بما يوفره المسجد لجمهور المصلين من محيط خاص يتعلمون فيه الأخلاق الأساسية عن طريق الاقتداء ، إذ الأصل فيه أنه ميدان فسيح للتعارف فيقتدي الصغير بالكبير و يتعلم الجاهل من العالم و كل ذلك عن طريق التفاعل الاجتماعي العملي.

---

[31] – أبو عبد الله محمد بن الأزرق الأندلسي ، بدائع السلك في طبائع الملك ، 2ج ، دراسة و تحقيق محمد بن عبد الكريم ، (ليبيا ، تونس : الدار العربية للكتاب) ، ج1 ، ص ص 401 -497 ؛ ج2 ، ص ص 509 - 536 .

الخطوة الثانية – **تعليم الناس المعايير الصحيحة على القيادة الراشدة :**

و يمكن أن يكون بأسلوبين:

الأسلوب الأول – **تعليم القيادة الراشدة بأفعال صلاة الجماعة :**

تعتبر صلاة الجماعة عموما و صلاة الجمعة على وجه الخصوص أكمل و أفضل وسيلة لتعلم و تعليم و ممارسة الوظائف و الأدوار الاجتماعية الأساسية ، و من ذلك وظيفة القيادة .

فصلاة الجماعة يقودها إمام واحد يتقدم الصفوف ، فيصلي و يصلي الناس بصلاته ، و يتم اختيار الإمام بتوخي الفضل في القرآن الكريم و الفقه و السبق وفقا لما جاء عن النبي ﷺ أنه قال :" **يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلما** وفي رواية ، **فأكبرهم سنا** ..."[32]

و الأصل في الإمام أنه يكون مختارا من المصلين ، و لا يتقدم للصلاة بهم إلا و هم عنه راضون أو أن أغلبهم راض ، قال النبي ﷺ :" **لا يحل لرجل يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يؤم قوما إلا بإذنهم** "[33]. و قال :" **ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم ... و إمام قوم و هم له كارهون** " [34] و قد فصل العلماء في هذا الأمر بما هو جدير بالإطلاع [35].

فالإمامة مدرسة لتعليم فن قيادة المجتمع على أساس استيفاء كفاءة معينة ، و هي تربي المسلمين في حياتهم على وجوب إقامة إمام ، و اتخاذ قيادة راشدة تتولى تنظيم

---

[32] – أخرجه مسلم في كتاب المساجد و مواضع الصلاة باب من أحق بالإمامة عن أبي مسعود الأنصاري ، رقم 1078 . و أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة باب ما جاء من أحق بالإمامة ، رقم 218 . و ابو داود و ابن ماجة

[33] – أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة ، باب أيصلي الرجل و هو حاقن ، عن ثوبان و رجاله في الثقات ، رقم 83 .

[34] – جزء من حديث أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة باب ما جاء فيمن أم قوما و هم له كارهون ، و قال هذا حديث حسن غريب ، رقم 328 .

[35] – الدهلوي شاه ولي الله ، حجة الله البالغة ، ج2 ، ص 27 .

صفوف المسلمين و تسويتها ، و رعاية وحدتهم و سد الفجوات بينهم ، و تتعهدهم بالتوجيه و النصح كما يفعل الخطيب في الجمعة [36].

و معيار الإختيار لإمامة الصلاة هو قاعدة الاختيار للإمامة الكبرى ، فلا مجال للوراثة فيها و لا التسلط و الاستلاب ، و إنما الأصل في ذلك هو الرضى و المشورة ، فإذا وقع الاختلاف كان الحق لمن نال رضى الأغلبية [37].

و أساس الاختيار و مناطه ليس هو الهوى و القرابة ، و إنما هو توخي شروط الكفاءة للوظيفة التي سيضطلع بها الإمام أو القائد ، و صلاة الجماعة تربية لأئمة المسلمين و إشاعة للأعراف الصالحة في مجال القيادة العامة ، فالإمام مقيد باتباع سنة الصلاة ليس له بحق الإمامة سلطة في الابتداع ، فهو لا ينتظر إذا تأخر عن إدراك الوقت المعهود للصلاة ، بل يقدم المصلون من يصلي مكانه ، كما فعل الصحابة حينما غاب عنهم الرسول ﷺ ، و الإمام لا يتابع على الأخطاء و إنما يرد إلى الحق بالتسبيح و التذكير ... [38].

و الخلاصة ، إن صلاة الجماعة تربي المسلمين على العلاقات الرشيدة بين الإمام و المؤتمين به ، فإذا حفظوا تلك الصلاة و والوها استقرت أحكام تلك القيادة و آدابها في وجدانهم [39].

---

[36] – الترابي حسن عبد الله ، الصلاة عماد الدين ، الطبعة الرابعة ، (الكويت : دار القلم ، 1403هـ/1983م) ، ص 141 .

[37] – ن م ، ص 141 .

[38] – الترابي ، ن م ، ص 142 .

[39] – ن م ، ص 143 .

الأسلوب الثاني - **تعليم القيادة الراشدة بالخطبة :**

إن الجمعة كما تعلم المسلمين و تربيهم على القيادة الراشدة عن طريـــق أفعـــال الصلاة ، فهي تفعل ذلك أيضا عن طريق الخطبة التي تعتبر جد فعالة في هذا الأمر .

فهي مناسبة جدا لتعليم المسلمين كل أنواع القيادات ، و ما يجب لكل نوع من معايـــير صحيحة ، بدء من أصغر قيادة و هي قيادة الإنسان أسرته الصغيرة ، إلى أكبر قيادة و هـي قيادة أمة . و هي منبر فعال و صالح لتنظيم و توجيه كل قيادات المجتمع أسبوعيا .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث

منهج الجمعة في التربية على الانقياد الراشد

الانقياد الراشد هو ضد للانقياد الضال ، ويقصد به الاتباع والإذعان والإئتمام والطاعة عن وعي وبصيرة ، و وفق منهج صحيح وسليم ، وهو من أهم الأركان التي يقوم بها وعليها المجتمع الصالح ، و هو الأساس الذي تقوم عليه القيادة .

وإذا كان الله عز وجل قد شرع الكثير من الأحكام التي تربي على الانقياد الراشد مثل تشريع صلاة الجماعة والجمعة ، فإنه من المهم معرفة كيف يتم ذلك .

الأسلوب الأول – تعليم الانقياد الراشد بأفعال صلاة الجماعة :

تعتبر صلاة الجماعة من شعائر الإسلام الفعالة جدا في تعليم المسلمين حسن الاتباع لقادتهم وأمرائهم ، ففيها يأتم المصلون بإمام واحد ، فيصطفون خلفه ، يصلون بصلاته ويتبعونه فيها ويذكرونه إذا سها ، و لا تسقط عنهم أعمال الصلاة إلا ما يكون من إنصات حين قراءته .

وعلى المأمومين الاقتداء بإمامهم فلا يساوونه ولا يسابقونه في موقف ولا ينصرفون قبله ، قال الرسول ﷺ : " **أيها الناس إنني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف** " [40]، فينبغي على المصلي أن يتريث حتى يتم إمامه الركوع أو السجود أو الرفع ، ثم يأتي بعده بنحو ذلك إيفاء لمقتضى الاتباع ، وهكذا كانت سنة أتباع الرسول ﷺ :**لم يحن أحد منا ظهره حتى يقع النبي ﷺ ساجدا ثم نقع**

---

[40] – أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس كتاب الصلاة باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ، رقم 646 . و النسائي و أبو داود و أحمد و الدارمي .

سجودا بعده "[41]. " وحيثما أدرك المصلي الإمام في الصلاة كان عليه أن يصنع مثلما يصنع ويمضي في سائر الصلاة معه ، فإذا فرغ الإمام وسلم أكمل ما فاته "[42]

وفي هذه الآداب التي يتعبد بها المسلم في كل جماعة يشهدها ، تربية له تنفعه في سائر علاقاته الاجتماعية ، لاسيما في موقفه من قائده ، و في هذا تتوافق أيضا أحكام الائتمام في الصلاة بأحكام سلوك الأتباع مع القادة [43].

فبالصلاة يتعلم المسلمون أن لا يتكلوا على قائدهم ليقوم بمفرده بأعمال الإصلاح ، وإنما الأمر يجب أن يقوم به الجميع ، إلا صاحب العذر الشرعي . و بالصلاة تتعلم الرعية طاعة الإمام أو القائد في المعروف ،" فإذا كانوا معه في أمر جامع لم ينصرفوا أو يشذوا من دونه ، و لم يخالفوه فيما أمر ما لم يكن معصية ، امتثالا لأمر النبي ﷺ **"السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب و كره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع و لا طاعة "**[44]، إذن فالطاعة محدودة بحدود الشرع و مصحوبة بالوعي و المراقبة ".[45]

وفي صلاة الجماعة تربية للجماعة المسلمة على النقد البناء والجرأة في إسداء النصح للإمام ومراقبة حدود حقه في الإمامة ، وفيها توجيه لإحاطة إمام المسلمين بحاشية من الرجال الصالحين للقيادة هم مجلس شوراه ، يصوبونه بالنصح ويخلفونه في الشؤون العامة [46]، وكل ذلك من قوله ﷺ : " **ليلني منكم أولوا الأحلام و النهى** "[47].

---

[41] – متفق عليه من حديث البراء ، البخاري في كتاب الأذان باب متى يسجد من خلف الإمام ، رقم 649 .و مسلم في كتاب الصلاة باب متابعة الإمام و العمل بعده ، رقم 728 .

[42] – الترابي ، م س ، ص 144 ، 145 .

[43] – ن م ، 145 ، 146 .

[44] – متفق عليه عن عبد الله بن عمر ، و اللفظ للبخاري ، أخرجه في كتاب الأحكام باب السمع و الطاعة للإمام ما لم يكن معصية ، رقم 6611 . و مسلم في كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية و تحريمها في المعصية ، رقم 3423 .

[45] – الترابي ، م س ، ص 146 .

[46] – ن م ، ص 147 .

[47] –أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف و إقامتها ... و تقدم أولي الفضل و تقريبهم من الإمام ، رقم 654 . و أخرجه النسائي و أبو داود و ابن ماجة و أحمد .

الأسلوب الثاني - تعليم الانقياد الراشد بالخطبة :

لا يقتصر تعليم الانقياد الراشد و التربية عليه على أفعال صلاة الجماعة فقط ، بل إن الخطبة أيضا مخصصة و صالحة و فعالة في ذلك ، فمن خلال توجيهات الخطيب يتعلم المسلمون المعايير الصحيحة للانضباط الراشد ، و من على المنبر يتعلمون أن طاعة أولي الأمر منهم واجب شرعي ، إلا ما كان معصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

و من الخطبة يتعلم الجاهل أن عليه إطاعة العالم ، و يتعلم الأطفال إطاعة والديهم و تتعلم الزوجة طاعة زوجها ، و يتعلم طلبة العلم طاعة شيوخهم... ويتعلم كل مرؤوس طاعة رئيسه .

ومن توجيهات المنبر يتعلم المسلمون أن لا يطيعوا إلا من أطاع الله ورسوله ﷺ ، قال النبي ﷺ : " اسمعوا وأطيعوا و لو تأمر عليكم عبد حبشي ، ما له تؤمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة " [48].

ومن الخطبة يتعلم و يتربى المسلمون على عدم طاعة الكافرين ، قال تعالى :﴿ يا أيها الذين ءامنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ [49]، ولا طاعة من أغفل الله قلبه ، قال تعالى: ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾[50]، ولا طاعة أهل الباطل ، ولا المسرفين ، ولا الآثمين ، و لا المكذبين ، ولا المنافقين ، و كل من نهى الله عن طاعتهم .

---

[48] - أخرجه البخاري في كتاب الأحكام عن أنس ، باب السمع و الطاعة للإمام ما لم يكن معصية ، رقم 6609 . و ابن ماجة و أحمد

[49] - سورة آل عمران 149 .

[50] - سورة الكهف ، الآية 28 .

الفصل الرابع

دور الجمعة في بناء جماعة المسلمين

المبحث الأول : مفهوم جماعة المسلمين

المبحث الثاني: دور الجمعة في بناء و تماسك جماعة المسلمين

المبحث الثالث : منهج الجمعة في بناء جماعة المسلمين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

مفهوم جماعة المسلمين

أوّلا – موضوع الجماعة في القرآن و السّنة

يعتبر موضوع الجماعة من الموضوعات الكبرى الّتي أولاها القرآن الكريم و السّنّة النّبوية اهتماما كبيرا و عناية ملفتة للانتباه ، و يتجلّى ذلك الاهتمام في أبسط صوره في الكمّ الهائل من الآيات و الأحاديث الّتي خصّصت لها .

ففي القرآن الكريم نجد أنّ موضوع الجماعة و ما يدور في فلكه من معاني قد توزّع على جلّ سوره ، و قد أورده التّعبير القرآنيّ بألفاظ عديدة متباينة الدّلالات ، نذكر منها النّماذج التّالية :

("القوم" 383 مرّة) ، ("الأهل" 127 مرّة) ، ("الأصحاب" 78 مرّة) ، ("الأمّة" 64 مرّة) ، ("القرية" 56 مرّة) ، ("الفريق" 34 مرّة) ، ("الآل" 25 مرّة) ، ("الطّائفة" 24 مرّة) ، ("القرن" 20 مرّة) ، ("المدينة" 17 مرّة) ، ("الجمع" 6 مرّات)، ("الفوج" 5 مرّات) ، ("الرّهط" 3 مرّات) ، ("النّفر" 3 مرّات) .

أمّا بالنّسبة للسنّة النّبويّة الشّريفة ، فمع استعمالها المتطابق لاستعمالات القرآن الكريم لمعاني الجماعة ، فإنّا نجد أنّ الاهتمام الأكبر قد أعطى لجماعة المسلمين ، المعبّر عنها كثيرا بمصطلح "الأمّة" و "الجماعة" ، و بمصطلح "الرّعيّة" و "الأصحاب" و "القرن" ، و في ذلك دلالات عظيمة جدّا على أنّ بناء الجماعة من أكبر مقاصد الشريعة [1] .

---

[1] – ابن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، ص ص 115 –116 .

ثانـــيا – خصائص الجماعة في القرآن و السنة و أنواعها :

إن المتتبع لموضوع الجماعة في القرآن و السنة و خاصة من خـــلال المصطلحـــات المستعملة في الدلالة عليها ، يلاحظ عليه الخصائص التالية :

1. إن المصطلحات التي استعملها التعبير القرآني و النبوي في الدلالة على الجماعـة يدل على معنى الجمع و الربط و العطف و الأصر و الضم و التأليف ، أي وجود جامعـة تجمع ، و رابطة تربط ، و عاطفة تعطف ، و آصرة تأصر .

2. إن هذه المصطلحات على الرغم من اشتراكها في الدلالة على معنى الجماعـة ، إلا أن كل مصطلح منها يدل على نوع خاص ، و على خصائص تخصه .

3. إن هذه المصطلحات وردت في غالبيتها في شأن الجماعة الإنسانية ، و كـــان الاستثناء هو ذكر جماعة الـــجن و جماعة الدواب و جماعة الطيـــور . قـــال تعـــالى: ﴿ قال ادخلوا في أمـم قد خلت من قبلكـم من الجن والإنس في النار ﴾[2]، و قـــال : ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمـم أمثالكـم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثـم إلى ربهـم يحشرون ﴾[3] .

4. إنّ الجماعة الإنسانيّة ليست على شاكلة واحدة ، بل هي أنواع كثيرة ، فمنـهَا النّوع الّذي تجمعه آصرة الجوار و المرافقة في السّفر ، و منه الّذي تربطه رابطة القبيلـــة و العشيرة ، و منه الّذي تربطه رابطة الشّعب و القوميّة ، و منه من تجمعه جامعة الأمّة ، و منه من تجمعه جامعة الدّين [4].

5. إنّ الجماعة الإنسانيّة لم يرد لها ذكر إلاّ و هي مقرونة بفعل أو تفاعل اجتماعيّ بين أعضائها المنتمين إليها ، سواء كان هذا الفعل أو التّفاعل عقليّا أو نفســيّا أو قوليّـــا أو سلوكيّا .

---

[2] – سورة ، الأعراف الآية 38 .

[3] – سورة الأنـــعام ، الآية 38 .

[4] – ابن عاشور ، م س ، ص ص 104-108 .

6. إنّ أيّ فعل أو تفاعل اجتماعيّ ذُكر مع جماعة إنسانيّة أو وصفت به ، هو فعل أو تفاعل إراديّ قصديّ ، أي أنّه وظيفيّ و هادف ، و بالتالي فهو متعلّق بالمسؤوليّة في الدنيا و الآخرة. و بما أنّ الفعل أو العمل هو حركة بقصد و بغاية ، فإنّ هذه الخاصّية تجعل من الفعل و التّفاعل الاجتماعيّين وظيفيّين و غائيّين .

استخلاص تعريف للجماعة الإنسانيّة

انطلاقا من المعاني السّابقة الّتي أمدّنا بها التّحليل اللّغويّ لكلمة جماعة ، و استنادا إلى ما أمدّنا به القرآن الكريم و السّنة النّبويّة الشّريفة من خصائص الجماعة الإنسانيّة ، و استئناسا بمختلف التّعريفات [5]، فإنّه يمكننا أن نعرّف الجماعة الإنسانيّة بأنّها :

"مجموعة من النّاس تجمعها جامعة و آصرة التّفاعل الاجتماعيّ المنظّم و المؤسّس على الفعل الإراديّ القصديّ و ذلك من أجل تحقيق غاية مشتركة ".

أو هي كما عرّفها الأستاذ مالك بن نبيّ بقوله :" الجماعة الإنسانيّة هي الجماعة الّتي تغيّر دائما خصائصها الاجتماعيّة بإنتاج وسائل التّغيير ، مع علمها بالهدف الّذي تسعى إليه من وراء هذا التّغيير ...[و هي ليست] مجرّد مجموعة من الأفراد ، بل هي تنظيم معيّن ذو طابع إنسانيّ يتمّ طبقا لنظام معيّن يقوم على عناصر ثلاثة و هي :

1. حركة يتّسم بها المجموع الإنسانيّ .
2. و إنتاج لأسباب هذه الحركة .
3. و تحديد لاتّجاهها "[6]، أي لهدفها .

---

[5] – سعد جلال ، علم النفس الاجتماعي ، ص 196 ، 197 ؛ محمد علوان ، مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع ، ج1 الجماعة ، الطبعة الأولى ، (جدة : دار الشروق ، 1404هـ/1983م) ص ص ، 13 – 35 .

[6] – ميلاد مجتمع ، ص 17 .

ثـــالثا – مفهوم جماعة المسلمين أو المفهوم الإسلاميّ للأمّة و خصائصها :

إنّ جماعة المسلمين هي جماعة إنسانيّة تجمعها جامعة الدّين الإسلاميّ ." فالإســـلام بما تضمّنه من تصوّر لحقائق الوجود – من الكون و ما وراء الكـــــون – و مـــن قواعـــد سلوكيّة و قيم أخلاقيّة و نظم تشريعيّة هو العامل المشترك بين أعضاء هذه الجماعة " [7].

فالإسلام بهذه الجامعة الّتي تقوم على الأساس العقائديّ المشترك قد نقل الإنســـانيّة إلى أرقى أنواع الجماعات و المجتمعات ، متجاوزا بذلك المجتمع القبليّ و المجتمع القومـــــيّ و المجتمع الإمبراطوريّ [8].

قال الإمام العلاّمة محمد الطّاهر بن عاشور :

" على إنّك إذا غصت بتفكيرك إلى شواهد و قضايا الحكمة تجد جميع الأواصـــــر و الجوامع الّتي انتحاها البشر من وقت تكوين حضاراته إلى وقت حضور الإســـلام هـــي أواصر موصوفة بنقصين عظيمين .

أوّلهما : أنّ جميعها مرتكزة على الرّابطة المادّية الجسمانيّة لأنّ مرجعها إلى تسلســـل الولادة من قريب أو بعيد .

ثانيهما : إنّها أواصر قاصرة ، و يبدو قصورها فاحشا أو مقتصدا بمقـــدار ســـعة مرجعها و ضيقه ، و مقدار صلوحيّتها للدّوام و الطّول ، و الاضمحلال و القصر "[9].

---

[7] – محمد المبارك ، نظام الإسلام – الحكم و الدولة – ، (بيروت : دار الفكر ، 1409هـ/1989) ، ص 100 .

[8] – ن م ، ص 100 – 102 .

[9] – أصول النظام الإجتماعي في الإسلام ، 107 .

أما جامعة الدين الإسلامي فهي جامعة عقائدية فكرية ، و باعتبار الدين هو مجموع التفكير الصحيح و العمل الصالح ، فهذا من شأنه أن يصبغ هذه الجامعة بالخاصية الإنسانية ، لأن جانب التفكير المحض هو الجانب الأقوى الذي به كان الإنسان إنسانا .

و هي جامعة كاملة و عامة و دائمة . قال تعالى :﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض ﴾ [10]، فهذه الأوصاف - الكمال و العموم و الدوام - جعلت مفهوم الأمة مفهوما إنسانيا جامعا كل القبائل والشعوب والقوميات واللغات ... لهذا كانت هي أولى الجوامع بالاعتبار ، وكانت هي الأولى بأن يدعو إليها دين جاء لعامة البشر وجاء باقيا إلى منتهى هذا العالم .

ومن كمال هذه الجامعة أنها أبقت ماعداها من الجوامع جوامع فرعية تعتبر صالحة ما لم تعد على الجامعة الكبرى بالانحلال [11].

و يمكن تلخيص أهم خصائص جماعة المسلمين من خلال ما جاء في الوصايا العشر التي ذكرتها سورتها الأنعام ،قال تعالى:﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا و بالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [12]، فجماعة المسلمين تتصف بمجموعة من المواصفات هي أنها :

---

[10] - سورة الأعراف 158 .

[11] - ابن عاشور ، م س ، ص 107 ، 108 .

[12] - سورة الأنعام ، الآية 151 ، 152 ، 153 .

- جماعة مؤمنة .
- جماعة قيمية (الأخلاق) .
- جماعة عادلة .
- جماعة متماسكة .
- جماعة متضامنة .
- جماعة ملتزمة .
- جماعة متمايزة .
- جماعة مسالمة .
- جماعة مجاهدة .[13]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[13] - الفوال صلاح ، التصوير القرآني للمجتمع ، 2 ج ، الإنسان و النظم الاجتماعية (ج1) ، (القاهرة : دار لفكر) ، ص ص 69-74 .

المبحث الثاني

دور الجمعة في بناء و تماسك جماعة المسلمين (الأمّة)

إنّ الحديث عن دور الجمعة (و المسجد) في بناء الأمّة الإسلاميّة (جماعة المسلمين) يقودنا حتما إلى الحديث عن الظّروف الأولى الّتي شهدت ميلاد و نشأة هذه الأمّة .

و على الرّغم أن لا أحد يجادل في كون الأمّة الإسلاميّة وُلدت مع أوّل آية نزلت على قلب الرّسول ﷺ في غار حراء و هي قول الله عزّ و جلّ: ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [14]، إذ كان ذلك التّنزيل بمثابة نواة الأمّة الوليدة ؛ و على الرّغم من أنّ الفترة المكّية هي الفترة الّتي أرسيت فيها أغلب أسس المجتمع ، إلاّ أنّ الميلاد الحقيقيّ و الميلاد الّذي أظهر و أبرز الأمّة في كيان مشاهَد و أكثر فاعلية و أشدّ تأثيرا ، هو يوم أن أسّس الرّسول ﷺ مدينته عقب هجرته مباشرة .

و كما هو معلوم فإنّ تأسيس الرّسول ﷺ للمدينة لم يكن تأسيسا ماديّا بتخطيط البنايات و الطّرقات ، لأنّ المدينة كانت مبنيّة من زمن بعيد . و إنّما كان تأسيسا روحيّا و اجتماعيّا و حضاريّا . و قد شهد ذلك الأمر إرساء أسس جديدة للمجتمع الإسلامي و هي :

---

[14] - سورة العلق ، الآية 1 – 5 .

- تأسيس المسجد .
- المؤاخاة بين المؤمنين .
- كتابة الوثـــيقة [15].

و المتأمل في هذه الأسس بعمق يجد أنها ذات علاقة وثيقة بالأسس التي أرســـيت في الفترة المكية ، غير أن ما يفرق بين هذه و تلك ، هو أن ما أرسي في مكة كان يعوزه التشكل و الظهور في وسائل و أساليب و هيئات و مؤسسات اجتماعية و حضارية .

فقد كانت العقيدة - و هي أول و أهم الأركان - ضاربة بجذورها في نفـــوس الثلة الأولى من المؤمنين ، غير أن أبعادها الاجتماعية و الحضارية ، و ثمراتهـــا العمليـــة في صورة عبادات و أخلاق و معاملات لم تبرز بصورتها الكاملة ، إلا في مجتمع المدينـــة حين أصبح للمسلمين أرض يتحركون عليها ، و مؤسسة يجتمعون فيها صباح مســـاء ، فيها يعبدون الله و منها يديرون شؤون حياتهم ، و فيها يلتقون بقائدهم و منها يـــأخذون توجيهاته و تعليماته ألا و هي مؤسسة المسجد [16].

و قد كان للمجتمع الإسلامي في مكة أفراد ، و لهؤلاء الأفراد صلات اجتماعية ، غير أن فقدانهم للحرية والاستبداد الذي كان مسلطا عليهم من الكافرين ، قد جعلا تلك الصلات محدودة الأثر . فلما أذن الله بالهجرة و صار للمســـلمين أرض و دولـــة ذات مؤسسات ، انبثق عن تلك الصلات شبكة كثيفة من العلاقات الثقافية و الاقتصاديـــة و السياسية و الأخلاقية ، و توج ذلك بأعظم علاقة على وجه الأرض و هي الأخـــوة في الله ، و كل ذلك كان منطلقه هو المسجد [17].

---

[15] - ابن هشام أبو محمد عبد الملك ، السيرة النبوية ، 4ج ، (بيروت : المكتبة العلمية) ، ج2 ، 496 ، 501 ، 504 .

[16] - الوشلي ، المسجد و نشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ ، ص 17 .

[17] - ابن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام ، ص 119 .

و أخيرا فإن المسلمين في العهد المكي لم يكن لهم من وازع يـــزع النفـــوس إذا أخطأت إلا الوازع الإيماني ، فلما فتح الله عليهم بالهجرة أنعم عليهم بوازع آخر و هـــو الوازع السلطاني . و لم يكن له مقر غير المسجد .

و من هنا نستنتج أن المسجد الجامع الذي تقام فيه الجمعة كان له الفضل العظيـــم في تأسيس الأمة الإسلامية .

و كما أن للمسجد الفضل في بناء المجتمع الإسلامي ، فإن لـــه الفضـــل أيضـــا في تماسكه و في توسيعه و في المحافظة عليه و في إعادة بعثه من جديد [18] .

فأما دوره في تماسك المجتمع فإنه يتجلى من حيث أنه أعظم مؤسسات الإســـلام إنتاجا لعوامل قوة الجماعة ، فتفعيل العقيدة و الفكر ، و تقوية الروابـــط و العلاقـــات بين المسلمين ، و علاج الأمراض الاجتماعية ، و غير ذلك ... [19] كلها مـــن العوامـــل التي يختص في إنتاجها المسجد . فلولا المسجد و ما شرع فيه من عبادات تغذي أصـــول الإيمان ، لما كان للعقيدة حلاوة ، و لولا المسجد و ما شرع فيه من خطبة الجمعة لتكون وسيلة للدعوة و التبليغ و ، الأمر بـــالمعروف و النـــهي عـــن المنكـــر ، و الإصـــلاح الاجتماعي ، لما كان للعقيدة ثمرات في الواقع .

و أما دوره في توسيع المجتمع الإسلامي و إمداده بعناصر و أعضاء جديدة ، فـــإن ذلك يظهر من خلال أنه مخصص لإعلام الناس بالإسلام و دعوتهم إليه ، لهـــذا كـــان الرسول ﷺ يحث و يرغب في بناء المساجد و كان من سنة الفاتحين منذ جيل الصحابـــة بناء المساجد لتكون قواعد للدعوة .

و بالنسبة لدوره في المحافظة على المجتمع و إعادة بعثه من جديـــد ، فقـــد بـــات معلوما لكل من درس التاريخ الإسلامي أن المساجد كان لها الفضل الأكبر في بقاء الأمة

---

[18] – مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع ، 112 .

[19] – الفوال صلاح ، التصوير القرآني للمجتمع ، ج1 ، ص ص 74 – 78 .

على الرّغم ممّا أصابها من أزمات داخليّة و خارجيّة ، و في إعادة بعثها كلّمـــا مسّـــتها عوامل الأفول [20].

و ما أعظم فقه عمر بن الخطّاب و ما أحسنه ، إذ جعل بداية التّاريخ الإســـلاميّ هو بداية الهجرة الّتي ارتبطت بتأسيس المسجد الّذي أسّـــس علـــى تقـــوى مـــن الله و رضوان [21].

[20] – طه الولي ، المساجد في الإسلام ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار العلم للملايين ، 1409هـ/1988م) ، ص 161 ، 171 .

[21] – أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا و آخرون ، 19 ج ، (بيروت : دار الكتب العربية) ، ج 4 ، ص221 ؛ البخاري كتاب المناقب باب التاريخ من أين أرخوا التاريخ رقم 3641 .

المبحث الثالث

منهج الجمعة في بناء جماعة المسلمين

إنّ المنهج الّذي تسلكه الجمعة أو أيّ وسيلة أخرى لبناء المجتمع الإسلاميّ لا يمكن تصوّر معالمه و لا إدراك مراحله و خطواته إلاّ إذا عرفنا :

- ما هي نظرة الإسلام للمجتمع الإنسانيّ عامّة و المجتمع الإسلاميّ خاصّة ؟ لأنّ هذه النّظرة هي الّتي تمكّننا من معرفة أهمّ العناصر الّتي يتكوّن منها المجتمع الإنسانيّ و كيف تتركّب من جديد أو كيف يتمّ إخضاعها في برنامج تربوي عمليّ قابل للتّنفيذ .

- ما هي أصغر وحدة صالحة لتمثيل المجتمع الإسلاميّ ؟

لأنّ معرفة الوحدة الأساسيّة هي الّتي تحدّد المنطلق السّليم و البداية الصّحيحة لتأسيس المجتمع الإسلاميّ أو إعادة تأسيسه و بعثه من جديد ؛ و هي الّتي تحدّد كيفية تفعيله و حمايته .

أوّلا – نظرة الإسلام للمجتمع الإنسانيّ عامّة و الإسلاميّ خاصّة :

إنّ الإسلام ينظر للمجتمع الإنسانيّ على أنّه وسط إنسانيّ متشعّب و متداخل ، و ظاهرة معقدّة نامية ذات مكوّنات أساسيّة هي :

- مجموعة من الأفراد .
- صلات اجتماعيّة متنوعة بين هؤلاء الأفراد .
- نظام معيّن ظهر في شكل قانون مهمّته الحفاظ على المجتمع .
- عقيدة مشتركة تغذّي الرّوح الجماعيّة للمجتمع ، هدفها تأمين حياة الأفراد [22].

---

[22] – التومي محمد ، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم ، ص ص 255 – 296 .

و هو يعتبر أنّ المجتمع الإنسانيّ – بغضّ النّظر عن عقيدته و أفكاره – يخضع لمنظومة السّنن و النّواميس الإلهيّة في الأنفس ، سواء في الميلاد و النّشأة ، أو التّركيب و البناء ، أو في القوّة و التّماسك ، أو في التّطوّر و الازدهار ، أو في الضّعف و العجز ، أو في التّحلّل و التّفكّك ، أو في التّهدّم و التّقهقر ، أو في الموت و الاندثار [23].

و الإسلام ينظر إلى المجتمع الإنسانيّ كأنّه بناء و كائن حيّ . و قد جاء في القرآن الكريم و السّنّة النّبوية تصوير دقيق للمجتمع على أنّه شبيه بالكائن الحيّ و بالبناء ، من حيث خضوع كلّ من المشبّه و المشبّه به للسّنن [24]. قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ [25].

و قال الرّسول ﷺ :" **إنّ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا و شبّك بين أصابعه** " [26]، و قال أيضا :" **مثل المؤمنين في توادّهم و تراحمهم و تعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسّهر و الحمّى** "[27]. فالمجتمع الإنسانيّ في نظر الإسلام يشبه إلى حدّ كبير و بعيد البناء العمراني و الكائن الحيّ .

قال الأستاذ جودت سعيد [28]:" بأبي هو و أمّي ﷺ ، ما كان أحرصه على المؤمنين و أرأفه بهم حين كان يبدئ و يعيد ليُقرّ في الأذهان ، التّشابه بين المادة و الحياة و المجتمع ، من حيث خضوع كلّ منها للسّنن ، في السّنن الّتي تفسّر تماسك الجسم الصّلب ، و السّنن الّتي تُبقي الكائن الحيّ في الوضع السّليم ، و السّنن الّتي تحمي المجتمع من الانحلال . فيذكر

---

[23] – جودت سعيد ، حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ص 21 .

[24] – ن م ، ص ص 18 – 22 .

[25] – سورة الصف ، الآية 4 .

[26] – متفق عليه عن أبي موسى الأشعري ، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد و غيره ، رقم 459 . و مسلم في كتاب البر و الصلة و الآداب باب تراحم المؤمنين و تعاطفهم و تعاضدهم ، رقم 4684 .

[27] – متفق عليه عن النعمان بن بشير ، أخرجه مسلم و اللفظ له ، في كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب تراحم المؤمنين و تعاطفهم و تعاضدهم ، رقم 4685 . و أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب رحمة الناس و البهائم ، رقم 5552 .

[28] – مفكر إسلامي سوري معاصر ، و هو من تلاميذ مالك بن نبي ، يهتم بدراسة سنن الأنفس ، من مؤلفاته:" إقرأ و ربك الأكرم " " العمل قدرة و إرادة " ، "حتى يغيروا ما بأنفسهم ".

المثل المادّي و يقرن به المثل الاجتماعيّ ، ثمّ يذكر المثل العضوي فيشبه بـــه العلاقـــة الاجتماعيّة "[29].

ثمّ يقول :" إنّ معرفة السّنن الّتي تشدّ البنيان بعضه إلى بعض هي الّتي تمكّن من بناء يبقى على مرّ الزّمن ، إنّ مهندس البناء هو الّذي يعرف مقدار التّماسك لكـــلّ مـــادّة ، و طاقةِ تحمّلها ... فكما يمكن لمهندس البناء أن يعرف خطورة نوع التّداعي الّذي أصـــاب البناء و يمكن أن يعرف أسبابه ، و ما ينبغي أن يقوم به من إصلاح ، كذلك مهندس بنـــاء المجتمع ، إذا نظر إلى المجتمع فإنّه يعرف ما يتمتّع به المجتمع من تماسك و ما يطرأ عليه مـــن خلل ، و ما يتعرّض له إذا استمرّ إهماله من خطر السّقوط في أجل محـدود : ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [30]، هذه المقارنة إنّما تهدف لتقريـــب الموضوع و هذه طريقة القرآن الكريم و الحديث ، فإنّهما يذكران المثل المعروف عند النّاس ليقارنا لهم أنّ ما جهلوه شبيه بما عرفوا سنّته من حيث الخضوع للسّنن "[31].

و الإسلام إذ يشبّه المجتمع الإنسانيّ بالجسد الحيّ ، فإنّه يقصد من وراء ذلـــك أن يعي المسلمون ، و خاصّة المسؤولون عن الإصلاح مجموعة السّنن و الحقائق الّـــتي تحكـــم المجتمع ، فكما أنّ للجسد العضويّ بناء عامّا أو هيكلا يضمّ مجموعـــة مـــن الأعضـــاء ، فكذلك المجتمع ، و كما أنّ كلّ عضو له وظيفة معيّنة تتفاعل مع وظائف الأعضاء الأخرى من أجل إبقاء الجسم العضويّ حيّا ، فكذلك المجتمع فهو بناء يضمّ مجموعة من النّظـــم ، و لكلّ وظيفته المحدّدة ، و تتفاعل هذه النّظم مع بعضها من أجل إبقاء المجتمـــع أو البنـــاء الاجتماعيّ قائما و متماسكا [32].

و كما أنّ الجسم الحيّ يمرض إذا حدث خلل في وظيفة أي عضو ، و يمـــوت إذا كانت الإصابة قاتلة ، فكذلك الكائن الاجتماعيّ ، و كما أنّ للجسم الحيّ جهازه المناعيّ

---

[29] – حتى يغيروا ما بأنفسهم ، ص 23 ، 24 .

[30] – سورة يونس ، الآية 49 .

[31] – حتى يغيروا ما بأنفسهم ، 24 ، 25 .

[32] – السمالوطي نبيل توفيق ، المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع ، ص 283 .

و جهازه العصبيّ الّذي يرأس جميع الأجهزة ، و يقود و ينظّم وظائفها فكذلك المجتمع الإنسانيّ .

غير أنّه ينبغي التنبيّه إلى أنّ مماثل المجتمعات الإنسانيّة في تركيبها و خضوعها لنفس المنظومة السّننية لا يعني أنّها متشابهة إلى حدّ المطابقة ، لأنّ لكلّ مجتمع شخصيّته الخاصّة به و خصائصه الذّاتيّة الّتي تميّزه عن غيره من المجتمعات ، و هذا هو أساس اختلاف المجتمعات و الحضارات . و من هذا المنطلق استخلص العلماء أنّ المجتمعات البشريّة تتماثل فيما بينها في الهيكل العامّ للبناء ، و لكنّها تختلف في التّنظيم و الهندسة الدّاخلية لهذا البناء [33].

ثانيا – الوحدة الأساسية لجماعة المسلمين :

إنّ السّؤال الّذي نطرحه في هذا المقام هو :

ما هي أصلح وحدة أساسية للبناء الاجتماعيّ الإسلامي أو للجماعة المسلمة يمكن الانطلاق منها لإعادة بناء الأمّة من جديد [34].

1. هل هي الفرد أم الشّخص ؟
2. هل هي الفعل الاجتماعي ؟
3. هل هي العلاقة الاجتماعية ؟
4. هل هي الجماعات الاجتماعيّة ؟

إنّ الإجابة الدّقيقة على هذا السّؤال تتحدّد في ضوء :

- الخصائص الأساسية للجماعة المسلمة .
- الهدف المراد الوصول إليه من خلال هذه الوحدة .

أي أنّ أصلح وحدة للجماعة المسلمة يجب أن تتوفّر فيها نفس خصائص الجماعة ، و يجب أن تكون فعّالة في إعادة البناء باعتباره هدفا ، بمعنى أنّها تقتصد في الجهد و الزّمن .

---

[33] – بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ص 17 .

[34] – يعتبر موضوع الوحدة الأساسية للمجتمع من أهم المواضيع التي تدرس في مجال البناء الاجتماعي ، و لهذا فمن المفيد أن يهتم به المتخصصون في علم الاجتماع الإسلامي ، إذ هو من المنطلقات الأساسية للإصلاح .

و من هذا المنطلق فإنّه يبدو أنّ أصلح وِحدة تمثيليّة للبناء الاجتماعيّ الإسلامي ، هي جماعة صلاة الجمعة و ذلك للاعتبارات التّالية :

1. إنّها تحمل كلّ صفات و خصائص جماعة المسلمين . أمّا بقيّة الوحدات فهي تقتصر على بعض الخصائص فقط .

2. إنّ الرّابطة بين أعضائها رابطة عقائديّة فكريّة و هذا من شأنه أن يصبغها بالخاصّية الإنسانيّة ، أمّا غيرها من الرّوابط فهي إمّا روابط جسمانيّة كالأسرة ، أو ماديّة دنيويّة كجماعة العمل ، أو أنّها روابط ثانويّة بالنّسبة للعقيدة كالعلاقة الاقتصادية و السّياسيّة و غيرها [35] .

3. إنّ الرّابطة بين أعضاء جماعة صلاة الجمعة رابطة كاملة و عامّة و دائمة . فهي كاملة لأنّها أبقت ما عداها من الرّوابط روابط فرعيّة لها ، تعتبر صالحة ما لم تعد عليها بالانحلال . و هي عامّة لأنّها لكلّ النّاس دون تمييز بسبب قرابة أو جنس أو مواطنة أو منفعة عاجلة و خاصّة . و هي دائمة ليس مؤقّتة ، لأنّها متكرّرة على الدّوام ، و هذا شيء واقعيّ مشاهد و معيش .

من كلّ هذا نخلص إلى أنّ المنهج الّذي تسلكه الجمعة لبناء جماعة المسلمين يمكن أن يكون عبر الخطوات التّالية :

الخطوة الأولى – إدراج كلّ أفراد المجتمع في جماعات الجمعة :

إنّ المقصود من هذه الخطوة هو أن يسعى كلّ مسجد جامع من المساجد المنتشرة في العالم الإسلاميّ إلى تحقيق أقصى درجات التّأثير في محيطه الاجتماعي حتّى يتمكّن من جذب كلّ مسلم إلى رحابه ، و يكوّن جماعة اجتماعيّة صغيرة يشرف على شؤونها بما يخدم الأهداف الكبرى للمجتمع .

---

[35] – ابن عاشور ، أصول النظام الاجتماعي ، ص 119 ، 120 .

و تعتبر هذه الخطوة في غاية الأهمّية لتحقيق البناء الاجتماعي الإسلامي ، و ذلك لكونها الوسيلة المثلى و الفعّالة لإيجاد و تكوين الوحدات الأساسيّة الّتي يتكوّن من مجموعها البناء العامّ للمجتمع .

و لتحقيق هذه الخطوة يقتضي أن يكون لكلّ مسجد نوعان من الأنشطة :

النّشاط الخارجي : و هو أن يكون لكلّ مسجد خطّة علميّة مدروسة للاتّصال بمحيطه الخارجي سواء من الأفراد أو الأسر أو الجماعات ، و الهدف من هذا النّشاط هو لجذب المدعوّين لرحاب المسجد .

النّشاط الدّاخلي : و هو أن يكون لكلّ مسجد خطّة علميّة مدروسة لتكوين جماعة اجتماعيّة و يتمّ ذلك بـ :

- التّنشئة الاجتماعيّة للأفراد .
- تكوين العلاقات السّليمة بينهم .
- تعليمهم و تدريبهم على أخلاقيات الجماعة .

الخطوة الثّانية – تكوين و توثيق العلاقات بين جماعات الجمعة :

تعتبر هذه الخطوة أيضا في منتهى الأهمّية ، بل هي بالنّسبة للخطوة الأولى مقصد و غاية ، و الخطر كلّ الخطر في عدم العناية بها ، لأنّ إهمالها لا يمنع من تكوين البناء العامّ فقط ، بل يتسبّب في تكوين كيانات صغيرة في الأمّة تكرّس فرقتها و تضعف قوّتها .

لهذا فلا بدّ من سياسة رشيدة لربط كلّ المساجد ببعضها ربطا وظيفيّا ، أي أنّ تكوين و توثيق العلاقات بين جماعات الجمعة أو بين المساجد يجب أن يكون على أساس التّعاون المشترك في الوظائف المنوطة ببيوت الله .

... ذلك و إنّ الأسس الّتي يمكن أن تعتمد عليها هذه الخطوة يجب أن تكون من صميم المنهج الإسلامي في بناء جماعة المسلمين و يمكن الإشارة إليها من خلال النّقاط التّالية [36]:

---

[36] – محمد علوان ، مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع – الجماعة ، ص

1. الأساس العقدي : أي أنّ تكوين و توثيق العلاقات بين جماعات المساجد يجب أن يكون عماده هو العقيدة الإسلاميّة . ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [37] .

2. الأساس الأخلاقي : و يمكن تحديده في أصل واحد و هو الأخوّة في الله ، أي أنّ المسلمين لن يحقّقوا بناء مجتمعهم إلاّ إذا تمكّنوا من تجديد ميثاق الأخوّة بينهم . ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [38] .

3. الأساس المعياري : و نعني به أن يكون معيار التّفاضل بين جميع المسلمين هو" تقوى الله " و ليس أيّ معيار آخر . قال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[39]

---

[37] – سورة آل عمران ، الآية 103 .

[38] – سورة الحجرات ، الآية 10 .

[39] – سورة الحجرات ، الآية 13 .

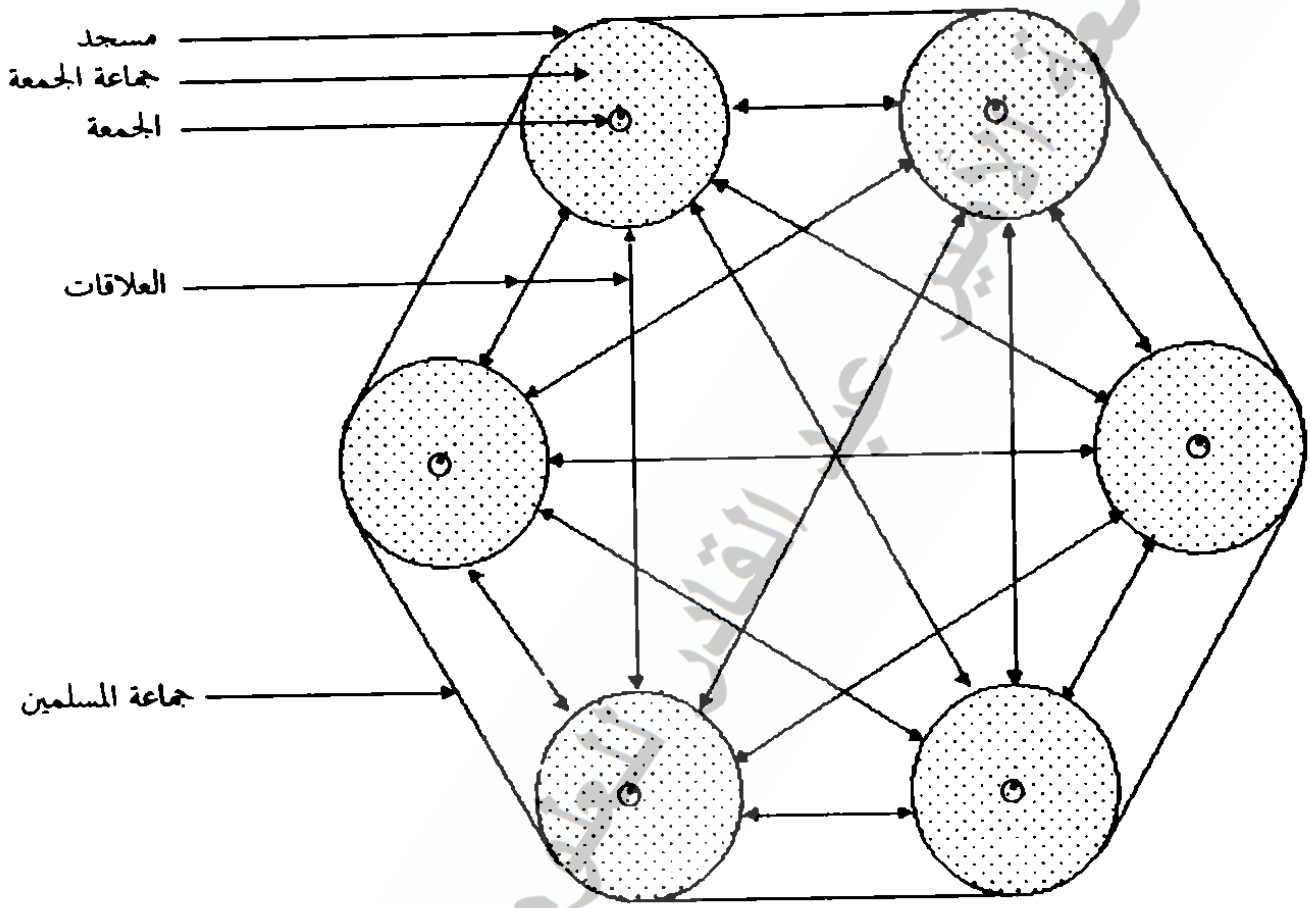

دور جماعات المساجد الجامعة في بناء جماعة المسلمين

الفصل الخامس

دور الجمعة في الوقاية والعلاج من الأمراض الاجتماعية

المبحث الأوّل : مفهوم الأمراض الاجتماعيّة و أهمية دراستها

المبحث الثّاني : منهج الجمعة في الوقاية و العلاج من الأمراض الاجتماعيّة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأوّل

مفهوم الأمراض الاجتماعيّة و أهمّية دراستها

أوّلا – المـــفهـــوم :

1 – مفهوم المرض الاجتماعي من منظور بعض المدارس الغربيّة :

يُعدّ المرض الاجتماعيّ من الظّواهر الاجتماعيّة الّتي اختلف في تفســـير مفهومـــها و تفسير أسبابها اختلافا كبيرا جدّا [1].

فبعض العلماء الفيزيولوجيين يفسّرونه على أنّه انحراف سببه اضطرابات عصبيّـــة تكوينيّة ذات أصل وراثيّ .

و ينظر إليه القانونيّون إليه على أنّه هو السّلوك الاجتماعيّ المنحرف و أنّه السّـلوك المتمرّد الخارج على القانون ، و الّذي يعود بضرر فعلي موضوعـــي علـــى الآخريـــن ، و يهتمّون بالدّوافع الاجتماعيّة لارتكاب الجرائم الاجتماعيّة و ما ينتـــج عـــن الأمـــراض الاجتماعيّة من جرائم . و يرون أنّ المنحرف لا بدّ أن ينال جزاء وفاقا عادلا رادعا .

و يفسّر الكثير من العلماء النّفسانيين المرض الاجتماعي على أنه إصابـــة تمـــسّ النّفس الإنسانيّة ، فمن هؤلاء من يربط بين السّلوك الاجتماعي المرضيّ ، و بين الذّهـــان (*Psychose*) ، و منهم من يربطه بالدّافع الجنسيّ و دافع العدوان .

و يرجع بعض علماء المدرسة السّلوكيّة السّلوك المنحرف إلى كونه نتيجة لســـوء التّنشئة الاجتماعيّة و التّطبيع الاجتماعي .

---

[1] – حامد زهران ، علم النفس الاجتماعي ، ص 379 .

و في نظر فئة من علماء علم النّفس الاجتماعيّ ، أنّ المرض الاجتماعيّ أو السّلوك الاجتماعيّ المنحرف ، هو ما كان مخالفا للمعايير و القيم الاجتماعية . و يعود سبب السّلوك المنحرف إلى البيئة النّفسيّة الاجتماعيّة ، و المشكلات الاجتماعيّة و اضطراب عمليّة التّنشئة و التّطبيع الاجتماعيين [2].

2 – مفهوم المرض الاجتماعي من وجهة نظر إسلامية :

تبيّن في الفصل السّابق أنّ المجتمع الإنسانيّ من المنظور الإسلامي يخضع للنّواميس و السّنن الإلهيّة في الأنفس ؛ و أنّ المجتمع يصحّ و يمرض ، و يقوى و يضعف ، و يتماسك و يتفكّك ، و يزدهر و يندثر ، و يُبنى و يُهدّم ، و يولد و يموت ، و أنّ المجتمع في كلّ ذلك يشبه الكائن الحيّ و البناء المادّي .

و من هذا المنطلق يتبين أنّ المرض الاجتماعيّ من الظّواهر الاجتماعيّة الّتي تعرّض لها الإسلام ، و فصّل فيها و دقّق و أبان .

فقد بيّن الرّسول ﷺ أنّ المجتمع يشبه الجسد الحيّ :" **ترى المؤمنين في تراحمهم و توادّهم و تعاطفهم كمثل الجسد ...** ". و كان وجه التّشبيه بينهما هو المرض و ذلك من خلال قوله ﷺ " **إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر الجسد بالسّهر و الحمّى** ".[3]

فهذا الحديث الشريف فيه الكثير من التوجيهات فكأن الرسول ﷺ يرشد إلى التخصص في علاج المرض الاجتماعي .

بل إن الرسول ﷺ يصرح بما لا شك فيه أن المجتمع الإنساني تصيبه الأمراض الاجتماعية ، فقد أخرج الترمذي عن الزبير رضي الله عنه[4] عن الرسول ﷺ أنه قال : " **دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد و البغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر و لكن تحلق**

---

[2] – ن م ، ص 379 ، 380 .

[3] – سبق تخريجه في الفصل السابق ، الحديثة رقم 27 .

[4] – هو أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي ، أمه صفية عمة الرسول ﷺ ، و أبوه أخ خديجة زوج الرسول ، أسلم و عمره 15 سنة و كان رابع الناس إسلاما ، هاجر إلى الحبشة ، قال فيه النبي ﷺ : لكل نبي حواري و حواري الزبير بن العوام ، و هو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، توفي عام 36هـ . (أسد الغابة) .

الدين"[5]. و قال ﷺ : " إنه سيصيب أمتي داء الأمم . قالوا و ما داء الأمم ؟ قال : الأشر و البطر و التكاثر و التنافس في الدنيا و التباغض و التحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج "[6].

من كل ما سبق يمكن أن نستخلص أن المرض الاجتماعي من منظور إسلامي يبدأ مع كل إثم يقترفه الإنسان البالغ العاقل المكلف ، سواء كان الإثم باطنا أم ظاهرا ، مصداقا لقول الله عز و جل : ﴿ وذروا ظاهر الإثم وباطنه ﴾ [7]، أي سره و علانيته [8]؛ أو إن المرض الاجتماعي هو ظهور كل منكر أنكرته شريعة الله عز و جل .

و لكن هل إن كل إثم أو ذنب أو منكر يعد مرضا اجتماعيا ؟

و الجواب هو :

إن الآثام و الذنوب و المنكرات تتفاوت في الدرجات ، فمنها الصغير و منها الكبير ، دل على ذلك صريح القرآن و السنة ، قال تعالى : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ﴾ [9]، و قال :﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم ﴾ [10]، و قال النبي ﷺ : " أكبر الكبائر الإشراك بالله و قتل النفس و عقوق الوالدين "[11] . و الذنوب منها الخاص و منها العام ، و منها الطارئ و منها الدائم ، و منها الفردي و منها الجماعي ، فعن أم سلمة رضي الله عنها[12] زوج النبي

---

[5] – جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب صفة القيامة و الرقائق و الورع رقم 2434 . و أخرجه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة ، رقم 1338 ، 1355 .

[6] – رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد ، و الطبراني في الأوسط و فيه أبو سعيد الغفاري لم يرو عنه غير حميد بن هانيء و بقية رجاله وثقوا من حديث أبي هريرة ، و قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء ج3 ص 234 إسناده جيد و رواه الحاكم في المستدرك و صححه و أقره الذهبي .

[7] – سورة الأنعام ، الآية 120 .

[8] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج3 ، ص 87

[9] – سورة النساء ، الآية 31 .

[10] – سورة النجم ، الآية 32 .

[11] – متفق عليه و اللفظ للبخاري أخرجه في كتاب الديات باب قول الله (ومن أحياها) ، عن أنس بن مالك ، رقم 6363 .

[12] –هي الصحابية الجليلة أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية أم المؤمنين ، زوج النبي ﷺ . روت عنه الكثير من الأحاديث ، توفيت بالمدينة المنورة عام 62 هـ .

ﷺ قالت يا رسول الله أنهلك و فينا الصالحون فقال رسول الله نعم إذا كثر الخبث" [13].

و إن هذا التفاوت في الدرجات يعني التفاوت في الآثار ، و ما دام المرض يوصف بالاجتماعي ، فمعنى ذلك أن أثره تعدى مجال الفرد إلى غيره ، و بلغة علم الاجتماع ، إنه مس العلاقات الاجتماعية ، و هو الأمر الذي نتبين منه إن كل ذنب أو إثم أو منكر تعدى أثره محيط فاعله ، فهو مرض اجتماعي ، و قد بين الرسول ﷺ أن الداء الذي سيصيب الأمة داء اجتماعي فقال :" داء الأمم " بالإضافة إلى أن المتأمل في ما ذكره الرسول ﷺ من أدواء كله متعد ، فالتحاسد و التباغض و التكاثر و التنافس في الدنيا و التباعد و الأشر و البطر كلها ذنوب اجتماعية .

لأجل هذا اعتبر الأستاذ مالك بن نبي أن المرض الاجتماعي هو المرض الذي يصيب العلاقات الاجتماعية . قال رحمه الله :" عندما يرتخي التوتر في خيوط الشبكة فتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة ، فذلك أمارة على أن المجتمع مريض و أنه ماض إلى نهايته ، أما إذا تفككت الشبكة نهائيا ، فذلك إيذان بهلاك المجتمع و حينئذ لا يبقى منه غير ذكرى مدفونة في كتب التاريخ "[14].

و يفسر بن نبي سبب هذا المرض بقوله :" ... فالعلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم فيصبح العمل الجماعي المشترك صعبا أو مستحيلا "[15].

من كل هذا يمكن تعريف المرض الاجتماعي بأنه الداء أو الخلل الذي يصيب كيان المجتمع فيؤثر على وظيفته الاجتماعية سواء كان :

- على مستوى الأفراد ، و ذلك بظهور انحرافات في سلوكهم .
- على مستوى العلاقات الاجتماعية ، و ذلك بارتخائها و عجزها .

---

[13] - أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب الجامع ، باب في عذاب العامة بعمل الخاصة ، و أخرج الشيخان مثله ، البخاري في كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ ويل للعرب من شر قد اقترب ، رقم 6535 .

[14] - ميلاد مجتمع ، ص 42 .

[15] - ن م ، ص 43 .

ثانـــيا – أهمية دراسة الأمراض الاجتماعية :

تعتبر دراسة الأمراض الاجتماعية و التخصص فيها بإنشاء الهيئات و المؤسســـات و تأهيل الكفاءات من أوجب الواجبات الملقاة على عاتق المجتمع الإســـلامي ، و ذلـــك لأنها تشكل أخطارا جسيمة على كيان المجتمع و على جميع نظمه و مؤسساته . و يمكـــن إبراز أربعة مجالات صالحة للدراسة و هي :

1. أخطار الأمراض الاجتماعية على الدين :

لقد بين الرسول ﷺ أن داء الأمم أو المرض الاجتماعي الذي يصيـــب الأمـــة في منتهى الخطورة ، لأنه يقضي على الدين نفسه فقال :" **أما إنني لا أقول إنها الحالقة للشعر ، و إنما هي الحالقة للدين** "[16].

2. أخطار الأمراض الاجتماعية على الأشخاص .
3. أخطار الأمراض الاجتماعية على الأفكار .
4. أخطار الأمراض الاجتماعية على الأشياء .

و قد نبه القرآن الكريم و السنة النبوية كثيرا إلى أهمية التفقه في سنن الله الكونية في بقاء الأمم و هلاكها . فالقصص القرآني – الذي يعتبر أحد المحاور الكبرى في القرآن ، قـد أخذ مساحة كبيرة منه و كله يهدف إلى التنبيه إلى اكتشاف القوانين و السنن التي تحكـــم المجتمعات .

و كذلك الشأن بالنسبة لقطاع كبير من السنة الذي اصطلـــح علـــى تســـميته : " أحاديث الفتن " فهي إنما وردت لتكون مجالا لدراسة الأخطار التي تتـــهدد المجتمـــع ، لا لتكون أقدارا حتمية تزلزل كيان الأمة أو تزيلها من الوجود كما يعتقد البعض.

---

[16] – سبق تخريجه في هذا الفصل .

و من المناسب في هذا المقام نقل كلام لأحد الأفذاذ من المفسرين في هذا القـــرن عن أهمية دراسة السنن الاجتماعية ، و هو العلامة الشيخ محمد رشيد رضا [17]، قال رحمـه الله : " لم يقصر المصنفون من المتقدمين و المتأخرين في شيء من علم الكتاب و السنة كمـا قصروا في بيان ما هدى إليه القرآن و الحديث من سنن الله تعالى في الأمم . و الجمع بـين النصوص التي وردت في ذلك ، و الحث على الاعتبار بها ! و لو عنوا بذلك بعض عنايتهم بفروع الأحكام و قواعد الكلام لأفادوا الأمة بما يحفظ دينها و دنياها ، و هو ما لا يغـني فيه التوسع في مسائل النجاسة و الطهارة ، و السلم و الإجارة ، فإن العلم بسـنن الله في عباده لا يعلوه إلا العلـم بالله تعالى و صفاته و أفعاله . بل هو منـه ، أو مـن طرقـه و وسائله [18].

و في هذا الشأن قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في بيان القدر المحمـود مـن العلوم المطلوبة : " أما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بـالله تعـالى و بصفاته و أفعاله و سننه في خلقه و حكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا ، إن هذا العلـم مطلوب لذاته" [19]، ثم إنه فضل أهل هذا العلم على جميع العلماء من متكلمين و فقـهاء ، و بين أن هذا العلم هو الذي امتاز به عظماء الصحابة ﷺ و أنه الذي عناه ابن مسعود لمـا قال في موت عمر بن الخطاب : مات تسعة أعشار العلم [20].

قال الشيخ محمد الغزالي معلقا على كلام أبي حامد :" كان عمر ﷺ أبصر النـاس بطبائع الشعوب و أسباب ازدهارها و اندثارها و كيف تبنى الدول و تصـان و تنتصـر و تؤدي رسالتها .. و سياسته في المال و الحكم أمارة عميق بالإسلام و غاياته" [21].

---

[17] – هو الشيخ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن منلا القلموني البغدادي الأصل ، الحسيني النسب ، ولد عام 1282هـ/ 1865 م ؛ وهو عالم في الحديث و التفسير و الأدب و التاريخ و من كبار الدعاة و التجديد و الإصلاح في العالم الإسلامي ؛ وهو صاحب مجلة المنار ولد بقلمون بالشام و تعلم فيها وفي بيروت ، و رحل إلى مصر سنة 1897 هـ لازم الشيخ محمد عبد ، و تتلمذ له ، رحل إلى الحجاز و الهند و أوروبا ، توفي عام1935 هـ بالقاهرة . (الأعلام للزركلي) .

[18] – محمد الغزالي ، سر تأخر العرب و المسلمين ، (قسنطينة : دار البعث ، 1406هـ/ 1986م) ، ص 33 .

[19] – إحياء علوم الدين ، 4ج ، (بيروت : دار المعرفة) ، ج1 ، ص20 .

[20] – محمد الغزالي ، م س ، ص 33 .

[21] – ن م ، ص 33 ، 34 .

المبحث الثاني

منهج الجمعة في الوقاية و العلاج من الأمراض الاجتماعيّة

أوّلا – منهج الجمعة في الوقاية من الأمراض الاجتماعيّة :

إنّ من أخصّ خصائص الإسلام أنّه منهاج وقائيّ شامل ، فهو وقاية من كلّ مفسدة في الدّنيا و الآخرة ، ففي الدّنيا يعتبر التّمسّك بتعاليمه وقاية من الحياة الضّنك . قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [22]، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ... ﴾[23]. وفي الآخرة يكون مصير من اتّقى هو الدّخول إلى الجنّة و النّجاة من النّار و نيل رضوان الله . قال تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ [24]، ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[25].

و مما هو جدير بالتأمل أن لفظة التقوى – التي تعتبر الوقاية من مشتقاتها – قد وردت بمختلف اشتقاقاتها حوالي 258 مرة في 61 سورة من القرآن المكي و المدني .

و يعتبر المنهج الوقائي في الإسلام منهج شامل لجميع أحكام الشريعة ، سواء كان في العقيدة أو الأخلاق أو العبادات أو المعاملات ، و سواء كان في الكليات أو الجزئيات ، و هو باب من أبواب الشريعة عظيم ، و تكمن عظمته و تتجلى من خلال كونه

---

[22] – سورة الأعراف ، الآية 96 .

[23] – سورة طه ، الآية 124 .

[24] – سورة الليل ، الآية 17 .

[25] – سورة النور ، الآية 52 .

هو الأصل الّذي استنبط منه العلماء أحد الأدلّة العظيمة و هو سـدّ الذّرائـع [26]. فسـدّ الذّريعة الّذي يعني منع ما يكون وسيلة للممنوع شرعا ، يعتبر وسيلة وقائيّـة تمنـع مـن ارتكاب المحظور [27].

فهذا المنهج هو الّذي تسلكه الجمعة للوقاية من الأمـراض الاجتماعيّـة واضعـة في الحسبان أنّ الوقاية خير من العلاج ، و أنّها تغني عنه ، و يمكن أن يكون ذلـك مـن خلال الوسائل التّربويّة التّالية :

1 – الحثّ على تقوى الله :

إنّ تقوى الله هي أن يجعل الإنسان بينه و بين عذاب الله وقاية ، أو "هـي حفـظ النّفس عمّا يشينها و يعرّضها للملام و العذاب ، و ذلك بترك أسباب السّخط و العقوبـة و فعل الفرائض المنجية المؤدّية إلى النّعيم و الثّواب"[28].

لهذا قال الأستاذ مصطفى صادق الرّافعيّ [29] ": إنّ التّقـوى هـي الأصـل الأوّل لأخلاق الإسلام الفرديّة و الاجتماعيّة ، الّـتي أمضاها و أعلنها و رفع شأنها و جعلها مـن العزائم المفروضة و الفضائل الواجبة " [30].

---

[26] – قال ابن القيم في إعلام الموقعين : "باب سدّ الذّرائع أحد أرباع التّكليف ، فإنّه أمر و نهي ، و الأمر نوعان : أحدهمـا مقصـود لنفسه ، و الثّـاني وسيلة إلى المقصود . و النّهي نوعان : أحدهما ما يكون المنهيّ عنه مفسدة في نفسه ، و الثّـاني ما يكون وسـيلة إلى المفسدة ، فصار سدّ الذّرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدّين ". انظر ج3 ، ص120 ،121 ، 4ج (مصر : إدارة الطباعة) .

[27] – شلبي محمد مصطفى ، أصول الفقه الإسلامي ، 2ج ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار النهضة العربية ، 1398هـ/1978م) ، ج1 ، ص 300 .

[28] – الشرباصي أحمد ، موسوعة أخلاق القرآن ، 6ج ، الطبعة الثانية ، (بيروت : دار الرائـد العـربي ، 1405هـ/ 1985م) ، ج1 ، ص 202 .

[29] – هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ، ولد عام 1297هـ/1880م في بهتيـم بالقليوبيـة (مصر) ، و هو من عائلة لبنانية الأصل ، نشأ على الدين و العلم ، كان عالما بالأدب وهو من أئمة اللغة والبيان الرفيـع في النهضـة الأدبية الحديثة ، كان عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق ، له مؤلفات و دواوين أشعار منها " من وحيـي القلـم " ، تـوفي عـام 1937م.(معجم المفسرين لنويهض)

[30] – إعجاز القرآن و البلاغة النبوية (بيروت : دار الكتاب العربي) ، ص100، 101 .

و لما كان المرض الاجتماعي في أصله نابع من سيئة اجترحت أو منكر ارتكب ، و لما كانت تقوى الله هي المانعة من السيئات و المناكر ، فإن هذا يثبت لنا أن خير ما تواجه به الأمراض الاجتماعية هي تقوى الله .

فالتقوى كما قال الرافعي :" فضيلة أراد بها القرآن الكريم إحكام ما بين الإنسان و الخلق ، و إحكام ما بين الإنسان و خالقه ، و لذلك تدور هذه الكلمة و مشتقاتها في أكثر آياته القرآنية و الاجتماعية و المراد بها أن ينفي الإنسان كل ما فيه ضرر لنفسه أو ضرر لغيره[31]. و الأمة التي تكون لأفرادها فضيلة التقوى تكون لها من هذه الفضيلة صفات اجتماعية مختلفة ، يؤدي مجموعها إلى صفة تاريخية واحدة و هي أنها خير أمة "[32].

2- الحث على الاعتبار و الاتعاظ بالغير:

و من الوسائل الوقائية الناجعة من الأمراض الاجتماعية الاعتبار و الاتعاظ بالغير . "سو العبرة كالموعظة مما يتعظ به الإنسان و يعمل به و يعتبر ليستدل به على غيره"[33]. و هي عملية وقائية لأن العاقل يتوصل بها من معرفة المشاهد الواقع إلى ما ليس بمشاهد ممكن الوقوع . و قد استعمل القرآن الكريم هذه الوسيلة كثيرا . و إن من أكبر مقاصد إيراد القصص الاتعاظ و الاعتبار ، قال تعالى : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾[34].و قال عز وجل عقب إجلاء بني النظير:﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ [35]، أي" انظروا إلى من فعل ما فعل ، فجوزي بما جوزي به ، فتجنبوا صنيع الأشرار من السابقين لئلا يترل بكم مثل ما نزل بأولئك" [36].

---

[31] - الرافعي ، م س ، ص 30 .

[32] - الشرباصي أحمد ، م س ، ج1 ، ص 203 ، 204 .

[33] - ن م ، ص 130 .

[34] - سورة يوسف ، الآية 111 .

[35] - سورة الحشر ، الآية 2 .

[36] - الشرباصي ، ن م ، ص 130 .

و الاعتبار فيه معنى التأمل و التدبر و التفكر ، مما يربي في نفس المعتبر فضيلة التأثر بالعظة و الاستجابة للنصيحة و التقبل للتوجيه و الإفادة من سابق التجارب [37]؛ و يتطلب ذلك معرفة السنن الاجتماعية و دراسة التاريخ ، و هو المعنى الذي أشار إليه قوله تعالى : ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾[38] ، و قوله تعالى : ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ...﴾ [39].

3- الحث على التفكر أو إعمال النظر :

للتفكير علاقة كبيرة بالاعتبار و الاتعاظ و ، ذلك من حيث أنه هو الوسيلة لهما ، فالإنسان لا يمكن أن يعتبر أو أن يتعظ ، إلا إذا أعمل فكره ، لهذا حث القرآن عليه كثيرا.

و هو وسيلة وقائية فعالة جدا من الوقوع في الأمراض الاجتماعية و في مهاويها ، لذلك نجد المفسرين يتعرضون لمعنى قوله تعالى:﴿ كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴾[40] ، فيقولون : أي لكي تتفكروا في أمر الدنيا و أمر الآخرة ، فتتجنبوا ما يجلب عليكم البلاء و الشقاء فيهما ، و تعتصموا بما هو لائق بالمؤمنين من الأخلاق و المكارم ، و تستنبطوا الأحكام و تفهموا المصالح و المنافع المنوطة بها فتأخذوا بالأصلح و تبعدوا عما يضركم أكثر مما ينفعكم "[41].

و قد ربط القرآن الكريم بين التفكر و الوقاية فقال الله عز و جل: ﴿ إن في خلق السماوات و الأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما و قعودا

---

[37] - ن م ، ص 131 .

[38] - سورة الروم ، الآية 42 .

[39] - سورة يوسف ، الآية 109 .

[40] - سورة البقرة ، الآية 219 .

[41] - الشرباصي أحمد ، م س ، ج1 ، ص226 .

وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ [42].

و لقد تتبع العلماء المواضع التي جاء فيها ذكر التفكر في القرآن ، فوجدوا أنه غالبا ما يكون بعد الحديث عن أمر أو مشهد يثير في النفس معنى من معاني الإعجاب بالخير و الفضيلة و الميل إليها ، أو معنى من معاني النفور من الشر و الرذيلة و الضيق بهما .

و هكذا فإن ثمرة التفكر ثمرة يانعة ممتعة ، نامية سامية ، فمن وراء التفكر يكون التعقل و الارتداع عن كل ما يقبح و يسوء ، و الإقبال على كل ما هو جميل و مقبول "[43].

---

[42] - سورة آل عمران ، الآية 190 ، 191 .

[43] - الشرباصي ن س ، ص 229 .

ثانيـــا – منهج الجمعة في العلاج من الأمراض الاجتماعية :

إن الإسلام كما أنه منهج وقائي شامل فهو منهج علاجي شامل أيضا ، و كما أنه شرع للوقاية أحكاما كثيرة ، فكذلك شرع للعلاج أحكاما كثيرة أيضا ، و ليس ذلـــك غريبا عنه و لا عجيبا منه ، فهو منهج الله الذي قال عنـــه : ﴿ مـــا فرطنا في الكتاب من شيء ﴾[44] ، و منه يمكن إبراز الوسائل الـــتي تتوسل بها الجمعـــة إلى عـــلاج الأمـــراض الاجتماعية كما يلي :

1 – علاج المرض الاجتماعي بالحث على التوبة :

إن أسرع المعاني المتبادرة إلى الأذهان عن التوبة هي العودة و الرجوع ، و هـــذان لا يكونان حقيقة إلا بعد الذهاب و الرواح . و منه يكون معنى التوبة إلى الله هو الرجـــوع إليه بعد الذهاب عنه[45] ، و الرجوع إلى الله يكون بالرجوع إلى طاعته بعد الذهـــاب إلى معصيته ، إذن فالأصل في التوبة أنها علاج من مرض المعصية الذي هو أصل الأمـــراض الاجتماعية .

و التوبة إلى الله " فرض على جميع المذنبين و العاصين ، صغر الذنـــب أو كـــبر ، و ليس لأحد عذر في ترك التوبة بعد ارتكاب المعصية ، لأن المعاصي كلها قد توعـــد الله عليها أهلها ، و لا يسقط عنهم الوعيد إلا بالتوبة و هذا ما يبين أن التوبة فرض" [46].

و لأهمية التوبة في علاج الذنوب و المعاصي الفردية و الجماعية ، أكثر القرآن مـــن التنويه بها و الحث عليها ، فقد ورد ذكرها في كتاب الله 87 مرة ، كلها بمعنى إصلاح مـــا فسد ، و بناء ما تهدم .

---

[44] – سورة الأنعام ، الآية 38 .

[45] – الشرباصي أحمد ، م س ، ج2 ، ص 53 .

[46] – ن م ، ص 59 .

2 – علاج المرض الاجتماعي بالحث على التـــناصح :

إن حث المذنبين و العصاة المتسببين في الأمراض الاجتماعية علـــى التوبـــة إلى الله و الإنابة إليه عن طريق خطبة الجمعة ، لا يكفي لوحده للقضاء على الأدواء و الأســـقام الاجتماعية ، لأن خطبة الجمعة اليوم لا تخاطب من هؤلاء إلا النفر القليل ؛ لهذا فإن علـى القائمين على أمر التغيير و الإصلاح ، وخاصة خطباء المساجد ، أن يوجـــهوا خطـــابهم الإصلاحي لكل الناس ، وبكل الوسائل المناسبة لذلك ، و لا سيما أن الحضارة الحديثـــة اليوم أتاحت للإنسان وسائل جد متطورة في عالم الاتصال .

و لتحقيق هذا الهدف و هذه الغاية ، يجب على الخطباء اليوم أن يذكروا في كـــل خطبة جمعة جماهير المصلين بتبليغ الخطاب لغيرهم ، اقتداء بالرسول ﷺ و امتثالا لأمـــره : " **ليبلغ الشاهد منكم الغائب** "[47] ، و قوله :" **بلغوا عنـــي ولـــو آيـــة** "[48] ، وتذكـــيرهم بالتـــناصح الدائم فيما بينهم ، لأنه من أعظم وسائل علاج الأمراض الاجتماعية .

و التـــناصح بين المسلمين خلق عظيم من أخلاق الإسلام و أخـــلاق القـــرآن ، و جانب مهم من هدي الرسول ﷺ ، فالمؤمن من شأنه أن يحب الخير لنفســـه و أمتـــه ، و تجده دائما فيه نزعة الخير الـــتي تدفعه إلى التوجيه و النصـــح لكـــي ينصلـــح حـــال المجتمع [49].

و خلق التناصح كما ينفع في الوقاية فهو نافع أيضا في العلاج ،لهذا فلكي تقـــوم الجمعة بوظيفتها العلاجية للأمراض الاجتماعية ، عليها أن تحث دائما على فضيلة التناصح فيما بين المسلمين .

---

[47] – سبق تخريجه

[48] – سبق تخريجه

[49] – الشرباصي أحمد ، م س ، ج5 ، ص 130 .

3 – علاج المرض الاجتماعي بالحث على النهي على المنكر :

يعتبر النهي عن المنكر من أهم الفضائل التي أمر بها الله عز وجل ، و هي إحدى الصفات الأساسية للأمة المؤمنة المفلحة ، قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾[50] .

و على الرغم من أن هذه الفضيلة غالبا ما تذكر مع فضيلة أخرى و هي الأمر بالمعروف ، و على الرغم من كونهما كثيرا ما تتطابقان في المعنى ، إلا أن لكل واحد منهما خصوصيات تختص بها دون الأخرى ، و لهذا جاءت البعض من الآيات مقتصرة عليها ، قال تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود و عيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾[51] .

فمن خصوصيات النهي عن المنكر أنه أمر بالكف عن كل قبيح باطل مؤد إلى السوء أي أنه وسيلة علاجية ، و من خصوصيات الأمر بالمعروف أنه أمر بفعل أمر حسن مؤد إلى الخير أي أنه وسيلة وقائية . لهذا غالبا ما يقدم الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر لأن الوقاية أسبق من العلاج .

---

[50] – سورة آل عمران ، الآية 104 .

[51] – سورة المائدة ، الآية 78 ، 79 .

البَابُ الرَّابِعُ

عوائــق الرسالــة الإِعْلامِيَةُ والاجتماعية للجُــمُعَةِ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

إضاعة الصلاة في المجتمع الإسلامي

المبحث الأول : إضاعة الصّلاة - المفهوم و الأسباب -

المبحث الثاني: آثار إضاعة الصّلاة على المجتمع الإسلاميّ و على رسالة الجمعة

المبحث الثالث: مواجهة إضاعة الصّلاة و دور الجمعة في ذلك

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

إضاعة الصّلاة : مفهومها و أسبابها

أوّلا – مفهوم إضاعة الصّلاة في القرآن الكريم و السّنة :

إن المتتبّع الفاحص لنصوص القرآن الكريم و السّنة النّبوية الشّريفة الخاصّة بالصلاة يجد أن إضاعتها قد قصد بها معاني عدّة نجملها فيما يلي :

1 – الإضاعة الكليّة المطلقة أو التامّة :

و هي ترك الصّلاة جملة و تفصيلا ، بغضّ النّظر عن كون التّارك لها كافر مصرّح بكفره وجاحد لها ، أم أنّه يدّعي الإيمان ، و بغضّ النّظر عن أسباب التّرك . و قد ورد في هذا النّوع الكثير من الآيات والأحاديث و هذه نماذج منها: قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾[1] ، و قال : ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[2] ، و قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ... ﴾[3] .

---

[1] – سورة المدثر ، الآية 39 – 43 .

[2] – سورة المائدة ، الآية 58 .

[3] – سورة مريم ، الآية 59 .

و قال النّبي ﷺ :" العهد الّذي بيننا و بينهم الصّلاة ، فمن تركها فقد كفر "[4]، و قال : " إنّ بين الرّجل و بين الشّرك و الكفر ترك الصّلاة "[5]، و قال ﷺ : " لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالنّاس ثمّ أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم ".[6]

و يدخل ضمن هذا النّوع من الإضاعة صلاة المنافقين و المرائين ، الّتي و إن عُدّت ظاهرا من الصّلاة إلاّ أنّ الشّارع الحكيم اعتبرها إضاعة . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[7]، و قال: ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى ﴾[8]، و توعّدهم بالويل فقال : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾[9].

و يلحق بهؤلاء قوم يؤدون الصلاة حينا من الدهر و يتركونها حينا آخر ، و آخرون لا يؤدونها إلا أيام الجمع أو في رمضان أو في الأعياد أو عند الحج أو ...

---

[4] – أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في ترك الصلاة عن بريدة عن أبيه و عن ابن عباس و أنس ، و قال هذا حديث حسن صحيح غريب ، رقم 2545 . و أخرجه النسائي و ابن ماجة و أحمد .

[5] – أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، عن جابر ، رقم 116 . و الترمذي و أبو داود وابن ماجة و أحمد و الدارمي .

[6] – أخرجه مسلم عن ابن مسعود في كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة و بيان التشديد في التخلف عنها ، رقم 1043 . و أخرجه أحمد في مسند المكثرين .

[7] – سورة النساء ، الآية 142 .

[8] – سورة التوبة ، الآية 54 .

[9] – سورة الماعون ، الآية 4 – 7 .

2 – الإضاعة الجزئيّة :

و هي التّفريط في شيء من الصّلاة سواء كان عائدا عليها بالبطلان أو عائدا عليها بالنّقصان . و بيان ذلك كالآتي :

أ) إضاعة العلم بأركانها :

و يدخل في هذا النّوع ، الجهل بشرط من شروطها ، أو بفرض من فرائضها ، أو بركن من أركانها ، أو الجهل بناقض من نواقضها ، أو بكلّ ما يعود عليها بالبطلان ، فالصّلاة كغيرها من الأعمال الشّرعيّة فيها شطر متعلّق بالإخلاص وشطر متعلّق بالصّواب ، و لا تقبل حتّى تستوفي الشّطرين معا ؛ لهذا فإنّ إضاعة العلم بالأركان يمكن عدّه من الصنف الأول للإضاعة ، أي الإضاعة التّامّة ، لأنّه و إن لم يأخذ صورتها ، فقد أخذ حكمها ، وفي السّنة النّبويّة الشّريفة بيّنات كثيرة على هذا النّوع ، و أشهر مثال على ذلك حديث المسيء صلاته [10].

ب) إضاعة إقامتها :

قال اللّغويّون : الإقامة مصدر أقام الذي هو معدّى قام ، عدّي إليه بالهمزة الدّالة على الجَعْل ، و الإقامة جعلها قائمة ، و أصل القيّام هو الانتصاب المضادّ للجلوس و الاضطجاع ، و إنّما يقوم القائم لقصد عمل صعب (أو ذو أهمّية) لا يتأتّى من قعود [11]. و الله عزّ وجلّ لم يستعمل في كتابه في الأمر بالصّلاة تعبير: صلّوا أو أدّوا الصّلاة ، بل استعمل تعبير أقيموا الصّلاة و حرص عليه ، حتّى أصبح الصّيغة الرّسميّة للصّلاة كلّما أمر بها ... و معنى الأمر بإقامة الصّلاة ، تكليف النّاس أن يقيموا لهذه الفريضة وجودا اجتماعيّا بحيث يكون أداؤها و الاهتمام بشؤونها ظاهرة واضحة من ظواهر مجتمعهم [12]. لهذا قال الشيخ ابن عاشور : "... فإقامة الصّلاة استعارة تبعيّة

---

[10] – متفق عليه عن أبي هريرة ، أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام و المأموم ، رقم 715 . و مسلم في كتاب الصلاة باب وجوب القراءة للإمام و المأموم ، رقم 602 . و أخرجه الترمذي و النسائي و أبو داود و ابن ماجة و أحمد .

[11] – ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج1 ، ص231 .

[12] – كوراني محمد علي ، فلسفة الصلاة ، ص 129 .

شبهت المواظبة على الصلوات و العناية بها بجعل الشيء قائما ، و أحسب أن تعليق هـــذا الفعل بالصلاة من مصطلحات القرآن و قد جاء به القرآن في أوائل نزوله إذ ورد في سورة المزمل: ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ [13]، و هي ثالثة السور نزولا "[14].

و المتتبع للنصوص القرآنية و الحديـــثية التي وردت في إقام الصلاة يجد أنها في ذاتها مراتب ، أدناها إقامة الفذ لها ، و أعلاها إقامتها في مسجد الجماعة ، و إلى هـــذا أشـــار الرسول ﷺ بقوله :" صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع و عشرين درجة "[15]

و قد ذكر ابن حجر العسقلاني [16] في بحث قيم له ، الأسباب التي ارتفعت بها صلاة الجماعة من درجة إلى سبع و عشرين ، و عدد سبعا و عشرين خصلة ، ورد في كل منـــها أمر و ترغيب يخصها ، و يبدو أن كل خصلة من تلك الخصال تدخل في إقـــام الصـــلاة و إتمامها [17]، و شاهده قوله ﷺ :" سووا صفوفكم فإن تسـوية الصفـوف مـن إقامـة الـصـلاة "[18]

و انطلاقا من هذا البيان ، فإن إضاعة إقامة الصلاة يكون إما بإضاعة كل ما يندرج في معنى الإقامة أو بإضاعة بعضه .

---

[13] – الآية 20 .

[14] – التحرير و التنوير ، ج1 ، ص231 .

[15] – متفق عليه عن ابن عمر ، أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب فضل صلاة الجماعة ، رقم 609 . و مسلم كتـــاب المســـاجد و مواضع الصلاة باب فضل صلاة الجماعة و بيان التشديد في التخلف عنها ، رقم 1038 . و أخرجه مالك و الترمذي و غيرهم .

[16] – هو أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد و ابن حجر نسبة إلى قوم يسكنون أرض قابس (تونس) ولد بمصـــر ســـنة 773هـــ/ 1373م ، ونشأ ، كان شافعي المذهب ، حفظ القرآن صغيرا ، و طلب العلم حتى وصل مشيخة الإسلام ، أخذ عن الحافظ العراقي و البلقيني و العز بن جماعة ، له مصنفات كثيرة ، منها : " فتح الباري " شرح صحيح البخاري "، " قضاة مصر "، " الإتقان في فضـــائل القرآن " ، توفي عام 852هـــ/1449م . معجم المطبوعات العربية ليوسف سركيس) .

[17] – ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، 28ج، مراجعة و ضبط : طه عبد الرؤوف ســـعد و آخـــرون ، (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، 1398هـــ/1978م) ، ج4 ، ص 12 .

[18] – متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب إقامة الصف من تمام الصلاة ، رقم 681 . و مسلم في كتاب الصلاة بـــاب تسوية الصفوف و إقامتها ، رقم 656 . كلاهما عن أنس .

ج) إضاعة أدائها في جماعة :

على الرغم من أن أداء الصلاة في جماعة متفرع عن إقامتها ، إلا أن إفرادها بالبيان حد ضروري ، لأنها أظهر مظاهرها ، بل الصلاة في جماعة هي روح و جوهر إقامتها ، و لأنها هي الوسيلة لإظهار شعيرة الصلاة ، و لهذا جاءت تحذيرات نبوية كثيرة تحذر من التخلف عن الجماعة ، قال الرسول ﷺ :" **و الذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم و الذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقا سمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء** "[19]. و الأحاديث في هذا الشأن كثيرة .

و قال ابن مسعود رضي الله عنه:" **من سره أن يلقى الله تعالى غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى ، و إنهن من سنن الهدى ، و لو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ﷺ ، و لو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، و ما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، و يرفعه بها درجة ، و يحط عنه بها سيئة ، و لقد رأيتنا و ما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، و لقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف** "[20].

و مما ينضوي تحت إضاعة أداء الصلاة في جماعة حرمان النساء من بيوت الله عز و جل ، على الرغم مما جاء في ذلك من التحذيرات ، النبوية مثل قوله ﷺ :" **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله** "[21].و قال أيضا :" **ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد** ".[22] و عن ابن عمر رضي الله عنه قال ، **كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح و العشاء في الجماعة في المسجد**

---

[19] – متفق عليه ، و اللفظ للبخاري أخرجه في كتاب الأذان باب وجوب صلاة الجماعة عن أبي هريرة ، رقم 608 . و مسلم في كتاب المساجد و مواضع الصلاة باب فضل صلاة الجماعة ، رقم 1040و 1043 .

[20] – أخرجه مسلم في كتاب المساجد و مواضع الصلاة ، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى عن عبد الله بن المبارك عن علي بن الأقمر عن أبي الأحوص عن ابن مسعود ، رقم 1046 و النسائي و ابو داود و ابن ماجة و أحمد .

[21] – أخرجه الجماعة ، البخاري في كتاب الصلاة باب خروج النساء إلى المساجد رقم 668 .

[22] – متفق عليه ، البخاري في كتب الجمعة باب هل على من يشهد الجمعة غسل رقم 848 . و مسلم في كتاب الصلاة باب خروج النساء إلى المساجد ، رقم 671 .

فقيل لها لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك و يغار قالته و ما يمنعه أن يعطيني قال يمنعه قول رسول الله ﷺ :" لا تمنعوا إماء الله مساجد الله "[23].

د) إضاعة مقاصدها التي شرعت لأجلها :

و من أخطر أنواع إضاعة الصلاة إضاعة مقاصدها التي شرعت لأجلها و أهدافها التي نصبت لتحقيقها و غاياتها التي وضعت لتحصيلها ، فالصلاة كما أبان عن ذلك العلماء المحققون يكاد تشريعها أن يكون لحفظ جميع مقاصد الشريعة ، سواء بأسلوب مباشر أو غير مباشر . فبالنسبة لحفظها للدين فالقرآن الكريم يقرر أنها مصداق الإيمان و أثره الأول ،" فهي لذلك الصفة اللازمة للمؤمنين ، إذ لا يرد فيهم بيان يصف أحوالهم و أعمالهم ، إلا و للصلاة فيه ذكر ، بل الغالب أن يكون مكان الصدر "[24].

و أما حفظ الصلاة لبقية مقاصد الشريعة فيجليه أن القرآن الكريم و السنة المطهرة يبينان أن الصلاة تحيط بالأعمال الصالحة كلها و تكاد تحتويها جميعا بوجه ما و تمثلها في صورة مصغرة [25]، فهي تقوم الأخلاق ، قال العزيز الحكيم :﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [26] ؛ و هي تريح النفوس و الأرواح ، قال تعالى: ﴿ إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا و إذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ﴾ [27]، و قال النبي ﷺ " يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها " [28]؛ و هي من حيث كونها استغفار تجلب الرزق و تباركه ، قال تعالى : ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا و يمددكم بأموال و بنين و يجعل لكم جنات و يجعل لكم أنهارا ﴾ [29]، و تقوم

---

[23] – أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل ، رقم 849 .

[24] – الترابي حسن عبد الله ، الصلاة عماد الدين ، الطبعة الرابعة . (الكويت : دار القلم 1403هـ/ 1983) ، ص23 .

[25] – ن م ، ص 23 .

[26] – سورة العنكبوت ، الآية 45 .

[27] – سورة المعارج ، الآية 19-23 .

[28] – أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب باب في صلاة العتمة رقم 4333 . و أحمد في مسند باقي الأنصار ، رقم 22009 ، و 22072 . ورجاله ثقات ، إلا أنه لم يذكر اسم الصحابي .

[29] – سورة نوح ، الآية 10-12 .

الاقتصاد ، قال تعالى على لسان قوم شعيب عليه السلام : ﴿ قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد ءاباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ﴾ [30] ؛ و صلاة الجماعة تعلم الجماعة المسلمة التضامن و الوحدة و التنظيم و المساواة و أصول الحكم العادل و الانقياد الراشد و الطاعة المبصرة إلخ ...

و خلاصة القول إن إضاعة الصلاة تتحدد لنا حقيقتها ، و تتضح مختلف صورها بجلاء ، كلما فقهنا المعنى الحقيقي و الجوهري للصلاة ، و عرفنا المراد الإلهي من إقامتها ، و علمنا مكانتها في الإسلام و مقاصدها الشرعية و وظائفها المنوطة بها ، فإذا ما تحقق لنا هذا ، علمنا أنه كلما طرأ على الصلاة نقص فهو إضاعة ، و المعيار الضابط لخطورة الإضاعة هو فقه مراتب أحكام و مقاصد الصلاة .

ثانيا – أسباب إضاعة الصلاة من خلال نصوص القرآن و السنة و من الواقع :

إن بيان الأسباب المؤدية إلى ترك الصلاة تركا كليا أو جزئيا ، لا يحتاج إلى جهد كبير أو اجتهاد عسير . فقد تكفل القرآن الكريم و السنة النبوية ببسطها و بيانها في الكثير من نصوصهما . و من هنا ندرك أن هذا الأمر لا مجال للخلاف فيه ؛ و إنما المراد من وراء هذا المبحث ، هو الإشارة إلى هذه الأسباب من أجل أن نعرف طبيعتها و نحسن تشخيص أزمة المسلمين اليوم تجاه الصلاة ، إذ أن الخطأ في تشخيص المرض يفضي لا محالة إلى الخطأ في وصف الدواء . و يمكن ذكر تلك الأسباب فيما يلي :

1 الكفر و النفاق و الرياء :

يعتبر الكفر و النفاق من أكبر و أخطر أسباب إضاعة الصلاة و تركها كلية ، بل و محاربة من يقيمونها و الاستهزاء بهم و بدينهم ، و لا عجب في ذلك ، إذ من عدم الأصل عدم فرعه ضرورة . و قد جاء في هذا الأمر نصوص كثيرة ، و أهم حقيقة في تلك النصوص ، هي أن الكفر و النفاق قرينان لترك الأعمال الصالحة و على رأسها ترك الصلاة ، و أن تركها يعتبر بترا و قطعا لآخر رابطة تربط الإنسان بالله عز و جل ، و أن

---

[30] – سورة هود ، الآية 87 .

تركها يقترن بفقدان الإنسان للقياس السلوكي [31]، الأمر الذي يجعله فريسة للضلال و الغي و الويل و الخسران المبين في الآخرة . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم و الكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ [32]، و قال تعالى : ﴿ أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى ﴾ [33]، و قال : ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ﴾ [34]، و قال أيضا : ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ﴾ [35] .

و قد أوضح الرسول ﷺ أيضا ما بين الكفر و ترك الصلاة من صلة فقال : **" بين الكفر و الإيمان ترك الصلاة "** [36]، و قال : **" العهد الذي بين العبد و الكفر ترك الصلاة "** [37]، و قال : **"العهد الذي بيننا و بينهم ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر "** [38]، و قال : **" بين الرجل و الشرك ترك الصلاة "** [39] ، **"و كان أصحابه محمد لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة "** [40] .

---

[31] – كوران ، فلسفة الصلاة ، ص 199 .

[32] – سورة المائدة ، الآية 57 ، 58 .

[33] – سورة العلق ، الآية 9 ، 10 .

[34] – سورة النساء ، الآية 142 .

[35] – سورة الماعون ، الآية 4 – 7 .

[36] – أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، رقم 116 ؛ و الترمذي و اللفظ له كتاب الإيمان باب ما جاء من ترك الصلاة رقم 2543 ، كلاهما عن أبي سفيان عن جابر .

[37] – مسلم و الترمذي و اللفظ له ، كتاب الإيمان باب ما جاء من ترك الصلاة رقم 2544 ، عن أبي الزبير محمد بن مسلم ، و قال هذا حديث حسن صحيح .

[38] – سبق تخريج في الحميشة رقم 4 .

[39] – أخرجه مسلم و الترمذي و النسائي و أبو داود و ابن ماجة و أحمد و اللفظ له أخرجه في مسند المكثرين عن جابر بن عبد الله ، رقم 14650 .

[40] – أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء في ترك الصلاة عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال : كان أصحاب محمد و ذكره ، رقم 2546 .

2 – الكسل و اتباع الشهوات :

و من الأسباب العظيمة و الخطيرة لترك الصلاة و إهمالها كليا أو جزئيا الكسل و اتباع الشهوات و الملذات . و الكسل الذي يسبب إضاعة الصلاة ، هو كما بينه العلماء حالة مرضية تعرض للنفس من الجسد تارة ، و تارة من إرهاق النفس ، و ثالثة من انحرافها [41].

فأما كسل الجسد فهو خلل في وظائفه العضوية ، و له تأثير على النفس إذ تصاب بالخمول و تتضاءل قدرتها على العمل و الاستيعاب و التفاعل ... ثم تزول إصابة النفس بهذه الحالة بزوال إصابة الجسد . و هذا الكسل ليس مذموما في الإسلام ما دام لم يحدث بسبب الإنسان ، قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [42]، و لكن يجب مداواته [43].

و أما كسل الإرهاق النفسي فينتج عن الإكثار من بذل الجهد دون إعطاء النفس قسطها من الراحة ، فيحدث أن تصاب بإعياء و كلل عن الاستيعاب و التفاعل . و هذا الكسل ليس مذموما في الشريعة الإسلامية أيضا ، مادام الجهد الذي سببه مشروعا ، غير أنه من الواجب معالجته أيضا [44].

و أما كسل الانحراف فهو خمول يتخذ صفة النفور و عدم الانسجام مع الأعمال النافعة ، و قد يكون كليا فيشمل الضجر من كافة أعمال الخير و هذا كسل المنافقين ، و قد يكون جزئيا فينحصر في الضجر من أعمال معينة كالصلاة كما هو حال الكثير من المسلمين اليوم [45].

---

[41] – كوران ، فلسفة الصلاة ، ص 193 .

[42] – سورة البقرة ، الآية 286 .

[43] – فلسفة الصلاة ، ص 193 .

[44] – ن م ، ص 193 ، 194 .

[45] – فلسفة الصلاة ، ص 194 .

أما بالنسبة للشهوات المسببة لإضاعة الصلاة و إهمالها و التي ذكرها الله عز و جل بقوله : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا إلا من تاب و ءامن و عمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة و لا يظلمون شيئا ﴾ [46] ، فهي تعني المبالغة و الإسراف في طلب الملذات و الشهوات و لهذا عبر عنها بالاتباع . أما الاعتدال في تحقيقها وفق منهج الله عز و جل فهو ليس مذموما على الإطلاق ، بل هو مطلوب الفعل .

قال الشهيد سيد قطب : " إن الاستغراق في شهوات الدنيا و رغائب النفوس ، و دوافع الميول الفطرية ، هو الذي يشغل القلب عن التبصر و الاعتبار ، و يدفع بالناس إلى الغرق في لجة اللذائذ القريبة المحسوسة ، و يحجب عنهم ما هو أرفع و أعلى و يغلظ الحس فيحرمه متعة التطلع إلى ما وراء اللذة القريبة "[47].

3 – الجهل بحقيقة الصلاة و بقيمة مقاصدها :

يعد الجهل بحقيقة الصلاة و بحقيقة إقامها ، و قيمة معانيها و مقاصدها من أعظم المسببات في إهمالها و إضاعتها كلا أو جزء . بل الجهل هو أصل كل الجنايات التي جنيت على الصلاة ، و هو منبع كل المسببات التي تسببت في إضاعتها [48].

و قد بين القرآن الكريم ذلك ، فقال تعالى : ﴿ و إذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا و لعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ [49] ، فهم يرتكبون هذه الفعلة الشنيعة لنقص في عقولهم ، " فما يستهزئ بدين الله و عبادة المؤمنين إنسان سوي العقل ، فالعقل حين يصح و يستقيم ، يرى في كل شيء من حوله موجبات الإيمان بالله . و حين يختل و ينحرف لا يرى هذه الموجبات ، لأنه حينئذ تفسد العلاقات بينه و بين هذا الوجود كله . فالوجود كله يوحي

---

[46] – سورة مريم ، الآية 59 ، 60 .

[47] – في ظلال القرآن ، ج1 ، ص 373 .

[48] – كوران ، فلسفة الصلاة ، ص ص 409 – 413 .

[49] – سورة المائدة ، الآية 58 .

بأن له إلها يستحق العبادة و التعظيم ، و العقل حين يصح و يستقيم يستشعر جمال العبادة فلا يتخذها هزوا و لعبا و هو صحيح مستقيم "[50].

إن المسلم إذا جهل حكم و مقاصد تشريع الصلاة ، و غاب عنه أنها من أبرز العبادات المحققة لدوام ذكره ، و القربى من جنابه ، و أنها تربى معاني التقوى و الصبر ، و تهيئ المؤمن لحياة صالحة بين جماعة المؤمنين ؛ و إذا جهل أن هذه الصلاة هي عمل من صميم التدين ، و أنها كانت فريضة في كل رسالات السماء ، و أنها الفريضة الأولى في الإسلام .

و إن المسلم إذا غاب عن ذهنه أن الصلاة هي أعظم مصداق على الإيمان ، و أنها الصفة اللازمة للمؤمنين ، و الشرط و الشارة للدخول و الانتماء في ملة الإسلام ، و أنها شرط الإسلام و مناط أحكامه ؛ و إنه إذا لم يعلم من دينه أن الصلاة يجب أن تكون علامة كل مسلم و آيته ، و شارة استقلال كل مؤمن و أمارته ، و أن توالي الصلوات إشاعة لروح الدين ، و أن التوجه إلى الله الواحد و إلى القبلة الواحدة فيه توحيد للمسلمين و فيه عصمتهم من التفرق . و إنه إذا ضعف شعوره و حسه عن كون هذه الصلاة هي تجرد لمناجاة الله ، و أنها من أعظم سبل الإخلاص لله بالعبادة و الولاء ، و أنها خشوع كامل بالقول و الفعل و الشعور ، و عبادة شاملة بكل وجوه التعبد ، و مظهر بارز لطاعة الله و رسوله ، و أنها طهارة و إنابة و تقوى و مزدجر عند المعاصي ، و أنها قربى و تذكرة بأصول الإيمان ، و عون على الصبر و المجاهدة و الجهاد .

و إن المسلم إذا لم يعرف أن صلاة الجماعة تربية اجتماعية كاملة ، و أنها تضامن و توحد لجماعة المسلمين ، و مدرسة عظيمة لتعليمهم المساواة كما أرادها الله عز و جل ، و تربيتهم على الطاعة المبصرة الواعية لأولياء أمورهم و تربية هؤلاء على مبادئ القيادة الراشدة الحكيمة .

---

[50] – في ظلال القرآن ، ج2 ، ص 922 .

إن المسلم إذا جهل كل هذه الحقائق أو جهل بعضها كان ذلك لا محالة مفضيا إلى إضاعة الصلاة ، إما إضاعة كلية أو إضاعة جزئية [51].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[51] – التراي ، الصلاة عماد الدين ، ص ص 124-158 .

المبحث الثاني

آثار إضاعة الصّلاة على المجتمع الإسلاميّ و على رسالة الجمعة

أوّلا – إضاعة الصّلاة في المجتمع الإسلاميّ اليوم و آثارها العامّة على حياته :

إنّ حال المسلمين اليوم مع الإسلام عامّة ، و مع الصّلاة خاصّة ، جدير بأن يُؤسف عليه أشدّ الأسف و يُحزن عليه أعظم الحُزن ، فقد تمكّن منهم وباء ترك الصّلاة بجميع أنواعه ، فالسّواد الأعظم منهم أضاع هذه الفريضة العظيمة – على جلال قدرها و فضلها في الدّين – إضاعة تامّة و كلّية [52]؛ و إنّ إلقاء نظرة فاحصة على حال المساجد في أرض الإسلام في أوقات الصّلوات ، كفيل بالتّعبير عن هذا الدّاء العضال الّذي ابتليت به الأمّة ، و حتّى لو كان منطلق هذه النّظرة هو العدد الذي يشهد صلاة الجمعة ، فإنّ عدد تاركي الصّلاة تركا كلّيا يبقى هو الغالب .

إنّ من المسلمين اليوم من يقطع الصّلاة حينا من الدّهر ، و لا يعود إليها إلاّ في المناسبات مثل شهر رمضان أو أيّام الجمع و الأعياد أو حين يذهب إلى الحجّ أو العمرة أو حين تنزل به مصيبة . و منهم من يهملها في خلوته و يظاهر بها في الملأ نفاقا [53]. فإذا أضفنا عدد هؤلاء إلى الزّمرة الأولى كانت المصيبة أكبر .

---

[52] – الزاي ، الصلاة عماد الدين ، 148 .

[53] – ن م .

و منهم من يؤدون الصلاة و لكن لا يقيمونها و لا يتمونها و لا يحسنون ركوعها و لا سجودها و لا خشوعها ، و الصلاة عند كثير منهم مظهر و عادة ، يلتزمونها اعتبارا للمجتمع ، أو لأنهم وجدوا آباءهم كذلك يفعلون [54].

و من المصلين من هجر بيوت الله عز و جل ، فهو لا يرتادها إلا في أوقات صلاة الجمعة ، و إن اجتهد أكثر زاد صلاة التراويح في رمضان و صلاة العيدين ، و منهم من لا يحافظ على صلاة الجماعة إلا ما كان سهلا على نفسه ، كالظهر و المغرب أما الصلوات الأخرى فهو إما نائم أو مشغول أو لاه .

و كما يشهد المجتمع الإسلامي هذه الأدواء المتنوعة من إضاعة الصلاة ، فإنه يعاني أيضا من كون غالبية نسائه قد حرمن من ارتياد المساجد بسبب الجهل المتفشي أو العلم المغشوش الذي يجعل صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في المسجد كما كانت على عهد النبي ﷺ .

و أخيرا فإنّ من المصائب الّتي يعاني منها المسلمون اليوم ممّن يقيمون الصّلاة أنّهم - إلاّ القليل - قد ضيّعوا العلم و العمل بمقاصدها و غاياتها و أهدافها الّتي وضعت لتحقيقها على مستوى الفرد ، في روحه و عقله و نفسه وبدنه ، و في وحدته و اجتماعه ، و على مستوى المجتمع في حال ضعفه و قوّته ، و في جميع نشاطاته و مجالاته (التّربية و التّعليم و الثّقافة و الاتّصال و السّياسة و الاجتماع و الاقتصاد ...) .

إنّ هذا الوضع المأساويّ الّذي لحق أهمّ أركان الإسلام بعد الإيمان ، قد جرّ على الأمّة الإسلاميّة جَمعاء ويلات عظيمة و آثارا وخيمة على جميع الأصعدة . و ليس من قبيل المبالغة في شيء أن نعتبر أنّ التّخلّف الحضّاريّ العامّ الّذي تعاني منه الأمّة الإسلاميّة يوشك أن يكون إضاعة المسلمين للصّلاة من أكبر و أعظم أسبابه ، إذ هي عمود الإسلام ، قال الرّسول ﷺ : " رأس الأمر الإسلام ، و عموده الصّلاة ، و ذروة

---

[54] - الترابي ، م س ، ص 149 .

سنامه الجهاد في سبيل الله "[55]، و لا حظ في الإسلام لمن تركها ،[56] و من ثمّ كان ازدهار المسلمين أو انحطاطهم مرتبط بمدى حفظهم أو تضييعهم لها .

قال الأستاذ حسن التّرابي : " لمّا كانت الصّلاة ذات أثر عريض في حياة الفرد و المجتمع ، و تكاد تتصّل بكلّ معاني الدّين و تعاليمه ، فإنّ ضياعها كان سببا في أغلب مظاهر الانحطاط عند المسلمين . و صحيح أنّ هوان المسلمين في موازين الدّنيا و الآخرة مردّه إلى أسباب شاملة لا ترجع إلى عامل واحد و أنّهم نسوا كثيرا ممّا ذُكّروا به ، و أنّ وجوه تقصيرهم تتداعى ، فلا يفرّطون في ناحيّة إلاّ انتهوا إلى التّقصير في نحو آخر لتكامل أحكام الدّين و ترابطها . لكن مهما يكن ذلك ، فإنّ لإضاعة الصّلاة مكانا كبيرا بين أدواء المجتمع المسلم ، لأنّ الصّلاة أمّ العبادات ، فيها من كلّ عبادة شيء ، و لأنّها قاعدة التّكاليف ، تحفظ الوجهة و الاستقامة لكلّ عمل صالح ، و تبعث الدّوافع للانطلاق الرّشيد " [57].

و قال :"... و إذا ثبت لوجه عامّ أنّ أسباب انحطاط المسلمين شاملة تتكامل و تتفاعل بصورة تجعل من كلّ معصيّة يقترفونها عاملا في خسرانهم ، و مدعاة لمزيد من وجوه التّولّي و التّردّي ، فإنّ إضاعة الصّلاة بوجه خاصّ حلقة تتسلسل من سائر المعاصي و إليها ، و تتصّل عموما بكّل عناصر الدّاء الّذي أصاب المسلمين و تكاد أعراض بعض عللهم ترتبط في شدّتها ارتباطا مباشرا بحظّهم من الصّلاة "[58].

و صدق الله العظيم إذ بيّن في كتابه أنّ أكبر آثار ترك الصّلاة أو إضاعتها هو الغيّ ، قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾[59]، و الغيّ هو

---

[55] – سبق تخريجه في الباب الأول الفصل الأول ، لهميشة رقم 1 .

[56] – هو من قول عمر ، فقد أخرج الإمام مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أن المسور بن مخرمة أخبره أنه دخل على عمر من الليلة الّتي طعن فيها فأيقظ عمر للصلاة فقال عمر نعم و لا حظّ في الإسلام لمن ترك الصلاة فصلى عمر و جرحه يثعب دما .

[57] – الصلاة عماد الدين ، ص 149 ، 150 .

[58] – ن م ، ص 150 ، 151 .

[59] – سورة مريم ، الآية 59 ، 60 .

الضّلال و الشّرود ، و معلوم أنّ عاقبتهما الضّياع و الهلاك في الدّنيا والآخرة ؛ و يُطلَق الغيّ أيضا على الشّر ، و هي كلّها معان متطابقة [60].

و قد جاء التّعبير القرآنيّ معبّرا عن هذه النّتيجة بحرف سوف: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ، و هو يدلّ على أنّ لقاء المضيّعين للصّلاة الغيّ متكرّر في أزمنة المستقبل ، مبالغة في وعيدهم و تحذيرا لهم من الإصرار على ذلك [61].

و الملاحظ لحال الأمّة الإسلاميّة اليوم يجد أثر هذا الغيّ و الضّلال و الشّرود باديّا و بارزا في كلّ مجالات حياتها . فالمسلمون اليوم ليسوا أمّة واحدة ، بل هم أشتات يراهم النّاظر فيحسبهم جميعا ، و قلوبهم و أعمالهم و منطلقاتهم و غاياتهم شتّى ، و ما ذلك إلاّ بسبب تفرّقهم عن دينهم في أصوله و فروعه ، قال تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [62]، و بتشتّتهم فقدوا كثيرا من الصّفة الّتي تميّزوا بها ، و الذّاتيّة التي برزوا بها من دون سائر النّاس .

... ذلك و إنّ إضاعة الأمّة لهذا الرّكن العظيم في الدّين بعد الشّهادة ، هو الّذي تسبّب في قسط كبير في أن تصير الأمّة إلى هذه الغثائيّة الّتي ذكرها الرّسول ﷺ في حديثه المشهور :" يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها . فقال قائل : و من قلّة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير و لكنّكم غثاء كغثاء السّيل و لينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم و ليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن فقال قائل : يا رسول الله و ما الوهن . قال : حبّ الدّنيا و كراهية الموت "[63] فالأمّة اليوم كثير عددها و غنيّة و واسعة أراضيها ، و لكن بتخلّيها عن دينها ، و بتركها لأهمّ أركانه و هي الصّلاة ، صار ذلك الكثير غثاء ، و صارت أقلّ الأمم عددا تسيطر عليها .

---

[60] – سيد قطب ، في ظلال القرآن . ج4 ، ص 2314 .

[61] – ابن عاشور ، التحرير و التنوير . ج16 ، ص 135 ، 136 .

[62] – سورة الأنعام ، الآية 159 .

[63] – أخرجه أحمد في باقي مسند باقي الأنصار عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ رقم 21363 . و أبو داود و اللفظ له في كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام عن ثوبان رقم 3745 .

... ذلك و لو ثاب المسلمون إلى صلاتهم و رجعوا إليها ، لكانت إحدى العوامل الهامّة في جمع شتاتهم من جديد بمظهرها الواحد و لكانت أهمّ عوامل قوّتهم و تماسكهم .

ثانيا – آثار إضاعة الصّلاة على الرّسالة الإعلاميّة للجمعة :

لا جَرم أنّ الجمهور الّذي تُوجّه إليه الجمعة رسالتها هو بالدّرجة الأولى الجمهور المسلم المكلّف البالغ القادر ، و الّذي يفترض فيه بداهة أن يكون مصلّيا و حاضرا و شاهدا للجمعة في المساجد ، حتّى يتمكّن من تلقّي الرّسالة ، و أن يكون على علم – و لو بالحدّ الأدنى – بالمقاصد الكبرى الّتي شرع الله عزّ و جلّ لأجلها الصّلاة عامّة ، و الجمعة خاصّة ، و أن يكون على علم – و لو بالحدّ الأدنى أيضا – بالمغازي و الأسرار الّتي أرادها الشّارع الحكيم من تشريعه صلاة الجماعة ، و إلاّ انعدم تيّار الاتّصال بينها (أي رسالة الجمعة) و بينه (أي الجمهور) .

من هذه المنطلقات يمكن إبراز آثار إضاعة الصّلاة على رسالة الجمعة من خلال ثلاث فئات من المسلمين :

الفئة الأولى : و تشمل التّاركين للصّلاة كلّية ، و المحرومين من الصّلاة في المساجد كأغلب النّساء و المرضى و المحبوسين .

إنّ الّذين أضاعوا الصّلاة بالمرّة قد حرموا أنفسهم من كلّ أثر متوقّع من رسالة الجمعة ، و من كلّ مقصد من مقاصد الصّلاة ، بل و من كلّ الخير الّذي ابتعث الله رسوله ﷺ و أنزل له كتابه و شرع لأجله دينه ، لأنّ الصّلاة – كما تقدّم بيانه – لها فضل كبير و مكانة عظيمة ، جعلاها بعد العقيدة في وضع مركزيّ و موقع محوريّ ، و لأنّها تترك في حياة المسلم آثارا طيّبة كثيرة ؛ و لأنّ عواقب تركها أيضا تنتظم كلّ نواحي الحياة ، فإذا ضيّعها العبد المسلم كان لما سواها أضيع ، فعن الإمام مالك عن نافع[64] مولى ابن عمر أنّ عمر بن الخطّاب ﷺ كتب إلى عمّاله :" **إنّ أهمّ أمركم عندي الصّلاة فمن**

---

[64] – هو أبو عبد الله نافع مولى عبد الله بن عمر من كبار علماء الأتباع ، أخذ العلم عن الكثير من الصحابة ، منهم عبد الله بن عمر و عمر و ابن مسعود و ابن عباس و عائشة ، و كان من شيوخ الإمام مالك عاش بالمدينة و توفي بها عام 117 هـ .

حفظها و حافظ عليها حفظ دينه ، و من ضيّعها كان لما سواها أضيع "[65] ، و تبعا لذلك فإنّ إضاعة الصّلاة كلّية تحرم الجمعة حرمانا كلّيا من أن تودّي و لو النزر القليل من رسالتها ، و هذا لَعمري أكبر و أخطر عوائق رسالة الجمعة .

و يلحق بهذا الصّنف في الحرمان من يؤدّي الصّلاة أحيانا و ينقطع عنها أحيانا أخر ، و كذلك من كانت صلاته منقوصة في أركانها ، و يتبعهم في هذا أيضا ، جزء كبير من الأمّة ، يمكنه الاستفادة من الجمعة ، و لكنه حُرم منها ، و هم النّساء اللواتي حَرمهنّ جهل الأمّة من ارتياد بيوت الله و شهود الجمعات .

الفئة الثّانيّة : و تظم الذين أضاعوا إقامة الصّلاة في المسجد إلاّ الجمعة ... أو الذين لا يعرفون المساجد و لا يرتادونها إلاّ إذا نودِيَ للصّلاة من يوم الجمعة ، فهؤلاء لا يكون تلقّيهم لخطاب الجمعة بفعاليّة و حماس و شوق إيمانيّ ، كمن يرتاد المساجد في كلّ أيّام الأسبوع ؛ و لا يكون تذوّقهم لحلاوة الذّكر (و الجمعة ذِكر) و لا إحساسهم بآثاره ، كمن يشهدون الصّلوات المكتوبات في بيوت الله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا .

إنّ إقام الصّلاة المكتوبات حيث ينادى بهنّ مع جماعة المسلمين له أثار طيّبة كثيرة و كبيرة على حياة المصلّي في جميع المجالات ، و إنّ توالي هذه الصّلوات فيه إعداد خاصّ للمصلّي في نفسه و روحه و عقله و جسمه ، حتّى تجد رسالة الجمعة إلى ذاته سبيلا ، و يستوعب و يتمثّل ما جاء فيها من تعاليم فيحيلها إلى سلوك إيجابيّ فعّال .

أمّا الّذي منع نفسه من الصّلاة في جماعة ، فهو إضافة إلى حرمانه من العُدّة الّتي يستعدّ بها للجمعة ، فهو محروم من ثمار جدّ نفيسه ، لا يُلقّاها إلاّ من حافظ على صلواته في الجماعة المسجديّة ، و هو محروم أيضا من الاتّصال بالمسلمين و التّعرّف بهم ، و محروم من تضامن غيره معه في أوقات الشّدّة ، و محروم من أهمّ مبادئ أصول التّربيّة الاجتماعيّة كمبدأ تضامن الجماعة و وحدتها ، و كالاستجابة للدّعوة الجامعة و النّفير و مبدأ المساواة ، و أصول العلاقات الّتي تربط الرّاعي بالرّعيّة و غيرها .

---

[65] - أخرجه مالك في الموطأ في كتاب وقوت الصلاة ، رقم 5 .

الفئة الثالثة : و تشمل الّذين يصلّون المكتوبات في المسجد و لكنّهم أضاعوا المقاصد الّتي شرعت لها الصّلاة .

على الرّغم من وجود عدد معتبر من المسلمين المصلّين في بلاد العالم الإسلاميّ يرتادون المساجد كلّ يوم و يصلّون في جماعة ، إلاّ أنّ عدم تحقّق كثير منهم بمقاصد الصّلاة و مقاصد الجماعة و الجمعة عِلما و عملا ، يشكّل حاجزا و عائقا في وجه الجمعة ، و يحول دون تحقيق رسالتها الإعلاميّة و الاجتماعيّة ، و ذلك لأنّ العلم بمقاصد الصّلاة و العمل بها هو جوهر إقامتها .

فما لم يكن المصلّي يقصد بصلاته وجه الله عزّ و جلّ ، و الإخلاص له و الإنابة إليه ، و ما لم يكن في صلاته خاشعا متبتّلا ، و قانتا مبتهلا ، و ما لم يزدد بصلاته قربى من الله و تقوى ، و حبّا له ، و خوفا منه ، و رجاء فيه ، فإنّه لا ينال من صلاته إلاّ التّعب و النّصب ، و إنّه حينذاك لا يكون لرسالة الجمعة في قلبه و سلوكه أيّ صدى ، و إنّما هي كصرخة بواد .

و إنّ هذا المصلّي ما لم تكن صلاته راحة لنفسه ، و طمأنينة لقلبه ، و طهارة لروحه ؛ و ما لم تكن مزدجرا له عن المعاصي ، و معوانا له عند الطّاعات ، تنهاه عن الفحشاء و المنكر ، و تأمره بالخير و المعروف ، و ما لم تكن مهذّبة لطباعه و مقوّمة لسلوكه ، فإنّه ليس له منها إلاّ الإجهاد و المشقّة ؛ و إنّ رسالة الجمعة ساعتئذ لا يكون لها في فؤاده أيّ أثر ، و لا في حياته أيّ خير ، و إنّما هي كنفخة في رماد .

المبحث الثالث

مواجهة إضاعة الصّلاة و دور الجمعة في هذه المواجهة

أوّلا – الهيئات و المؤسّسات المسؤولة عن مواجهة إضاعة الصّلاة.

1 – مسؤوليّة الأفراد :

من أخصّ خصائص الإسلام أنّ كلّ فرد مسلم متى كان بالغا وعاقلا وحرّا فقد صار مكلّفا ومسؤولا عمّا كلّف به من أعمال ، سواء أكان مصدر هذا التّكليف من خارج ذات المكلّف (أي إلزام) أو من داخل ذاته (أي التزام).

ومن الجدير بالذّكر أنّ المسؤوليّة في الإسلام كثيرا ما تكون ذات بعدين [66]:

- مسؤوليّة الإنسان عن نفسه .
- ومسؤوليّة الإنسان عن غيره .

فهو مكلّف بدرء الشرّ عن نفسه ودرئه عن غيره ، ومكلّف بجلب الخير لنفسه وجلبه لغيره . وقد جاء في القرآن الكريم و السنّة النّبويّة الكثير من النّصوص في ذلك قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [67]. وقال الرّسول ﷺ : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيّته " [68]، و اللّه عزّ وجلّ ما كلّف المؤمنين بالدّعوة إلاّ للتّأكيد على بعد المسؤوليّة الجماعية. قال تعالى :﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [69].

---

[66] – دراز محمد عبد الله ، دستور الأخلاق في القرآن . تعريب و تعليق و تحقيق عبد الصابور شاهين ، الطبعة السادسة ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، دار البحوث العلمية ، 1405هـ / 1985) ، ص 136 ، 137 ، 148 .

[67] – سورة التحريم ، الآية 6 .

[68] – سبق تخريجه في الباب الثالث ، الفصل الثالث ، الهميشة رقم 7 .

[69] – سورة يوسف ، الآية 108 .

من هنا يتبيّن لنا أنّ الأصل في مواجهة إضاعة الصّلاة أنه مسؤوليّة جميع المسلمين متى توفّرت فيهم الشّروط السّابقة . فهم مسؤولون عن :

- إقامتها في أنفسهم.
- ودعوة غيرهم لإقامتها.

ولهذا قال الإمام تاج الدّين عبد الوهاب بن علي السبكي[70]:" ما من وظيفة إلاّ وللمسلمين حقوق على أصحابها . سمعت الشيخ الإمام (أي والده القاضي علي بن عبد الكافي) يقول : لكلّ مسلم عندي وعند كلّ مسلم حقّ في أداء هذه الصّلوات الخمس ، ومتى فرّط مسلم في صلاة واحدة كان قد اعتدى على كلّ مسلم وأخذ له حقّا من حقوقه ، لعدوانه على حقّ اللّه تعالى . قال : ولذلك أسمع دعوى من يدّعي على تارك صلاة واجبة ، وإن لم يدّع على وجه الحسبة ، لأنّ لكلّ مسلم فيها حقّا ، فيقول : أدّعي على هذا أنّه ترك الصّلاة الفلانيّة أو اعتمد فيها ما يفسدها ، وقد أضرّ بي في ذلك ، فأنا مطالبه بحقّي ، قلت (القائل تاج الدّين السّبكي) ولِم ؟ قال : لأنّ المصلّي يقول : **السّلام علينا وعلى عباد اللّه الصّالحين** ، والنّبيﷺ يقول ، "**إنّ المصلّي إذا قال هذا ، أصاب كلّ عبد صالح في السّماء والأرض**[71] " ، قلت (تاج الدّين): ورأيت للقفّال ما يقتضي ذلك "[72].

فهؤلاء العلماء لم يجعلوا مسألة دعوة المسلم غيره لإقام الصّلاة مسألة داخلة في دائرة الواجبات فحسب ، بل جعلوها في دائرة الحقوق الّتي يجب الدّفاع عنها و التّقاضي لأجلها .

---

[70] - ولد بالقاهرة في سنة 727هـ ، نشأ في بيت عريق في العلم و التقى و الرياسة ، فأبوه هو القاضي تقي الدين الشهير ، تلقى العلم على يد والده و شيوخ عصره أمثال أبي حيان النحوي الكبير ، و عن الذهبي و المزي ، ولي التدريس و القضاء ، ابتلي كثيرا فصبر ، من مؤلفاته : " جمع الجوامع " في أصول الفقه " تكملة شرح البيضاوي في الأصول "الأشباه و النظائر "، طبقات الشافعية ، و غيرها ، توفي عام 771هـ . (معجم المطبوعات العربية) .

[71] - جزء من حديث طويل متفق عليه عن ابن مسعود ، أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب التشهد في الآخرة ، رقم 788 . و مسلم في كتاب الصلاة باب التشهد في الصلاة ،رقم 609 . و أخرجه الترمذي و النسائي و أبو داود و ابن ماجة و أحمد و الدارمي .

[72] - السبكي ، معيد النعم و مبيد النقم ، تحقيق محمد عالي النجار و آخرون ، الطبعة الثانية ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، 1413هـ/ 1993م) ، ص 149 ، 150 .

2 – مسؤوليّة الحكّام :

تعتبر مسؤوليّة الحكّام في مواجهة إضاعة الصّلاة في منتهى الأهميّة وغاية الفعاليّة ، فمسؤوليّة الأفراد عن أنفسهم وعن غيرهم مهما تعاظم شأنها ، إلاّ أنّها محدودة في طاقتها ووسائلها ، أمّا أولياء الأمور فهم مزدوجو القدرة والسّلطة ، إذ يملكون وسائل الوازع الإيمانيّ ، و يملكون وسائل الوازع السّلطانيّ ، أي وسائل الدّعوة و وسائل الحسبة ، أو وسائل الأمر بالمعروف و وسائل النّهي عن المنكر . وصدق ثالث الرّاشدين ﷺ إذ قال :" إنّ الله يزع بالسّلطان ما لا يزع بالقرآن ".

أمّا وسائل الوازع الإيمانيّ ، فإنّها تتمثّل في مسؤوليّة عدّة وزارات ، مثل وزارات الشّؤون الإسلاميّة أو الدّينيّة ، و الاتّصال والإعلام ، والثّقافة ، والتّربية والتّعليم و غيرها .

فكلّ هذه الوزارات – وخاصّة وزارة الشّؤون الدّينيّة والإرشاد – يجب أن يكون من مهامّها مواجهة هذا الدّاء العضال الّذي ابتليت به الأمّة وهو إضاعتها للصّلاة .

...هذا وإنّ أقلّ ما يجب أن تلتقي من حوله هذه الهيئات والمؤسّسات ، هو إشعار الأمّة بخطورة إضاعة الصّلاة ، وعدم الاستهانة بهذا الدّاء ،أو التّهوين من شأنه ، أو التّقليل من خطورته ، وبالتّالي تتعاون في استنفار كلّ الطّاقات وجميع الوسائل لوضع الخطط اللازمة لذلك وتنفيذها .

وإنّ ممّا يؤسف له اليوم في أرض الإسلام ، أنّ المسلمين أصبحوا لا يعبئون لدينهم . فلو أنّهم قدروا الصّلاة حقّ قدرها لجعلوا مسألة إضاعتها محور اهتمامات الرّأي العامّ ؛ ولو أنّهم أعطوها من اهتمامهم ما يعطون لوباء غزا العالم كمرض الأيدز (AIDS) أو مثل اهتمامهم باللّهو ككرة القدم ، لكان في ذلك الخير العميم... ذلك وإنّ ما يجب أن تهتمّ به وزارات الشّؤون الدّينيّة أو الإسلاميّة أو الإرشاد بمختلف مسمّياتها في هذا الشّأن ما يلي :

- ضرورة الاهتمام بإحصاء المساجد والمصلّيات وقدراتها الاستيعابيّة .
- ضرورة الاهتمام بإحصاء عدد المصلّين .
- وضع خطط خاصّة لمواجهة إضاعة الصّلاة .
- إنشاء جمعيّات دعويّة خاصّة بهذا الأمر .

أمّا وسائل الوازع السّلطاني فيمكن أن تكون بإنشاء هيئات خاصّة بالحسبة على الصّلاة ، وهذا ممّا يحتاج إلى فقهاء مجتهدين مختصّين ليبحثوا فيه .

3 – مسؤوليّة العلماء والدّعاة :

إنّ مسؤوليّة هذه الفئة عن المواجهة والتّصدّي لهذا الشّر المستطير – شرّ إضاعة الصّلاة – مسؤوليّة عظيمة جدّا ، وذلك لكونهم هم أعلم النّاس وأوعاهم بخطورته ، ومَثلهم في ذلك كمَثل الطّبيب المختصّ أمام الوباء ، فعلى الرّغم من كون المريض هو المسؤول الأوّل عن مرضه ، وعلى الرّغم من توزّع المسؤوليّة على الغير ، إلاّ أنّ المختصّ في المواجهة و العلاج هو الطّبيب .

وتتمثّل مسؤوليّة العلماء والدّعاة والخطباء في مواجهة ترك الصّلاة وإضاعتها في بيان خطورة هذا الأمر ، وأنّه وخيم النّتائج في الدّنيا والآخرة ، و عليهم أن يبيّنوا للأمّة أنّ ما تعانيه من تخلّف و وهن و تصدّع في بنيانها الحضاريّ ، و أنّ ما تعيشه من معيشة ضنك و من غيٍّ و ضلال ، و من تفرّق و تشرذم ، إنّما مردّه إلى إعراضهم عن ذكر الله و عن الصّلاة .

و على العلماء و الدّعاة و الخطباء في تصدّيهم لهذا الدّاء العضال أن يواجهوه بحكمة و بصيرة ، و بمنهج راشد ، و أن لا يدّعوا وسيلة فعّالة إلاّ توسّلوا بها لهذا الأمر .

ثانيا – دور المسجد و فعاليّته في مواجهة إضاعة الصّلاة :

للمسجد منذ أسّسه صاحب الرّسالة محمّد ﷺ الدّور الأعظم في حفظ الدّين بجميع أركانه و أصوله و فروعه ، و حفظ كيان الأمّة من الفناء و الاندثار ، و قد تبيّنا

بعضا من ذلك في الباب الأوّل ، و ألمحنا أنّ المسجد كان الفضل الكبير جدّا في حفظ أهـمّ رابطة تربط بين المسلمين و دينهم و هي الصّلاة .

و كما كان للمسجد و الجمعة ذلك الفضل في حفظ الصّلاة من حيث إقامـها و أداؤها في جماعة ، و من حيث تعليم المسلمين مقاصدها و حثّهم على العمل بها ، فقـد كان له الفضل و ما زال في مواجهة إضاعة الصّلاة .

غير أنّ الضّعف الّذي أصيبت به مؤسّسات الخطاب الإسلاميّ ، قد أثّر أيضا على دوْر المسجد عامّة و الجمعة خاصّة في مواجهة إضاعة الصّلاة ؛ لهذا فإنّ ممّا ينبغي إحيـاؤه من رسالة المسجد رفع مثل هذه التّحدّيات و المواجهات ، و يمكن إبراز دور الجمعـة في مواجهة ترك الصّلاة بأسلوبين :

الأسلوب الوقائيّ – تحصين المصلّين :

إنّ صلاة الجمعة فيها تربيّة وقائيّة فعّالة جدّا للمصلّين حتّى يحافظوا على صلواتهم ، و لا سيّما أنّ الشّارع الحكيم ألزم بها كلّ مسلم بالغ قادر عاقل ، و أوجب أن تكـون في جماعة . فهي بالنّسبة للمسلم الحدّ الأدنى من الالتزامات الّتي تربطه ببيت الله عزّ و جلّ بل و الّتي تربطه بالإسلام . ففي محافظة المسلم عليها تعويد لنفسه و تعليـم للمحافظـة على بقيّة الصّلوات ، و بخاصّة إذا كان الإمام الخطيب على درجة من التّقوى و الـورع و حُسن السّمت و الصّوت المؤثّرين في المصلّين ، فقد لوحِظ أنّ الإمام إذا كـان حسـن الصّوت ، و كان على ورع و تقوى ، كان ذلك سببا كبيرا في كـثرة الحضـور مـن المصلّين للصّلاة .

و خطبة الجمعة من أعظم وسائل الخطاب الإسلاميّ و أكثرها فعاليّـة في وقايـة المصلّين و تحصينهم من كبيرة ترك الصّلاة ، و التّقصير فيها لو أنّ القائمين على الخطابـة استثمروها لذلك ، و تحيّنوا الفرص المناسبة الّتي يكثر فيها عدد الرّواد للمسجد مثل شـهر رمضان و الأعياد ...

الأسلوب العلاجيّ – دعوة التّاركين :

إنّ دعوة التّاركين للصّلاة والمقصّرين في إقامها عن طريق الجمعة لكي يتوبوا إلى الله ويعودوا إلى رحابه يمكن أن يأخذ عدّة صور وأشكال وهذه نماذج منها :

– تكليف الحاضرين بدعوة أهليهم وذويهم ومن هم تحت مسؤوليتهم للصّلاة ، لقول الله تبارك وتعالى :﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [73]، ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾[74]، ولقول النّبيّ ﷺ :" **مروا أولادكم بالصّلاة و هم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها و هم أبناء عشر وفرّقوا بينهم في المضاجع** "[75].

– تكليف الحاضرين بتبليغ الغائبين لقول الله عزّ وجلّ : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [76]، ولقول الرّسول ﷺ :" **ألا فليبلّغ الشّاهد منكم الغائب**"[77] وقوله :"**بلّغوا عنّي ولو آية**"[78].

– تكليف العالِمين بتعليم الجاهلين لقول النّبيّ ﷺ :"**ما بال أقواء لا يعلّمون جيرانهم ولا يفقّهونهم ...**"[79].

– مخاطبة التّاركين للصّلاة بالجمعة عن طريق وسائل الإتّصال الجماهيريّة مثل الرّاديو والتّلفزيون أو عن طريق إذاعة الخطبة في الحيّ بوسائل التّسميع .

---

[73] – سورة طه ، الآية 132 .

[74] – سورة لقمان ، الآية 17 .

[75] –أخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رقم 66402 ، و 6467 . و أبو داود في كتاب الصلاة باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، رقم 418 . و رجالهما معدودون في الثقات .

[76] – سورة النحل ، الآية 125 .

[77] – جزء من حديث طويل سبق تخريجه وهو متفق عليه ، و اللفظ لأحمد .

[78] – أخرج البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني اسرائيل عن عبد الله بن عمرو ، رقم 3202 .

[79] – سبق تخريجه في الباب الثاني الفصل الأول .

الفصل الثاني

انتشار الأمية في المجتمع الإسلامي

المبحث الأول : مفهوم الأمّـيّة في القرآن و السّنة

المبحث الثاني: آثار الأمّـيّة على رسالة الجمعة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

إن الباحث في موضوع الأمية لا يستطيع إدراك معناها الشامل في اللغة العربية وفي القرآن الكريم و السنة النبوية حتى يحيط بالمعنى الحقيقي للقراءة ، لأنها هي أصل العلم والمعرفة ولأن العلم لدى المسلمين ارتبط مفهومه بالقراءة ، فالعرب قبل نزول القرآن لم يكن لهم أي صلة بالكتب ، فكان القرآن هو منطلقهم إلى العلم والمعرفة وإلى القراءة والكتابة ، وشاءت حكمة الله أن تكون أول كلمة تنزل على النبي الأمي ﷺ الذي بعثه الله في الأميين هي : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾[1] حتى يكون ذلك إعلاما للإنسانية بأن تحقيق السعادة في الدارين ، وتحقيق مقاصد الوجود الإنساني ، منوط بالعلم والقراءة باسم الله وبالاستعانة بالله وفي سبيل الله .

قال الأستاذ طه العلواني [2]: " كانت هذه الآيات محددة لعدد من الأمور الجوهرية ، ففيها أمر بالقراءة وبيان علاقة العلم بالقلم ، وبيان مصدر العلم وهو الله سبحانه وتعالى وأن الأمر موجه إلى المخلوق الإنساني ، الذي خلقه الله من علق ، وأن من طبيعته أنه لا يعلم حتى يعلمه الله . والقراءة المأمور بها هي قراءة باسم الله تعالى ، ثم بمعيته تسير حتى توصل إلى علم يدون بالأقلام ، فتنتقل إلى السطور وتشيع بين البشر . ولا بد أن تفهم القراءة على أنها تعبير يتسع ليشمل المسطور في الكتب والمنشور في الوجود ، فسور الكتاب تقرأ ، وآفاق الكون تقرأ ، وتتلازم القراءتان حتى ينتج من هذا التلازم علوم

---

[1] - سورة العلق ، الآية 1 – 5 .

[2] - هو الأستاذ طه جابر فياض العلواني ، مفكر إسلامي معاصر ولد في العراق (الفلوجه) عام 1935 م ، حصل على الشهادة العالية من كلية الشريعة و القانون بجامعة الأزهر عام 1951م و الدكتوراه عام 1972 م و هو من الأعضاء المؤسسين للمعهد العالمي للفكر الإسلامي في واشنطن عام 1981م .

ومعارف وخبرات وتجارب يقام عليها العمران ، وتنبثق منها حضارة الإيمان ، وتلك هي القراءة التّامّة..."[3]

ومن هنا ندرك أنّه لابدّ أن تفهم الأمّية على أنّها تعبير يتّسع ليشمل الجهل بما هو مسطور في الكتب وبما هو منشور في الوجود ، سواء كان المسطور مصدره السّماء أم الأرض ، وسواء كان المنشور في الوجود هو الآفاق أم الأنفس ، وأنّ كل من جهل فرعا من هذه الأصول فهو أمّيّ فيها .

إذن فالأمّيّة تتحدّد جنسا ونوعا بتحديد ما يقابلها من علم ومعرفة . وهذا ما بيّنه القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة.

[3] -طه جابر فياض العلواني ، إصلاح الخطاب الإسلامي ، ص .

المبحث الأول

مفهوم الأمّية في القرآن و السّـــنّة و خصائصه

أوّلا – مفهوم الأمّية في القرآن و السّـــنّة :

المـــعـــنى الأوّل :

الأمّيّ هو من لا يعرف القراءة والكتابة ، وقد اختلف في نسبته ، فقيل إنّه منسوب إلى الأمّة بمعنى عامّة النّاس ، فهو يرادف العامّيّ ، وقيل إنّـــه منســـوب إلى الأمّ ، و هـــي الوالدة ، أي أنّه بقي على الحالة الّتي كان عليها مدّة حضانة أمّه إيّاه ، فلم يكتسب علمـــا جديدا [4]، وفي الحديث الشّريف : " إنّا أمّة أمّية لا نكتب ولا نحسب " [5]، أراد ﷺ أنّـــهم على أصل ولادة أمّهم ، لم يتعلّموا الكتابة والقراءة والحساب ، فهم على جبلّتـــهم الأولى ، وفي حديث آخر قال النّبيّ ﷺ : " أرسلت إلى أمّة أمّية " [6]؛ وسمّي العرب أمّيـــون لأنّ الكتابة والقراءة كانت فيهم عزيزة أو عديمة [7]، ومنه قول عزّ و جـــلّ: ﴿ هُوَالَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾[8].

---

[4] – ابن عاشور ، التحرير و التنوير ، ج1 ، 573 .

[5] – متفق عليه عن ابن عمر ، أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب قول النبي لا نكتب و لا نحسب ، رقـــم 1780 . و مســـلم في كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ، رقم 1806 . و أخرجه النسائي وأحمد .

[6] – أخرجه أحمد في باقي مسند الأنصار عن حذيفة بن اليمان ورحاله لا بأس بهم رقم 22308 .

[7] – ابن منظور ، لسان العرب ، ج12 ، ص 34 ، حرف الميم فصل الهمزة .

[8] – سورة الجمعة ، الآية 2 .

"وقيل لسيّدنا محمّد ﷺ الأمّيّ ، لأنّ أمّة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب ، وبعثه الله رسولا وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب . وكانت هذه الخلّة إحدى آياته المعجزة لأنّه ﷺ تلا عليهم كتاب الله منظوما تارة بعد أخرى ، بالنّظم الّذي أنزل عليه ، فلم يغيّره ولم يبدّل ألفاظه . وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثمّ أعادها ، زاد فيها ونقّص ، فحفظه الله عزّ و جلّ على نبيّه كما أنزله ، وأبانه من سائر من بعثهم إليهم بهذه الآية الّتي باين بينه و بينهم بها ، ففي ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [9]، الّذين كفروا و لقالوا : إنّه وجد هذه الأقاصيص مكتوبة فحفظها من الكتب [10].

المعنى الثاني :

و من معاني الأمي أنه الذي لا يفهم و لا يفقه حقيقة الأمور . و بهذا فسر البعض قوله تعالى : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ [11].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : عن ابن عباس و قتادة في قوله تعالى : ﴿ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ﴾ ، أي غير عارفين بمعنى الكتاب ، يعلمونها حفظا و قراءة بلا فهم ، و لا يدرون ما فيه ، و قوله : ﴿ إلا أماني ﴾ أي تلاوة ، فهم لا يعلمون فقه الكتاب ، إنما يقتصرون على ما يسمعونه يتلى عليهم [12].

و قال العلامة ابن عاشور : " و قد قيل (الأماني) القراءة ، أي لا يعلمون الكتاب إلا كلمات يحفظونها ، و يدرسونها لا يفقهون منها معنى ، كما هو عادة الأمم الضالة ، إذ تقتصر على الكتب على الرد دون فهم ، و انشدوا على ذلك قول حسان في رثاء عثمان ﷺ :

---

[9] - سورة العنكبوت ، الآية 48 .

[10] - ابن منظور ، ن م ، ج12 ، ص 34 .

[11] - سورة البقرة ، الآية 78 .

[12] - محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن ، ص 14 .

تمنى كتاب الله أول ليله و آخره لاقى حمام المقادر

أي قرأ القرآن في أول الليل الذي قتل فيه [13].

المعنى الثالث :

و من معاني الأمي أيضا الذي يفهم الأمور فهما خاطئا بعيدا عن الحقائق ، و لهذا فسروا (الأماني) بالأكاذيب ، " لأن الكاذب ما كذب إلا لأنه يتمنى أن يكون ما في نفس الأمر موافقا لخبره ، فمن أجل ذلك حدثت العلاقة بين الكذب و التمني ، فاستعملت الأمنية في الأكذوبة ، فالأماني هي التقادير النفسية ، أي الاعتقادات التي يحسبها صاحبها حقا و هي ليست كذلك ، أو هي الفعال التي يحسبها العامة من الدين و هي ليست منه ، بل ينسون الدين و يحفظونها ، و هذا هو دأب الأمم الضالة عن شرعها ، أن تعتقد ما لها من العوائد و الرسوم و المواسم شرعا "[14].

المعنى الرابع :

و من المعاني الأساسية للأمية ، ذهاب روح العلم ، و ضياع مقاصده الأصلية ، فعن الإمام أحمد بن حنبل [15] بسنده إلى زياد بن لبيد ﷺ [16] قال : **ذكر النبي ﷺ شيئا فقال : "و ذاك عند أوان ذهاب العلم" قال : قلنا : يا رسول الله و كيف يذهب العلم و نحن نقرأ القرآن و نقرئه أبناءنا ، و يقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة ؟ قال :"**

---

[13] – التحرير و التنوير ، ج1 ، ص574 ، 575 .

[14] – التحرير و التنوير ، ج1 ، 574 .

[15] – هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد من بني ذهل بن شيبان ، أحد الأئمة الأربعة ، ولد ببغداد عام 164هـ ، رحل في طلب العلم إلى أمصار كثيرة و تتلمذ على شيوخ أفذاذ أمثال الإمام الشافعي والقاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة و سفيان بن عيينة و هشيم بن بشير و عبد الرحمن بن مهدي ، ابتلي بمحنة خلق القرآن فثبت و اظهر الله على يديه مذهب أهل السنة ، له مصنفات كثيرة منها : المسند و فيه 30 ألف حديث ، و " المسائل " و " الأشربة " و " فضائل الصحابة " ، توفي عام 241ه

[16] – هو الصحابي الجليل أبو عبد الله زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية الأنصاري الخزرجي ، خرج إلى الرسول ﷺ و أقام معه بمكة حتى هاجر إلى المدينة ، فكان يقال له مهاجري أنصاري ، شهد العقبة و بدرا و المشاهد كلها واستعمله الرسول على حضرموت . (موسوعة الحديث الشريف ، ق م ، CD-R) .

ثكلتك أمك يا بن أم لبيد ، إن كنت لأراك من أفقه رجل بالمدينة ، أو ليس هذه اليهود و النصارى يقرءون التوراة و الإنجيل لا ينتفعون مما فيهما بشيء "[17].

فقد بين ﷺ أن ذهاب العلم ، و انتشار الجهل و الأمية لا يقصد به ذهاب القرآن (المنهج) ، و لا عدم التمكن من قراءته ، و إنما ذهاب العلم هو عدم الانتفاع بهذا (المنهج) و فقدان (منهج) و كيفية التعامل معه و التفاعل به ، و هو ما يمكن تسميته بالأمية العقلية أو الفكرية أو الثقافية [18].

"و الأمية العقلية هذه تسود الأمة في حال التقليد ، و الغياب الحضاري ، و العجز عن تدبر القرآن و التعامل مع الأحداث و اتخاذ المواقف ، و اكتشاف سنن الله في الأنفس و الآفاق و حسن تسخيرها و معرفة كيفية التعامل معها ، و النفاذ من منطوق النص و ظاهره إلى مقصده و مرماه ، و التدخل حين نعلم السنة و أنها تتكرر و لا تتبدل ، فنستطيع توجيهها إلى حيث نريد و نفيد ... "[19].

المعنى الخامس :

و من المعاني الجامعة للأمية الجهل ببواطن الأشياء ، و عدم معرفة وظائفها الوجودية التي خلقت لأجلها ، و الاكتفاء منها بمعرفة ظواهرها فقط ، و هذا النوع من الأمية ناشئ عن الجهل بأهم عنصر للمعرفة و هو سنن الهداية . و قد جاء فيه قوله تعالى : ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [20]، و قال تعالى : ﴿ أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم

---

[17] – أخرجه في مسند الشاميين رقم 16828 . و ابن ماجة في كتاب الفتن باب ذهاب القرآن و العلم رقم 4038 . و الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في ذهاب العلم رقم 2577 ، عن أبي الدرداء و قال هذا حديث حسن غريب .

[18] – عمر عبيد حسنة ، من تقديمه كتاب ، محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن ، ص 16 .

[19] – عمر عبيد حسنة ، م س ، ص 14 .

[20] – سورة الروم ، الآية 6 ، 7 .

لكافرون ﴾ [21]، و يقول : ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة و أثاروا الأرض و عمروها أكثر مما عمروها و جاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله و كانوا بها يستهزئون ﴾ [22]. فهذه الآيات تبين أن " الذي لا يتصل قلبه بضمير ذلك الوجود ، و لا يتصل حسه بالنواميس و السنن التي تصرفه ، يظل ينظر و كأنه لا يرى ، و يبصر الشكل الظاهر و الحركة الدائرة ، و لكنه لا يدرك حكمته و لا يعيش بها و معها ، و أكثر الناس لأن الإيمان الحق هو الذي يصل ظاهر الحياة بأسرار الوجود ، و هو الذي يمنح العلم روحه المدرك لأسرار الوجود و المؤمنون هذا الإيمان قلة في مجموع الناس و من ثم تظل الأكثرية محجوبة عن المعرفة الحقيقية " [23].

و من هنا نخلص إلى أن مفهوم الأمية من منظور إسلامي يتحدد في ضوء معرفة حقيقة "القراءة" و "الاستقراء" الذي يعني طلب القراءة من المقروء نفسه ، و كأنه هو الذي ينبئ و يخبر عن نفسه و عن حقيقته كما هو في الواقع ، لا كما يتصور أو يتخيل . و أن الأمية مراتب و أنواع ، نلخصها فيما يلي :

1 – أمية قراءة المسطور :

و يشمل هذا النوع ما كان مسطورا سماويا (الوحي)، أو كان مسطورا بشريا (الناتج عن تفاعل العقل مع الوحي أو تفاعله مع الكون) .

و يندرج ضمن هذا النوع عدة أضرب من الأمية نذكر منها :

أ) أمية قراءة المكتوب (كل رمز استعمل للاتصال) .

ب) أمية فهم المكتوب (فهم باطني و ظاهري) .

ج) أمية الانتفاع بالمكتوب (في العاجل و الآجل) .

---

[21] – سورة الروم ، الآية 8 .

[22] – سورة الروم ، الآية 9 – 10 .

[23] – سيد قطب ، في ظلال القرآن . ج5 ، ص 2759

2 – أمـــية قراءة و تسخير المنظور : (الكون بما فيه من أنفس و أفاق).

فأما بالنسبة لأمية سنن الأنفس فهي تتفرع إلى :

أ) أمـــية الاعتبار من الماضي .

ب) أمـــية التعامل مع الحاضر .

ج) أمـــية الاستشراف للمستقبل .

و أما بالنسبة للأمية الخاصة بسنن الأفاق فهي تتفرع إلى :

أ) أمـــية فهمها .

ب) أمـــية الانتفاع بها .

3 – أمـــية الربط بين المعارف و العلوم و الخبرات و التجارب :

و هي الجهل بالعلاقات التي تربط بين كل أصناف و أنواع المعـــــارف و العلـــوم و الخبرات و التجارب سواء كان مصدرها سنن الهداية أم سنن الآفاق و الأنفس .

4 – الأمـــية الوظيفية :

و هي الجهل بالوظيفة الوجودية للمعارف و العلوم و الخبرات و التجارب ، أيـــــا كان صنفها و نوعها. و في البيانين التاليين ملخص لكل ما سبق و مزيد بيان و توضيـــــح لـــه .

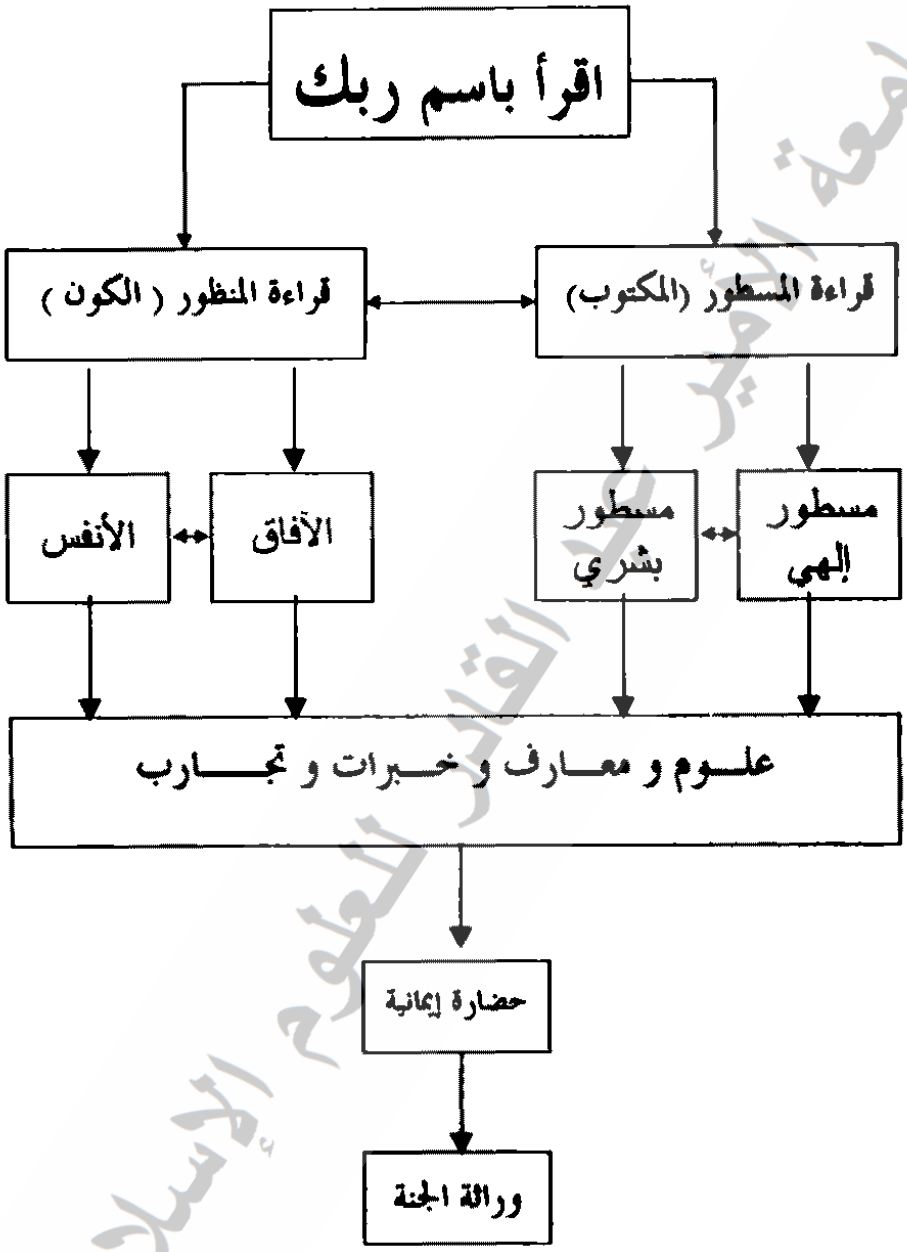

القـــراءة في المـنهج الإسـلامي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

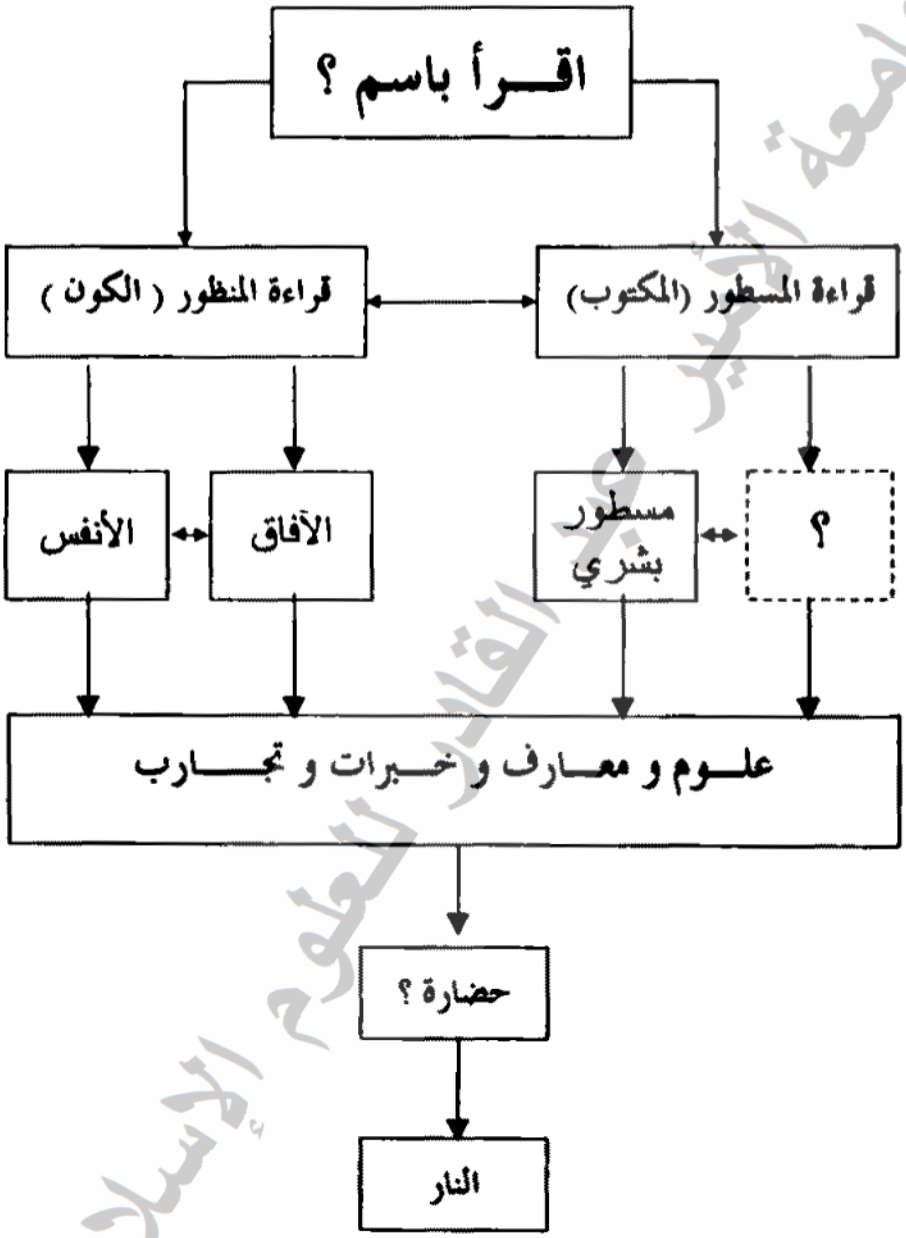

القــراءة في المنهج الوضعي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثـــانيا – خصائص المفهوم الإسلامي للأمية :

1- إن مفهوم الأمـــية في القرآن الكريم و السنة النبوية شـــامل لجميـــع أنـــواع الأمـــية و درجاتها ، بدء من أمـــية القراءة و الكتابة إلى أمية الانتفاع ، و العمل بالعلم .

2- إنه مفهوم صالح لكل زمان و مكان ، فمهما تغيرت أحوال الإنسان يبقـــى هذا المفهوم شاملا ، لأنـــه إنساني عالمي و حضاري ، بينما المفاهيم المتداولة مفاهيم إمـــا محلية أو إقليمية ، و هي آنية ؛ مثال ذلك أن البلدان المصنعة كانت في القرن التاسع عشـــر تعتبر أن الأمي هو الشخص الذي يجهل كتابة اسمه ، و مع مطلع القرن العشـــرين حتـــى منتصفه كان يعتبر أمـــيا كل شخص لا يجيد القراءة و الكتابة ، و هو المفـــــهوم الـــذي تعتمده معظم البلدان في إحصاءاتها للأميين [24].

3- إنه مفهوم كلي مرتبط بوظيفة الإنسان في الوجود ، و ليس مفهومها جزئيـــا. فهو يشمل كل المعارف النافعة للإنسان في دنياه و آخرته ، بينما المفهوم الغربي – و الذي اعتمدته اليونسكو و تبنته معظم دول العالم الإسلامي – مفهوم جزئي مبتور عن العلـــوم و المعارف النافعة في الآخرة [25].

4- إنه مفهوم وظيفي ، فالإنسان الأمي في القرآن و السنة هو الذي يفتقد علمـــا من العلوم أو معرفة من المعارف النافعة له في عاجل أمره أو آجله ، و بإمكانه تحصيلـــــها و لكنه لا يفعل .

5- إن المعايير التي تحكم هذا المفهوم ليست معايير مادية فقط ، كما في المفـــــهوم الغربي للأمـــية ، الذي يربطها بالتطور المادي و العمراني لحضارته [26]، و إنما هي معايـــير شاملة ، تشمل الأخلاق و المعرفة و الرقي المادي و المعنوي ...

6- إن مفهوم الأمـــية في الإسلام تحكمه النظرية المعرفية في الإســـــلام ، و الـــتي تتلخص في أن المعارف الإنسانية الحقة تستقي من السنن التشـــــريعية (ســـنن الهدايـــة)

---

24 - سعيد إسماعيل علي ، الأمية في الوطن العربي - الوضع الراهن و تحديات المستقبل ، الطبعة الأولى ، (عمان الأردن : مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية ، 1991)، ص 39 .

25 - ن م .

26 - اندري ليستاج ، الامية و محو الامية - دراسات و وثائق تربوية ، العدد 42 ، (باريس: 1984)، ص 5 . في : زين الدين بوزيد ، عبد الحكيم بوعالقة ، واقع محو الامية في الجزائر .

و السنن التكوينية (سنن الآفاق و سنن الأنفس) . فكل جهل بنوع من هذه السنن يحول دون وظيفة الإنسان في الوجود ، المتمثلة في العبودية لله وفق ما شرع ، و الخلافة لـــه في الأرض وفق ما أراد ، فهو أمـــية يجب القضاء عليها ، بينما المفهوم الغربي للأمـــية يرتبط بجهل السنن التكوينية فقط .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

آثار الأمية على رسالة الجمعة

أولا – واقع الأمية في المجتمع الإسلامي المعاصر :

تعاني الأمة الإسلامية اليوم أزمة الأمـــية بجميع أنواعها و ضروبها ، فقد تفشـــت فيها و انتشرت بشكل رهيب جدا ، و كان من نتيجتـــها أن أصبحـــت آخـــر الأمـــم و أضعفها ، و أرذلها و أهونها .

و تعتبر الأمـــية في حق أي فرد أو جماعة أو أمة ، أشد الأمراض الاجتماعية خطرا و أعظمها فتكا ، و ذلك لكونها هي الرحم الذي فيه تتخلق و منه تتولد جميع الأزمـــات التي تحول دون تحقيق السعادة في الدارين الأولى و الآخرة .

و إذا كان طلب السعادة بالنسبة للإنسان أمرا فطريا فيه ، و إذا كانت الشـــرائع إنما وضعت لدرء المفاسد و جلب المصالح ، فإن تحقيق ذلك ، دونه عوائق لا حصر لهـا ، و كلـــها إنما منشؤها من الجهل و الأمـــية ، قال عز وجـــل: ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ [27].

و يحدثنا التاريخ أن المسلمين لما اقتفوا آثار العلم الصحيح الذي أسسه لهم كتـــاب الله و سنة رسوله ﷺ بنوا أعظم حضارة عرفها الإنسان ، فلمـــا أن حـــل بهـــم الجـــهل و تفشت فيهم الأمـــية ، و أعرضوا عن ذكر الله و عن علمه ، حل بدارهـــم الخـــراب و أصبحت معيشتهم ضنكا و شلوا حتى كادت ريحهم أن تذهب .

---

[27] – سورة الأحزاب الآية 72 .

إن إلقاء نظرة فاحصة على شعوب العالم الإسلامي و تقصي ظاهرة الأمية في ضوء أنواعها المبينة سلفا ، يبين أن الأمر في منتهى الخطورة .

فبالنسبة لأمية القراءة و الكتابة التي تعتبر النوع الأكثر قابلية للعد و الإحصاء ، تفيد التقارير السنوية للهيئات و المؤسسات المختصة في ذلك بما يبعث الرعب في النفوس و الهلع في القلوب من جراء العدد المتزايد للأميين في العالم الإسلامي [28].

ففي الجزائر مثلا ، بعد أن كان العدد الإجمالي للأميين في تناقص من سنة 1962 إلى سنة 1966 ، صار العكس هو الجاري منذ تلك السنة إلى الآن [29]. و هكذا هو الشأن بالنسبة لأغلب دول العالم الإسلامي . فهي لم تتمكن منذ عقود من الزمن من القضاء و لو على أسهل أنواع الأمية و هو الأمية الأبجدية ، في حين أن هناك دولا من العالم الثالث قضت عليها في سنة لتتفرغ لبقية الأنواع [30].

فإذا ما انتقلنا إلى بقية الأنواع الأخرى وجدنا الأزمة أعظم و أعم و ذلك من خلال انتشار :

- الجهل بسنن الهداية
- الجهل بسنن الآفاق و الأنفس .
- الجهل بسنن الاستخلاف [31].

---

28 _

29 _ زين الدين بوزيد وعبد الحكيم بومالة ، واقع عملية محو الامية في الجزائر ، مذكرة ليسانس، معهد علم الاجتماع. 96 / ص ١٥٤ - ١٩٥ .

30 - مثال ذلك كوبا، انظر: حسن محمد حسن، ابراهيم السيد الهويلي، جهود محو الامية بين النظرية و التطبيق في مه مجلة كلية التربية ، المنصورة ، العدد ١١ سبتمبر ١٩٨٩ .

31 - محسن عبد الحميد ، أزمة المثقفين تجاه الإسلام . الطبعة الرابعة (القاهرة : دار الصحوة للنشر و التوزيع ، 1405هـ/1984) ، ص ص 49 – 56 . برغوث الطيب ، الأبعاد المنهجية للفعل الدعوي في الحركة النسوية . ص 57 .

ثـــانيا – أخطار الأمـــية على رسالـــة الجمعة :

كيف تشكل الأمـــية عائقا أمام رسالة الجمعة ؟

إن رسالة الجمعة على ما تبين في الأبواب السابقة بجميع فصولها رســـالة شـــاملة ، فهي تستوعب بأسلوب مباشر و غير مباشر جميع مقاصد الشريعة الغـــراء ، و تتلخـــص في كونها تسعى لتحقيق الوظيفة الوجودية للإنسان المتمثلة في :

- القيام بأعباء العبودية لله ﴿ و ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[32].

- القيام بأعباء الاستخلاف ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾[33].

و من المسلم به أن هذه الوظائف لا يمكن القيام بها بغير سلطان العلم ، و هذا يدل على أن ذهاب العلم و حلول الجهل و الأمية ، يعتبر أكبر الأخطار على هذه الوظيفـــة ، و بالتالي على رسالة الجمعة ، و بيان ذلك كما يلي:

1 – أخطار الأمية على وظيفة العبودية لله وعلى وظيفة التدين :

إن أوجب الواجبات على الإنسان هـــو تحقيق الغاية الأساسية من خلقه وهـــي عبادة الله عز وجل : قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [34].

و العبادة المقصودة هي كمال الطاعة لله بسبب كمال المحبة و الرجاء و الخـــوف ، و لكن الوصول إلى هذه المحبة و توابعها لا يكون إلا بعلم و معرفة بالمحبوب واقتناع كـــامل بأهليته لهذه الدرجة القصوى من الولاء[35]، لهذا اشترط الإســـلام في الإيمـــان أن يكـــون على علم يقيني ، و إلا لم يقبل من صاحبه ، قال تعـــالى:﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر

---

[32] – سورة الذاريات ، الآية 56 .

[33] – سورة البقرة ، الآية 30 .

[34] – سورة الذاريات ، الآية 56 .

[35] – مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، 37 ج ، جمع و ترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد (الرباط : مكتبة المعارف) ، ج1 ، ص 22 ، 23 .

لذنبك ﴾ [36]، ويقول : ﴿ واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون ﴾ [37] ، بل إن الله عز وجل قرن ثمار العبودية بالعلم فقال : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [38].

إن العبادة في الإسلام - التي هي روح العلاقة بين الإنسان و ربه و محور التدين - ترتبط بالعلم والمعرفة ارتباط النتيجة بالسبب ، فلا عبادة حيث ينعدم العلم و تغيب المعرفة ، و من هنا نفهم وجه تفسير بعض المفسرين لقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ بقولهم : ليعرفوني [39]. فالعبادة الحقة الصحيحة تقتضي وجوب المعرفة ، فإذا ما غابت وحل محلها الجهل و الأمية ، انتفت العبادة من أساسها و انتقضت من أركانها .

و لقد أوضح القرآن الكريم و أبان أن الجهل (الأمية) هو الحالقة لعلاقة الإنسان بالله عز وجل في الكثير من المواضيع .

فقد كان هو السبب - و لا سبب غيره - في ضلالة أقوام كثر وانحرافهم عن منهج الله عز وجل ، فهاؤم بنو اسرائيل يقول فيهم الله عز وجل : ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾ فيجيبهم موسى عليه السلام : ﴿ قال إنكم قوم تجهلون ﴾ [40] .

و هاهو ذا نوح عليه السلام صاحب أسن دعوة إلى الله عز وجل يرجع أسباب إعراض قومه عن دعوته و ضلالهم إلى الجهل ، قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما

---

[36] - سورة محمد ، الآية 19 .

[37] - سورة البقرة، الآية 202 .

[38] - سورة فاطر ، الآية 28 .

[39] - أبي الحسن علي بن حبيب الماوردي ، النكت و العيون الشهير بتفسير الماوردي ، تحقيق خضر محمد خضر ، مراجعة عبد الستار أبو غدة ، 4ج ، الطبعة الأولى ، (الكويت : مطابع مقهوي ، 1402هـ/ 1982م) ، ج4 ، ص 107 .

[40] - سورة الأعراف ، الآية 138 .

نراك إلا بشرا مثلنا و ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي و ما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم أرءيتم إن كنت على بينة من ربي و ءاتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون و يا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله و ما أنا بطارد الذين ءامنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوما تجهلون ﴾ [41].

و في قصة هود مع قومه يذكر القرآن أن سبب الأصلي هو جهلهم و أميتهم المركبة ،قال تعالى : ﴿ وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون ﴾ [42]، فقد بين عليه السلام أن عدم استجابتهم و رفضهم عبادة الله سببه أنهم لا يعقلون .

و يتأكد هذا الأمر في موضع آخر إذ يقول لهم أخوهم هود : ﴿ قال إنما العلم عند الله و أبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون ﴾ [43]. و قال عز من قائل : ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ [44].

و كما أن الجهل و الأمية هما سببا الإعراض عن منهج الله و رفضه و الكفر به و الصد عنه ، فهو سبب للدعوة لغير الله عز و جل ، و في ذلك قال الله تعالى : ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ [45].

---

[41] – سورة هود ، الآية 25 – 29 .

[42] – سورة هود ، الآية 50 ، 51 .

[43] – سورة الأحقاف ، الآية 23 .

[44] – سورة الأنعام ، الآية 111 .

[45] – سورة الزمر ، الآية 64 .

و في قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه بيان لسبب زيغهم و تنكبهم عن عبادة الله عز و جل : ﴿ قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا و لا يضركم أف لكم و لما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ [46].

و كما أن الجهل يورث صاحبه الكفر و الضلال ، فإنه لا خلاف في كونه مورث جميع أنواع البدع و المعاصي ، و كلها من القواصم و القواطع لعلاقة الإنسان بربه ، لأن الابتداع في الدين هو محض الضلال ، قال النبي ﷺ "... و كل بدعة ضلالة "[47]. و الضلالة ضد الهدى لقوله تعالى :﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ [48].

و قد أرجع العلماء منشأ الابتداع في الدين إلى ثلاثة أسباب و هي[49]:

- الاختلاف في أصل الدين .
- اتباع الهوى .
- التصميم على اتباع العوائد و إن فسدت أو كانت مخالفة للحق .

و هذه الأسباب الثلاثة إنما هي في حقيقتها راجعة إلى أصل واحد و هو الجهل . قال الإمام الشاطبي :" هذه الأسباب الثلاثة راجعة في التحصيل إلى وجه واحد و هو الجهل بمقاصد الشريعة و التخرص على معانيها بالظن من غير تثبت "[50].

و كذلك بالنسبة للمعاصي فهي و إن تنوعت مراتبها و تعددت مشاربها فهي عائدة إلى الجهل و الأمية ، قال تعالى : ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة و أنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون ﴾ [51]، و قال على لسان

---

[46] – سورة الأنبياء ، الآية 66 ، 67 .

[47] – سبق تخريجه وهو من حديث طويل أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة و الخطبة عن جابر بن عبد الله رقم1435. و النسائي و أبو داود و ابن ماج و أحمد .

[48] – سورة البقرة ، الآية 16 .

[49] – الشاطبي ، الاعتصام .2ج ، (بيروت : دار المعرفة ، 1405 هـ/1985) ، ج2 ، ص ص 164 – 182 .

[50] – الاعتصام ، ج2 ، ص 182 .

[51] – سورة النمل ، الآية 54 ، 55 .

يوسف عليه السلام :﴿ قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين ﴾[52] ، و ﴿ قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون ﴾[53] .

فالعلم الحق هو الذي يمنع صاحبه من اقتراف المعصية لأنه يدرك به أن المعاصي هي محض الضرر و الشر ، و ما سمي العقل عقلا إلا لأنه يعقل صاحبه عن الضر .

2 – أخطار الأمية على الوظيفة الاستخلافية :

إن أصدق وثيقة على تاريخ البشرية تحدثنا بما لا ريب أن الاستخلاف الإنساني على الأرض كانت بدايته مؤسسة على العلم الإلهي الذي أنعم به الله عز و جل على أب البشرية آدم عليه السلام حيث جاء في القرآن : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضها على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾[54] .

فهذه القصة تثبت أن الإنسان ما نال شرف خلافة الأرض و عمارتها إلا بالعلم الذي وهبه له الله عز و جل ، و أن العلم هو المعيار الذي اختبر به الله قدرات و مؤهلات كلا من الملائكة و آدم عليه السلام ، و أن محو الجهل كان هو أول لبنة وضعت في صرح الخلافة يوم شاء الله لها أن تكون .

و قد شاءت حكمة الله أن تتجلى قيمة العلم في ميزان الله سبحانه ، و تتجلى علاقته بالخلافة في آخر رسالة من السماء إلى الأرض ، فكان أول ما أنزل على آخر من

---

[52] – سورة يوسف ، الآية 33 .

[53] – سورة يوسف ، الآية 89 .

[54] – سورة البقرة ، الآية 30 – 33 .

أرسل من الأنبياء هو قول الله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ [55]، فبدأ بذلك عهد جديد ؛ هو عهد ﴿ اقرأ ﴾ و ﴿ علم بالقلم ﴾ و ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾[56] و عهد ﴿ وكتاب مسطور في رق منشور ﴾ [57] و قد سمي هذا التنزيل علما ليكون هو النور الذي تستضيء به الخلافة في عهدها الجديد ، فقال تعالى : ﴿ ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير ﴾ [58].

و إذا كانت عمارة الأرض لا تتسنى بغير فقه سنن التسخير ، فإن هذا واضح الدلالة في كون الجهل بهذه السنن يعيق هذه المهمة ، و من هنا ندرك أن الجمعة لا يمكنها تحقيق رسالتها المنوطة بها على صعيد عمارة الأرض ما دام من تخاطبه لا يملك ناصية الحد الأدنى الذي يسخر به هذا الكون . قال الأستاذ جودت سعيد :" من المقرر في كتاب الله و المشاهد في الواقع أن الكون مسخر للإنسان ، و أن هذا التمكن من التسخير يزداد بازدياد العلم ... و التسخير يعني الخدمة مجانا ، و لكن هل يخدم الكون الانسان – في الواقع – مجانا أم لا ؟ إن الكون يخدم الانسان مجانا إذا فهم الانسان كيف يوجه الأوامر إلى الكون ، و تزداد قدرة الإنسان على التسخير كلما زاد فهم الإنسان لكيفية توجيه الأوامر إلى الكون ، و توجيه الأوامر : هو معرفة السنن " [59].

---

[55] – سورة العلق ، الآية 1 .

[56] – سورة القلم ، الآية 1 .

[57] – سورة الطور ، الآية 2 ، 3 .

[58] – سورة البقرة ، الآية 120 .

[59] – جودت سعيد ، العمل قدرة و إرادة ، ص 55 ، 56 .

الفصل الثالث

ضعف خطاب الجمعة

المبحث الأول : ضعف خطاب الجمعة -المظاهر الأسباب -

المبحث الثاني : آثار ضعف خطاب الجمعة على رسالتها

المبحث الثالث : دور القائمين على المساجد في مواجهة ضعف خطاب الجمعة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

ضعف خطاب الجمعة - المظاهر و الأسباب -

أوّلا - مفهوم ضعف خطاب الجمعة

يعتبر ضعف خطاب الجمعة من أعظم و أخطر العوائق الّتي تواجه رسالة الجمعة ، و ذلك لكونه يتعلّق بالرّكنين الأوّلين من أركان العمليّة الإعلاميّة المتمثّلين في :

المصدر أو المرسِل :

حيث إنّ القائمين على خطاب الجمعة ، سواء كانوا أفرادا (الخطباء) ، أو كانوا موسّسات و هيئات (المديريّات أو النّظارات و الوزارات) ، يعاني أغلبهم من ضعف و عجز كبيرين [1] ، و هو ما كان له آثار سلبيّة على مقاصد الخطاب المسجدي .

الرّسالة :

حيث إنّ غالبيّة الخطب الّتي تُلقى على السّامعين في كلّ جمعة عبر العالم الإسلاميّ تمتاز بالضّعف و العجز [2].

و لقد بات معلوما أنّ نجاح العمليّة الاتّصالية يتوقف على توافر عدّة شروط في كلّ ركن من أركان العمليّة ، و خاصّة بالنّسبة للرّكن الأول المتمثّل في المصدر أو المرسل [3].

و قد بيّن الخبراء في هذا الميدان أنّ ثمّة أربعة شروط ينبغي أن توجد في المصدر و هي :

1- الحدّ الأدنى من المهارات الاتّصالية . مثل حسن القراءة و الكتابة و المقدرة على وزن الأمور .

---

[1] - ابن العطار الدمشقي ، أدب الخطيب ، تحقيق محمد بن الحسن السليماني ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1996م) ، ص .

[2] - مقالات في الدعوة و الإعلام الإسلامي ، ص ص 58 – 70 .

[3] - سمير محمد حسين ، الإعلام و الاتصال بالجماهير و الرأي العام ، الطبعة ، (القاهرة :

2- الحدّ الأدنى من الاتّجاهات و العلاقات الإيجابيّة :

- بين المصدر و نفسه : (الثّقة في النفس).

- بين المصدر و الرسالة أو الموضوع : (ارتباطه به عاطفيا) .

- بين المصدر و المتلقي : (حبه و احترامه) .

3- الحد الأدنى من العلم و المعرفة حول الموضوع أو الرسالة المراد ايصالها ، لأننا لا نستطيع أن ننقل ما لانعرفه و مالا نفهمه و ما لا نحسن فن تبليغه .

4- الحد الأدنى من المكانة الثقافية و الاجتماعية [4].

جاء في كتاب (مقالات في الدعوة الإعلام الإسلامي) [5]: " إن خطبة الجمعة لا تزال قائمة في عالمنا الإسلامي ، و المساجد تتزايد باستمرار فتتزايد معها المنابر الإسلامية ، لكن هذه المنابر لما تستثمر حتى الآن الاستثمار الكافي ، و الخطباء الذين يتحدثون من خلالها ليس أكثرهم – مع احترامنا و تقديرنا للجميع – على مستوى الخطابة بمعناها الصحيح ، بل تجد فيهم – للأسف الشديد – من لا يدرك معنى الخطابة كفن من فنون الدعاية و الإعلام ، و من يتصور أن الخطبة هي مخاطبة الناس من عل و بصوت مرتفع ، دون أن يعلم خطورة المنبر الذي يعتليه ... بينما الخطباء البارعون الذين يتقنون فن الخطابة و يحسنون توظيفه ، و يدركون دوره الخطير في الدعوة ، قلة قليلة لا تغطي الملايين الذين يرتادون المساجد ، باحثين عن المعنى المحرك ، و القيمة المؤثرة ، و التحليل الذكي و الثقافة الواعية و الفكر السليم " [6].

ثانيا : مظاهر ضعف الخطاب :

إنّ مظاهر ضعف خطب الجمعة كثيرة و متنوّعة . لهذا فإنّ هذا المبحث سيقتصر على ذكر الأهمّ و الأظهر منها فحسب ، و هي :

1. الطّرح التّجزيئيّ بدل الشّموليّ .
2. المعالجة السّطحيّة بدل العميقة .

---

[4] – عاطف عدلي العبد ، الاتصال و الرأي العام ، الطبعة ، (القاهرة : دار الفكر العربي ، 1993 م) ، ص

[5] – تأليف لجنة من المفكرين . سلسلة كتاب الأمة .

[6] – محمد عماد محمد ، خطبة الجمعة في العالم الإسلامي "ملاحظات لابد منها " ، ص 60 .

3. المعالجة النّظريّة بدل العمليّة .
4. طرح القضايا الخلافيّة .
5. عدم التّوازن في طرح المواضيع .
6. معالجة مواضيع كثيرة في خطبة واحدة .
7. البعد عن الواقع .
8. عدم استغلال المناسبات .
9. الإطالة المملّة أو التّقصير المخلّ .
10. الارتجال بلا كفاءة .
11. عدم التّوازن بين الإثارة الوجدانيّة و الإقناع العقليّ .
12. عدم التّناسق بين انفعال الخطيب و موضوع الخطبة .
13. عدم مراعاة الرّواد الجدد .
14. ضعف استعمال الوسائل و الأساليب المادّية و المعنويّة [7]...

ثـــالثا – أسباب ضعف خطاب الجمعة :

إنّ أسباب ضعف خطاب الجمعة كثيرة و متنوّعة و هي في حاجة إلى دراســـات نظريّة و ميدانيّة حتّى تأخذ حقّها من البيان . و نظرا لخصوصيّة هذا البحث و منهجـــه ، و مراعاة لأهدافه ، فإنّنا نكتفي بذكر أهمّها :

1 – ضعف الخطباء و قلّة الكفاءات المتخصّصة في ميدان الخطابة :

لقد عرّف المختصّون الخطابة فقالوا : " إنّها مصدر خَطَبَ يَخْطُـــبُ أي صـــار خطيبا ، و هي على هذا صفة راسخة في نفس المتكلّم ، يقتدر بها على التّصرّف في فنـــون القول لمحاولة التّأثير في نفوس السّامعين ، و حملهم على ما يُراد منهم بترغيبهم و إقناعـهم ، فالخطابة مرماها التّأثير في نفس السّامع ، و مخاطبة وجدانه و إثارة إحساسه للأمر الّـــذي يراد منه ، ليُذعن للحكم إذعانا و يسلّم به تسليما "[8].

---

[7] – المرجع السابق ، ص ص 60 – 66 .

[8] – محمد أبو زهرة ، الخطابة . ص 15 .

و عُرّفت الخطابة أيضا على أنّها : " فنّ مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائيّة تشتمل على الإقناع و الاستمالة "[9]. و قال ابن سينا : " إنّ الحكماء قد أدخلوا الخطابة في أقسام المنطق "[10].

و الأسئلة الّتي تطرح نفسها هنا هي :

هل خطباء الجمعة اليوم – الّذين يُعدّون بعشرات الآلاف – تصدق عليهم التّعريفات السّالفة للخطابة ، من كونها صفة راسخة في نفوسهم ؟

و هل هم مقتدرون على التّصرّف في فنون القول ؟

و هل يتوفّر في خطبهم عنصر الإقناع و الاستمالة ؟

و إذا كان الخطيب يجب أن يتحلّى بمجموعة من الآداب الخطابيّة عند إلقائه الخطبة مثل :

- سداد الرّأي : بأن يدرس موضوع خطبته دراسة تامّة و عميقة .
- صدق اللّهجة : و هو أن يظهر الخطيب مخلصا فيما يدعو إليه حريصا على الحقيقة فيما يعمل ، لأنّ ذلك هو الباعث على ثقة النّاس به .
- التّودّد للسّامعين : و ذلك بالتّواضع لهم ، و أن يكون ممّن يألفون و يؤلفون و أن يَشعر سامعوه بأنّه يسعى لمصلحتهم .
- مراعاة أحوال السّامعين و ذلك بمعرفة أفكارهم و أعمالهم و تصرّفاتهم [11].

فهل خطباء الجمعة اليوم يتحلّون بهذه الآداب ؟

و إذا كان الخطيب الكامل أو القريب منه ، يجب أن يتّصف بمجموعة من الصّفات اللازمة له ، و يجب أن ترسخ في نفسه حتّى تصير ملَكة فيه و هي :

- قوّة الملاحظة لحال جمهوره حتّى يتمكّن من التّفاعل معهم .
- حضور البديهة .
- طلاقة اللّسان .

---

[9] – عبد الجليل شلبي ، الخطابة و إعداد الخطيب ، الطبعة الثانية ، (القاهرة ، بيروت : دار الشروق،1407هـ/1986م) ، ص13 .

[10] – أبو زهرة ، م س ، ص 15 .

[11] – أبو زهرة ، م س ، ص ص 39 – 44 .

- رباطة الجأش .
- القدرة على مراعاة مقتضى الحال [12].

فهل خطباء الجمعة اليوم متحقّقون بهذه الصّفات ؟

و هل هي راسخة في نفوسهم ؟

إنّ الإجابة على هذه الأسئلة لا يحتاج إلى جهد عظيم ، إذ يكفي إلقاء نظرة على واقع الخطابة في العالم الإسلاميّ حتّى نجد الإجابة ماثلة أمام الأعين ، و هي أنّ أغلب الخطباء لا تتوفّر فيهم أدنى مواصفات الخطيب و آدابه .

2 – غياب التّخطيط العلميّ للنّشاط الخطابي :

نقصد بغياب التّخطيط العلميّ للنّشاط الخطابيّ ، انعدام وجود خطط علميّة في مناهج التّغيير الاجتماعيّ تخضع لها خطب الجمعة في العالم الإسلاميّ . و هذه في الحقيقة مشكلة رئيسيّة في الإعلام و الدّعوة الإسلاميّين على ما أكّد ذلك الخبراء [13].

إنّ التّخطيط في أبسط معانيه يعني استشراف ما يمكن أن يقع في المستقبل ، انطلاقا من معطيات الماضي (التّاريخ) و الحاضر (الواقع) . و يؤكّد صاحب كتاب (المسؤوليّة الإعلاميّة في الإسلام) " أنّ مصطلح التّخطيط بصفة عامّة يُعبّر عن تعبئة و تنسيق و توجيه الموارد و الطّاقات و القوى البشريّة و المعنويّة و المادّية و الماليّة ، المتاحة للمجتمع حاضرا و مستقبلا لتحقيق أهداف اقتصاديّة و اجتماعيّة و ثقافيّة متّفق عليها ، مترابطة و محدّدة و مرسومة في إطار سيّاسي ارتضاه المجتمع ، و في فترة أو فترات زمنيّة محدّدة . و العلاقة بين التّخطيط و الخطّة ، هي أنّ عمليّة التّخطيط تستلزم وضع مجموعة من الخطط ، إحداها عامّة تمثّل الأهداف الّتي ينشد المجتمع تحقيقها في خلال مدّة طويلة ، كما توضع خطط تفصيليّة " [14].

---

[12] – ن م ، ص ص 44 – 47 . دايل كارنيغي ، فن الخطابة – كيف تكسب الثقة و تؤثر بالناس – ، (بيروت : دار و مكتبة الهلال ، 1988) ، ص ص 64 – 71 .

[13] – محمد سيد محمد ، المسؤولية الإعلامية في الإسلام ، الطبعة الثانية ، (الجزائر :المؤسسة الوطنية للكتاب ،1986) ،ص59.

[14] – ن م ، ص 59 ، 60 .

و قد عرّف أحد الدارسين التخطيط فقال :" التخطيط هو نوع من ارتكاب الخطأ على الورق أي قبل الشروع في التنفيذ و تحديد المسار من مرحلة إلى أخرى ، و قد يعوج المرء في طريقه إلى الهدف نحو منعطفات و طرق جانبية متعددة ، و إذا لم يتم التحكم في اتجاه المسيرة فقد لا يصل المرء إلى هدفه أصلا ، أو قد يصل إلى مكان آخر غير المكان الّذي كان يقصده . إنّ التخطيط مع الرقابة و السيطرة يمكن المرء من المحافظة على السير في الاتجاه الصحيح ... و إن الفشل في التخطيط كالتخطيط للفشل"[15].

و عُرّف أيضا بأنه " تجميع المعلومات و افتراض توقعات في المستقبل من أجل صياغة النشاطات اللازمة لتحقيق أهداف المؤسسة ، و هو يضمن ارتباط النشاط بالأهداف ، و ذلك بتوجيه الجهود نحو الوصول إلى النتائج المرجوة "[16].

و على الرّغم من ضرورة التّخطيط و أهمّيته في جميع الأنشطة الإنسانية و بخاصة في مجال التغيير الاجتماعي ، إلاّ أنّ أغلب مساجد العالم الإسلاميّ ما تزال تمارس نشاطها الخطابيّ بنوع من العفويّة و السّذاجة و الارتجال .

إنّ الخطط التغييرية الناجحة ينبغي أن تشتمل على أربعة عناصر و هي :

- فهم الواقع فهما جيّدا أو شاملا و موضوعيّا .
- تحديد الأهداف بدقّة .
- اختيار أنسب الوسائل و أنجع الأساليب التّنفيذيّة .
- المتابعة و التّقويم [17].

غير أنّ واقع العالم الإسلاميّ اليوم يثبت أنّ خطب الجمعة لا تزال على سالف عهدها المنحطّ ، و أنّ غياب التّخطيط ما زال هو الأصل ، و أنّ كلّ مسجد يعتمد على المجهود الشّخصيّ للإمام الخطيب .

---

[15]- Hisham Altalib. **Guide de formation des cadres musulmans**. Traduit par Michèle Messaoudi, 1re édition 1994 (Herndon, Virginie. U.S.A : Institut International de la Pensée Islamique, p. 104.

[16]- Ibid. p. 105.

[17] - برغوث الطيب ، التغيير الإسلامي – خصائصه و ضوابطه – (الجزائر : مكتبة رحاب) ، ص ص 20 – 24 .

3 – انعدام المتابعة و المراقبة لآثار الخطاب :

إنّ أحـــد الأسباب الخطيرة الّتي ساهمت في إضعاف خطاب الجمعة و في تكريـــس عجزه ، هو انعدام المتابعة و المراقبة لرسالة هذا الخطاب في الواقع الاجتمـــاعيّ المدعـــوّ ، المعبّر عنه بالجمهور المتلقّي .

" إنّ المتلقّي للرّسالة الإعلاميّة يشكّل العنصر الثّاني من عناصر عمليّة الاتّصـــال ، و يعتبر أهمّ حلقة في العمليّة ، لأنّه إذا لم يصل المصدر إلى المتلقّي بالرّسالة يصبح و كأنّـــه يتحدّث إلى نفسه "[18].

و على الرّغم من أنّ المنهج الإسلاميّ في التّغيير لم يُغفل مطلقـــا أهمّيـــة المتابعـــة و المراقبة ، و لم يفرّط أبدا في التّنبيه على ضرورتها و وجوبها – إذ أنّ الرّسول ﷺ كان من هديه في دعوته عموما و في خطبه الجامعة كالجمع و الأعياد و المواســـم خصوصـــا ، أن يسأل النّاس هل وعوا عنه ما يقول ، و هل بلّغهم كما أمره الله ، فكان يقول : " **ألا هـــل بلّغت ؟** [19]" ، و كان لا يواصل حديثه حتّى يجيبه السّامعون الّذين كانوا يقولون دومـــا : بلى ! فيتّجه ببصره إلى السّماء قائلا : " **اللّهمّ فاشهد** "![20] – إلاّ أنّ الخطاب الإســـلاميّ الحديث ما زال بعد لم يعط لهذه المسألة حقّها ، و بقي الأمر متروكا .

4 – انعدام النّقد و التّقويم لخطاب الجمعة :

من بين العلل و الأدواء الّتي أثّرت على فاعليّة خطاب الجمعة و جعلته غـــير ذي تأثير إيجابيّ كبير في واقع الحركة التّغييريّة الإسلاميّة ، أنّه خطاب يكاد أن يكون خاليا مـــن النّقد و التّقويم العلميّين .

و المقصود بعمليّة النّقد و التّقويم العلميّين لخطاب الجمعة ، هو المراجعة المنهجيّـــة للخطاب ، من حيث مضمونه و من حيث شكله ، منذ أن كان أفكـــارا جنينيّـــة إلى أن

---

[18] – عاطف عدلي العبد ، الاتصال و الرأي العام ، ص 86 .

[19] – جزء من حديث سبق تخريجه .

[20] – جزء من حديث سبق تخريجه .

يُبلّغ للناس ، و ذلك وفقا لسنن الله التّشريعيّة أو سنن الهداية ، و سنن الله التّكوينيّة أو سنن الآفاق و سنن الأنفس .

و النّقد و التّقويم الصّحيحان للخطاب هما ما كانا قائمين على أساسين اثنين وهما :

- نقد الخطاب من حيث الإخلاص : وهذا من اختصاص صاحب الخطاب نفسه ، لأنّه لا أحد يطّلع على طويّة الإنسان إلاّ الله عزّ وجلّ ثمّ صاحب الطويّة ، ولأنّ الإخلاص مسؤوليّة فرديّة .
- نقد الخطاب وتقويمه من حيث الصّواب : وهذا من اختصاص صاحب الخطاب وغيره (مؤسسة ، هيئة ، أفراد ...)

5 – ضعف الاهتمام بالمحافظة على ثمرات الخطاب :

لا جدال في أنّ كلّ من يخاطِب غيرَه من النّاس إنّما يقصد أن يؤثّر في نفوسهم و يُقنعهم ، و أن يحملهم على ما يريد منهم ، و أن يظهر اقتناعهم بخطابه في سلوكات اجتماعيّة [21]. و كذلك هو الشّأن بالنّسبة لخطاب الجمعة ، فهو يسعى دوما لإحداث تغيير إيجابيّ في حياة المدعوّين ، و لولا هذا الهدف من أيّ خطاب لما كان لعمليّة الاتّصال بين النّاس أيّ معنى و فائدة . إذن فانتظار حدوث الثّمرات من الخطاب من أهمّ المراحل الأساسيّة في العمل التّغييريّ .

غير أنّ عمليّة الاتّصال و الخطاب تبقى عديمة الفائدة ما لم تُتبع كلّ مراحلها بالخطوة الأخيرة و هي المحافظة على ثمرات الخطاب . و هو ما ندرك من خلاله أنّ خطاب الجمعة ما لم يحافظ المضطلعون به على ثمراته ، فإنّه لا يبقى له أثر ، و يكون جهدا ضائعا و عملا عبثيّا ، لا قيمة له سوى التّعب و النّصب ، و تضييع الوقت و الجهد ، لهذا قال الله عزّ و جلّ : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾ [22].

---

[21] – أبو زهرة ، الخطابة ، ص 8 ، 15

[22] – سورة النحل ، الآية 92 .

"إنّ الفعل الدعوي ما لم يتواصل و ما لم يحافظ على منجزاته ، و مـــا لم يصـــل بالعملية التغييرية إلى نهايتها ، يكون جهدا ضائعا و عملا عبثيا لا قيمة له سوى مضاعفـــة متاعب الأفراد و المجتمع ، و تضييع الوقت و هدر الإمكانات "[23].

و الّذي يلاحظ اليوم الجهد التّغيـــيريّ الّذي تبذله خطب الجمعة يجد أنّ مجهودات جبّارة تبذل ، غير أنّ مسألة الاهتمام بالمحافظة على ما حقّقه الخطاب من ثمرات يكـــاد أن يكون منعدما ، فلا الأئمّة الخطباء يسعون لذلك ، ولا المؤسّسات الخاصّة بذلك تفعلـــه ، و هذا ما يجعل مجهودات كثيرة تذهب هباء منثورا .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[23] - برغوث الطيب ، الأبعاد المنهجية للفعل الدعوي للحركة النبوية ، ص 86 .

المبحث الثّاني

آثـــــار ضعف خطاب الجمعة على رسالتها

إذا كان خطاب الجمعة اليوم يتميّز في عمومه بالضّعف و عدم الفاعليّة ، فما هـي آثار ذلك على الرّسالة الإعلاميّة للجمعة ؟

قبل الإجابة على هذا السّؤال ينبغـــي الإشـــارة إلى أنّ خطـــورة الأزمـــة الّـــتي يعانيها خطاب الجمعة ، تكمن في تعلّقها بالرّكنين الأوّلين من أركان العمليّة الإعلاميّـــة – على ما سلف ذكره – وهنا يكمن الخطر لأنّ العطـــب إذا أصـــاب الرّكـــن الأوّل (مصدر الاتّصال) ، فإنّ أثره سيصيب حتما بقيّة الأركان .

إنّ أيّ عمليّة إعلاميّة أو أيّ خطاب يُتوقّع أن يكون له في الواقع الاجتماعيّ :

- إمّا أثرا إيجابيّا إذا كان الخطاب إيجابيّا .
- و إمّا أثرا حياديّا إذا كان الخطاب حياديّا .
- و إمّا أثرا سلبياً إذا كان الخطاب سلبيّا .

و لمّا كان خطاب الجمعة في عمومه مصابا ، فإنّ احتمال انتقال عدواه إلى الجمهور احتمال قويّ جدّا ، لا سيّما أنّ هذا الجمهور يعاني أنواعا كثيرة من الأمّيّة تجعله ذا قابليّـــة للتّوجيه بسهولة ، ممّن يعتقد أنّهم أعلم منه في أمور الدّين .

إنّ انتقال الأمراض بواسطة العدوى لا يقتصر على المجال الحيويّ فحســـب ، بـــل إنّ المجال الاجتماعيّ تجري عليه نفس السّنن و القوانين ، قال صـــاحب كتـــاب (روح الاجتماع) : " متى كثر تكرار أمر و أجمع المكررون عليه تولد من عملهم تيار فكـــريّ يتلوه ذلك المؤثر العظيم أي (العـــدوى) ...لأنّ للأفكـــار و المشـــاعر و التـــأثرات

و المعتقدات عدوى في الجماعات تماثل في قوتها عـــدوى الميكروبـــات و ذلـــك أمـــر طبيعي "[24].

و في هذا يقول الأستاذ مالك بن نبيّ : " ... ونحن نرى أنّ هناك شكلا آخر مـــن أشكال العدوى هو ذلك الّذي ينقل الأمراض الاجتماعيّة من جيل إلى جيل ، الأمر الّـذي يضطرّنا ... أن نقرّر أنّ هناك أيضا أنواعا من الجراثيم النّاقلة للأمراض الاجتماعيّة ، هـذه الجراثيم الخاصّة أفكار معدية ، أفكار تهدم كيان المجتمعات أو تعوق نموّها .

و على هذا نجد أنّ أهمّية الأفكار في حياة مجتمع معيّن تتجلّى في صورتين : فهي إمّـــا أن تؤثّر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعيّة ، و إمّا أن تؤثّـــر على عكـــس ذلـــك بوصفها عوامل ممرضة تجعل النّموّ الاجتماعيّ صعبا أو مستحيلا "[25].

إذن فإنّ وجه الخطر في إصابة خطاب الجمعة بـــالضّعف و العجـــز ، لا يكمـــن في كونه لا يحقّق المقاصد و الأهداف الّتي وضعها الشارع الحكيم للجمعة فحسب - على الرّغم من أنّ هذا الإخفاق في حدّ ذاته مصاب جلل ، و يجب شرعا و عقلا إعلان حالـــة الاستنفار القصوى لمواجهته و القضاء عليه - و إنّما يكمن في كونه قد ينقـــل عـــدواه إلى غالبية الجمهور من المصلّين ، و بخاصة أنّ هذا الجمهور تستحوذ عليه أنواع كثيرة مـــن الأمّيّة و التّقليد عن غير بصيرة .

قال (لوبون) :" إن لحبّ التّقليد تأثيرا كبيرا في النّاس و ليس التّقليـــد إلاّ أثـــرا بسيطا من العدوى ، و الإنسان شبيه بالحيوان ،يميل بطبعه إلى التقليـــد ، فـــالتقليد مـــن حاجاته على شرط سهولته ، و هذه الحاجة هي التي تجعل للبدء (المودة La Mode) تأثيرا كبيرا ، و القليل من الناس لا يقلد سواء كان ذلك في الأفكـــار أو الآراء أو الأدبيـــات أو اللباس ، لأن الذي تقاد به الجماعات هو المثال (القدوة) و ليس البرهان "[26].

---

[24] - غوستاف لوبون ، روح الاجتماع ، ص 141 .

[25] - بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ص 14 .

[26] - روح الاجتماع ، ص 142 .

و من هنا يمكننا أن ندرك أنّ الخطاب المسجديّ المأزوم ، يكون له تجاه جمهوره نوعين من التّأثيرات :

– تأثيرات حياديّة : أي أنّه لا يُحدث أيّ أثر إيجابيّ أو سلبيّ ، و هذا يكون دائما مع الجمهور الواعي بالإسلام وعيا صحيحا ، أي مع الجمهور الّذي يفوق فهمه الصّحيح للإسلام فهم الإمام الخطيب نفسه .

– تأثيرات سلبيّة : و يكون هذا مع الجمهور الأمّيّ ، الّذي يعتقد أنّ أيّ خطيب يخطب من على منبر هو عالِم في الدّين و الدّنيا معا .

و انطلاقا من هذا البيان ، يمكن إبراز آثار ضعف و عجز خطاب الجمعة على الرّسالة المنوطة بها ، من خلال إبراز تلك الآثار على الجمهور المسجديّ خاصّة ، و المجتمع عامّة فيما يلي :

أولا – آثار ضعف خطاب الجمعة على فهم النّاس للإسلام :

إنّ أولى انعكاسات و آثار ضعف خطاب الجمعة على الجمهور المسجديّ ، و مِن ورائه كلّ أفراد المجتمع ، هو الفهم الخاطئ أو المشوّه أو المنقوص للإسلام ، و ذلك لأنّ ضعف الخطاب هو في أحد وجوهه دالّ على ضعف في فهم الإسلام من طرف المخاطِب .

إنّ خطاب الإنسان غيره من النّاس هو نوع من أنواع الاتّصال ، و إنّ هذا الخطاب لكي يحقّق رسالته الاتّصاليّة على أكمل وجه يقتضي أن يكون واضحا و بيّنا لدى المخاطِب أوّلا ، و إلاّ فإنّ المخاطَب به لا يفهمه ، فالإنسان ما لم يكن واعيا لما يقول ، و ما لم يكن فاهما خطابَه ، فإنّه لا يستطيع نقله إلى غيره بوضوح [27].

و إنّ ما يلاحظ اليوم على فهوم النّاس للإسلام ، و ما يعتريها من تشوّهات و نقص ، يرجع الكثير منها إلى المبشّرين بالإسلام أنفسهم . لهذا أوجب الله عزّ و جلّ

---

[27] – عاطف عدلي العبد ، الاتصال و الرأي العام ، ص 85 .

أن تكون الدّعوة إليه على علم و بصيرة . قال تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[28].

قال ابن كثير :" يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثّقلين : الإنس و الجنّ آمرا له أن يخبر النّاس أنّ هذه سبيله ، أي طريقته و مسلكه و سنّته ، و هي الدّعوة إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له . يدعو إلى الله بها ، على بصيرة من ذلك و يقين و برهان ، هو و كلّ من اتّبعه ، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة و يقين و برهان عقليّ و شرعيّ "[29].

و من قبل هذا أوجب الشّارع الحكيم على الدّعاة إليه أن يتفقهوا في الدّين قبل أن يخوضوا غمار الدّعوة فقال :﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[30].

و لهذا حذر الرسول ﷺ من الدعاة الجهلة فقال : " **إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد و لكن يقبض العلم بقبض العلماء حتّى إذا لم يبق عالما اتّخذ النّاس رءوسا جهّالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا و أضلّوا** "[31].

ثانيا – آثـــار ضعف خطاب الجمعة على تطبيق الناس للإسلام :

و من النّتائج الخطيرة و الآثار السّلبيّة لأزمة خطاب الجمعة على الجمهور ، ما يلاحظ من تنزيلات و تطبيقات منقوصة و مشوّهة للإسلام . و هي في الحقيقة نتيجة منطقيّة و أثر طبيعيّ للفهم الخاطئ للإسلام .

---

[28] – سورة يوسف ، الآية 108 .

[29] – تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، ص 58 .

[30] – سورة التوبة ، الآية 122 .

[31] – متفق عيه و اللفظ للبخاري ، أخرجه في كتاب العلم باب كيف يقبض العلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رقم 98 . و مسلم في كتاب العلم باب رفع العلم رقم 4828 . و الترمذي و أحمد و ابن ماجة و الدارمي .

قال الشيخ الغزالي : " إنّ النكبات الّتي أطاحت بمجد الإسلام ، تعود أكثر ما تعود إلى قلة العلماء الراسخين ، و الخبراء الفاقهين ، و إن كثر المتزيون بزي العلماء و الحاملون لإجازتهم الدراسية " [32].

و إذا كان الفهم المنقوص يورث تطبيقا منقوصا – كما سبق بيانه – فإنّهما إن اجتمعا معا و اتصف بهما الدّاعي إلى الله المخاطِب للنّاس من على المنابر ، أورثا في المتلقين سلوكات بعيدة عن الإسلام . لهذا فإنّ ما عليه المجتمع الإسلاميّ اليوم من :

- بُعد عن حقيقة الإسلام كما أنزله الله و طبّقه رسوله ﷺ .
- اتّباع آليّ أو حرفيّ ظاهريّ و شكليّ لتعاليم الإسلام و إهمال لمقاصده وحكمه و أسراره .
- أخذ انتقائيّ مميّع من شرائع الإسلام .
- فقدان للتّوازن الاجتماعيّ .
- كثرة الصّور و الأشكال التّطبيقيّة للإسلام [33].

...على الرغم أنه يعود إلى أسباب عديدة إلاّ أنّ أهمّها هو ضعف الخطاب المسجديّ ، الّذي يعني ضعف المضطلعين به علما و عملا و تعليما .

قال الشّيخ محمّد الغزالي :" إنّ الشّرح النّظريّ للحقّ لا يقرّ بين النّاس معالمه ، و لا يرسي على ظهر الأرض دعائمه ، فلا بدّ من مثل عمليّ ينقل الأخلاق و الأهداف و الأوامر و النّواهي من عالم الخيال إلى عالم الواقع .

و كلمة الإسلام تضمّ شطرين متساويين : أشهد أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّدا رسول الله . و الشّهادة بالرّسالة ليست تمجيدا لشخص أو تخليدا لرأس أسرة ، و إنّما هي في الحقيقة ضميمة تمثّل الجانب العمليّ في الرّسالة إلى الجانب العلميّ فيها .

فإذا كان القرآن هداية الله لخلقه فإنّ محمّدا ﷺ هو التّطبيق الحيّ لما حواه من معان و المظهر العمليّ لما تضمّنه من توجيهات و وصايا "[34].

---

[32] – محمد الغزالي ، كيف نفهم الإسلام ، (الجزائر : دار الكتب ، 1987) ، ص 34 .

[33] – برغوث الطيب ، الأبعاد المنهجية للفعل الدعوي في الحركة النبوية ، ص ص 29 – 37 .

[34] – كيف نفهم الإسلام ، ص 27 ، 28 .

و من هنا نعلم أنّ من الخطر أن يدعو إلى الله ، دعاة سيّئوا الفهم أو سيّئوا التّطبيق أو سيّئوا التّبليغ للإسلام ، غير أنّ الأخطر من ذلك أن يدعوَ له من كانوا سيّئوا الفهم و التّطبيق و التّبليغ معا لأنّهم هم من حذّر الرّسولُ ﷺ أمّته من اتّباعهم ، فعن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : "كان النّاس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير و كنت أسأله عن الشّر مخافة أن يدركني . فقلت : يا رسول الله إنّا كنّا في جاهليّة و شرّ فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شرّ ؟ قال : نعم . فقلت : فهل بعد هذا الشّر خير ؟ قال : نعم و فيه دخن . قلت : و ما دخنه ؟ قال : قوم يستنّون بغير سنّتي و يهدون بغير هديي تعرف منهم و تنكر . فقلت : هل بعد ذلك الخير من شرّ ؟ . قال : نعم ! دعاة على أبواب جهنّم من أجابهم إليها قذفوه فيها . فقلت : يا رسول الله صفهم لنا . قال : نعم قوم من جلدتنا و يتكلّمون بألسنتنا ..." [35].

ثالثا – آثار ضعف خطاب الجمعة على التّبليغ الحضاريّ للإسلام :

إنّ الأمّة الإسلاميّة ليست هي الإنسانيّة ، و هي ليست في جزيرة معزولة عن العالمين . و إنّما هي أمّة من أمم كثيرة على الأرض ، تعيش بجانبها و تتفاعل معها ، و التّفاعل بين جميع الأمم مسلّم به لدى كلّ عاقل .

و إنّ الأمّة الإسلاميّة إذ تسمّى كذلك ، فإنّ هذا يعني لدى الأمم المجاورة أنّ دينها هو الإسلام ، فهي مؤمنة به و مطبّقة لتعاليمه ، فأغلب النّاس بطبيعتهم يأخذون حقيقة الأفكار من الأشخاص الحاملين لها .

و اليوم ما دام المسلمون يعيشون صورا مشوّهة للإسلام ، فإنّ هذه الصّور الّتي يعيشونها و يحيون بها ، هي الّتي تحكم بها الأمم الأخرى على الإسلام ، و هذه لعمري جناية عظيمة على الدّين ، و فتنة أعظم يتسبّب فيها المسلمون لصدّ النّاس عن الإسلام .

إنّ نجاح رسالة الإسلام في العالمين لا يمكن أن يتمّ إلاّ إذا تحقق للمسلمين ثلاث أنواع من النماذج المثالية أو ثلاث أنواع من القدوة و هي :

---

[35] – متفق عليه و اللفظ للبخاري ، أخرجه في كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة رقم 6557 . و مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين رقم 3434 . و أخرجه أحمد و أبو داود و ابن ماجة .

1 – القدوة المنهاجية : و هي المنظومة العقدية و الفكرية الصحيحة .

2 – القدوة البشرية : و هي النماذج البشرية الفردية الممثلة للمنهاج .

3 – القدوة الحضارية : و هي النموذج الاجتماعي في صورة أمّة لها سلطان .

و إذا كان المسلمون اليوم يملكون القدوة المنهاجية المتمثلة في الكتاب و السنة ، و يملكون قدرا لا بأس به من النماذج الفردية ، فإنّ النوع الثالث غائب تماما ، بل قد حل محله نماذج سيئة مشوهة للإسلام [36].

و لمّا كان هذا الواقع المزري قد ساهم في تكوينه و في تكريسه الخطاب الإسلاميّ المأزوم ، فإنّ هذا يجعلنا نثبت أنّ ضعف خطاب الجمعة هو من بين المتسبّبين في تبليغ الإسلام تبليغا مشوّها للأمم الأخرى .

---

[36] – برغوث الطيب ، القدوة الإسلامية – فرضيتها ، ضرورتها ، السبيل إليها – ، الطبعة الأولى ، (باتنة – الجزائر – :دار الشهاب ، 1404هـ/ 1984م) ، ص ص 5 – 11 .

المبحث الثّالث

دور القائمين على المساجد في مواجهة ضعف خطاب الجمعة

تبيّن من المبحثين السّابقين أنّ هذا العائق مرتبط بالرّكنين الأوّلين من أركان العمليّة الإعلاميّة (المرسل والرسالة) ، لهذا فإنّ جانبا كبيرا من المسؤوليّة تتحمّله الجهات القائمة على أمر المساجد ، مثل الوزارات والنّظارات و المديريّات و هيئات العلماء و الخطباء ، فكيف السّبيل إلى ذلك ؟

إنّ السّبيل إلى مواجهة ضعف خطاب الجمعة عن طريق المؤسّسات و الهيئات المضطلعة بأمر المساجد ، يمكن أن يكون بتأطير الجمعة في مؤسّسة للتّبليغ . فكيف يمكن تصورها ؟

أوّلا – مفهوم مؤسّسة التّبليغ :

المقصود بمؤسّسة التّبليغ الهيئة المشرفة على عمليّة إنتاج خطب الجمعة و تبليغها و متابعة تأثيرها في واقع النّاس ، و تقويمها و المحافظة على ثمراتها ؛ فيدخل بذلك في هذه العمليّة ، من يساهم في صناعة الأفكار المنتجة للخطبة ، و من يساهم في تبليغها للنّاس ، و من يساهم في متابعة تأثيرها ، و من يساهم في نقدها و تقويمها ، و من يساهم في المحافظة على ثمراتها و إنجازاتها . و هذا بيان توضيحي :

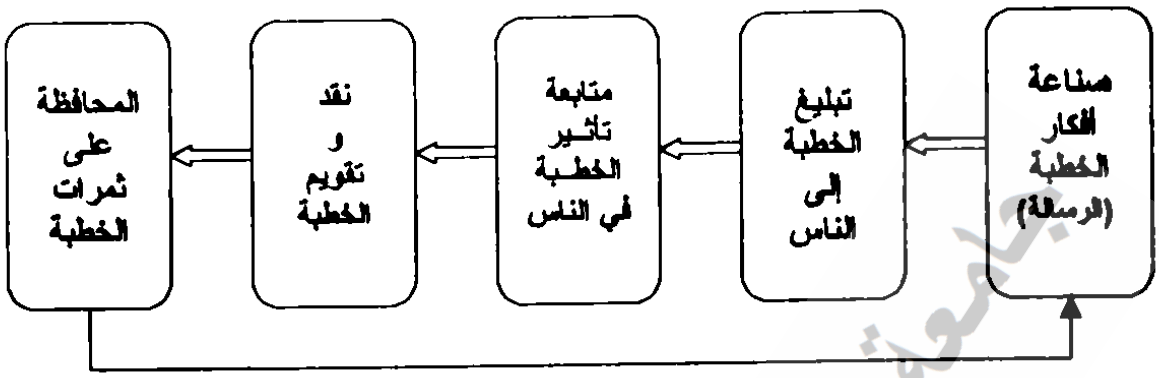

دورة إنجازية لإخراج بلاغ كامل

ثانيا – أهميّة تأطير الجمعة في مؤسّسة للتبليغ :

إنّ العالم شهد و مازال يشهد تغيّرات و تطوّرات جدّ عظيمة و شاملة في كلّ مجال من مجالات الحياة ، و على كلّ صعيد من أصعدتها . و إنّ من أكبر و أبرز تلك المجالات الّتي مسّها التّطوّر و التغيّر مجال الاتّصال و الإعلام . " فقد أصبح علما له مقوّماته و معاهده ، و شروطه و تقنياته و متخصّصوه ؛ و فنّا له مستلزماته و أدواته ، كما أصبح لمرة تشارك في إنضاجها كلّ المعارف و العلوم ، وتُوظّف لها أرقى الخبرات ، و صناعة من الصّناعات الفكريّة الثّقيلة الّتي لها موسّساتها و خططها ونفقاتها ، بل لعلّ نصيب الدّعم لمجال الإعلام في كثير من الدّول اليوم من الميزانيات يفوق الدّعم الغذائيّ الّذي به قوام الحياة " [37].

و إذا كانت أبسط وسيلة و رسالة إعلاميّتين في عصر التّخصّص اليوم صارت تخضع للبحث و الدّراسة نظريّا و ميدانيا من أجل اكتشاف قوانين نجاحها ، و معرفة كيفيّة تحقيق أهدافها و مقاصدها . و إذا كانت كلّ مرحلة من مراحل العمليّة الإعلاميّة صار لها دراسات متخصّصة ، أفلا تكون خطبة الجمعة – الّتي تقام في كلّ العالم الإسلاميّ

[37] – عمر عبد حسنة ، من تقديمه لكتاب الأمة ، مقالات في الدعوة و الإعلام الإسلامي ، ص 9 .

في كلّ أسبوع ، و الّتي كان لها تأثير كبير على حياة المسلمين و علـــى تاريخـــهم – أوْلى و أجدر بأن تنظّم و توطّر في مؤسّسة تشرف على أنشطتها ؟

ثالثا – مبرّرات تأطير خطبة الجمعة في مؤسّسة للتّبليغ :

إنّ المبرّرات الباعثة على تأطير خطاب الجمعة في مؤسّسة للتّبليغ تتنوع بين مـبرّرات شرعيّة و أخرى عقلية و ثالثة واقعية ، ويمكن الإشارة إليها بإيجاز في النّقاط التالية :

- إخضاع خطاب الجمعة للمنهج السّنني (القرآن و السّنة) .
- توسيع دائرة المشاركة في صناعة الخطاب و المسؤوليّة عنه.
- زيادة فعاليّة الخطاب .
- إخضاع خطاب الجمعة لمنهج الدّراســات الحديــثة و تمكين الدّارســين مــن دراسته في وحدات ، (دراســات عن المرســل – الخطبــاء -) ، (دراســات عــن الرّســالة) ، (دراسات عن الوســائل) ، (دراسات عن الجمــهور) ، (دراســات عن التــأثير) ...

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع

تضييق رسالة المسجد

المبحث الأول : وظيفة المسجد و رسالته في الإسلام

المبحث الثاني : انحسار رسالة المسجد و آثاره على رسالة الجمعة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

وظيفة المسجد و رسالته في الإسلام

تعتبر رسالة المسجد بنصوص القرآن الكريم و السّنّة النّبويّة رسالة شاملة بكلّ ما تتضمّنه كلمة شمول من معان و أبعاد ، فهي شاملة لكلّ مجالات الحياة الإنسانيّة و لكلّ ميادين النّشاط البشريّ ، سواء كان النّشاط ماديّا أو روحيّا ، فرديّا أو اجتماعيّا ، فكريّا أو عمليّا ... و لهذا قال العلماء : " إنّ المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين فما كان من الأعمال يجمع منفعة الدّين و أهله جاز فيه" [1]، و من هذا الأصل تعدّدت وظائف المسجد و تنوّعت حتّى صارت مستوعبة للزّمن كلّه و للحياة كلّها و لكيان الإنسان كلّه ، و ملخّص ذلك فيما يلي[2]:

1 – الوظيفة التّعبّدية :

إنّ للعبادة في الإسلام مفهوما عامّا و مفهوما خاصّا ، فأمّا المفهوم العامّ فهو يشمل جميع أعمال الإنسان المشروعة إذا ابتغى بها صاحبها وجه الله عزّ و جلّ ، فكلّ ما يعمله الإنسان ، يكسب صفة العبادة إذا قُصد به وجه الله عزّ و جلّ و عُمل على وجهه المشروع ، و هذا هو معنى قول الله عزّ و جلّ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [3].

أمّا المفهوم الخاصّ للعبادة ، فهو العبادة المخصوصة الّتي شُرعت بقصد التّعبّد المحض ، أي إظهار الخضوع لله ، كأفعال الصّلاة و الصّوم و الحجّ و قراءة القرآن و غيرها.

و من هذا المنطلق و هذا البيان لمعنى العبادة في الإسلام تكون الوظيفة التعبدية للمسجد هي أيضا بمعنيين اثنين :

---

[1] – يوسف القرضاوي ، العبادة في الإسلام ، ص 225 .

[2] – طه الولي ، المسجد في الإسلام ، الطبعة الأولى ، (بيروت : دار العلم للملايين 1409هـ/1988م) ص ص 158 – 168 .

[3] – سورة الذاريات ، الآية 56 .

أ) وظيفة تعبدية خاصة :

المقصود بالوظيفة التعبدية المحضة للمسجد ، ما شرع الله عز و جل فيه من عبادات خالصة ، مثل الصلوات المكتوبات و غيرها ، و تلاوة القرآن ، و تسبيح الله و تحميده و تهليله و تمجيده ، و الاعتكاف و الذكر و التذكير ، إلخ ، و في هذا قال تعالى : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ [4]، فالآية الكريمة تبين أن بيوت الله عز و جل التي شرع بأن تبنى و تقام و ترفع إنما هي لذكر الله و تسبيحه و إقام الصلاة .

قال ابن كثير :﴿ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ﴾ أي طاعته و مراده و محبته على مرادهم و محبتهم ، قال هشيم عن شيبان قال : حدثت عن مسعود أنه رأى قوما من أهل السوق حيث نودي للصلاة المكتوبة تركوا بياعاتهم و نهضوا إلى الصلاة فقال عبد الله بن مسعود هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ [5].

و يبدو أن الحكمة من تقديم ذكر الله على بقية الأعمال هو أنه مفهوم شامل يشمل كل أعمال الإنسان التي تربطه بالله عز و جل وفق ما شرع ، و هذا ما يجعل الذكر بمفهومه العام مرتبطا بالمفهوم العام للعبادة ، أما التسبيح و إقام الصلاة فهي فروع له .

و قد بينت السنة النبوية الشريفة هذه الوظيفة الخاصة لبيوت الله عز و جل ، قال النبي ﷺ : " من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة " [6]. والأحاديث في هذا كثيرة جدا ، و قد مر بيان بعض منها في الباب الأول.

---

[4] – سورة النور ، الآية 36 ، 37 .

[5] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج5 ، ص 110 .

[6] – سبق تخريجه .

ب) وظيفة تعبدية عامة :

و هي أن المسجد له وظائف أخرى غير وظيفته التعبدية المحضة أو الخاصة ، و هـذه الوظائف و إن كانت ليست من العبادات المحضة ، إلا أنها داخلة تحت المعنى العام للذكر ، و يمكن ذكرها بإيجاز في النقاط التالية :

2 – الوظيفة التربوية :

نقصد بالوظيفة التربوية للمسجد كونه مؤسسة كاملة لتربية الإنسـان و تهذيبه و تزكيته و ترقيته ، و ذلك من خلال ما فيه من العبادات و ما تتركه من آثار في نفسه و سلوكه ، و ما يلقى فيه من مواعظ و توجيهات ، و ما يتربى عليه الأفـراد مـن آداب كتوقير الكبير و الشفقة على الصغير و التعاون و التكافل و التآزر و التوادد و غير ذلك .

فالمسجد في الإسلام معهد حقيقي للتربية العملية ،" فهو حقل تجرب في سـاحته تعاليم الدين النظرية ، وتوضع مبادئه الإنسانية موضع التنفيذ . فقـد كـان مـن مزايـا هذا الدين الخالد أنه لم يجعل مبادئه فكرة مجردة في الرأس ، أو كلمة تجري على اللسـان . و لكنه ربطها بحياة المسلم و نظامه اليومي ربطا لا ينفك عنه .

فالحرية و الإخاء التي جاء بها الإسلام ...تراها في المسـجد حقـائق عمليـة ، و أعمالا حقيقية ، تعلن عن نفسها بلا صوت و لا حرف و لا ضجيج " .[7].

3 – الوظيفة التعليمية :

يعتبر التعليم من أهم الوظائف المقاصدية التي أسس المسجد لأجلـها[8]. و التعليـم المقصود هنا تعليم شامل ، و هو كل تعليم كان باسم الله ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ فيشـمل بذلك العلوم الشرعية و العلوم الكونية .

---

[7] – يوسف القرضاوي ، العبادة في الإسلام ، ص 228 .

[8] – عمر الدين واللي ، المسجد في الإسلام ، الطبعة الأولى ، (دمشق : مطبعة الإنشاء ، 1391هـ/1971م) ، ص ص 173-182.
– طه الولي ، المسجد في الإسلام ، ص 163 ، 164 .

و يمتاز التّعليم المسجدي أنّه تعليم عامّ جُعل لجميع النّاس ، فهو للكبار و الصّغار ، و للرّجال و النّساء . قال الشيخ القرضاوي : " وأيّ جامعة شعبيّة كالمسجد تسع الجميع في رحابها ، في الليل و النّهار و الصّيف و الشّتاء ، و لا تردّ طالبا ، شيخا كان أم صبيّا ، و لا تشترط رسوما ولا تأمينا ، ولا تضع قيودا ولا عراقيل ؟ .

أي جامعة كهذه تعلّم قواعد العقائد ، و فرائض العبادات ، ومكارم الأخلاق ، ومحاسن الآداب ، وطرائق المعاملات ، وتعقد فيها للعلم حلقات تغشاها الرّحمة ، وتتنزّل عليها السّكينة ، وتحفّها الملائكة ؟ . و لم تكن حلقات المساجد مقصورة على العلم الدّيني المحض ، بل شملت كل ما وصل إليه العقل الإسلاميّ و من معارف أدبيّة و إنسانيّة [9]".

4 – الوظيفة التّثقيفيّة :

تتمثّل الوظيفة التّثقيفيّة للمسجد في كونه من أهمّ المؤسّسات الّتي تزوّد الإنسان المسلم بمختلف المعارف و الخبرات ، و توجّهه في مختلف مجالات الحياة. و تمتاز هذه الوظيفة بكونها لا تقتصر على التّوجيه الفكريّ المحض ، بل إنّها تتعدّاه إلى توجيه السّلوك ، و من ثَمّ فإنّ المسجد يمارس الثّقافة لا على أنّها نظريّة في المعرفة فحسب ، بل إنّها منهج في السّلوك و منهجيّة في العمل و البناء و الإنجاز [10]، فهو يعلّم النّاس أسلوب الحياة الإسلاميّة .

5 – الوظيفة الاجتماعيّة :

نقصد بالوظيفة الاجتماعيّة للمسجد كلّ أمر يدعّم بناء المجتمع و يزيد في تماسكه و يمتّن علاقاته الاجتماعيّة ، و يحفظ نظمه .

و المسجد مؤسّسة كاملة للتّربية الاجتماعيّة ، ففيه تحدث اجتماعات المؤمنين بانتظام ، و فيه يتعارفون و يتعاونون و فيه يتكافلون ، فيقصده الجاهل ليتعلّم و ذو الحاجة ليُعان ، و الملهوف ليغاث ... [11]

---

[9] – العبادة في الإسلام ، ص 226 .

[10] – برغوث الطيب ، موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التحديث الحضاري عند مالك بن نبي ، ص 14 .

[11] – الوشلي عبد الله قاسم ، المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ ، ص 17 .

6 – الوظيفة السّياسية :

تعتبر الوظيفة السّياسية للمسجد من وظائفه الكبرى الّتي أنشئ لأجلها ، فمنذ أسّس رسول الله ﷺ مسجده كانت دواليب دولته تُسيّر من خلاله ، ففيه يلتقي برعيّته و فيه يتشاور مع أهل المشورة ...

و المسجد بما فيه من أنشطة محضن للتّربية السّياسية العمليّة ، ففيه يتعلّم المسلمون كيف ينتظمون وراء قائد واحد يتّبعونه إذا أصاب ، و يقوّمونه إذا أخطأ و يتعلّمون كيف يُختار هذا القائد وفق معايير القوّة و الأمانة و الحفظ و العلم و يتعلّمون ما يجب أن تكون عليه بطانة المسؤول حتّى إذا حدث له عذر خلفه من هو أهل ، و كذلك يتعلّمون في المسجد ممارسة حرّية التّعبير و النّقد و غير ذلك [12].

7 – الوظيفة الاقتصاديّة :

إنّ المسجد مؤسّسة لتوجيه النّاس إلى الكسب الحلال ، و إلى التّنافس على الخيرات و إلى القضاء على الفقر و إغاثة الملهوف و إعانة المحتاج و توجيه رأس المال ، و الحثّ على أن تكون الأمّة قوّة اقتصاديّة ، و التّوجيه إلى عدم تبذير المال و تبديده .

و المسجد من أكبر وسائل في التّعرّف على الغنيّ و الفقير و من هنا كان دارا للمال تُجمع فيه زكوات أهل البلد أو الحيّ ، و تُنظّم فيه أمورهم الاقتصاديّة ، فتنظّم الصّدقات و الحبوس و الأوقاف ، و ما ارتباط إقام الصّلاة و إيتاء الزّكاة في أغلب المواضع الّتي ذكرتا فيه في القرآن الكريم ، إلاّ ليُفهم منه البعد الاقتصاديّ للمسجد [13].

---

[12] – الوشلي ، المسجد و نشاطه الاجتماعي ، ص ص 54 – 56 ؛ القرضاوي ، العبادة في الإسلام ، ص 226 ، 227 ؛ الزاي ، الصلاة عمـاد الدين ،ص ص 124 – 147 .

[13] – الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، 10ج ، ، (الرياض : الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد ، 1403هـ/1983م) ج8 ، ص 528 .

8 – الوظيفة الاتصالية و الإعلامية :

إن المسجد بما شرع فيه من إقام الصلوات خمس مرات يوميا ، يعد ملتقى للمؤمنين يتعرفون فيه على بعضهم وفقا لما جاء في القرآن الكريم : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾[14] ، و التعارف ليس مقصودا لذاته و إنما ليحدث بين الناس التعاون على تحصيل الخير و إبعاد الشر . قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾[15] .

والمسجد بما يحدث فيه من تلاق ، يكون سببا مهما في حركية شبكة الاتصال بين المسلين ، و تلقي كل ما يهمهم عن الأمة .

قال صاحب كتاب (الرأي العام في الإسلام) : " المسجد مؤسسة إعلامية متكاملة ، و تكشف الوقائع و الأحداث التي عاشتها الأمة الإسلامية أن المسجد فوق أنه ملتقى الركع السجود، فهو مؤسسة إعلامية متكاملة تواجه الناس دوما بشعائر الإسلام و ندئه و تلح عليهم بذلك كل يوم فتوقظ الوعي الإنساني و تذكر الجماهير دوما بحقيقة الخلق مستهدفة إرساء صرح العقيدة الإسلامية وغرس مبادئها و تعاليمها في نفوس و عقول الجماهير "[16].

و باستعراض فنون الاتصال المختلفة تبرز الإمكانات الإعلامية المتميزة التي تهيئ للمسجد أفضل الظروف التي تمكن العمل الإعلامي الإسلامي من التحرك بفاعلية لتحقيق الإنجازات التي يصعب تحقيقها عن طريق أي مؤسسة إعلامية أخرى ، حيث تتظافر وسائل الاتصال المباشر و غير المباشر في نسيج متكامل داخل المسجد و بين جنباته طبقا للخطط

---

[14] – سورة الحجرات ، الآية 13 .

[15] – سورة المائدة ، الآية 2 .

[16] – محي الدين عبد الحليم ، الرأي العام في الإسلام ، الطبعة الثانية ، (القاهرة : دار الفكر العربي 1410هـ/1990م) ، ص381، 319

التي تستهدفها الدعوة الإسلامية لجذب الجماهير و إقناعهم و تشكيل آرائهم وفق المنـــهج الإسلامي" [17].

و خلاصة الأمر ، إن المسجد في الإسلام كان ذا أغراض كثيرة فهو مركز الإسـلام و نادي المسلمين و هو بيت مالهم و هو الحصن و القلعة و هو دار العدالة و هو المشـفى و مجلس النواب و هو دار الإذاعة و الإعلام و الجامعة العلمية و المكتبة و ... [18]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[17] - محي الدين عبد الحليم ، ن م ، ص 319 .

[18] - طه الولي ، المسجد في الإسلام ، ص ص 158- 168 .

المبحث الثاني

انحسار رسالة المسجد و آثاره على رسالة الجمعة

لقد كان من آثار الأزمة العامة التي أصابت الأمة الإسلامية و زلزلت كيانها أن انحسرت الرسالة الشاملة للمسجد [19]، و تقلصت شيئا فشيئا ، و انقضت عراها عروة عروة ، حتى أصبح المسجد لا يعرف عنه إلا أنه مكان لأداء الصلوات المكتوبات و لإقام الجمعة ، و ذكر الله ببعض التسبيحات و التحميدات و بعض الأدعية و الأذكار[20].

و من الملفت للانتباه أن ما وقع للمسجد من انحسار في وظائفه ، كان من أسبابه إلى حد بعيد جدا ما وقع للإسلام من انقضاء عراه عروة عروة ، و هذا لعمري يدل دلالة واضحة و عظيمة على الارتباط الموجود بين الإسلام و المسجد ؛ و من ثم يمكن أن يكون المسجد من أحسن العينات لدراسة حالة الإسلام و المسلمين ، و لدراسة التفاعل بينهما .

لقد كانت أولى عرى الإسلام انقضاء هي الحكم ، كما تنبأ بذلك صاحب الرسالة محمد ﷺ ، فبعد أن كان الحكم خلافة نبوة ، صار حكما ملكيا ، و انزوى المنهج الصحيح في الحكم . و قد حدثنا التاريخ أنه منذ ذلك الانقلاب تقلصت وظيفة من أهم وظائف المسجد و هي أنه دار للخلافة و بيت للحكم ، غير أن ذلك لم يكن ليبعد المسجد عن وظيفته في الحكم إبعادا تاما و كليا .

و لقد كان لتضييق رسالة المسجد و قصرها على أداء الصلوات فقط ، آثارا جد وخيمة على رسالة الجمعة و مقاصدها ، و يمكن إجمالها فيما يلي :

---

[19] - محمد علي العويني ، الإعلام الإسلامي الدولي ، الطبعة الثانية ، (القاهرة : عالم الكتب ، 1407هـ/1987م) ، ص ص 130-137 .

[20] - طه الولي ، المرجع السابق ، ص 158 .

أولا – الفهم الخاطئ للإسلام :

لقد أدى حصر وظيفة المسجد في الوظيفة التعبدية المحضة إلى المساهمة في تكوين مفهوم خاطئ ليس عن وظائف المسجد فحسب ، بل عن مفهوم العبودية و مفهوم رسالة الإسلام نفسها ، إذ أصبر من المسلمين من يعتقد أن الإسلام هو مجموعة من التعاليم الروحية التي تربط بين الإنسان و خالقه ، و أنه التزام شخصي لا دخل له في توجيه الإنسان في حياته الدنيوية و نشاطاته الاجتماعية ، و هو ما أدى إلى التفريق بين الدين و العلم ، و بين الدين و الفن ، و بين الدين و الاقتصاد ...

و كل هذا لأن المسجد حرم من التوجيه في هذه المجالات و حرم من إعطاء القدوة العملية التي شرعت له .

ثانيا – إصابة شخصية المسلم بالازدواجية .

إن الكثير من المسلمين اليوم يعيشون انفصاما نكدا في شخصيتهم ، و إذا كان ذلك يرجع إلى أسباب عديدة ، فإن أحدها و أهمها ما صار إليه المسجد في رسالته التي انحسرت و حيل بينها و بين توجيه الواقع ، فأصبح المسلم يأخذ توجيهاته من مصادر مختلفة و متناقضة مما أثر على فاعليته في الحياة .

و لقد سجل هذا الأمر الأستاذ بن نبي فقال :" ... إن هناك انفصالا بين العنصر الروحي و العنصر الاجتماعي ، هناك افتراق بين المبدأ و الحياة ، و المسلم يعيش اليوم هذا الانفصال الذي يمزق شخصيته شطرين : شطر ينظم سلوكه في المسجد ، و شطر ينظمه في الشارع "[21].

---

[21] – بن نبي ، ميلاد مجتمع ، ص 105 .

ثـــالثا – تكريس الحكم بغير ما أنزل الله :

إن أغلب المسلمين اليوم لا تحكمهم شريعة الإسلام و هذا الأمر يعتبر من أعظـــم المصائب التي حلت بهم ، و لكن ما هو أعظم منه هو جهل سوادهم أن الإسلام شـامل في توجيهاته لكل مجالات الحياة ؛ و قد كان لتضييق رسالة المسجد نصيب كبير في تدعيـــم و تكريس هذا الأمر ، الأمر الذي يجعلنا نستيقن أن إحياء رسالة المسجد الشاملة هو مـــن أهم السبل للرجوع إلى شمولية الإسلام .

رابـعا – حرمان المسجد من وظيفة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر :

و لقد كان لتضييق رسالة المسجد على نحو ما سلف ، أن حرم من أهم وظائفـــه و هي الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و التوجيه العام للمسلمين فيما يصلح أعمـــالهم ، و سبب ذلك هو الاعتقاد الفاسد الذي استحوذ على عقول الكثير من المســـلمين الذيـــن أصبحوا يعتقدون أن الدين لا دخل له في حياتهم الخاصة ، و عليه فلا يجـــب أن يكـــون المسجد مصدرا لتوجيههم و أمرهم و نهيهم .

و قد دعم هذا الفساد في الاعتقاد ما آل إليه وضع المسلمين من الاحتكام بغير مـــا أنزل الله في حياتهم ، فأصبح المخالفون لتعاليم الإسلام يتترسون بالقوانين الوضعيـــة الـــتي تحكم المجتمع ، و وجد القائمون على الخطاب الإسلامي أنفسهم من دون سند اجتمـــاعي أو سند قانوني يستندون إليه في أداء وظيفة المسجد التوجيهية العامة .

خامسا – حرمان المسجد من التوجيه بالقدوة العملية :

إن للمسجد كما هو معلوم أدوارا اجتماعية كثيرة ، و هي لا تتمثـــل فقـــط في التوجيه النظري ، بل لقد كان المسجد نفسه يمارس تلك الأدوار ، فكان هو الســـلطة في كل محلة و قرية ، و كان إمامه هو القائد في المجتمع ، و كان المســـجد يمـــارس النشـــاط الاقتصادي بإشرافه المباشر على جمع أموال الصدقات و صرفها لمن هو أهل لها ، و بإشرافه على الأسواق تنظيما و توجيها ، و كان هو دار القضاء ، فيه يقضى بين الناس ، و كـــان

دارا للخدمات الاجتماعية المختلفة ، فلما حرم من أداء كل هذه الأدوار ، تسبب ذلـــك في التخلف العام الذي حل بديار الإسلام .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الخامس

غياب تحكيم الشريعة في المجتمع الإسلامي

المبحث الأوّل : بداية غياب تحكيم الشّريعة الإسلاميّة

المبحث الثّاني : آثار غياب تحكيم الشّريعة الإسلاميّة على رسالة الجمعة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

تشهد الأمّة الإسلاميّة منذ قرون عديدة أزمة حضاريّة رهيبة و خطيرة و شـــاملة على جميع الأصعدة ، و في جميع المجالات كادت أن تودّي بها إلى مهاوي الرّدى و الفنـــاء لولا أنّ الله عزّ وجلّ تغمّدها برحمته ، بأن حفظ لها أهمّ عوامل بقائها و هو ذكره الّـــذي أنزله لها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [1].

و إذا كانت هذه الأزمة قد ظهرت بمظاهر كثيرة و متنوّعة - فكريّة و ســـلوكيّة تربويّة و تعليميّة و ثقافيّة و اجتماعيّة و سياسيّة و اقتصاديّة و عسكريّة و غيرها [2]، فـــإنّ أبرزها ظهورا هو غياب تحكيم شريعة الله عزّ وجلّ في واقع المسلمين ، فمتى بـــدأ هـــذا الغياب ؟

---

[1] - سورة الحجر ، الآية 9 .

[2] - المعهد العامي للفكر الإسلامي ، إسلامية المعرفة – المبادئ العامة – خطة العمـــل – الإنجـــازات ، (1406هـــ/1986م) ، ص ص 24-25 .

المبحث الأول

بداية غياب تحكيم الشريعة الإسلامية

لقد عاشت الأمة الإسلامية طوال ثلاثة عشر قرنا لا تعرف منهجا للحياة غير منهج الله عز و جل ، و لا تحتكم في أمورها إلا بما أنزله الله عز و جل ، و لا تتبع في شؤون حياتها في كل صغيرة و كبيرة إلا كتاب الله و سنة رسوله ﷺ و لا تستفتي في نوائبها و مشكلاتها إلا دين الله الإسلام [3].

و كانت هذه الأمة توقن أن المبدأ الذي اعتنقته و المنهاج الذي اتبعته هو سر قوتها و مصدر سعادتها و أساس حضارتها ، و أن الاعتصام بحبله و التمسك بعراه هو سبب كل نصر أحرزته و كل خير أدركته ، و أن التفريط فيه و البعد عن تعاليمه هو سبب كل هزيمة لحقتها و كل نكبة ركبتها ، و أن الإعراض عن حكم الله هو سبب ضعفها و مصدر شقائها [4].

و طوال هذه المدة ، و على الرغم مما مس الأمة من أزمات و ما أصابها من أدواء الأمم قبلها ، إلا أنه لم يفكر أحد من أبنائها سواء كان حاكما أو محكوما ، أو عالما أو أميا في استبدال حكم الله بحكم غيره حتى القرن الماضي ، حيث بلغت الأمة درجة من التدهور و الانهيار و التشتت و الهوان ، مما أغرى أعداءها بغزوها و احتلالها ، ففاروا عليها و أخضعوها لسيطرتهم و فرضوا عليها قوانينهم [5].

---

[3] - القرضاوي يوسف ، الحلول المستوردة و كيف جنت على أمتنا ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1400هـ/1980) ، ص18.

[4] - القرضاوي ، م س ، ص18 .

[5] - ن م ، ص 18 .

و من الإنصاف للحقيقة أن نذكر أن الأمة ما كان ليسيطر عليها لـــولا قابليتـــها لذلك ، فقد كان ضعفها الداخلي هو الذي أغرى العدو و دعاه ، و مهد له و ناداه [6].

قال الشيخ القرضاوي :" كان هناك انحطاط عام في كل ميدان من ميادين الحيـــاة الإسلامية نتيجة لبعد المسلمين عن الإسلام الصحيح فهما و تطبيقا ، أجل كـــان هنـــاك تخلف في العلم و جمود في التفكير ، و ركود في الفقه و التشريع ، و قصـــور في التربيـــة و التوجيه و فساد في الإدارة و الحكم ، و كان العدو الزاحف المنتصر متفوقـــا في هـــذه المجالات ، فبهر أبصار الكثيرين و خلب ألبابهم ، فبدءوا يسيرون في دروبه و يتبعون ســـننه شبرا بشبر و ذراعا بذراع "[7].

و من الجدير بالذكر أن غياب تحكيم الشريعة الإسلامية في حياة المسلمين لم يكـــن ليحصل دفعة واحدة و في زمن واحد ، سواء كان هذا الغياب بسبب داخلي ، أي مـــن المسلمين أنفسهم لما نسوا حظا مما ذكروا به ، أو بسبب خارجي ، و إنما تم ذلك علـــى مراحل عديدة و بوسائل كثيرة و بأساليب متنوعة .

أولا – مرحلة ما قبل الاحتلال (مرحلة القابلية):

على الرغم من أن هذه المرحلة لم تشهد التغييب الكلـــي أو الصريـــح للشـــريعة من حياة المسلمين ، إلا أنها هي أخطر المراحل ، لأنها هي التي مهدت للمحتل و وطـــأت له الطريق ، فكل إصابة أصيب بها كيان الأمة و لم يحظ بالعلاج الكافي ، إلا كان له أثـــار باقية في هذا الكيان ، و قد تبين لنا قبل قليل من كلام الشيخ القرضاوي ما يوضح هـــذا الأمر .

و يؤكد الأستاذ مالك بن نبي أن الانقلاب الذي حـــدث في العـــالم الإســـلامي و زلزل بناءه لم يكن فجائيا و إنما هو النهاية البعيدة للانفصال الذي حدث في صفـــين ، فأحل السلطة العصبية محل الحكومة الشورية الخليفية ، فخلق بذلك هـــوة بـــين الدولـــة

---

[6] – بن نبي مالك ، وجهة العالم الإسلامي ، ترجمة عبد الصابور شاهين ، (دمشق : دار الفكـــر ، 1402هـــ/1981م) ، ص ص 69 – 98 .

[7] – القرضاوي ، م س ، ص ، 19 .

و الضمير الشعبي ، و كان ذلك الانفصال يحتوي في داخله جميع أنواع التمزق و جميع ضروب الأدواء التي ظهرت عبر القرون [8].

ثانيا – مرحلة الاحتلال :

تعتبر هذه المرحلة هي البداية الصريحة و العلنية لإبعاد شريعة الإسلام عن واقع المسلمين ، و هذا أمر طبيعي و منطقي لأن الغالب دائما يفرض أحكامه على المغلوب ، قال الله عز و جل على لسان ملكة سبأ : ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ﴾ [9]. فما إن دخلت جيوش الاستدمار إلى العالم الإسلامي حتى بدأت تفرض قوانينها و أحكامها على المسلمين في مختلف مجالات الحياة .

غير أن العدو الغازي كان على درجة كبيرة من المكر و الدهاء ، فلم يخض معركة من المعارك إلا بأسلحتها الفعالة ، فخاض معركة احتلال الأرض بالجيوش و الأساطيل ، أما معركة احتلال النفوس و العقول – و هي المقصد الأعظم من الاحتلال ، و الأسلس المكين الذي سيبني عليه مشروعه التغريبي – فإنه أعد لها أسلحة من نوع آخر ، و اختار لها ساحات و ميادين غير التي ألفها الناس في معارك القتال [10]، و يمكن إجمالها في النقاط التالية :

1. **تفكيك شبكة العلاقات الاجتماعية بين المسلمين** : سواء كانت علاقات ثقافية أو اقتصادية أو سياسية و غيرها .

جاء في كتاب (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) ما يلي : " المقصود من الجهود المبذولة لحمل العالم الإسلامي على الحضارة الغربية ، هو تفتيت وحدة الحضارة الإسلامية التي تقوم عليها وحدة المسلمين ، لأن كل قطر سيتجه إلى اقتباس ما يلائم ظروفه من هذه الحضارة ، و عند ذلك تتعدد أساليب الاقتباس بتعدد البيئات الإسلامية

---

[8] – وجهة العالم الإسلامي ، ص 30 ، 31 .

[9] – سورة النمل ، الآية 34 .

[10] – الحلول المستوردة ، ص 20 .

المختلفة – فتفقد الحضارة الإسلامية طابعها الموحد ، بل لا يعود هناك شيء اسمه حضارة إسلامية "[11].

2. التعليم و التربية :

يعتبر مجال التربية و التعليم من أهم المجالات التي اعتمدها الاستدمار الحديث للقضاء على الحضارة الإسلامية ، بل هما وسيلته الأولى التي اتخذها إلى التوغل إلى العقول و النفوذ إلى النفوس ، و قد ركز نشاطه في هذا الجانب على كل الجبهات و المستويات ، فاستغل البعثات الطلابية ، و أنشأ المدارس و المعاهد و الجامعات [12].

يقول أحد أساطين التغريب و هو جيب (H.A.R. Gibb) :" و السبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب ، هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي و على المبادئ الغربية و على التفكير الغربي ، و الأساس الأول في كل ذلك هو أن يجري التعليم على الأسلوب الغربي و على المبادئ الغربية و على التفكير الغربي ، هذا هو السبيل الوحيد و لا سبيل غيره "[13].

3. الصحافة أو الإعلام :

و هي أهم الوسائل المؤثرة في عملية التغريب ، و في هذا يقول المستشرق الإنجليزي (جيب) :" و الواقع أن المدارس و المعاهد العلمية لا تكفي ، فليست هي في حقيقة الأمر إلا الخطوة الأولى في الطريق ، لأنها لا تغني شيئا في قيادة الاتجاهات السياسية و الإدارية . و للوصول إلى هذا التطور الأبعد ... يجب أن لا ينحصر الأمر في الاعتماد على التعليم ... بل يجب أن يكون الاهتمام الأكبر منصرفا إلى خلق رأي عام و السبيل إلى ذلك هو الاعتماد على الصحافة " ، (و يقرر جيب) أن الصحافة هي أقوى الأدوات الأوروبية و أعظمها نفوذا في العالم الإسلامي [14].

---

[11] – محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، 2ج ، الطبعة السابعة ، (بيروت : مؤسسة الرسالة ، 1405هـ/1984م) ، ج2 ، ص 215 .

[12] – الحلول المستوردة ، ص ص 22 – 28 .

[13] – ن م ، ج2 ، ص 216 ، 217 .

[14] – ن م ، ص 217 .

4. الغزو الاجتماعي :

و ذلك "بإدخال العادات و التقاليد و الأذواق الغربية في حياة الأسرة المسلمة و المجتمع المسلم ، و استغلال التعليم و الإعلام في تحبيب ذلك إلى الأنفس "[15]. و قد لاحظ (جيب) أن هذه الوسائل قد تركت في المسلمين من غير وعي منهم أثرا جعلهم يبدون في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد ... و ذلك خاصة هو اللب المثمر في كل ما تركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامي على حضارته من آثار ... و الواقع أن الإسلام بوصفه عقيدة لم يفقد إلا قليلا من قوته و سلطانه ، و لكن الإسلام بوصفه قوة مسيطرة على الحياة الاجتماعية قد فقد مكانته ، فهناك مؤثرات أخرى تعمل إلى جانبه و هي في كثير من الأحيان تتعارض مع تقاليده و تعاليمه تعارضا صريحا ، و لكنها تشق طريقها بالرغم من ذلك إلى المجتمع المسلم في قوة و عزم ... و بذلك فقد الإسلام سيطرته على حياة المسلمين الاجتماعية و أخذت دائرة نفوذه تضيق شيئا فشيئا حتى انحصرت في طقوس محددة [16].

5. تكوين القادة التابعين :

و المقصود بالقادة ليس فقط قادة الحكم ، و إنما قادة التربية و التعليم ، و قادة الإعلام والتوجيه ، و قادة الجماعات و الجماهير ، و قادة السياسة و الاقتصاد ، و قادة الجامعات والأحزاب ، و قادة الجيوش ... فالغزاة لم يكن من همهم في أول الأمر أن يوجهوا عملهم إلى الأمة ليزحزحوها عن الدين ويشككوها في منهجها الإلهي فيهيجوها ويستفزوها على حكمهم ويحرضوها على مقاومتهم ، بل تركوا الأمة في غفلاتها ووجهوا أكبر همهم إلى تكوين قادة للمستقبل ، تكون مهمتهم هي قيادة السفينة فيما بعد ، ويقبضون على زمام التوجيه والتربية والإدارة والسياسة والتشريع . ولقد كان النجاح في صناعة هؤلاء القادة أعظم نصر حققه المستدمر في المعركة بينه وبين المسلمين ، بل هو أعظم نصر حققه أعداء الإسلام منذ معركة بدر الكبرى [17].

---

[15] - الحلول المستوردة ، 32 .

[16] - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، ص 218 ، 219 .

[17] - الحلول المستوردة ، ص 20 .

ثـــالثا – مرحلة ما بعد الاحتلال :

كان من المتوقع بعد إخراج الغزاة وطردهم من البلاد الإسلامية – بفضل حركات الجهاد التي لم تتوقف والتي قدمت جحافل من الشهداء يعدون بالملايين – أن تحكم الأمة الإسلامية بمنهج الله وشريعته ، وبكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، غير أن شيئا من ذلك لم يقع ، اللهم إلا ما كان استثناء في بعض البلاد التي أخذت من الشريعة بعضا من فروعها ، وهكذا تحقق المخطط الاستدماري الغربي بأغلب تفاصيله ، فما إن رحل حتى حل محله ذلك الجيل من القادة الذين اصطنعهم لنفسه ، وصنعهم على عينه ، وربلهم في أحضانه ، وغذاهم بثقافته وأفكاره ، وغرس فيهم الخضوع عن طواعية ورغبة لنظمه وتقاليده والتقديس لمناهجه وفلسفته .

ولهذا سار الحكم بعد الخروج الظاهري للمحتل من الديار على الأنماط الغربية في التربية والتعليم ، وفي السياسة والحكم ، وفي التوجيه الإعلام ، وفي الإدارة والتسيير ، وفي القوانين والتشريعات ، وفي الاقتصاد والثقافة ، وما إلى ذلك من مناشط الحياة.

وقد كان من آثار هذه التبعية أن أصبح المجتمع الإسلامي يسير بمناهج الغرب في الحياة ، فإما هي تبعية لنظمه الرأسمالية بمختلف أشكالها ، أو هي تبعية لنظمه الاشتراكية بمختلف صورها ، أو هي تلفيق بين هذا و ذاك ،أو مسخ جديد مستنسل من كل الإيديولوجيات و النظم .

و يمكن إبراز ملامح حياة المجتمع المسلم بعد مرحلة الاحتلال فيما يلي من النقاط[18] :

1. العلمانية :

و تعني في أصلها لا دينية ، و هي ترجمة لـ (Secular) . و قد جرى ترجمتها بـ : " العلمانية " و " المدنية " ، و هي تسميات مهذبة لكلمة " لادينية " تحاول أن تستر بشاعتها بأسماء سائغة مقبولة ، لأن من الواضح أن كل ما ليس ديني فهو لا ديني . و قد

---

[18] – الحلول المستوردة ، ص ص 49 – 110 .

طبقت العلمانية أو بالأحرى اللادينية في كل شيء ، و أن الإسلام فصل عن كل منـــاحي الحياة و لم يبق منه إلا بعض الالتزامات المحدودة.

2. النزعة القومية و الوطنية :

و تتلخص في أن يصبح ولاء المسلم لرقعة معينة من الأرض أو لجنـــس و عنصـــر خاص من الناس ، و مقتضاه تقديم الرابطة العنصرية على الرابطة الإسلامية .

و قد كان من آثار هذه النزعة أن أصبح في أرض الإسلام قوميات كثيرة ، و صـــار الكثير من المسلمين يفكرون في أوطانهم قبل عقيدتهم ، و يقدم الواحد منـــهم الكـــافر إذا كان من عنصره و وطنه على المسلم من عنصر آخر أو في بلد آخر ، بل و يســـمى هـــذا الأخير أجنبيا ، و يعامل معاملة الأجانب ".

3. الاقتصاد الرأسمالي الإقطاعي أو الاشتراكي الشيوعي :

و يمكن إجمال أهم معالمهما فيما يأتي :

- بالنسبة للاقتصاد الرأسمالي :
  - إقرار النظام الربوي .
  - تعطيل فريضة الزكاة تعطيلا كليا مع أن الإسلام جعلها أحد مبانيـــه العظـــام و ثالثة دعائمه الخمس ، و هي في الإسلام الحق من وظائف الدولة .
  - الحرية المطلقة في الاستغلال و الاحتكار .
  - إباحة الاستثمار فيما حرم الإسلام (خمور ، تبغ ميسر)
- بالنسبة للاقتصاد الاشتراكي الشيوعي :
  - تحريم الملكية الخاصة .
  - تعطيل فريضة الزكاة .
  - إباحة الاستثمار في المحرمات (الخمر).

4.الحرية الشخصية المطلقة بمفهومها الغربي :

ويقصد بها الحرية لكل إنسان في أن يفعل ما شاء متى شاء وأين شاء وكيفما شاء ، مادام ملتزما بالقوانين الوضعية . ونتيجة لهذا صار الخمر والميسر والزنا وكل الفواحش مباحة ، وانتشرت على إثر ذلك الحانات والمراقص والملاهي ونوادي الميسر ، وبيوت الدعارة وأصبحت كل الشهوات الحيوانية مباحة.

5.التمكين للقوانين الوضعية .

ومن أشنع مظاهر التغريب في البلاد الإسلامية بعد الاحتلال ، سيادة القوانين الأجنبية الوضعية في معظم شؤون الحياة والعلاقات الدولية والمدنية والتجارية والجنائية والجزائية والإدارية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

آثار تغييب الحكم بما أنزل الله على رسالة الجمعة

للحكم بغير ما أنزل الله أشنع الآثار وأسوأ النتائج في حياة الفرد والمجتمع والإنسانية جمعاء ، ويكفي لذلك قوله تعالى في كتابه : ﴿ فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال ربي لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ [19].

قال ابن كثير : " ﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾ أي خالف أمري و ما أنزلته على رسولي ؛ أعرض عنه و تناساه و أخذ من غيره هداه ، ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ في الدنيا ، فلا طمأنينة و لا انشراح لصدره ، بل صدره ضيق حرج لضلاله و إن تنعم ظاهره و لبس ما شاء و أكل ما شاء و سكن حيث شاء ، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين و الهدى فهو في قلق و حيرة و شك ، فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة "[20].

و قد فصل العلماء القول و البيان في آثار الحكم بغير ما أنزل الله ، بما يغني عن مزيد بيانها هنا . و السؤال الذي نطرحه في هذا المقام هو :

كيف يشكل الحكم بغير ما أنزل الله عائقا أمام رسالة الجمعة ؟

و للإجابة على ذلك يمكن القول : إن رسالة الجمعة – كما تبين في الفصول السابقة – رسالة شاملة لكل ما يصلح شأن الإنسان في عاجل أمره و آجله ، أي أنها رسالة نيط بها المساهمة في تحقيق الوظيفة الوجودية للإنسان ، و من ثم كانت توجيهاتها

---

[19] – سورة طه ، الآية 23 – 26 .

[20] – تفسير القرآن العظيم ، ج4 ، ص 544 .

شاملة لكل ما يحقق هذه الوظيفة ، فهي توجه في كل المجالات ، مجال العقائد و الأفكـــار و السلوك و الاجتماع و الاقتصاد و السياسة و التربية و التعليم و الثقافـــة و الاتصـــال و الإعلام ، و توجه الحاكم و المحكوم و الغني و الفقير و الصغير و الكبير و المرأة و الرجـل و كل أفراد المجتمع .

و من المعلوم أن أي خطاب أو رسالة لا يقصد به مجرد الإعلام و الإبلاغ فحســب ، و إنما المقصود الأصلي ، و الهدف الرئيسي ، هو أن يقتنع به المخـــاطب ، و يترجمـــه إلى سلوك و عمل ، و فعل و حركة ، سواء كان الخطاب حقا أم باطلا ، صحيحا أم خاطئا . و قد كان القرآن واضحا و صريحا في كون المقصود الأصلي من الخطاب هو الاتبـــاع ، قال تعـــالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ﴾[21] ، ﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكـم ترحمون ﴾[22] ، ﴿ فآمنوا بالله و رسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله و كلماته واتبعوه لعلكـم تهتدون ﴾[23] ، ﴿ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله و مأواه جهنـم ﴾[24] ، ﴿ قل إن كنتـم تحبون الله فاتبعوني يحببكـم الله ﴾[25] .

و المتتبع لما جاء في القرآن الكريم من تأكيد على مسألة الاتباع ، و أنه المقصـــود من الخطاب يجد ذلك موضوعا كبيرا و هاما من مواضيع القرآن الكريم ، فقد بلغ ذكـــر لفظ " تبع " بمشتقاتها ستا و سبعين و مائة مرة[26] .

---

[21] – سورة الأنعام ، الآية 153 .

[22] – سورة الأنعام ، الآية 155 .

[23] – سورة الأعراف ، الآية 158 .

[24] – سورة آل عمران ، الآية 162 .

[25] – سورة آل عمران ، الآية 31 .

[26] – محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مادة (ت ب ع) .

و انطلاقا مما تقدم ، فلكي تحقق الجمعة المقصد الأعلى من رسالتها و هو الاتباع و التطبيق لتوجيهاتها ، فإنه يجب أن تنزاح من سبيلها و سبيل الاتباع الصحيح كل العوائق و الحواجز ، و من ذلك عائق الحكم بغير شريعة الإسلام في مختلف مجالات الحياة ، لأنه لا ينقص من فعالية رسالة الجمعة فحسب ، و إنما يقضي عليها و يقطع الطريق على معظم توجيهاتها من أن تصير واقعا معيشا و مشاهدا.

فإذا كانت الجمعة تأمر بفعل ما ، أو تنهى عن فعل ما ، و راح المخاطبون يسعون لتحقيق ذلك الأمر ، أو الكف عن ذلك المنهي عنه ، فوجدوا ما يمنعهم من ذلك في المجتمع بكل أنواع القوة ، فإن رسالتها تذهب أدراج الرياح ، و لا يكون لها أي صدى أو أثر ، و هذا الأمر هو ما يحصل اليوم في بلاد المسلمين بسبب الحكم بغير أحكام شريعة الله .

إن تغييب الحكم بأحكام الإسلام و شرائعه في حياة المسلمين قد ترك آثارا خطيرة على حياة المسلم و على رسالة الجمعة من أن تغير و تصلح هذه الحياة .

قال الأستاذ مالك بن نبي :" ... يمكن أن نلاحظ مثلا التأثير العظيم للحقيقة الإسلامية على الحضور الذين يشهدون صلاة الجمعة و ينصتون إلى خطبتها ... إن كلمات الإمام التي تهبط من المنبر على هذا المستمع المنصت تزلزل كيانه ... و مع ذلك فإذا ما قضى هذا المستمع صلاته بقيت (الحقيقة) التي زلزلت كيانه في المسجد ، و لم تتبعه إلى الشارع ... و هذا يضطرنا إلى أن نسجل ملاحظتنا : إن هناك انفصالا بين العنصر الروحي و العنصر الاجتماعي ، هناك افتراق بين المبدأ و الحياة ، و المسلم يعيش اليوم هذا الانفصال الذي يمزق شخصه شطرين : شطر ينظم سلوكه في المسجد ، و شطر ينظمه في الشارع "[27].

إن هذا الشطر الثاني الذي بينه بن نبي ، هو الذي يمثل نمط الحياة الذي أصبح يعيشه المسلم ، و هو نمط غير إسلامي ، و إلا لما كان مناقضا للشطر الأول .

---

[27] - ميلاد مجتمع ، ص 105 .

و قد دلل الأستاذ بن نبي على ذلك بمثال واضح و صريح فقال بأن المسلم " إذا ما تخطى عتبة المسجد يوم الجمعة ، فإنه يشعر بدفء في قلبه و دفء في نفسه ، و لكنه بمجرد أن يضع قدمه في الشارع يعاود البرد فيحتل قلبه و نفسه . إنه يسمع عند قدمي المنبر مثلا موعظة في فوائد رمضان ، و لكنه منذ يعود إلى بيته يستمع في الراديو إلى العرض الأسبوعي لرئيس إحدى الدول الإسلامية يحرض خلاله المواطنين في بلاده أن يفطروا رمضان ليواجهوا ضرورات البناء الاجتماعي . كأن هذا البناء يمكن أن تقوم قائمته دون أسس أخلاقية ، أو كأنما يمكن في أي بلد فصل الجهد الاجتماعي عن القوى الأخلاقية التي تسانده ، دون هدم هذا الجهد ذاته ، و طبيعي أن هذا مستحيل" [28].

[28] - ميلاد مجتمع ، ص 105 ، 106 .

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

الآن وقد انتهت هذه المحاولة المتواضعة لدراسة بعض من مقاصد الجمعة و أهدافها ، المتمثلة في (الأبعاد الإعلامية و الاجتماعية) ، يجدر أن يكون هذا المقام تلخيصا لأهم نتائجها ، و بيانا لأهم آفاق الاستفادة منها نظريا و ميدانيا .

أهم النتائج :

بالإضافة إلى ما سبق بيانه من نتائج في ثنايا البحث ، فإن الخلاصة التي يمكن تسجيلها هي أن الجمعة من أهم شعائر الإسلام و أعظمها ، و ذلك لشموليتها لجميع مقاصد الشريعة وأهدافها .

فهي شاملة للمقاصد و الأبعاد التعبدية التي شرعت لربط الإنسان بالله عز وجل ، و توثيق صلته به ، و لنيل مرضاته ، و ذلك بما حوته من قراءة للقرآن و ذكر ، و ركوع و سجود ، و ابتهال و دعاء ، و خشوع و رجاء .

و هي شاملة للمقاصد و الأبعاد الاجتماعية التي شرعها الله عز و جل لإصلاح حال الإنسان فردا و مجتمعا ، و لبناء حضارة إيمانية راقية .

لقد أثبت الفصل الأول من الباب الأول أن الجمعة شأنها عظيم عند الله عز وجل ، تجلى ذلك من إفراد القرآن الكريم لها سورة كاملة باسمها ، و من الاهتمام العظيم الذي أولاه الرسولﷺ لها ، فقد تبين من النصوص الكثيرة الواردة فيها أنها من أهم وسائل الرسولﷺ في الدعوة . وتم هنالك استخلاص أهم الأبعاد المنهجية لجمعاتهﷺ ، وهي أبعاد ينبغي ألا يغفلها الخطاب الإسلامي بمختلف أنواعه ، و يحسن بكل خطيب استلهامها في جمعته حتى يتمكن من تحقيق الرسالة المنوطة بها .

أما الفصل الثاني من الباب المذكور ، فقد بين أن الجمعة يكاد تشريعها أن يكون للمساهمة في حفظ جميع مقاصد الشريعة الإسلامية ، وقد تم منه استلهام كل الأبعاد المدروسة ، و كان هذا الفصل بمثابة الأداة المنهجية التي رسمت حدود كل الدراسة .

أما الباب الثاني الذي كان الهدف منه إبراز أهم الأهداف و الأبعاد الإعلامية للجمعة ، فقد اعتنى فصله الأول ببيان البعد التربوي و التعليمي ، وتبين لنا منه أنه بعد استراتيجي لخطاب الجمعة ،

حتى أنّ القرآن الكريم جاء خطابه فيه صريحا فقال تعالى :﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ .

واهتمّ فصله الثّاني بتبيين بُعد آخر في غاية الأهميّة و هو تثقيف المجتمع بالمعنى الواسع للثّقافة ، وهي أنّها نظريّة في المعرفة و نظريّة في السّلوك و البناء الحضاريّ .

و كان من نتائج الفصل الثّالث الّذي خصّص للبعد الإخباريّ ، أنّ الجمعة و المساجد الجامعة ، من أهمّ الوسائل الّتي حبى بها الله عزّ وجلّ الأمّة الإسلاميّة و الّتي يمكن استغلالها اليوم في مجال صناعة الأخبار ، و نكرّر في هذا المقام أنّ المسلمين لو استغلّوا المساجد الجامعة بأساليب و طرق عصريّة في مجال تناقل الأخبار لأصبحت الأمّة الإسلاميّة أمّة لا تضاهى في عدد مراكز الأنباء ، لأنّ المساجد في العالم تعدّ بعشرات الآلاف .

أمّا الفصل الرّابع من هذا الباب فهو عبارة عن ثمرة للأبعاد السّابقة ، و هو في غاية الأهميّة و الخطورة ، لهذا أكّدنا هنالك أنّه من الوظائف الواجب الاعتناء بها بقوّة ، و يجب أن يكون خطاب الجمعة للنّاس أجمعين .

أمّا الباب الثّالث فقد حرص على بيان أهمّ الأبعاد الاجتماعيّة المنوطة بالجمعة ، و قد كان التّركيز فيه منصبّا على بيان أنّ من أهمّ وظائف الجمعة هو البناء الاجتماعيّ ، لهذا كان منطلق التّحليل في هذا الباب هو النّظرة القرآنيّة في بناء المجتمع .

فكان من نتائج الفصل الأوّل أنّ الجمعة يجب أن تضطلع بعمليّة التّنشئة الاجتماعيّة ، و أن يكون المسجد هو محور كل المؤسّسات و الهيئات الممارسة و المؤثّرة في عمليّة التّنشئة الاجتماعيّة .

و كان من نتائج الفصل الثّاني أنّ ممّا يجب أن تقوم به الجمعة في مجال البناء الاجتماعيّ هو الاعتناء باصلاح كلّ أنواع العلاقات الاجتماعيّة .

أما الفصل الثّالث فقد خصّ لإبراز دور الجمعة في واحدة من أهمّ العمليّات الاجتماعيّة و الّتي لا يمكن أن يستغني عنها البناء الاجتماعيّ ، و هي عمليّتا القيادة و الانقياد الرّاشدين ، وقد كان من أهم ثمرات هذا الفصل أن الجمعة و صلاة الجماعة من أهم ما شرع الله تعالى لهذا الأمر .

و كان من نتائج الفصل الرّابع من هذا الباب أن الجمعة بقيامها بعمليّة التّنشئة الاجتماعيّة ، و بإصلاحها للعلاقات الاجتماعيّة و بقيامها بعمليّة التّربية على القيادة و الانقياد الرّاشدين ، تكون

من أهم وسائل الاسلام في بناء الجماعة الاجتماعيّة أو الأمّة ، ولهذا أكّد هذا البحث على إحياء هذه الوظيفة و تطويرها .

أمّا الفصل الخامس ، فكانت أهمّ نتائجه هو أنّ الجمعة من الوسائل المهمّة و الفعّالة للوقاية و العلاج من الأمراض و الآفات الاجتماعيّة ، فهي بمثابة محطّة لعلاج ما وقع للمجتمع من أدواء خلال السّتة أيام الماضية ، و لوقايته مما يمكن أن يقع له خلال السّتة أيّام القادمة .

وبالنّسبة للباب الرّابع ، فأهمّ ما يمكن استخلاصه منه أنّ رسالة الجمعة دونها عوائق و عقابيل كثيرة ، فمنها ما يتعلّق بالجمهور و منها ما يتعلّق بالمرسل ، و منها خاص بالمجتمع ، و أنّ من أهمّ الواجبات على الأمة القضاء على هذه العوائق .

آفاق الاستفادة من هذا البحث :

في ختام هذا الختام نودّ أن نشير إلى أنّ هذا البحث كان من أهدافه الكبرى المساهمة في ترشيد الخطاب الاسلاميّ المعاصر ، و لهذا فإنّ أهمّ آفاق الاستفادة منه يمكن أن تكون على صعيدين و هما :

أولا – الاستفادة منه علميا :

إنّ هذا البحث المتواضع قد فتح للباحث مجالات كثيرة للبحث ، ندع الله عزّ وجلّ أن ييسّر إنجازها ؛ كما يمكن أن يكون إثارة لغيره من الباحثين و ذلك للبحث في مثل المجالات التّالية :

- دراسات عن الأحكام الشّرعية من منظور حضاري و ذلك بإبراز مختلف أبعادها الاجتماعية ، مثل الحجّ و الصّوم و الزّكاة و غيرها .
- دراسات عن المسجد و الجمعة ، مثل : تحليل محتوى الخطب ، دراسة الجمهور المسجديّ و تفاعله مع الخطب ، مقارنات بين الخطب من حيث التأثير ،دراسات عن الخطباء ...

ثانيا – الاستفادة منه عمليا :

... و يمكن أن يكون هذا البحث معينا للخطباء و القيمين على أمر المساجد و المسؤولين عن تسييرها ليستثمروا نتائجه و يسترشدوا بما أثاره من قضايا .

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تمّت .

الفهارس العامة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

2﴿ سورة البقرة ﴾

الآيـــة	رقمها	الصفحة
إني جاعل في الأرض خليفة ...	30	151357،112،74،33،31
وعلم آدم الأسماء كلها ...	31	361،174،159
وعلم آدم الأسماء كلها ...	33،32	361،174
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ...	125	204،20
وكذلك جعلناكم أمة وسطا ...	143	125،91 .
ربنا وابعث فيهم رسولا ...	129	109،97.
إن في خلق السماوات والأرض ...	164	191
ذلك الكتاب لا ريب فيه ...	2	102 .
شهر رمضان الذي أنزل ...	185	102 .
يؤتي الحكمة من يشاء ...	269	104 .
واتقوا الله ويعلمكم الله ...	282	109
وعلم آدم الأسماء كلها ...	31	125
لا إكراه في الدين ...	256	254،203
أن تبروا وتتقوا وتصلحوا ...	224	250
وإذ ابتلى إبراهيم ربه ...	124	269
كذلك يبين الله لكم الآيات ...	219	310
ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني ...	78	346
واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون ...	202	358
أولائك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ...	16	360
ولئن اتبعت أهواءهم ...	120	362

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

3﴿ سورة آل عمران ﴾

ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ...	104	84،117،209،314 .
كنتم خير أمة أخرجت للناس ...	110	84،117،125،209 .
وإذ أخذ الله ميثاق النبيين ...	81	103 .
وكأي من نبي قاتل معه الربيون ...	146-148	107
ما كان لبشر أن يؤتيه الله ...	79	108،113
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب ...	164	109
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ...	23	200
ليسوا سواء من أهل الكتاب ...	113،114	209
فبما رحمة من الله لنت لهم ...	159	212
وشاورهم في الأمر ...	159	213
واعتصموا بحبل الله جميعا ...	103	247،254،298
يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا ...	149	280
إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ...	190،191	311
قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ...	31	406
أفمن تبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ...	162	406

4﴿ سورة النساء ﴾

رسلا مبشرين ومنذرين ...	165	14 .
يا أيها الناس اتقوا ربكم ...	1	42
أم يحسدون الناس ...	54	103 .
ولو ردوه إلى الرسول ...	83	129،192،270
يريد الله أن يخفف عنكم ...	28	145
ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم ...	102	194

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لا خير في كثير من نجواهم إلا ...	114	250
و أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم ...	59	270
إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ...	31	303
إن المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم ...	142	324
5﴿ سورة المائدة ﴾		
و نسوا حظا مما ذكروا به ...	13	60
منهم أمة مقتصدة ...	66	68
لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا ...	48	69
و من لم يحكم بما أنزل الله ...	45،44	103،102
و من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ...	47	،103
إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ...	44	107
لولا ينهاهم الربانيون و الأحبار ...	63	107
و تعاونوا على البر و التقوى ...	2	389،261
لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ...	79،78	314
و إذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ...	58	326،324،317
إن المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم ...	142	318
6﴿ سورة الأنعام ﴾		
ما فرطنا في الكتاب من شيء ...	38	312،283،19
قل إن صلاتي و نسكي ...	163،162	37
و هو الذي جعلكم خلائف الأرض ...	165	158
قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ...	153-151	406،286
و ذروا ظاهر الإثم و باطنه ...	120	303
إن الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعا لست منهم ...	159	332

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى ...	111	359
وهذا كتاب أنزلناه مبارك ...	155	406
7﴿ سورة الأعراف ﴾		
ولو أن أهل القرى آمنوا ...	96	307،122 .
والوزن يومئذ الحق ...	9،8	133
ولكني رسول من رب العالمين ...	62،61	208
قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم ...	38	283
قل يا أيها الناس رسول الله إليكم جميعا ...	158	406،286
وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ...	138	358
8﴿ سورة الأنفال ﴾		
هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ...	63،62	249
فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ...	1	250
9﴿ سورة التوبة ﴾		
لمسجد أسس على التقوى ...	109،108	.18،16
لو كان عرضا قريبا ...	42	.68
سقاية الحاج وعمارة المسجد ...	19	.76
ليس على الضعفاء ولا على المرضى ...	91	208
والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ...	71	209
ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ...	54	318
فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا ...	122	376

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

10 ﴿ سورة يونس ﴾		
لكل أمة أجل ...	49	294
11﴿ سورة هود ﴾		
هو أنشأكم من الأرض واستخلفكم فيها ...	61	158،151
قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا ...	87	323
ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إني لكم نذير مبين ...	29-25	359
وإلى عاد أخاهم هودا ...	51،50	359
12﴿ سورة يوسف ﴾		
قل هذه سبيلي أدعو إلى الله ...	108	376،336،178، 99،38،45،14.
لقد كان في قصصهم عبرة ...	111	309
أولم يسيروا في الأرض فينظروا ...	109	310
قال رب السجن أحب إلي ...	33	361
قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف ...	89	361
13﴿ سورة الرعد ﴾		
إن الله لا يغير ما بقوم ...	11	258 ،237، 154،122.
14﴿ سورة إبراهيم ﴾		
وذكرهم بأيام الله ...	5	33
15﴿ سورة الحجر ﴾		
إنا نحن نزلنا الذكر ...	9	396،62

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وما خلقنا السماوات والأرض ...	85	73
16 ﴿ سورة النحل ﴾		
أدعو إلى سبيل ربك ...	125	341،104،45 .
وأنزلنا إليك الذكر ...	44	20
وعلى الله قصد السبيل ...	9	68
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ...	36	122 .
فاسألوا أهل الذكر ...	43	207،129،126
أدخل الجنة بما كنتم تعملون ...	32	137
والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ...	78	223،145
للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ...	60	167
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ...	92	371
17 ﴿ سورة الإسراء ﴾		
ذلك مما أوحى إليك ربك ...	39	104 .
وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا ...	105	177
ولا تقف ما ليس لك به علم ...	36	191
18 ﴿ سورة الكهف ﴾		
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ...	28	280
19 ﴿ سورة مريم ﴾		
فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة ...	60،59	331،326،317
20 ﴿ سورة طه ﴾		
ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات ...	76،75	98.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ومن أعرض عن ذكري ...	124	307،123
وإني لغفار لمن تاب ...	82	131
وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ...	132	341
فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى ...	26-23	405
21﴿ سورة الأنبياء ﴾		
وهذا ذكر مبارك ...	50	.82
وما أرسلنا قبلك من رسول ...	25	.122
قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم ...	67،66	360
23﴿ سورة المؤمنون ﴾		
أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ...	115	73
24﴿ سورة النور ﴾		
في بيوت أذن الله أن ترفع 37،36	38-36	385 ،19 16،15
وما على الرسول إلا البلاغ	54	.46
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ...	55	152
إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ...	17-15	192
ومن يطع الله ورسوله ...	52	307
25﴿ سورة الفرقان ﴾		
فاسأل به خبيرا ...	59	129
إلا من تاب وآمن وعمل عملا ...	70	131
ويوم يعض الظالم على يديه ...	29-26	232

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

27﴿ سورة النمل ﴾		
إنما أمرت أن أعبد ...	92،91	.82
ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ...	55،54	360
إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ...	34	399
28﴿ سورة القصص ﴾		
ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض...	5	151
29﴿ سورة العنكبوت ﴾		
الم أحسب الناس ...	3-1	258
إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ...	45	322
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ...	48	346
30﴿ سورة الروم ﴾		
فأقم وجهك للدين حنيفا	31	.90
الله الذي خلقكم من ضعف ...	54	224،145
وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ...	27	167
ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا	21	229
فطرة الله التي فطر الناس عليها ...	30	239
قل سيروا في الأرض فانظروا ...	42	310
وعد الله لا يخلف الله وعده ...	7،6	348
أولم يتفكروا في أنفسهم ...	8	349
أولم يسيروا في الأرض فينظروا ...	10،9	349

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

31﴿ سورة لقمان ﴾		
واقصد في مشيك	19	68
ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن ...	22	254
فلما نجاهم إلى البر	32	68
ولقد آتينا لقمان الحكمة	12	104 .
يا بني أقم الصلاة ...	17	341
33﴿ سورة الأحزاب ﴾		
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ...	45	178
وتخفي في نفسك ما الله مبديه ...	37	218
إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ...	72	355،269
34﴿ سورة سبأ ﴾		
وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ...	28	177
35﴿ سورة فاطر ﴾		
فمنهم ظالم لنفسه ...	32	68
إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ...	9	194
إنما يخشى الله من عباده العلماء ...	28	358
36﴿ سورة يس ﴾		
والشمس تجري لمستقر لها ...	33	129
38﴿ سورة ص ﴾		
واذكر عبدنا داود ...	20	104

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

39﴿ سورة الزمر ﴾		
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ...	9	173
قل أفغير الله تأمروني أعبد ...	64	359
40﴿ سورة غافر ﴾		
وما يستوي الأعمى والبصير ...	58	131
ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى ...	40	131
41﴿ سورة فصّلت ﴾		
ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله ...	33	.84،83
42﴿ سورة الشورى ﴾		
شرع لكم من الدين ...	13	69
الله الذي أنزل الكتاب ...	17	. 105
شرعوا لهم من الدين ...	21	69
وما عند الله خير وأبقى ...	38-36	211
43﴿ سورة الزخرف ﴾		
هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة ...	67،66	232
45﴿ سورة الجاثية ﴾		
ثم جعلناك على شريعة من الأمر ...	18	69
46﴿ سورة الأحقاف ﴾		
فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك ...	19	358
قال إنما العلم عند الله ...	23	359

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

49﴿ سورة الحجرات ﴾		
وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ...	13	389،298،261،188
وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ...	9	250
إنما المؤمنون إخوة ...	10	298،262،250
51﴿ سورة الذاريات ﴾		
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ...	56	.357،112،74،33
52﴿ سورة الطور ﴾		
وكتاب مسطور في رق منشور ...	3،2	362
53﴿ سورة النجم ﴾		
والذين يجتنبون كبائر الإثم ...	32	303
54﴿ سورة القمر ﴾		
ولقد يسرنا القرآن للذكر	17	.82
55﴿ سورة الرحمن ﴾		
الرحمن علم القرآن ...	3،2،1	159
57﴿ سورة الحديد ﴾		
لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ...	25	.106
لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ...	25	.106
59﴿ سورة الحشر ﴾		
اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ...	18	42
فاعتبروا يا أولي الأبصار ...	2	309

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

61﴿ سورة الصف ﴾		
إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا ...	4	293
62﴿ سورة الجمعة ﴾		
يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة	9	19،81،90،164.
هو الذي بعث في الأميين رسولا	2	96،102،345.
66﴿ سورة التحريم ﴾		
يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ...	6	336
67﴿ سورة الملك ﴾		
الذي خلق الموت والحياة	2	113،132 .
68﴿ سورة القلم ﴾		
ن والقلم وما يسطرون ...	1	362
70﴿ سورة المعارج ﴾		
إن الإنسان خلق هلوعا ...	23-19	322
71﴿ سورة نوح ﴾		
فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا ...	12-10	322
72﴿ سورة الجن ﴾		
وأن المساجد لله ...	18	18،37
74﴿ سورة المدثر ﴾		
يا أيها المدثر قم فأنذر ...	3،2،1	177
إلا أصحاب اليمين ...	43-39	317

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

79﴿ سورة النازعات ﴾		
فيم أنت من ذكراها	43	40
87﴿ سورة الأعلى ﴾		
قد أفلح من تزكى ...	14	154
88﴿ سورة الغاشية ﴾		
فذكر إنما أنت مذكر	21	83
90﴿ سورة البلد ﴾		
فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة ...	16-11	133
91﴿ سورة الشمس ﴾		
قد أفلح من زكاها ...	10،9	.98
92﴿ سورة الليل ﴾		
وسيجنبها الأتقى ...	17	307
96﴿ سورة العلق ﴾		
اقرأ باسم ربك الذي خلق ...	5-1	343،288
أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى ...	10،9	324
107﴿ سورة الماعون ﴾		
أرأيت الذي يكذب بالدين ...	3-1	133
فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ...	7-4	324،318

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث و الآثار

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحديث أ و الأثر	الصفحة
(أ)	
ائذنوا للنساء بالليل ...	321
إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد ...	30
إذا خرج خرج ثلاثة ...	271
أرسلت إلى أمة أمية ...	345
ارجع فصل فإنك لم تصل ...	319
اسمعوا و أطيعوا ...	280
أضل الله عن الجمعة ...	33
أكبر الكبائر الإشراك بالله ...	303
ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ...	30
ألا أخبركم بأفضل ...	251
ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ...	341
ألا أنبئكم ...	156
ألا وإن في المسجد ...	122
أما إني لا أقول إلها الخالقة ...	305
أمر ببناء المساجد ...	28 ، 30
أمك ...أمك ...أمك ...	156
أن النبي كان يخطب ...	23
أن النبي حرض وفد ...	40
أنهلك و فينا الصالحون ...	304
أنزلت عبس ...	154
إنا أمة أمية ...	345
إن أهم أمركم عندي ...	333
إنّ الحمد لله نحمده ...	38

إن الدين النصيحة ...	208
إن في الجمعة لساعة ...	35
إن المسجد كان ...	52
إن المؤمن للمؤمن ...	293
إن المصلي إذا قال ...	337
إن طول صلاة الرجل ...	55
إن بين الرجل و الكفر ...	315
إنما بعثت ...	115، 134
إنما الأعمال بالنيات ...	129
إنما مثل الجليس ...	232
إنك تأتي قوما ...	131
إنك أمرؤ فيك جاهلية ...	155
إنّ الله أجاركم ...	205
إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ...	376
إنه سيصيب أمتي ...	303
الإيمان بضع و سبعون شعبة ...	133
أياكم و البغضة ...	251
أيها الناس إني إمامكم ...	278
أيها الناس إنكم ...	46

(ب)

بايعت رسول الله على السمع و الطاعة ...	208
بايعت رسول الله على إقام الصلاة ...	208
بعثت بجوامع الكلم ...	46
بلغوا عني ...	178، 313
بين الرجل و الشرك ...	324
بين الكفر و الإيمان ...	324

(ت)

ترى المؤمنين في توادهم ...	202

(ث)

ثلاثة لا تجاوز صلاتهم ...	275

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

﴿ح﴾

حدثنا الذين كانوا يقرئوننا ... 40

﴿خ﴾

خيركم قرني ... 61

خير يوم طلعت عليه الشمس ... 33

﴿د﴾

دب إليكم داء الأمم ... 302

﴿ذ﴾

ذكر النبي ﷺ شيئا فقال : و ذاك عند ذهاب العلم ... 347

ذهبت إلى السوق ... 28

﴿ر﴾

رأس الأمر الإسلام ... 14،233،330

الرجل على دين خليله ... 232

رغم أنف ... من أدرك أبويه عند الكبر ... 156

﴿س﴾

السمع و الطاعة على المرء ... 279

سووا صفوفكم فإن الله ... 320

﴿ص﴾

الصلاة الصلاة ... 14

صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ ... 320

﴿ع﴾

عرضت علي أجور أمتي ... 30

العهد الذي بيننا و بينهم ترك الصلاة ... 318،324

العهد الذي بين العبد ... 324

﴿ف﴾

فما رآه المسلمون حسنا ... 206

﴿ق﴾

قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة ... 38،48

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قل آمنت بالله ثم استقم ...	121، 132

(ك)

كان أصحاب محمد ...	24 3
كانت امرأة لعمر تشهد ...	321
كانت خطبة النبي ﷺ ...	38
كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشا ...	29
كان الناس يسألون رسول الله ﷺ ...	378
كان النبي معتكفا ...	193
كل بدعة ضلالة ...	360
كل خطبة ليس فيها تشهد ...	123
كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته ...	267، 269، 273، 336
كل سلامى من الناس ...	251
كل مولود يولد على الفطرة ...	230
كنا جلوسا ...	23
كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار ...	42
كنت أصلي مع النبي ﷺ ...	48

(ل)

لا تغضب ...	155
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ...	321
لا يحل لثلاثة ...	271
لا يحل لرجل ...	275
لا يغتسل رجل يوم الجمعة ...	34
لم اسمعه يرخص في شيء ...	251
لقد كان تنورنا و تنور رسول الله ﷺ واحدا ...	47
لقد هممت أن آمر رجلا ...	35، 318
لعن الله اليهود و النصارى اتخذوا ...	122
اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ...	110
لم يحن أحد منا ظهره ...	278

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ليبلغ الشاهد منكم الغائب ...	313
ليس منا من لم يرحم صغيرنا ...	262
ليس الكذاب الذي ...	251
ليلني منكم أولوا الأحلام ...	279
لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ...	36
لينقضن عرى الإسلام ...	60

(م)

ما أخذت ق إلا ...	27،25
ما أعددت لها ...	40
ما بال أقوام لا يفقهون ...	128
ما بال أقوام لا يعلمون ...	341
ما من مولود إلا ...	223
متى الساعة ...	40
مثل المؤمنين في توادهم ...	293،262
مرّ بقوم يلقحون ...	162
مروا أولادكم بالصلاة لسبع ...	341
المرء على دين خليله ...	232
من أكل الثوم ...	30
من بنى مسجدا ...	385،29
من تطهر في بيته ...	30
من اغتسل يوم الجمعة ...	81
من غدا إلى المسجد ...	29
من غسّل و اغتسل ...	36،34
من قرأ سورة الكهف ...	35
من سرّه أن يلقى الله تعالى غدا مسلما ...	321

(ن)

نحن الأولون السابقون ...	33
نضر الله امرؤا ...	178

(و)

و الذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر ...	321

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وعظنا رسول الله ﷺ ...	49
و الله لا يؤمن ...من لا يأمن جاره ...	156

(ي)

يا بلال أقم الصلاة ...	322
يؤم القوم أقراهم ...	275
يوشك أن تداعى عليكم ...	332

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

(أ)

أبي بن كعب بن قيس 38

أحمد بن حنبل 347

الألباني (ناصر الدين) 38

الأصفهاني الراغب 141

الألوسي 118

أم سلمة 303

أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط 250

أم هشام بنت حارثة 25

(ب)

ابن باديس عبد الحميد 83

بلال بن رباح 42

البخاري(محمد بن إسماعيل بن إبراهيم) 22

البيضاوي (عبد الله الشيرازي) 95

(ت)

التفتزاني مسعود بن عبد الله سعد الدين 270

التهانوي (محمد أعلى بن شيخ علي الفاروقي 70

ابن تيمية (أحمد عبد الحليم) 34

(ج)

جابر بن عبد الله 23

جابر بن سمرة بن جنادة 140

جرير بن عبد الله البجلي 42

(د)

أو داود سليمان بن الأشعث (المحدث) 52

دراز محمد بن عبد الله 266

(ذ)

أبو ذر جندب بن جنادة 38

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ر)

الرازي (الفخر) 101

(ز)

الزبير بن العوام 302
الزهري (ابن شهاب) 46
زياد بن لبيد 347

(س)

سعد بن أبي وقاص 51
ابن سعد (محمد) 57
سعيد حوى 118
سعيد بن مسيب 251
السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي) 337
السبكي (علي بن عبد الكافي) 164

(ص)

الصديق (أبو بكر) 53
صفوان بن يعلى بن أمية 25

(ع)

عائشة (أم المؤمنين) 28
ابن عاشور محمد الطاهر 71
عبد الله بن حبيب السلمي 40
عبد الله بن عمر بن الخطاب 36
عبد الله بن عصام المزني 29
عبد الله بن عباس 29
عبد الله بن مسعود 35
عبد القادر الجيلاني 259
عثمان بن عفان 29
العرباض بن سارية 49
عروة بن عبد الله بن الزبير 154
العسقلاني (ابن حجر) 320
عمر بن الخطاب 50

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عمرو بن العاص 51
عمرو بن عبسة 29
علال الفاسي 72
علي بن أبي طالب 52عويمر بن زيد بن قيس 38
العلواني طه جابر 343

(غ)

الغزالي (أبو حامد) 210
الغزالي (محمد) 31
قتادة بن دعامة 18

(ق)

القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) 24
القرضاويّ يوسف 20
قطب سيد 117
قطب محمد 115
ابن قيم الجوزية 25

(م)

مالك بن أنس 110
مالك بن نبي 226
الماوردي 259
مجاهد بن جبر المكي 270
محمد رشيد رضا 306
مصطفى صادق الرافعي 308
المناوي (عبد الرؤوف بن تاج العارفين 70
موسى بن طلحة 57

(ن)

نافع مولى ابن عمر 333
الندوي (أبو الحسن) 80

(هـ)

أبو هريرة 23
الهيثمي ابن حجر 85

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم - رواية حفص - .

أ

- إبراهيم أنيس و آخرون .

المعجم الوسيط . 2ج . (ط.د) . بيروت : دار الفكر .(ت.د) .

- ابن الأثير الجزيري .

أسد الغابة في معرفة الصحابة . 5ج .(ط.د) . بيروت : دار إحياء التراث العربي . (ت.د) .

- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم .

الكامل في التاريخ . 10ج . الطبعة الخامسة . بيروت : دار الكتاب العربي . 1405هـ/1985م .

- ابن الأزرق ، أبو عبد الله محمد الأندلسي .

بدائع السلك في طبائع الملك . 2ج . دراسة و تحقيق : محمد بن عبد الكريم . ليبيا ؛ تونس : الدار العربية للكتاب .

- الألباني ، محمد ناصر الدين .

الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة . الطبعة الأولى . الجزائر: الدار السلفية . 1410ه .

تمام المنة في التعليق على فقه السنة . الطبعة الثالثة . عمان - الأردن -: المكتبة الإسلامية ؛ الرياض : دار الراية للنشر و التوزيع . 1409 هـ .

سلسلة الأحاديث الضعيفة . الطبعة الأولى جديدة . الرياض : مكتبة المعارف . 1412هـ/1992م .

- الألوسي ، شهاب الدين محمود .

روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني . 30ج .(ط.د) . بيروت : دار الفكر . 1403هـ/1983م .

- آمال حمزة المرزوقي .

النظرية التربوية و مفهوم الفكر التربوي الغربي . الطبعة الأولى . جدة : تهامة .

ب

- ابن باديس عبد الحميد .

تفسير ابن باديس . إعداد د/ توفيق محمد شاهين و محمد الصالح رمضان . الطبعة الثالثة . بيروت : دار الفكر . 1379هـ/1979م .

العقائد الإسلامية .

مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير . قسنطينة : دار البعث .

- برغوث الطيب .

التغيير الإسلامي - خصائصه و ظوابطه - . (ط.د) .الجزائر : مكتبة رحاب . (ت.د) .

موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي .سلسلة لبنات في المسار الحضاري . الطبعة الأولى .الجزائر : دار الينابيع للنشر والإعلام . 1413 / 1993م .

القدوة الإسلامية – فرضيتها ، ضرورتها ، السبيل إليها – . الطبعة الأولى . الجزائر(باتنة) :دار الشهاب . 1404هـ/ 1984م .

" **الأبعاد** المنهجية لإشكالية التغيير الحضاري وضرورة المنهج".مناهج الدعوة . منسوخ على الآلة .خاص .

" منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة المحافظة على منجزاتها خلال الفترة المكية ". رسالة ماجستير . شعبة الدعوة و الإعلام ، معهد أصول الدين ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة ، 1412هـ/ 1992م .

- برغوث عبد العزيز بن المبارك .

المنهج النبوي و التغيير الحضاري . سلسلة كتاب الأمة ، رقم 39 . الطبعة الأولى . الدوحة : وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية . 1415 هـ/ 1995 م .

- بن نبي مالك .

مشكلة الثقافة . الطبعة الرابعة . ترجمة د/ عبد الصابور شاهين . الجزائر : دار الفكر ؛ دمشق : دار الفكر . 1404هـ/1984 .

شروط النهضة . ترجمة عمر كامل مسقاوي و عبد الصبور شاهين . الطبعة الرابعة . الجزائر : دار الفكر ؛ دمشق : دار الفكر . 1407 هـ/1987 م .

وجهة العالم الإسلامي . ترجمة عبد الصابور شاهين . دمشق : دار الفكر . 1402هـ/1981م .

ميلاد مجتمع – شبكة العلاقات الاجتماعية – . الطبعة الثالثة . ترجمة عبد الصابور شاهين . الجزائر : دار الفكر ؛ دمشق : دار الفكر . 1406 هـ/1986 م .

- البنا حسن .

مجموعة الرسائل – رسالة الإسلام – .

- بوحجام محمد ناصر .

فضيلة الشيخ ابراهيم بن عمر بيوض–المجتمع المسجدي . غرداية(الجزائر) : المطبعة العربية . 1989م.

- البوطي محمد سعيد رمضان .

منهج الحضارة الإنسانية في القرآن . الطبعة الأولى . دمشق : دار الفكر . 1405هـ/1985م .

- البيضاوي ، ناصر الدين أبو الخير عبد بن عمر الشيرازي .

أنوار التنزيل وأسرار التأويل . (ط.د) . بيروت : دار الفكر . 1402هـ/1982م .

ت

- الترابي حسن عبد الله .

الصلاة عماد الدين . الطبعة الرابعة . الكويت : دار القلم 1403هـ/1983 .

- التهانوي ، محمد بن أعلى بن شيخ علي الفاروقي .

كشّاف اصطلاحات الفنون . 4ج . تحقيق د/ لطفي عبد البديع . ترجمة النصوص الفارسية د/ عبد النعيم محمد حسنين . (ط.د) . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية . 1382هـ/1963م .

- التومي محمد .

المجتمع الإنساني في القرآن الكريم . (ط.د) . تونس : الدار التونسية للنشر ؛ الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب . (ت.د) .

- ابن تيمية ، أبو العباس أحمد .

السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية . (ط.د) سلسلة الأنيس . الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (موفم للنشر) .1990 .

مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية . 37ج . (ط.د) .جمع و ترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد . الرّباط : مكتبة المعارف . (ت.د) .

ج

- جودت سعيد .

العمل قدرة وإرادة . الطبعة الثانية . دمشق : مطبعة زيد بن ثابت الأنصاري . 1404 /1984م .

حتى يغيروا ما بأنفسهم . الطبعة السابعة . دمشق : دار الهجرة . 1407هـ/1987م .

اقرأ وربك الأكرم . الطبعة الأولى . (ط.د) . الجزائر : المطبعة العربية . 1990م .

- ابن الجوزي أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن .

المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم .(ط.د) . تحقيق: محمد عبد القادر عطا و آخرون . 19ج . بيروت: دار الكتب العربية .(ت.د) .

تاريخ عمر بن الخطاب . الطبعة الأولى . الجزائر : الزهراء للنشر و التوزيع . 1991م .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ح

- حاتم محمد عبد القادر .

الرأي العام و تأثره بالإعلام و الدعاية – الكتاب الثاني – الإعلام و الدعاية . (ط.د) بيروت : مكتبة لبنان . 1973 .

- حسن ابراهيم حسن .

تاريخ الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي . 4ج .الطبعة13 . بيروت : دار الجيل ؛ القاهرة : مكتبة النهضة المصرية 1411هـ/1991م .

- حوى سعيد .

الرسول ﷺ . (ط.د) . الجزائر : شركة الشهاب . (ت.د) .

إحياء الربانية . الطبعة الأولى . بيروت : دار السلام . 1404هـ/1984م .

فصول في الإمرة و الأمير . الطبعة الأولى . عمان(الأردن):مكتبة الرسالة الحديثة.1402هـ/1982م .

خ

- الخطيب محمد عجاج .

الوجيز في علوم الحديث . (ط.د) . الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية . 1989 م .

- ابن خلدون عبد الرحمن .

المقدمة . الطبعة السابعة . بيروت : دار القلم . 1409هـ/1989م .

د

- دحلان أحمد زين .

الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية . 2ج . الطبعة الأولى . بيروت : دار صادر . 1417هـ/1997م .

- دراز محمد عبد الله . **دستور الأخلاق في القرآن** . الطبعة السادسة . تعريب و تعليق و تحقيق عبد الصابور شاهين . بيروت: مؤسسة الرسالة ؛ دار البحوث العلمية . 1405هـ/1985م .

- الدريني فتحي .

خصائص التشريع الإسلامي في السياسة و الحكم ، ص 194 .

- الدهلوي ولي الله .

حجة الله البالغة . 2ج . (ط.د) . بيروت : دار المعرفة . (ت.د) .

ذ

❑ الذمار يحي بن حمزة اليماني .

تصفية القلوب من أدران الأوزار و الذنوب . تحقيق د/حسن محمد مقبولي الأهدل .الطبعة الثالثة. بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية . 1415هـ/1995م .

ر

❑ الرازي فخر الدين .

التفسير الكبير ومفاتيح الغيب . 16ج . الطبعة الثالثة . بيروت : دار الفكر . 1405 /1985 م .

❑ الراغب الأصفهاني .

المفردات في غريب القرآن . ضبط و مراجعة : محمد خليل عيتاني . الطبعة الأولى . بيروت : دار المعرفة . 1418هـ/1998م .

❑ الرافعي مصطفى صادق .

إعجاز القرآن و البلاغة النبوية . (ط.د) . بيروت : دار الكتاب العربي . (ت.د) .

❑ رزق علي عبد الحسن .

"دور الوسائل الإعلامية في صناعة الرأي العام "-نموذج حرب الخليج - . مجلة المنطلق . لبنان : العدد 107 . ربيع 1415هـ/1994م .

❑ الريسوني أحمد .

نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي . الطبعة الأولى . الرباط : دار الأمان . 1411هـ/1991م .

ز

❑ الزبيدي محمد مرتضى الحسني .

تاج العروس من جواهر القاموس . 10ج . (ط.د) . تحقيق عبد الستار أحمد فراج . الكويت : مطبعة حكومة الكويت . 1385هـ/1965م .

❑ الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله .

البرهان في علوم القرآن . 4 ج . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . (ط.د) . بيروت ، صيدا : المكتبة العصرية . (ت.د) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- الزركلي ، خير الدين .

الأعلام (قاموس تراجم) . الطبعة الخامسة . بيروت : دار العلم للملايين . 1980م .

- زعرور حسن .

" تكنولوجيا الإعلام بين القيم الثقافية و قضايا التنمية" . مجلة المنطلق . لبنان : العدد 107 . ربيع 1415هـ/1994م .

- الزمخشري ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر عبد الرحيم محمود .

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل . 4ج . (ط.د) . بيروت : دار الكتاب العربي . (ت.د) .

أساس البلاغة . (ط.د) . بيروت : دار المعرفة . (ت.د) .

- زهران حامد عبد السلام .

علم النفس الاجتماعي . الطبعة الخامسة . القاهرة : عالم الكتب . 1984 .

- أبو زهرة محمد .

الخطابة – أصولها و تاريخها – . (ط.د) . القاهرة : دار الفكر العربي . (ت.د) .

س

- سامية حسن الساعاتي .

الثقافة والشخصية . الطبعة الثانية . بيروت : دار النهضة العربية . 1983 م .

- السبكي .

معيد النعم و مبيد النقم . تحقيق محمد عالي النجار و آخرون . الطبعة الثانية . القاهرة : مكتبة الخانجي . 1413هـ/ 1993م .

- سعد جلال .

علم النفس الاجتماعي . الطبعة الثالثة . بنغازي - ليبيا - : منشورات جامعة قار يونس . 1409هـ/1989م .

- ابن سعد ، محمد .

الطبقات الكبرى . 9ج . (ط.د) . بيروت : دار صادر . (ت.د) .

- السمالوطي نبل توفيق .

المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع . (ط.د) جدة : دار الشروق . (ت.د) .

الإسلام و قضايا علم النفس الحديث . (ط.د) . الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية . 1986م .

-

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❑ سمير محمد حسين .

الإعلام و الاتصال بالجماهير و الرأي العام . الطبعة . القاهرة :

❑ سوابعة مخلوف .

" مقاصد الشريعة الإسلامية عند ابن عاشور " . رسالة ماجستير . قسم الكتاب و السّنة ، معهد أصول الدّين ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة . 1996 .

❑ السيد فؤاد البهي .

علم النفس الاجتماعي . القاهرة : دار الفكر العربي .

ش

❑ شادي صلاح .

تأملات في كتاب مدارج السالكين . (ط.د) . الكويت : شركة الشعاع للنشر . 1400هـ .

❑ الشاطبي ، أبوإسحاق ابراهيم بن موسى .

الاعتصام . 2ج . (ط.د) . بيروت : دار المعرفة . 1405 هـ/1985 م .

الموافقات في أصول الشريعة . 4ج . تعليق الشيخ عبد الله دراز . (ط.د) . بيروت : دار المعرفة .

❑ الشرباصي أحمد .

موسوعة أخلاق القرآن . 6ج . الطبعة الثانية . بيروت : دار الرائد العربي . 1405هـ/ 1985م .

❑ شلبي كرم .

الخبر الإذاعي . الطبعة الأولى . جدة : دار الشروق . 1405هـ/1985م .

❑ شلبي محمد مصطفى .

أصول الفقه الإسلامي . الطبعة الثانية . بروت : دار النهضة العربية . 1398هـ/1978م .

❑ شلبي عبد الجليل .

الخطابة و إعداد الخطيب . الطبعة الثانية . القاهرة . بيروت : دار الشروق . 1407هـ/1986م .

❑ الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني .

أضواء البين في إيضاح القرآن بالقرآن . 10ج . الرياض : الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد . 1403هـ/1983م .

❑ الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد .

فيض القدير . ضبط أحمد عبد السلام . 5ج . الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتب العلمية . 1415هـ/1994م .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❑ شون ماكبرايد و آخرون .

أصـــوات متـعددة و عـالم واحد . (ط.د). الـجزائر: الشركة الوطنية للنشر و التوزيـع . 1981م .

ع

❑ ابن عاشور محمد الطاهر .

تفسير التحرير و التنوير . 30 ج . (ط.د) . تونس : الدار التونسية للنشر . الجزائـر : المؤسسـة الوطنية للكتاب. 1984 م .

مقاصد الشريعة الإسلامية . (ط.د) . تونس : الشركة التونسية للتوزيع . (ت.د) .

❑ عاطف عدلي العبد .

الاتصال و الرأي العام . الطبعة القاهرة : دار الفكر العربي . 1993 م .

❑ العالم يوسف .

المقاصد العامة للشريعة . الطبعة الثانية . الرباط : دار الأمان . 1414 هـ/ 1993م .

❑ العالمية (شركات – شركة صخر لبرامج الحاسب)

موسوعة الحديث الشريف (CD-R) ، **الكتب التسعة** . **الإصدار الأول 1,2. 1991/1996.**

❑ العبادي حامد بن محمد .

من حِكم الشريعة و أسرارها . (ط.د) . بيروت : منشورات المكتبة العصرية . (ت.د) .

❑ عبد الرب بن نواب الدين .

الدراسة النظرية للخطابة . الطبعة الأولى . الرياض : دار العاصمة . 1413 هـ .

❑ ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي .

العقد الفريد . شرح و ضبط أحمد أمين و آخرون . (ط.د) . بيروت : دار الكتاب العـربي ج4 . 1402هـ/ 1982م .

❑ عبد الرحمن عبد الخالق .

فصول في السياسة الشرعية . (نسخة مصورة) .

❑ ابن عبد السّلام ، عز الدين عبد العزيز .

قواعد الأحكام في مصالح الأنام . 2ج . الطّبعة الثانية . بيروت : دار الجيل . 1400هـ/1980م .

❑ عطية جمال الدين .

النظـرية العامة للشريعة الإسلامية ؛ التنـظير الفقـهي . الطبعـة الأولى . مطبعـة المدينـة . 1407هـ/ 1987 م .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- عزي عبد الرحمن .

دراسات إعلامية . (ط.د) . الجزائر : مركز الطباعة لجامعة الجزائر . 1992/1993 .

- عزة عجان .

" الإعلام و الدعاية بين الحاجة و التبعية " . المجلة الجزائرية للاتصال . الجزائر : عدد5 .شتاء 1991م .

- العسقلاني أحمد بن حجر .

فتح الباري بشرح صحيح البخاري . 28ج . مراجعة و ضبط : طه عبد الرؤوف سعد و آخرون . (ط.د) . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية . 1398هـ/1978م .

- ابن العطار الدمشقي ، علاء الدين بن ابراهيم .

أدب الخطيب . تحقيق محمد بن الحسن السليماني . الطبعة الأولى . بيروت : دار الغرب الإسلامي . 1996 م .

- عظيمي أحمد .

" ماذا بقي للتلفزيونات الوطنية ؟ " مجلة الجيش . الجزائر : عدد 418 . ماي 1998م .

- العقاد عباس محمود .

التفكير فريضة إسلامية . الطبعة الثانية . بيروت : دار الكتاب العربي . 1969 .

- علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري .

كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال . 18ج . (ط.د) . بيروت : مؤسسة الرسالة . 1413هـ/1993م .

- العلواني طه جابر فياض .

إصلاح الفكر الإسلامي – مدخل إلى نظم الخطاب في الفكر الإسلامي – . هيرندن – فرجينيا – (و م أ) : المعهد العالمي للفكر الإسلامي . 1995م .

- علوان محمد .

مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع ج1 الجماعة . الطبعة الأولى . جدة : دار الشروق . 1404هـ/1983م .

- علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري .

التصفية و التربية و أثرهما في استئناف الحياة الإسلامية . الطبعة الثانية . الرياض : دار التوحيد . 1414هـ .

- العويني محمد علي .

الإعلام الإسلامي الدولي . الطبعة الأولى . القاهرة : عالم الكتب . 1407هـ/1987م .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

غ

- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد .

إحياء علوم الدين . 4ج . (ط.د) . بيروت : دار المعرفة . (ت.د) .

- الغزالي محمد .

سر تأخر العرب و المسلمين . قسنطينة : دار البعث . 1406هـ/ 1986م .

عقيدة المسلم . باتنة – الجزائر – : دار الشهاب .

كيف نفهم الإسلام . الجزائر : دار الكتب . 1987 .

"نظرية التربية الإسلامية للفرد و المجتمع" . بحث مقدم إلى ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية المنعقد بمكة المكرمة في جمادى الثانية 1400هـ/ . شركة مكة للطباعة و النشر .

كيف نتعامل مع القرآن . الجزائر : دار الانتفاضة للنشر والتوزيع .

المحاور الخمسة في القرآن . الجزائر – عين مليلة – : دار الهدى .

نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم . 3ج . الطبعة الأولى . القاهرة . بيروت : دار الشروق . 1415 هـ / 1995 .

خلق المسلم . الطبعة 15 . الجزائر : مكتبة رحاب . 1408هـ/1987م .

- غوستاف لوبون .

روح الاجتماع . ترجمة أحمد فتحي عثمان زغلول باشا . (ط.د) . سلسلة الأنيس . الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية . 1988 .

ط

- طبارة عفيف عبد الفتاح .

روح الصلاة في الإسلام . الطبعة الثامنة . بيروت : دار العلم للملايين . 1978 م .

- الطبري ، أبو جعفر أحمد المحب .

الرياض النضرة في مناقب العشرة . 4ج . الطبعة الأولى . بيروت: دار الكتب العلمية . 1405هـ/ 1984م) .

- الطبري ، جعفر بن محمد بن جرير .

جامع البيان في تفسير القرآن . 30ج . بيروت : دار الفكر . 1398هـ/1978م .

ف

❑ فاخر عاقل .

علم النفس . الطبعة الثامنة . بيروت : دار العلم للملايين . 1982 م .

❑ فاروق أبو زيد .

فن الخبر الصحفي . الطبعة الثانية . جدة : دار الشروق . 1404هـ/ 1984 م .

❑ الفاسي علال .

مقاصد الشريعة الإسلامية و مكارمها . الطبعة الرابعة مصححة . الدار البيضاء – المغـــرب – : مطبعة النجاح الجديدة . 1991م .

❑ فرغل يحيى هاشم حسن.

معالم شخصية المسلم . (ط.د) . صيدا ، بيروت : المكتبة العصرية . (ت.د) .

❑ الفوال صلاح .

التصوير القرآني للمجتمع . 2ج . **الإنسان و النظم الاجتماعيـــة** .ج1 . (ط.د) . القـــاهرة : دار لفكر . (ت.د) .

❑ فنسك ، أ ي .

مفتاح كنوز السنة . ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي . (ط.د) . بيروت : دار إحياء التراث العـــربي . 1403هـــ/ 1983م .

❑ فنسك و آخرون .

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .

❑ الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب .

القاموس المحيط . 4ج . بيروت : دار الفكر . 1403هـــ/1983م .

ق

❑ القاسمي جمال الدين .

إصلاح المساجد من البدع و العوائد . (ط.د) . الجزائر – البليدة –: قصر الكتاب . (ت.د) .

❑ القاضي يوسف مصطفى ؛ و بالحن مقداد .

علم النفس التربوي في الإسلام . (ط.د) . الرياض : دار المريخ .1401هـــ/1981م .

❑ القرضاوي ، يوسف .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العبادة في الإسلام . (ط.د) . باتنة -الجزائر- : دار الشهاب . (ت.د) . **العبادة في الإسلام** . (ط.د) . باتنة -الجزائر- : دار الشهاب . (ت.د) . **الوقت في حياة المسلم** . (ط.د) . القاهرة : دار الصحوة . (ت.د) .

الخصائص العامة للإسلام . الطبعة الثالثة . بيروت : مؤسسة الرسالة . 1405 هـ/1985م .

الحلول المستوردة و كيف جنت على أمتنا . بيروت : مؤسسة الرسالة . 1400هـ/1980م .

- قطب ، سيد .

في ظلال القرآن . 6 ج . الطبعة 17 . القاهرة ؛ بيروت : دار الشروق . 1412 هـ/1992م .

- قطب ، محمد .

منهج التربية الإسلامية . 2ج . الطبعة الثامنة . بيروت ؛ القاهرة : دار الشروق . 1403ه/1983 م .

الإنسان بين المادية والإسلام . الطبعة السابعة . بيروت ؛ القاهرة : دار الشروق . 1402هـ/1982م) .

واقعنا المعاصر . (ط.د) الجزائر : مكتبة رحاب . 1989م .

- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري .

الجامع لأحكام القرآن . 20ج . (ط.د) . تصحيح أحمد عبد العليم البردوني . (م.د) . (ت.د) .

- ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر .

زاد المعاد في هدي خير العباد . 5ج . الطبعة الثامنة . تحقيق و تعليق شعيب و عبد القادر الأرناؤوط . بيروت : مؤسسة الرسالة ؛ الكويت : مكتبة المنار الإسلامية . 1405 هـ/1985م .

القيم إعلام الموقعين 4ج (مصر : إدارة الطباعة) .

ك

- ابن كثير إسماعيل .

تفسير القرآن العظيم . 7ج . الطبعة السادسة . بيروت : دار الأندلس . 1404هـ/ 1984م .

- كارنيغي دايل .

فن الخطابة – كيف تكسب الثقة و تؤثر بالناس – . (ط.د) . بيروت : دار و مكتبة الهلال . 1988 .

- كوراني علي محمد .

فلسفة الصلاة في الإسلام . (ط.د) . بيروت : دار إحياء التراث العربي . 1392هـ/1972م

- كنون عبد الله .

" مواكبة خطبة الجمعة لتطورات العصر ". ملحق 1 في كتاب (أدب الخطيب) .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❑ الكيلاني ماجد عرسان .

مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح . سلسلة كتاب الأمة . الطبعة الأولى . الدوحة : وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية . 1411 .

ل

❑ لجنة من كبار علماء الأزهر الشريف و أساتذة الجامعات .

خطب الجمعة و العيدين . (ط.د) . القاهرة : دار المعارف . 1969م .

❑ لعقاب محمد .

المسلمون في حضارة الإعلام الجديدة . الطبعة الأولى . الجزائر : دار الأمة . 1996م .

م

❑ الماوردي أبو الحسن علي بن حبيب .

الأحكام السلطانية و الولايات الدينية . الطبعة الأولى . بيروت : دار الكتاب العربي 1410هـ/1990م .

أدب الدنيا و الدين . الطبعة الثالثة . تعليق محمد كريم راجح . بيروت : دار اقرأ . 1404هـ/ 1984م .

النكت و العيون الشهير بتفسير الماوردي . تحقيق خضر محمد خضر . مراجعة عبد الستار أبي غدة . 4ج . الطبعة الأولى . الكويت : مطابع مقهوي . 1402هـ/ 1982م .

❑ محسن عبد الحميد .

أزمة المثقفين تجاه الإسلام . الطبعة الرابعة . القاهرة : دار الصحوة للنشر و التوزيع . 1405هـ/1984م .

❑ محمد المبارك .

نظام الإسلام – العقيدة والعبادة – . (ط.د) . بيروت : دار الفكر . 1405 / 1984م .

نظام الإسلام – الحكم و الدولة – . (ط.د) . دمشق : دار الفكر . 1409هـ/ 1989 .

❑ محمد محمد حسين .

الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . 2ج . الطبعة السابعة . بيروت: مؤسسة الرسالة. 1405هـ/1984م .

❑ محمد بن عبد الكريم الجزائري .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الثقافة و مآسي رجالها . (ط.د) . الجزائر : شركة الشهاب .(ت.د) .

- محمد فؤاد عبد الباقي .

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . (ط.د) . بيروت : دار الأندلس . (ت.د) .

- محمد رشيد رضا .

تفسير المنار . 12ج . الطبعة الثانية . بيروت : دار المعرفة . (ت.د) .

الخلافـــــة . سلسلة الأنيس . (ط.د) . الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية(موفم للنشـــــر). 1992 م .

- محمد فريد محمود عزت .

دراسات في فن التحرير الصحفي في ضوء معالم قرآنية . (ط.د) . الجزائر : ديوان المطبوعـــات الجامعية . (ت.د) .

- محمد سيد محمد .

المسؤولية الإعلامية في الإسلام . الطبعة الثانية . الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب . 1986م .

- محي الدين عبد الحليم .

الرأي العام في الإسلام . الطبعة الثانية . القاهرة : دار الفكر العربي . 1410هـــ/1990م .

الإعلام الإسلامي و تطبيقاته العملية . الطبعة الثانية . القاهرة : مكتبة الخانجي ؛ الريـــاض : دار الرفاعي . 1404 هـــ/ 1984 م .

- المعهد العامي للفكر الإسلامي .

إسلامية المعرفة – المبادئ العامة – خطة العمل – الإنجازات . 1406هـــ/1986م .

- المناوي محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين .

التوقيف على مهمات التعاريف – معجم لغوي مصطلحي – . تحقيق د/ محمد رضوان الدايـــة . بيروت: دار الفكر المعاصر ؛ دمشق : دار الفكر .

- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم .

لسان العرب . 16ج . (ط.د) . بيروت : دار إحياء التراث العربي .(ت.د) .

- المهدي المنجرة .

الحرب الحضارية الأولى – مستقبل الماضي و ماضي المستقبل – . الطبعة الأولى . الجزائر : شركة الشهاب . 1991م .

- مي عبد الله .

" أساليب وسائل الإعلام في التأثير على الرأي العام " . مجلـــة المنطلـق . لبنـان : عـدد 107 . 1415هـ/1994م .

❑ الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة .

العقيدة الإسلامية وأسسها . الطبعة السابعة . دمشق : دار القلم . 1415هـ/1994م .

ن

❑ النجار عبد المجيد .

الإيمان بالله و أثره في الحياة . الطبعة الأولى . بيروت : دار الغرب الإسلامي . 1997م .

" مسالك الكشف عن مقاصد الشريعة بين الشاطبي و ابن عاشور " . مجلة العلوم الإسلامية . الجزائر – قسنطينة – جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية : رقم العدد 2 . 1407هـ/1987م .

(**مبدأ الإنسان**) ؛ (**قيمة الإنسان**) ؛ (**خلافة الإنسان**) . الطبعة الأولى . الرباط : دار الزيتونة للنشر . 1471 هـ/1996 م .

دور حرّية الرّأي في الوحدة الفكريّة بين المسلمين .الطبعة الأولى . هيرندن – فرجينيا – (و م أ) : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1413هـ/1992م .

فقه التدين فهما و تنزيلا . 2ج . الطبعة الأولى . سلسلة كتاب الأمة رقم 18 . الدوحة : مركز البحوث و الدراسات برئاسة المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية . 1410هـ .

❑ النحلاوي عبد الرحمن .

أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والأسرة والمجتمع . الطبعة الثانية . دمشق: دار الفكر . 1403 / 1983 م .

❑ نخبة من المفكرين و الكتاب .

مقالات في الدعوة و الإعلام الإسلامي . سلسلة كتاب الأمة رقم 28 .الطبعة الأولى . قطر : رئاسة المحاكم الشرعية و الشؤون الدينية ، 1411هـ .

❑ الندوي أبو الحسن بن علي بن الحسن .

الأركان الأربعة – الصلاة ، الزكاة ، الصوم ، الحج – في ضوء الكتاب و السنة . الطبعة الرابعة . الكويت : دار القلم . 1398هـ/1978م .

❑ نصر محمد عارف .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الـحضارة – الثـقافة – الـمدنية ، دراسة لسيرة المصطلح و دلالة المفهوم . الطبعة الثانيـه . الرياض :الدار العالمية للكتاب الإسـلامي ؛ فيرجينيـا :المعـهد العـالمي للفكـر الإسـلامي . 1415هـ/1995م.

- النمر عبد المنعم .

الاجتهاد . الطبعة الأولى . القاهرة ، بيروت : دار الشروق . 1406هـ/ 1986م .

- نوفل أحمد .

الحرب النفسية . (ط.د) . باتنة – الجزائر – : دار الشهاب . (ت.د) .

- نويهض عادل .

معجم المفسرين من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر . الطبعة الأولى . بـيروت : مؤسسة نويهض الثقافية . 1403هـ/1983م .

هـ

- ابن هشام أبو محمد عبد الملك .

السيرة النبوية ، 4ج ، (بيروت : المكتبة العلمية)

- هونكة زيغريد .

شمس العرب تسطع على الغرب ، الطبعة .

- الهيثمي ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر .

الزواجر عن اقتراف الكبائر .ج2 . الطبعة الأولى . القاهرة : المطبعة الأزهرية المصرية . 1325هـ.

- هديري مجاهد محمد .

منهج القرآن و السنة في العلاقات الإنسانية . الطبعة الأولى . مصر : مطبعة الأمانة 1398هـ/ 1978م .

و

- الوشلي عبد الله بن قاسم .

المسجد و نشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ . الطبعة الأولى . بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية 1410 هـ/1990م .

- الولي طه .

المسجد في الإسلام . الطبعة الأولى . بيروت : دار العلم للملايين . 1409هـ/1988م .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

- يالجن مقداد .

دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة . الطبعـــة الأولى . بـــيروت ، القاهرة : دار الشروق . 1403هـــ/1983م

- يوسف إلياس سركيس

معجم المطبوعات العربية .

- يوسف قاسم .

مبادئ الفقه الإسلامي

- مراجع باللغة الفرنسية

- HILLARY CLITNON. **Il faut tout un village pour élever un enfant**.

- HISHAM ALTALIB **Guide de formation des cadres musulmans**, Traduit par Michèle Missaoudi. 1re édition 1994 (Herndon, Virginie, U.S.A : Institut International de la Pensée Islamique

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الرسالة

المقدمة

لماذا هذا الموضوع تحديدا 6

أهـــداف الـــدراسة 6

نوع البحث و منهجه 7

الصعوبات التي واجهت الدراسة 8

التقسيمات الأساسية لموضوعات البحث 8

الباب الأول

مكانة الجمعة في الإسلام و مقاصدها الشرعية

الفصل الأول - مكانة الجمعة في الإسلام ..... (64-13)

تمهيد 14

المبحث الأول: مكانة الجمعة في القرآن الكريم 16

أولا : الإطار المؤسساتي للجمعة في القرآن الكريم 16

1. الفلسفة الأساسية لمؤسسة المسجد في القرآن الكريم 18

2. المقصد الأعلى لمؤسسة المسجد 19

3. وظائف مؤسسة المسجد 20

4. النظام الخاص بمؤسسة المسجد 21

ثانيا : موضوع الجمعة في الجمعة في القرآن الكريم 22

1. موضوع الجمعة من خلال سورة الجمعة 22

2. موضوع الجمعة من خلال بقية السور 24

المبحث الثاني: مكانة الجمعة في السنة النبوية 27

أولا : عناية الرّسول ﷺ ببناء المساجد 27

ثانيا: عناية الرّسول ﷺ بالجمعة 32

1. الاهتمام بيومها و الأمر بالاستعداد لها 32

2. الاهتمام بخطبتها و صلاتها 35

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1. (استنتاج) الأبعاد المنهجية لجمعات النبي ﷺ 36
2. البعد القيمي (التوحيدي) 37
3. البعد العملي 39
4. البعد الواقعي 41
5. البعد الواقعي 41
6. البعد المقاصدي 43
7. البعد الشمولي 44
8. البعد البلاغي 45
9. البعد القرآني 47
المبحث الثالث:مكانة الجمعة في عصر الخلفاء الراشدين 49
أولا:عناية الخلفاء الراشدين بالمساجد و خاصة مسجد الجمعة 50
1.اهتمامهم ببناء المسجد و توسيعها 50
2.اهتمامهم بالرسالة الشاملة للمسجد 53
ثانيا: عناية الخلفاء الراشدين بالجمعة 54
1.الاقتداء الأكمل بسنة الرسول ﷺ و هديه في جمعاته 54
2.شمولية خطبهم 55
3.إعدادهم للخطب 58
المبحث الرابع:مكانة الجمعة على مدار التاريخ (بيان عام) 59
أولا : مكانة الجمعة عند جماهير المسلمين 60
ثانيا:مكانة الجمعة عند العلماء 62
الفصل الثاني - المقاصد الشرعية الجمعة ..... (65-92)
تمهيد 66
المبحث الأول : مفهوم المقاصد الشرعية 67
أولا: المفهوم اللغوي 67
1-المعنى اللغوي لكلمة مقاصد 67
2-المعنى اللغوي لكلمة شريعة 69
ثانيا: المفهوم الاصطلاحي 70
1-المعنى الاصطلاحي لكلمة شريعة 70

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

د المعنى الاصطلاحي لكلمة شرعي 71
ثالثا: المفهوم الاصطلاحي للمركب الإضافي (مقاصد الشريعة) 71
المبحث الثاني:أهمية دراسة الجمعة في ضوء المقاصد الشرعية 73
أولا: استنباط مقاصد الجمعة من المقاصد العامة للشريعة 74
ثانيا: معرفة مكانة مقاصد الجمعة ضمن المقاصد العامة للشريعة 76
ثالثا: التمكين من الفهم و التنزيل الصحيحين للنص على الواقع 77
المبحث الثالث: المقاصد الشرعية للجمعة من خلال نصوص
الكتاب العزيز و السنة الشريفة 78
أولا: تشريع الجمعة لحفظ المصالح الضرورية 78
1-تشريع الجمعة لحفظ الدين 79
2-تشريع الجمعة لحفظ النفس و العقل و النسل و المال 84
ثانيا: تشريع الجمعة لحفظ المصالح الحاجية و التحسينية 85
المبحث الرابع:فعالية الجمعة في تحقيق المصالح الضرورية و الحاجية و التحسينية 88
أولا: ربانية أحكامها 88
ثانيا: كمالها و تكاملها 89
ثالثا: ابتناؤها على الفطرة 90
رابعا: سماحتها و يسرها 91
بيان توضيحي: أهداف و أبعاد الجمعة في ضوء مقاصد الشريعة 92

الباب الثاني

الأبعاد الإعلامية للجمعة

الفصل الأول - البعد التربوي و التعليمي للجمعة ..... (94-138)
المبحث الأول : مفهوم التربية و التعليم المنوطين بالجمعة 95
أولا: مفهوم التربية 95
1-المفهوم اللغوي 95
2-المفهوم الاصطلاحي 96

3- دلالة مصطلح التزكية على المفهوم الاصطلاحي للتربية..... 97
ثانيا: مفهوم التعليم (الكتاب و الحكمة) 99
1-المفهوم اللغوي..... 99
2-المفهوم الاصطلاحي 99
أ -تعليم الكتاب..... 99
ب-تعليم الحكمة..... 103
ج-علاقة التربية بالتعليم 109
المبحث الثاني: أهداف التربية و التعليم المنوطين بالجمعة..... 111
أولا: على مستوى الفرد (إخراج الإنسان الصالح الرباني) 112
1-ترقية الإنسان معرفيا 114
2-ترقية الإنسان روحيا 114
3-ترقية الإنسان نفسيا و جسميا 115
4-ترقية الإنسان سلوكيا 115
5-إيجاد التوازن بين العوامل المكونة لشخصية الإنسان 116
ثانيا: على مستوى المجتمع (إخراج الأمة الصالحة الربانية) 117
المبحث الثالث: منهج الجمعة في تحقيق هذه الأهداف..... 120
الخطوة الأولى : إصلاح الاعتقاد 121
الخطوة الثانية : إصلاح التفكير 124
الخطوة الثالثة : إصلاح العمل..... 129
المبحث الرابع: فعالية الجمعة في تحقيق هذه الأهداف 135
أولا: فعالية الجمعة في إصلاح الاعتقاد 135
ثانيا: فعالية الجمعة في إصلاح التفكير 136
ثالثا: فعالية الجمعة في إصلاح العمل 137
الفصل الثاني - البعد التثقيفي للجمعة..... (139-168)
المبحث الأول : مفهوم الثقافة ومكوناتها الأساسية 140
أولا: مفهوم الثقافة و مقتضياته 140
ثانيا: مكونات الثقافة و عناصرها 144
بيان توضيحي 147

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: أهداف الثقافة و منهج الجمعة.....148
أولا: أهداف الثقافة.....148
1-على مستوى الفرد (بناء الشخصية السوية).....148
2-على مستوى المجتمع (بناء حضارة راقية).....149
ثانيا: منهج الجمعة في تحقيق أهداف الثقافة.....152
الخطوة الأولى: تكوين الجمعة للمقاييس المعيارية لشخصية المسلم و توجيهها.....153
الخطوة الثانية:تكوين وتوثيق الصلة بين الفرد المسلم و عناصر الثقافة.....157
بيان توضيحي.....160
بيان توضيحي.....161
المبحث الثالث: فعالية الجمعة في تحقيق أهداف الثقافة.....162
أولا:فعالية الجمعة في تكوين المقاييس المعيارية للفرد المسلم و توجيهها.....162
ثانيا: فعالية الجمعة في تكوين وتوثيق الصلة بين الفرد المسلم و عناصر الثقافة.....164
الفصل الثالث - البعد الإخباري للجمعة.....(169-196)
المبحث الأول : مفهوم الأخبار و أهميتها.....170
أولا: مفهوم الأخبار.....170
1-مفهوم الأخبار بين اللغة العربية و القرآن.....170
2-مفهوم الأخبار في اصطلاح الإعلاميين.....171
ثانيا: أهمية الأخبار و الأنباء.....172
المبحث الثاني: الرسالة الإخبارية للجمعة -مبرراتها و خصائصها-.....176
أولا: مبررات الرسالة الإخبارية للجمعة.....177
1-المبرر الشرعي.....177
2-المبرر المنطقي.....179
3-المبرر الواقعي.....180
ثانيا: خصائص الرسالة الإخبارية للجمعة.....182
المبحث الثالث : أهداف الرسالة الإخبارية للجمعة و منهج تحقيقها.....184
أولا: أهداف الرسالة الإخبارية للجمعة.....184
1-بناء المنظومة المعرفية للإنسان المسلم.....184
الخطوة الأولى: تزويد المسلمين بالأخبار.....184

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخطوة الثانية: تفسير الأخبار 185
الخطوة الثالثة: مواجهة الإشاعة 186
2-تكوين الرأي العام الراشد 187
ثانيا: منهج الجمعة و أسلوبها في تحقيق أهداف الرسالة الإخبارية 189
1-منهج الجمعة و أسلوبها في تزويد المسلمين بالأخبار و تفسيرها 189
الأسلوب الأول:جعل الرسالة الإخبارية و تفسيرها هي موضوع الخطبة 189
الأسلوب الثاني: إدراج الرسالة الإخبارية و تفسيرها ضمن موضوع الخطبة..... 189
2-منهج الجمعة و أسلوبها في مواجهة الإشاعة 190
الوقائية: تعليم المسلمين كيفية التعامل مع الأخبار قبل وقوع الإشاعة 190
العلاج: تعليم المسلمين كيفية التعامل مع الأخبار بعد وقوع الإشاعة 193

الفصل الرابع - بعد الجمعة تجاه الرأي العام ..... (197-219)

المبحث الأول : مفهوم الرأي العام من وجهة نظر إسلامية 200
أولا: مفهوم الرأي العام 200
1-المفهوم اللغوي للرأي العام 200
2-مقتضيات المفهوم اللغوي 201
3-المفهوم الشرعي للرأي العام 202
4-مقتضيات المفهوم الشرعي 203
ثانيا: أنواع الرأي العام المخاطب بالجمعة 204
المبحث الثاني: أهمية الرأي العام و وظائفه في الإسلام 205
أولا: هو عملية فكرية 205
ثانيا: هو عملية جماعية 205
ثالثا: هو وسيلة لعدد من الوظائف الاجتماعية 206
1-وظيفة المناصحة 207
2-وظيفة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر 209
3-وظيفة الشورى 211
بيان توضيحي 214
المبحث الثالث : منهج الجمعة في تكوين الرأي العام 215
أولا: المنطلقات و الأسس 215
ثانيا: الوسائل و الأساليب 217

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-عرض الحقائق 217
2-تركيز و تكرار و توكيد 218
3-الوضوح و الإيجاز 219

الباب الثالث

الأبعاد الاجتماعية للجمعة

الفصل الأول - دور الجمعة في التنشئة الاجتماعية ..... (221-243)

المبحث الأول : مفهوم التنشئة الاجتماعية و أهميتها في الإسلام 222
أولا: مفهوم التنشئة الاجتماعية 222
1-تعريفها 222
2-تحليل نفسي لعملية التنشئة الاجتماعية 223
3-عناصر عملية التنشئة الاجتماعية 226
ثانيا: أهمية التنشئة الاجتماعية في الإسلام 226

المبحث الثاني : المؤسسات المؤثرة في عملية التنشئة وموقع المسجد منها 229
أولا: أهم المؤسسات المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية 229
ثانيا: محورية مسجد الجمعة بالنسبة للمؤسسات الممارسة لعملية التنشئة الاجتماعية..... 233
بيان توضيحي 236

المبحث الثالث:منهج مسجد الجمعة في تحقيق عملية التنشئة الاجتماعية في برنامج تربوي 237
أولا: تنظيم الطاقة الحيوية للإنسان 237
أ) الخصائص المنهجية في تنظيم الجمعة للطاقة الحيوية 238
ب) أهم أساليب الجمعة في تنظيم الطاقة الحيوية للإنسان 240
ثانيا: توجيه الطاقة الحيوية للإنسان 241

الفصل الثاني - دور الجمعة في إصلاح العلاقات الاجتماعية ..... (244-263)

المبحث الأول : مفهوم إصلاح العلاقات الاجتماعية 245
أولا: دلالة المفهوم 245
ثانيا: أهمية العلاقات الاجتماعية و أهمية إصلاحها 246

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 -أهميتها بالنسبة للفرد 246
2-أهميتها بالنسبة للمجتمع 247
ثالثا:أهمية إصلاح العلاقات الاجتماعية في الإسلام 249
المبحث الثاني :منهج الجمعة في إصلاح العلاقات الاجتماعية 252
الخطوة الأولى: إرساء الجمعة أسس العلاقات الاجتماعية السليمة 253
الخطوة الثانية: تنظيم الجمعة للعلاقات الاجتماعية 260
الخطوة الثالثة: توجيه الجمعة للعلاقات الاجتماعية 262
الفصل الثالث - دور الجمعة في التربية على القيادة و الانقياد الراشدين ..... (280-264)
المبحث الأول : مفهوم القيادة و الانقياد و أهميتها 265
أولا: مفهوم القيادة و الانقياد 265
ثانيا: أهمية القيادة و الانقياد 267
ثالثا: أهمية القيادة و الانقياد في الإسلام 268
1-الاهتمام بالقيادة العامة 269
2-الاهتمام بالقيادات الخاصة 271
المبحث الثاني : منهج الجمعة في التربية على القيادة الراشدة 273
الخطوة الأولى: غرس و تكوين الأخلاق الأساسية للقائد 273
الخطوة الثانية: تعليم الناس المعايير الصحيحة على القيادة الراشدة 275
المبحث الثالث: منهج الجمعة في التربية على الانقياد الراشد 278
الفصل الرابع - دور الجمعة في بناء جماعة المسلمين ..... (299-281)
المبحث الأول : مفهوم جماعة المسلمين 282
أولا: موضوع الجماعة في القرآن و السنة 282
ثانيا: خصائص الجماعة في القرآن و السنة و أنواعها 283
ثالثا: مفهوم جماعة المسلمين أو المفهوم الإسلامي للأمة و خصائصها 285
المبحث الثاني: دور الجمعة في بناء و تماسك جماعة المسلمين 288
المبحث الثالث: منهج الجمعة في بناء جماعة المسلمين 292

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: نظرة الإسلام للمجتمع الإنساني عامة و الإسلامي خاصة 293
ثانيا: الوحدة الأساسية لجماعة المسلمين 295
الخطوة الأولى: إدراج كل أفراد المجتمع في جماعات الجمعة 296
الخطوة الثانية: تكوين و توثيق العلاقات بين جماعات الجمعة 297
بيان توضيحي 299

الفصل الخامس - دور الجمعة في الوقاية و العلاج من الأمراض الاجتماعية ..... (314-300)

المبحث الأول: مفهوم الأمراض الاجتماعية و أهمية دراستها 301
أولا: المفهوم 301
ثانيا: أهمية دراسة الأمراض الاجتماعية 305
المبحث الثاني: منهج الجمعة في الوقاية و العلاج من الأمراض الاجتماعية 307
أولا: منهج الجمعة في الوقاية من الأمراض الاجتماعية 307
ثانيا: منهج الجمعة في علاج الأمراض الاجتماعية 312

الباب الرابع

عوائق الرسالة الإعلامية و الاجتماعية للجمعة

الفصل الأول - إضاعة الصلاة في المجتمع الإسلامي ..... (341-316)

المبحث الأول : إضاعة الصلاة في المجتمع الإسلامي 317
أولا: مفهوم إضاعة الصلاة في القرآن و السنة 317
1-الإضاعة الكلية 317
2-الإضاعة الجزئية 319
ثانيا: أسباب إضاعة الصلاة 323
1-الكفر و النفاق و الرياء 323
2-الكسل و اتباع الشهوات 325
3-الجهل بحقيقة الصلاة و مقاصدها 326
المبحث الثاني : آثار إضاعة الصلاة على المجتمع الإسلامي و على رسالة الجمعة 329
أولا: إضاعة الصلاة في المجتمع الإسلامي اليوم و آثارها 329

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: آثار إضاعة الصلاة على الرسالة الإعلامية للجمعة 333
المبحث الثالث : مواجهة إضاعة الصلاة و دور الجمعة في ذلك 336
أولا: المسؤولون على مواجهة إضاعة الصلاة 336
ثانيا: دور المسجد في مواجهة إضاعة الصلاة 339
الفصل الثاني - إنتشار الأمية في المجتمع الإسلامي ..... (342-362)
المبحث الأول : مفهوم الأمية في القرآن و السنة 345
أولا: مفهوم الأمية القرآن و السنة 345
رسم بياني 351
رسم بياني 352
ثانيا: خصائص المفهوم الإسلامي للأمية 353
المبحث الثاني :آثار الأمية على رسالة الجمعة 355
أولا: واقع الأمية في المجتمع الإسلامي المعاصر 355
ثانيا: أخطار الأمية على رسالة الجمعة 357
الفصل الثالث - ضعف خطاب الجمعة ..... (363-382)
المبحث الأول : ضعف خطاب الجمعة المظاهر و الأسباب 364
أولا: مفهوم ضعف خطاب الجمعة 364
ثانيا: مظاهر ضعف خطاب الجمعة 365
ثالثا: أسباب ضعف خطاب الجمعة 366
المبحث الثاني : آثار ضعف خطاب الجمعة على رسالتها 373
أولا: آثار ضعف خطاب الجمعة على فهم الناس للإسلام 375
ثانيا: آثار ضعف خطاب الجمعة على تطبيق الإسلام 376
ثالثا: آثار ضعف خطاب الجمعة على تبليغ الإسلام 378
المبحث الثالث : دور القائمين على المساجد في مواجهة ضعف خطاب الجمعة 380
أولا: مفهوم مؤسسة التبليغ 380
ثانيا: أهمية تأطير الجمعة في مفهوم مؤسسة للتبليغ 381
ثالثا: مبررات تأطير خطبة الجمعة في مفهوم مؤسسة للتبليغ 382

المبحث الأول : رسالته المسجد و وظائفه في الإسلام (بيان عام) 384
1-الوظيفة التعبدية 384
2-الوظيفة التربوية 386
3-الوظيفة التعليمية 386
4-الوظيفة التثقيفية 387
5-الوظيفة الاجتماعية 387
6-الوظيفة السياسية 388
7- الوظيفة الاقتصادية 388
8-الوظيفة الاتصالية و الإعلامية 389
المبحث الثاني : انحسار رسالة المسجد و آثارها على رسالة الجمعة 391
أولا: الفهم الخاطئ للإسلام 392
ثانيا: إصابة شخصية المسلم بالازدواجية 392
ثالثا: تكريس الحكم بغير ما أنزل الله 393
رابعا: حرمان المسجد من وظيفة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر 393
خامسا: حرمان المسجد من التوجيه بالقدوة العملية 393
الفصل الخامس - غياب تحكيم الشريعة في المجتمع الإسلامي ..... (395-408)
المبحث الأول : بداية غياب تحكيم الشريعة الإسلامية 397
أولا: مرحلة ما قبل الاحتلال 398
ثانيا: مرحلة الاحتلال 399
ثالثا: مرحلة ما بعد الاحتلال 402
المبحث الثاني :آثار غياب تحكيم الشريعة الإسلامية على رسالة الجمعة 405
الخاتمة 409
الفهارس العامة 413
فهرس الآيات 414
فهرس الأحاديث الآثار 427
فهرس الأعلام 433
فهرس المصادر و المراجع 436
فهرس الرسالة 453